دار الكتب المصرية

القسم الأدبي

ديوان مهيار الديلمي

الجزء الأول

[الطبعة الأولى]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٤ هـ — ١٩٢٥ م

دار الكتب المصرية

القسم الأدبي

ديوان مهيار الديلمي

الجزء الأول

[الطبعة الأولى]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٤ هـ – ١٩٢٥ م

فهـــرس

قواف الجزء الأول من ديوان مهيار

صحيفة

قافيـــة الألف الممدودة والمقصورة ١

« الباء ٨

« التاء ١٥٣

« الجيم ١٨٠

« الحاء ١٨٣

« الدال ٢٢٦

« الراء ٣٤٥

(ملحوظة) ليس للشاعر قواف من حروف الثاء والخاء والذال .

ترجمة مهيار

عن كتابَي

" وفَيات الأعيان " و " المنتظم، في تواريخ الملوك والأمم"

جاء في " وفيات الأعيان " لابن خلّكان ما نصّه :

هو " أبو الحُسَين[1] " مِهْيارُ بن مَرْزَوَيْه الكاتب الفارسيّ الديلميّ الشاعر المشهور، كان مجوسيًّا فأسلم، ويقال : إنّ إسلامَه كان على يد الشريف الرضيّ أبي الحسن محمّد الموسويّ وهو شيخه وعليه تخرَّجَ في نظم الشعر، وقد وازن مهيارُ كثيرا من قصائده، وكان شاعرا جزلَ القول مقدّما على أهل وقته وله ديوانُ شعرٍ كبيرٌ، وهو رقيقُ الحاشية طويلُ النَّفَس في قصائده، وقد ذكَره "أبو الحسَن الباخَرزِيّ"[2] في كتابه المسمَّى "دُمية القَصْر" فقال في حقّه :

" هو شاعر، له في مَناسك الفضل مَشاعر، وكاتب، تحت كلّ كلمةٍ من كلماته كاعب، وما في قصائده بيت، يُتَحكَّم عليه بلَوٍ وليت، وهي مصبوبةٌ في قوالب القلوب، وبمثلها يعتذر الدهرُ المذنبُ عن الذنوب "

---

(١) نبّه القارئ الى أن كنية مهيار في كتاب وفيات الأعيان "أبو الحسين" وفي كتاب " المنتظم " " أبو الحسن " وبهذه الرواية الأخيرة وردت كنيته مرّاتٍ عديدة في ديوانه، وهو النسخة الفتوغرافيّة المحفوظة بدار الكتب المصريّة — والتي نقل منها هذا الجزء — تحت رقم ٤٢٣٩ (أدب) فليتنبّه القارئ الى ذلك إذ ليس من حقّنا الفصل أو الترجيح في هذا الخلاف الخاص باسم ابنه. (٢) هو أبو الحسن علي بن الحسن الباخرزيّ الشاعر المشهور، صنّف كتابَ " دمية القصر، وعصرة أهل العصر " وهو ذيل "يتيمة الدهر" للثعالبيّ، وقد قُتل " بباخَرْز " في ذي القعدة سنة سبع وستين وأربعمائة؛ و " باخَرْز " هذه ناحيةٌ من نواحي " نيسابور " تشتمل على قرى ومزارع .

وذكره " أبو الحسن عليّ بن بَسّـام " فى كتابه المسمّى " الذخيره ، فى محاسن أهل الجزيره" وبالغ فى الثناء عليه، وذكَرَ شيئا من شعره

وتُوفِّىَ مِهيارُ ليـلة الأحد لخمس خلون من جُمادَى الآخرة سنة ثمـان وعشرين وأربعمائة هجريّة .　　انتهى

* * *

وجاء فى " المنتظم ، فى تواريخ الملوك والأمم[1] " للإمام أبى الفَـــرج الجَوْزىّ ما نصّه :

مِهْيار بن مَرْزَوَيْه أبو الحسَن الكاتب الفارسىّ

" كان مجوسيًّا فأسلم سنة أربع وتسعين وثلثمائة وصار رافضيًّا غاليًا، وفى شعره لطفٌ، إلا أنه يذْكُر الصحابةَ بمـا لا يصلح

قال له " أبو القاسم بن برهان" : يا مهيار، انتقلتَ بإسلامك فى النار من زاوية الى زاوية، قال : وكيف ذاك ؟ قال : لأنك كنتَ مجوسيًّا فأسلمتَ فصرتَ تسبُّ الصحابة

وكانت آمرأةٌ تخدمُه ، فكنَست الغرفةَ، فوجدتْ خيطا فجرَّته فاذا هو خيطُ هِمْيانٍ[2] فيـه مالٌ، وكان قد ترك الدارَ قومٌ من الخراسانية الحاجّ، فأخبرتْهُ فلم يتغيرّ، وقال لها : قد تعبتُ حتى خبأتُه فلمـاذا نبشتيه ؟ وكان فيـه ألفا دينار، وسُعِىَ به الى "جلال الدولة[3]" فقبض عليه ثم أطلقَه، وتوفى فى جمادى الآخرة من هذه السنة .

انتهى

---

(١) نسخة فتوغرافيّة محفوظة بدار الكتب المصريّة تحت رقم ١٢٩٦ (تاريخ) ومانقلناه منها عن مهيار فى الجزء السابع من هذه النسخة : فيمن توفّوا سـنة ٤٢٨ هجريّة .　　(٢) الهميان : الكيس .

(٣) جلال الدولة : أحد الملوك من " بنى بُوَيه " الذين آختصّهم ووزراءَهم مهيارُ بطائفـة كبيرة من مدائحه فى هذا الجزء والجزءين التاليين ونخصّ بالذكر من أولئك الوزراء " أبا سعد بن عبد الرحيم " الملقّب " بعميد الدولة " ، لكثرة ما آمتدحه به مهيار من القصائد .

كيف صُحِّحَ هذا الجزء

نُقِلَ هذا الجزءُ من النسخة الفتوغرافيّة المحفوظة بدار الكتب المصريّة تحت رقم ٤٢٣٩ (أدب) وخطها من خطوط أوائل القرن السابع .

وقد عانينا كثيرا من المشاقّ فى قراءة هذه النسخة وآستجلاء غامضها وآستكناه عويصها ، حتى آضطُررنا الى تصحيف كثيرٍ من الألفاظ التى ذهب إعجامها أو وُضعَ خطأً فى غير محلّه . وبعض هــذه الألفاظ قد يحتمل تصحيفا آخر ولكنا راعينا فيما رجّحناه موقع الكلمة من آنسجامها مع أخواتها حتى يأخذ بعضهــا برقاب بعض ، كقوله :

وأنعمٌ " تأتيــــه "　　مع الربيع جُـــدُدُ

المقصود فى هذا البيت كلمة "تأتيه" وهى فضلا عن بعدها عما يقتضيه السياق وعن عدم آتزان البيت بهــا فإنها توجب أن تكون القافية منصوبةً ، فصحّفناها الى " نابتة " والى " ثابتة " و رجّحنا الأولى لآلتئامها مع قوله " الربيع" وقوله "جُدُد" وهى لا تخفى على أهل الذوق . ومن الواضح أن الشعر ذو وجوه ومناحٍ وكثيرا ما يُختلف على البيت الواحد وكلّ آختلاف له وجهٌ من الظن وناحيةٌ من الرأى . والواقع ، أنه لو أُطلق لنا العنان لنجرى وراء الأهواء سامعين لكلّ مُدْلٍ برأيه فيما صحفناه أو حورناه أو رجحناه لوقفنا فى وسط المضمار ولأعيانا الشوط وضاقت صحف هــذا الجزء عن آستيعاب الألفاظ التى توافق كل هوى .

وآضطُررنا أيضا الى تحوير كثيرٍ من الكلمات التى لا تتفق ومعنى البيت ، والى زيادة طائفةٍ أخرى من الكلمات التى نقصتها الأبياتُ لتحل محــل المفقود وراعينا فى ذلك ما يرمى اليه الشاعر غير جازمين بأنها هى بعينها إذ قد تختلف هذه الكلمات

أمثـــلة

من كلماتٍ صُحِّفتْ خطأً أو ذهبَ إعجامُها

صحيفة سطر

الأصل : عليَّ ضوافٍ من سوالفِ طَولهِ يجرِّرُ أذيالَ السحابِ "شَحوبُها"

٤٧ ٥ صوابه : عليَّ ضوافٍ من سوالفِ طَولهِ يجرِّرُ أذيالَ السحابِ "سَحوبُها"

الأصل : وفى التُّربِ مما استصحب الطيفُ فعمةٌ يراوح قلبى "بِشـــرُها" المتغربُ

٥١ ١٦ صوابه : وفى التُّربِ مما استصحب الطيفُ فعمةٌ يراوح قلبى "نَشـــرُها" المتغرِّبُ

الأصل : لئن دَرَست منها "الحظوظُ" فإنّه لَيبقَى طويلا عَرفُها فى المساحبِ

٥٦ ٦ صوابه : لئن دَرَست منها "الخطوطُ" فإنّه لَيبقَى طويلا عَرفُها فى المساحبِ

الأصل : فالسـنهم غيظا "بوارد طبه" وأكبادهـــم خلف الضلوع حِرارُ

٣٨٦ ٤ صوابه : فالسـنهم غيظا "بوارد رطبة" وأكبادهـــم خلف الضلوع حِرارُ

الأصل : فى ليـلةٍ ... "بث" غيـرَ حـديثِها سُمّـارُها

٣٩٩ ١٣ صوابه : فى ليـلةٍ [لم] "يَنِثُّ" غيـرَ حـديثِها سُمّـارُها

الأصل : ولقـــد ظننت بهـا وراء لثـامها خيرا فكشّف "فتحها" "الأشفارُ"

٤٢٤ ١٥ صوابه : ولقـــد ظننت بهـا وراء لثـامها خيرا فكشّفَ "قُبحَها" "الإسفارُ"

أمثـــلة

من كلمـاتٍ محـرَّفة

الأصل : على "شرط" عِزٍّ لا تحولُ رسومُهُ وبسرج نعـيمٍ لا تُـراعُ سُروبُهُ

١٣٦ ٩ صوابه : على "صَرحِ" عِزٍّ لا تحولُ رسومُهُ وسرحِ نعـيمٍ لا تُـراعُ سُروبُهُ

صحيفة	سطر	
		الأصل : ومثلك أسرى لا يُسامُ فـــداؤها هوانا "وقلبي" لا تُساقُ دياتُهـا
١٧٠	١٠	صوابه : ومثلك أسرى لا يُسامُ فـــداؤها هوانا "وقتلى" لا تُساقُ دياتُهـا
		الأصل : وفيحاءَ من "دُونِهـم" زرتُهـا وأخلق بهـا جنّـــةً أن تُزارا
٣٥١	٦	صوابه : وفيحاءَ من "دُورِهم" زرتُهـا وأخلق بهـا جنّـــةً أن تُزارا
		الأصل : ولم أدر والشـــك "يلق" اليقين الى أىّ شـــقّ طريق أصـــيرُ
٣٩٣	١٥	صوابه : ولم أدر والشـــك "ينفى" اليقين الى أىّ شـــقّ طريق أصـــيرُ
		الأصل : يملأون الحُبَـا جلوسا فإن ثا روا ملأتَ "المضلَ" بيضًا وسُمْرا
٤٠٩	١٢	صوابه : يملأون الحُبَـا جلوسا فإن ثا روا ملأتَ "المضاءَ" بيضًا وسُمْرا

امثـــلة

من أبياتٍ سقطَ بعضُ ألفاظها

صحيفة	سطر	
		الأصل : حرامٌ وإن أمحضتَ ... ... مطعمٍ علىّ ، اذا أدّاه أخبثُ مكسبِ
١٦	١١	صوابه : حرامٌ وإن أمحضتَ [أطيبُ] مطعمٍ علىّ ، اذا أدّاه أخبثُ مكسبِ
		الأصل : بك آنتصر المـــلوك ... ... فيما دعَوك لنصـــره نِعم النصـــيرُ
٣٥٩	٥	صوابه : بك آنتصر المـــلوك [وأنت] فيما دعَوك لنصـــره نِعم النصـــيرُ
		الأصل : وأشارك النُّـــوَّاحَ فيـــك بأننى ... ... فالتأبين نوح الشـاعرِ
٣٤٧	١٢	صوابه : وأشارك النُّـــوَّاحَ فيـــك بأننى [أرثيك] فالتأبين نوح الشـاعرِ

صحيفة سطر

الأصل : عريت من ظبائها الانس ... ... وآعتاضت الظباءَ العُفْرا

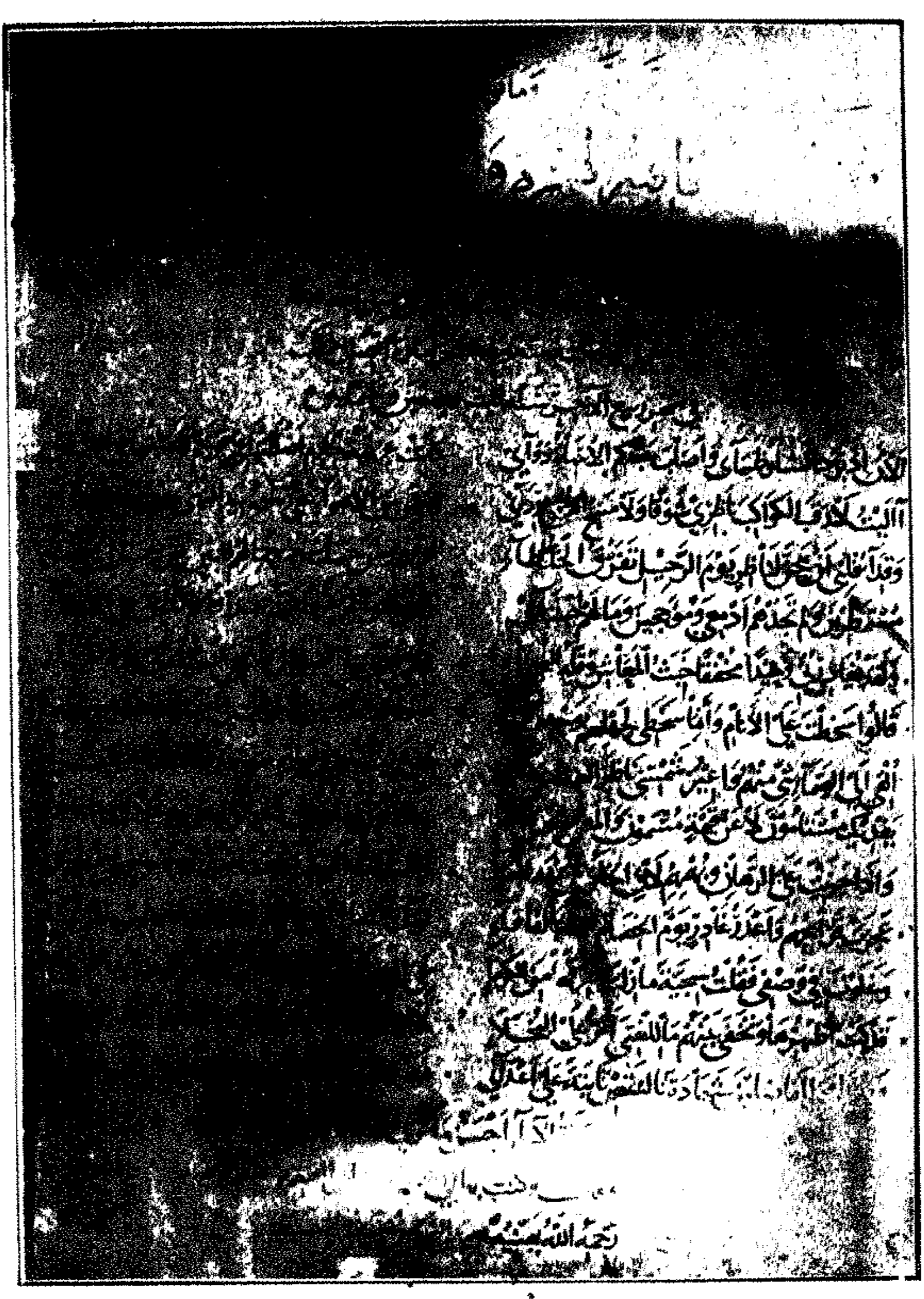
٤٠٧ ٤ صوابه : عرِيت من ظبائها [الآنساتِ البيضِ] وآعتاضت الظباءَ العُفْرا

الأصل : طاعنا فى السنين تطوى عليه نَّ ... ... السنين عصرا فعصرا

٤١١ ١٢ صوابه : طاعنا فى السنين تطوى عليه نَّ [طوالَ] السنين عصرا فعصرا

وما الى ذلك كثيرٌ غير الذى تجاوزنا عن ذكره لكثرته بالأصل ممّا يحتاج الى مجلّد على حدته وسيلمُّ القارئُ ببعض ما نوهنا عنه فى أماكنه من هذا الجزء *

"أحمد نسيم"



نموذج من صحف الأصل الفتوغرافي [صفحة (١) يقابلها صفحة (١ — ٣) من هذه الطبعة]

نموذج آخر من الأصل الفتوغرافي [صفحة (١٦٢) يقابلها صفحة (٤٠٠ — ٤٠١) من هذه الطبعة]

بسم الله الرحمن الرحيم

وما توفيقي إلا بالله عليه توكّلت وإليه أنيب .

(١)

قافيــة الهمزة والألف

قال الأستاذ أبو الحسن مِهْيار بن مَرْزَوَيْه الكاتب رحمه الله تعالى وكتب بها الى صديقٍ له يشكره على جميلٍ بَلَغه عنه، ورغبةٍ في المودة أتته منه، ويذكر أَمَارة آتصال ذلك في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة

الآن إذ بَرَّدَ[1] السلوُّ ظَمائي[2] ... وأصاب بعدكم الأُساةُ[3] دوائي

كانت عزيمة حازمٍ أضللتُها ... في قربكم فأصبتُها في النائي

آليتُ لا أرقبَ الكواكبَ ناظري ... شوقا ولا مَسَحَ الدموعَ ردائي

أمسُّ من الأهواء عَفَّى رسمَه ... بيد النُّهى يومٌ من الآراءِ

وقَذاءُ قلبي، أن يَحِنّ لناظرٍ ... يومَ الرحيل تفرّقَ الُخلَطاءِ

دعهم ومَنْ حَمَلَتْه حُمْرُ جِمالهم ... للبين من حمراءَ في بيضاءِ

مستمطِرين ولم تَجُدهم أدمعي ... ومؤَجِّجين وما لهم أحشائي

(١) يقال : بَرَدَه و بَرَّده : جعله باردا . (٢) الظَّماء : أشدّ العطش . (٣) الأُساة جمع آسٍ وهو الطبيب .

ملاحظة : الأرقام المكتوبة في مثل هذه العلبة ( ) على الهوامش الخارجيّة تدلّ على رقم الصفحة في النسخة الأصليّة المنقولة بالتصوير الشمسيّ .

كانوا النواظـرَ عِزّةً لكنهم غَـدروا فـلم تُطبِق على الأقذاءِ (١)

ولقـد يغـادرنى وحيـدا مخفقا خَبَثُ المعـاش وقِـلّةُ النجباءِ

أظمى وريِّى فى السؤال فلا يفى حَرُّ المـذلّةِ لى بـبَرْد المـاءِ

قالوا سخطتَ على الأنام وإنمـا سخطى لجهلهمُ بوجه رضـائى

صُوَرٌ تَصَرَّفُ أنفسُ الأمواتِ فى أجسامها بجـوارح الأحيـاءِ

أُلـقِى الى الصَّـمّاء بثّىَ منهُـمُ وأُعـير شمسِىَ ناظـرَ العَشْـواءِ (٢)

بأبى غريبٌ بينهـم فى داره متوحّـدٌ بتعـدّد النُّظَـراءِ

يَفـديك مستامون لا عن قيـمةٍ (٣) مُسْمَوْن والمعنَى سوى الأسمـاءِ

يتطاولون ليبلُغوك ولم يكن ليضمَّهـم وعلاك خـطٌّ سـواءِ

واذا جريتَ على الرِّهان وبُهْمَهـم لاقَ (٤) الخَـلوقُ (٥) بجبهـة الغـرّاءِ

والشامةُ البيضـاءُ تَنعَت نفسَهـا بوضوحها فى الجِـلدة السـوداءِ

عَجَـزتْ قرائحُهـم، وأغدرُ غادرٍ — يومَ الخصام (٦) — الفاءُ بالفأفـاءِ (٧)

لبّيـك عِـدّةَ ما أتانى غافـلا عنـك الرواةُ بطيّب الأنبـاءِ

وغلوتَ فى وصفى، فقلتُ سجيّةٌ ما زلتُ أعرفها من الكرماءِ

عمِىَ الورى عن وجهها فرأيتَـه — وهو البعيد — بناظرَىْ زرقاءِ (٧)

قد كنتُ أُظهرها وتَخـفَى بينهـم ما للغِـنى أثرٌ عـلى البخـلاءِ

لا آرتعتُ إذ أُعطيتُ منك مودّةً اذا أسرّ النـاسُ من بَغضائى

(١) الأقذاء جمع القذى وهو ما يقع فى العين وما ترمى به من غَمَص ورَمَص. (٢) العشواء: الناقة لا تبصر أمامها. (٣) يقال: آستام بالسلعة وعليها: غالى، فقوله: مستامون أى مغالون. (٤) لاق: عَلِق. (٥) الخَلوق: ضرب من الطِّيب. (٦) الخصام: الجَـدَلُ. (٧) الفأفاء: الذى يردد الفاء فى كلامه. (٨) زرقاء: يريد زرقاء اليمامة وهى آمرأة من جديس كانت تبصر مسيرة ثلاثة أيام.

وصداقتى للفاضلين شهادةٌ بالنقص ثابتةٌ على أعدائى
نسبٌ، مُزِجنا، لا تميّز بيننا فيه، آمتزاجَ الماءِ بالصهباءِ
ومودّة الأبناء أحسنُ ما تُرى موروثةً عن نِسبة الآباءِ

* * *

وقال وكتب بها الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم رحمه الله، يهنئه بعيد النحر من هذه السنة

(٢)

يا عينِ لو أغضيتِ يومَ النوى ما كان يوما حَسَنًا أن يُرَى
كلّفتِ أجفانَكِ ما لو جرى برمل يَبْرِينَ[1] شكا أو جرى
جنايةً عرّضتِ قلبي لها فآحتملى، أَولَى بها مَنْ جنى
سَلْ ظبياتٍ بالحِمى رُتَّعا خُضّرَ منهنّ بياضُ الحِمى
نَشَدتكنّ اللهَ، ما حيلةٌ صاد بها الأُسْدَ عيونُ المها[2]؟
إن تك سِحْرا أو لها فعلُه فالسحر يشفِى منه طِبُّ الرُّقَى[3]
فيكنّ مَن حشوُ جلابيبه أهيفُ راوى الرِّدفِ ظامى الحشا
قلبي له مَرْعًى وصدرى كَلا[4] ليت كَلا ظبيُ الحِمى ما رعى
يا بأبى غضبانَ لو أنه يرضى بغير القتل نال الرضا
أَغَصُّ بالماء حِفاظا لِما فارقتُه فى فمه من لَمى[5]
ما لدماء الحبِّ مطلولةً أهكذا فيهنّ دِينُ الدُّمى[6]؟

---

(١) يبرين: بلدة من أصقاع البحرين و بها الرمل الموصوف بالكثرة . (٢) المَهَا جمع مهاة وهى البقرة الوحشيّة . (٣) الرقى جمع رقية وهى العُوذة يتعوّذ بها الإنسان من السحر . (٤) الكلأ: رطب العشب و يابسه، وحذفت الهمزة للضرورة . (٥) اللمى مثلثة اللام: سمرة فى الشفة . (٦) الدمى جمع دُمية وهى الصورة المنقشة من الرخام .

إن كانت الأعراضُ مجـزيّةً فعاقبَ اللهُ الهـوى بالهـوى

لله قلبُ حسنٍ صبرُه ما سُئل الذِّلّة إلا أَبَى

وصاحب كالسيف ما صادفت ضَرِبتُـهُ غَرِبَاه[1] إلا مضى

يركب فى الحاجات أخطارَها إمّا خِسًّا[2] فيها وإما زَكا[3]

يَقِيل إن هجّر فى ظلّه ويحسب الليلَ البهيمَ الضُّحى

كأنه فى الخطب بالحظّ أو بدرِ بنى عبد الرحيم اهتدى

فداء من يُحسِن أن يوسع الـ ـإحسانَ قومٌ خُلِقوا للفدى

جاد على الأملاك واستظهروا بالمنع بُخلًا فى زمان الغنى

تبعث أحشاؤهم غيظَه الى حلوقٍ حسبته الشَّجا[4]

أراهُمُ عجـزُهُمُ ناهضٌ بالثقل ما استُضوِىَ إلا وَرَى

من معشرٍ تَضمَنُ تيجانُهم صُوعَ[5] المعالى وعِيابَ[6] النُّهى

تُرفَع منهم عن جباهٍ بها أبّهةُ المُلْكِ عفا أو سطا

للعزّ حَشْدٌ دون أبوابهم يُشعِرك الخوفَ ولمّا يُرَى

اذا أحبّوا غايةً حَرّموا دون مداها أن تُحَلّ الحُبَى[7]

قل "للحسين بن على" وما نماك أصلُ الخير حتى نما

أُدّيت عنهم، فاحتبت[8] روضةٌ تنبت بالنضرة فضلَ الحيا

مناقبٌ يجمعنا مجدها جمعَ العُرَى فى عُقَدات الرِّشا[9]

(١) كذا بالأصل ولعلها "حِرْبَاء" وهى مسمار الدرع . (٢) الخسا : الفرد . (٣) الزكا : الشفع من العدد . (٤) الشجا : ما اعترض فى الحلق من عظم ونحوه . (٥ و ٦) صوع : جمع صاع وهو مكيال يكال به . وعياب جمع عيبة وهى زبيل من أدم ، وكلاهما من باب الاستعارة . (٧) الحبى : جمع حبوة وهى أن يضم الإنسان رجليه الى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ويشدّه عليه ، وقد تكون باليدين عوض الثوب . (٨) احتبت : اشتملت . (٩) الرشاء بوزن كساء : الحبل وحذفت الهمزة للضرورة .

لذاك ما ظُلِّل لى واسعٌ   أرتعُ منه آمنًا فى حِمَى
كأننى فى دُوركم منكمُ   فى غير ما يُحْظَر أو يُحْتَمى
فى نعمةٍ منكم اذا آستُكْثِرَتْ   منها الفُرادَى، أعقبتها الثِّنَى (١)
يحسدنى الناسُ عليها ولو   قطَّعنى حاسدُها ما آعتدى
نشرتُها شكرا ولو أننى   طويتُها نَمَّتْ نَميمَ الصَّبا
فلتبقَ لى أنت، حقًّا اذا   وجدت قولى، لا عدمتُ المُنَى
فى نعمةٍ ليست بعاريَّةٍ (٢)   تُضْمَن، أو مقروضةٍ تُقْتَضَى
يَعضُد فيها العامُ ما قبلَهُ   ويفضُل اليومَ أخوه غدا
فى كلّ يومٍ لك عيدٌ، فما   يغرب فى عينيك عيدٌ أتى
وخذ من الأضحى بسهميك من   حظَّين فى آخرة أو دُنًى (٣)
أجرك مذخورٌ لِهَاذَاكَ والـ   ـبِرُّ موفورٌ على حفظ ذا
ما طِيفَ بالأستار فى مثلِهِ   ودامتِ المَروةُ (٤) أختَ الصَّفا

* * *

وقال يمدح العمدة ذا النباهتين آبن الصاحب، ذا السياستين أبا محمد بن مكْرَم رحمهم الله، ويذكّره بقديم ما بينه و بينه من الخلطة، و يهنئه بعيد النحر من هذه السنة

مالكُمُ لا تغضبون للهوى   وتعرفون الغدرَ فيه والوفا؟
إن كنتمُ من أهله فانتصروا   من ظالمى أو فاخرجوا منه بُرًا (٥)
أما تَرَوْن كيف نام وحَمَى   عينِى الكرى، فلم ينم ظبيُ الحِمى؟

(١) الثنى بالكسر والقصر : الأمر يعاد مرتين . (٢) العارية مشددة وقد تخفف : ماتدوول . (٣) دنى جمع دنيا . (٤) المروة والصفا : جبلان بين بطحاء مكة والمسجد . (٥) يريد براء : جمع برىء .

وكيف خـلّانى بطيئا قَـدَمى ... عنـه ومرّ سابقا مع الوَنَى؟(١)

غضبانُ ياالهفى كم أرضيتُـه ... لو كان يَرضَى المتجنِّى بالرِّضا

ما لدليـلٍ نَصَلَتْ(٢) ركابُهُ ... من الدجى، حاملةً شمسَ الضحى

ضلّ؟ ولو كان له قلبي آهتـدَى ... بنـاره، أو شام(٣) جفنىَّ سَـقى

قالوا الغضـا، ثم تنفستُ لهم، ... فهـم يدوسون الحصا جَمْرَ الغضا

بين الحُـدوج(٤) مُترَفٌ(٥) يُزعِجُـهُ ... لينُ مِهـادٍ ورفيقـاتُ الخُطَـا

عارضنى يُذَكِّرُنى الغصنَ به ... وأين منـه ما آستقام وآنثنى؟

حيٍّ وقرّبْ بالكثيب(٦) طـارقا ... من طيف حسناءَ على الخوف سرى

عاتَبَ عنهـا واصـفًا مـودّةً ... ما أسارتْ(٧) إلا عُلالاتِ(٨) الكرى

أضمُّ جفـنىَّ عليـه فَـرَقًا(٩) ... من الصباح، وعلى ذاك آنجـلى

كأننى نُجْبًـا به وشَـغَفًا ... محبةُ "العمدةِ" فى حُبِّ العلا

شَمَّـرَ للمجـدِ، وما تشمَّرتْ ... له السنونَ، يافعٌ كهلُ الحجا

وقام بالرأى، فكان أوّلُ ... من رأيه وآخرُ الحـزمِ سَـوَا

سمـا الى الغـاية حتى بلغتْ ... همّتُـهُ به السـماءَ وسمـا

فابن الملوك بالملوك يَقتـدِى ... وآبن البحار بالبحار يُبْتَـغَى

سكنتموهـا فاضحينَ جُودَها ... مُبَخِّلِيها بالسـماحِ والنَّـدَى

تشـاتم المُلكَ وقـد تهجَّمتْ ... سـائلةً بَلَغَت المـاءَ الزُّبى(١٠)

---

(١) الونى : التعب . (٢) نصلت : خرجت . (٣) شام ، يقال شام البرق : نظر اليه أين يقصد وأين يمطر . (٤) الحدوج جمع حدج وهو مركب للنساء . (٥) المترف : المتنعم الذى لا يُمنع من تنعُّمه . (٦) الكثيب : التلّ من الرمل . (٧) أسارت : أبقت . (٨) علالات جمع علالة وهى البقية من كل شىء . (٩) فرقا : فزعا . (١٠) الزبى جمع زبية وهى الرابية لايعلوها ماء .

وٱعترضت وجهَ الطريق حيّةٌ صمّاءُ، لا تُصغي لخدعاتِ الرُّقى
أنكر فيها المَلْكُ مجرى تاجهِ وقام عن سريره وقد نبا
لفّتْ على العراق شطرًا وٱنثنت لفارس، فدبَّ سمٌّ وسرى
لم تدرِ أنّ "بُعمانَ" حاويًا ما خَرَزَاتُ سحرِهِ إلا الظُّبا
يتركها، تَفحَصُ عن نيوبها، درداءَ[1] تستافُ[2] الترابَ باللَّها[3]
سَبقًا أنتك، وحمتك حُمّرا عن هذه الدولة هاذاك العشا
مهلا بني مُكرَم، من سماحِكم قد أثمر المصفرُّ وٱخضرّ الثرى
إن كنتم الغيثَ تبارون به لحسبكم، ما يفعل الغيثُ كذا
يا نجمُ، كانت مقلتي تنظرُهُ حتى ٱستنار بدرَ تمٍّ وٱستوى
صحبتُهُ ريحانةً فلم يزل دُعايَ، حتى طال غصنا ونما
أُذكُرُ ذكرتَ الخيرَ ما لم تنسَهُ من صحبتي، ذِكرَكَ أيامَ الصِّبا
وحُرمةً شروطُها مكتوبةٌ على جبين المجدِ، راعوا حقَّ ذا
ما نعمةٌ تقسِمُها إلا أنا بها أحقُّ من جميع مَنْ ترى
أيُّ جمالٍ زِنتني اليومَ به زانك بين الناس من مدحى غدا
لا تعدَم الأيامُ أو عبيدُكم نعماءَ منكم تُحتذى وتُجتدى
ولا تزل أنتَ مدَى الدهر لنا كهفا الى أن لا ترى الدهرَ مدَى
كلُّ صباحٍ واجهتْك شمسُهُ عيدٌ، وكلُّ ليلةٍ ليلُ مِنًى
إن نحروا فرضًا، فثمَّ نافلةٌ[4] فٱنحر عداك حسدًا بلا مُدى
وٱبقَ على ما قد أحلَّ مُحرِمٌ وما دعا عند الطوافِ وسعى

---

(١) الدرداء: التي ذهبت أسنانها. (٢) تستاف: تشمّ. (٣) اللها جمع لهاة وهي اللحمة المشرفة على الحلق أو ما بين منقطع أصل اللسان الى منقطع القلب من أعلى الفم. (٤) النافلة: كل ما يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه.

***

وقال فى اللوح

ما مُكَرَّمٌ هيّنُ الآباء يكرهه ... أبناءُ قومٍ ويَرضَى عنــه آباءُ؟

صِينَ لدى الله بآسمٍ واحدٍ وغدَا ... مُشَهَّرًا فيه بين النـاس أسماءُ

تَلْقَ به شِقْوَةً عيناك، وهو غدًا ... فيـه شـقاءٌ لأقوامٍ ونَعْمـاءُ

اذا وسمتَ علاماتٍ به فبدت ... تلوح، فهى له سِـــترٌ وإخفاءُ

فإن كسته ثيـابَ العزّ ناسجةٌ ... يدُ صَناعٍ(١)، نَفَتْهـا عنـه خَرقاءُ

***

وقال فى النيلوفر

ساهرةُ الليلِ نؤومُ الضُّحَى ... ريّانةٌ، والأرضُ تشكو الظَّما

رائحةٌ فى السِّربِ لم تُقْتَنَص ... ظبـاؤه إلا بأمر الدُّجَى

مُلتثمٌ فوها، وإن لم يكن ... فى شفتيهـا ما لهـا من لَمَى

حَيّـةُ ماءٍ، ناقـعٌ سَمُّهـا ... وناقـعٌ سمُّ أفاعى الصَّـفا

تعطيـك منهـا ألسُـنًا عِدّةً ... مجتمعاتٍ كلُّهـا فى لَمَـا

***

قافيــــة البـاء

وقال وهى من أوّل قوله فى غرضٍ له

أيهـا العـاتبُ ما ذا ... لك وما أعرِفُ ذنبى؟

أتظنُّ الدمعَ دَيْنًـا ... لتقـاضـاه بعتـبى؟

---

(١) صناع : حاذقة .

إن تكن أنكرتَ حِفظي لك وآرتبتَ بحُبّي
فبعينِ الله، يا ظا لمُ، عيناى وقلبي

* * *

وقال وكتب بها الى أبى الحسين هليل[1] بن المحسّن بن إبراهيم الصابئ الكاتب، وقد عتب عليه فى مودة بينهما عتابا فى غير مكانه، ونسبه الى هجرٍ كان أبو الحسين جانيَهُ، وذلك فى ذى القَعدة من هذه السنة

عَذيرِىَ مِن باغٍ علَىّ أُحبُّهُ ولم أَرَ بغيًا قبلَه جرّه الحبُّ
يعاتبنى فى الهجرِ، والهجرُ دِينُه وقد كان حُلوًا لو حلا وِدُّه العتْبُ
وأسلك طُرْقَ الوصلِ وهو مجنِّبٌ فإن ضلّ حقٌّ بيننا فله الذنبُ
بعثتَ نُدوبا[2] من تجنّيك يا "أبا الـ حسين" سهامًا لا يقوم لها قلبُ
أذِكرًا بما سرّ الوشاةَ، وتُهمةً لعهدى، وقولًا فىَّ أسهلُهُ صعبُ
وذمًّا، ولو ما جاء غيرُك خاطبًا جزاءً به منى، لقد سَهُلَ الخطبُ
وكم جُرِّعتْ منى رجالٌ، بجورها كئوسَ آنتقامٍ، مُرُّها فى فمى عَذْبُ
بأىّ وفاءٍ خلتنى حُلتُ عن هوًى ومثلىَ لا يسلو، وفى الأرض مَن يصبو
تصفّحْ صحابَ الخير والشرّ وآنتقد بقلبك، تَحُزْنى اذا نُبِذَ الصَّحْبُ
ولا تُمكِنْ من يقينك ريبةً فتنبو، فإنّ الصارمَ العضبَ[3] لا ينبو
سلمتُ من الحسّادِ فيك فإنهم اذا مُكِّنوا من نارِ فتنتهم شبُّوا
ولا أطفأتْ منك الليالى بجَوْرها على العبدِ، رأيًا كان يقدحُهُ القلبُ

(١) كذا بالأصل وفى آبن خلّكان وشذرات الذهب "هلال". (٢) ندوب جمع نَدبة وهى أثر الجرح. (٣) العضب: القاطع.

وقال وكتب بها الى أبي القاسم سعد بن أحمد بن الوزير الكافي مع قصيدة أنفذها الى أبيه الوزير الكافي أبي العباس الضبيّ وأنفذهما معًا في هذا التاريخ

حَمَامَ اللّوى رفقًا به، فهو لُبُّهُ جوادًا رِهانٍ نوحُكنّ ونَحْبُهُ
قَرَاكُنّ[1] من لا يَنقَعُ الطيرَ ماؤه ولا يُشبِعُ النُّوقَ السواغبَ[2] عُشْبُهُ
وطِرنَ حيث القانصُ امتدّ حَبلُهُ وطالت، فلم تعدُ القوادمَ[3]، قُضْبُهُ[4]
أعمدًا تُهيّجن امرأً بانَ[5] أنسُه وأسلمَهُ حتى أخوه وصَحْبُهُ؟
أمرّ ومُهرى مُغرَمَيْن على اللّوى فأسأله أو[6] كاد ينطق تُربُهُ
من الحيّ تَشتَقُّ العِرَضْنَةَ[7] عِيسُهُ[8] إزاءك، حتى امتدّ كالسطر رَكْبُهُ
وفي الظُّعْنِ[9] محسودُ الحواضر مُترَفٌ تُلاثُ[10] على خدّ الغزالة نُقْبُهُ[11]
تطولُ على الصَّوّاغ حين يمدّها خلاخيلُهُ الملأى، وتقصرُ حُقْبُهُ[12]
جَهِدنا، فلم نُدرِك، على أنّ خيلنا سواءٌ عليها سهلُ سيرٍ وصَعبُهُ
وقد فَطِنتْ للشوق، فهي تسرّعا تكاد تعدّ السير يومَ تغبُّهُ
أكلُّ ظَمائي، غائضٌ ما يَبُلُّه؟ وكلّ سَقامي، مُعوِزٌ مَنْ يَطُبُّهُ؟
تلاعبتَ بي يادهرُ حتى تركتَني وسيّانِ عندي جِدّ خطبٍ ولِعْبُهُ
وأبعدتَ مَنْ أهوَى فإن كنتَ مزمعا لتسلبني عنهم «فسعدٌ» وقربُهُ

---

(١) قراكنّ : ضافكنّ . (٢) السواغب : الجياع . (٣) القوادم : ريشات في مقدّم الجناح، الواحدة قادمة . (٤) القضب : جمع قضيب وهو الدقيق من السهام . (٥) بان : غاب . (٦) أو : بمعنى حتى . (٧) العرضنة : الأعتراض في السير من النشاط ، أو العدو في آشتقاق . (٨) العيس : الإبل البيض يخالط بياضها شقرة . (٩) الظعن جمع ظعينة وهي الهودج . (١٠) تلاث : تلفّ . (١١) نقب جمع نِقاب وهو معلوم . (١٢) حقب جمع حِقاب وهو شيء تعلّق به المرأة الحليَ وتشدّه في وسطها .

بودّى ، وهل يغنى عن المرء ودّه … وأشياعُهُ فيما يحاول حِزبُهُ؟

سلكتُ مجازَ العزّ بينى و بينه … تُحطُّ روابيه وتُهتَكُ حُجْبُهُ

ولو أنّ أرضا مَهلكا ، هان قطعُها … ولو أنّ ماءً من دمٍ ، ساغ شربُهُ

الى قمرٍ، طرف تعلّل دونه … وكم قمرٍ غطّته دونِىَ سُحْبُهُ

"أبا القاسم" : المَرْعَى مَرِيرٌ نباتُه … يَبِيسٌ ، وحلوُ العيش عندك رَطْبُهُ

أقول ، وما داجتك زُورًا محبّتى … وقد يُفرط الإنسانُ فيمن يُحِبّهُ :

زكا غُصُنٌ من "آل ضَبّةَ" أصلُهُ … أبوك له فرعٌ ، وإنك عَقْبُهُ

علاءً ، تملّتْ منه بالودّ نُجْمُهُ … لصحبتها ، واستبقتِ العزّ عُرْبُهُ

رأى بك ما أنسى ابنَ غيلٍ شُبولَهُ … نخيرا بخيرٍ أو فشرّا يذبُّهُ

قليلا ، على حكم النجابة ، شِبهُهُ … كثيرا ، على ما توجب السنُّ ، تِربُهُ (١)

لئن أخّرتْنى عن فِنائكما التى … عتبتُ لها دهرى ، فلم يُجْدِ عَتْبُهُ

وسوّفنى رؤياكما فألطّ بى (٢) … فعادتُهُ فى أخذ حقّىَ غصبُهُ

فياليته أدنَى مَزارِىَ منكما … وأهلِىَ مَرعاه ودارِىَ نَهبُهُ

وما أنا من تُصبيه أوطانُ بيته … لعاجلِ أمرٍ سَرَّ ، والعارُ غِبُّهُ

اذا أنا أبغضتُ الهوانَ ودارَه … فأهونُ ما فارقتُه مَن أُحبُّهُ

صِلونا ، فإنا مُجدبون بمنزلٍ … يضيق على الأيام بالحُرّ رَحبُهُ

سواءٌ به يا "آل ضبّة" ليثُهُ … اذا سار يبغى الرزق فيه ، وضَبُّهُ

وكانوا عِيارًا (٣) ، ربما جاد بعضهم … فأعدَى صحاحَ السَّرْحِ يا "سعدُ" جُربُهُ

(١) الترب : من ولد معك وأكثر ما يستعمل فى المؤنث ، يقال : هذه ترب فلانة . (٢) ألطّ بى أى منعنى حقى . (٣) عيار جمع عَير وهو الحمار أيّا كان أهليّا أو وحشيّا وغلب على الوحشىّ .

يعــزّ عليكم، كيف يَرجِعُ مُرمِلا[(1)] غلامٌ من الآداب والمجـد كسبُهُ؟
تقــدّمنى قــومٌ، وما ذاك ضائرى لديكم، اذا ما أخاص الزُّبدَ وَطْبُهُ[(2)]
أبانهُــمُ تلفيقُ جهــلٍ يَرُبُّهــم وأخملنى تحقيــقُ فضـــلٍ أُربُّهُ
تحلَّ بهــا يا "سعدُ" فهى قلادةٌ يُزيِّنُ فيهــا فاخرَ الدرّ ثَقْبُــهُ
هــديّةُ خِلٍّ، إن جعلتَ ودادك الـ صّداقَ لهــا مع فقره، فهو حسبهُ
يرفّعــهُ عن بذلة البعــد عتبُــهُ وهمّتــه العليــا الى النــاس ذنبُــهُ
ولى أختُهــا عنـــد الوزير تلوح فى دجى الليل، أو تبدو فتَخجَلُ شُهبُهُ
يلذُّ لهــا مَــدُّ النشــيد ولينُـــه ويُزهَى بهــا رفعُ الكلامِ ونصبُهُ
لهــا حُسْــنُها، لكن أريدك شافعًا وخيرُ شــفيعٍ لى الى الجسم قلبُــهُ

* * *

وقال وقد أنعم الله تعــالى عليه بالإسلام، ووفّقه لمــا كان يتردّد فى نفســه من الاستنصار بلطفه وفضــله، وذلك فى ســنة أربع وتســعين وثلاثمــائة، يذكر ذلك ويُهجِّن قومَه بسَـفَهِ ما هم عليــه ومعايبه، وكتب بهــا الى الكافى الأوحد يبشّره ويمدحه

(٦)

دواعى الهوى لك أن لا تجيبا هَجَــرْنا تُقًى ما وَصَلْنا ذُنوبا
قَفَوْنا[(3)] غرورَك حتى انجلتْ أمــورٌ أَرَيْنَ العيونَ العيوبا
نَصِبْنا لهــا أو بلَغنــا بهــا نُهًى لم تدعْ لك فينا نصيبا
وهبنا الزمانَ لهــا مقْبلا وغصنَ الشبيبة غضًّــا قشيبا
فقــل لمخوّفنــا أن يحــول صِبًا هَرَمًا وشــبابٌ مَشيبا:

---

(١) المرمل : الذى نفد زاده . (٢) الوطب : سقاء اللبن . (٣) قفونا : تبعنا .

ودِدْنـا لعفّتِنـا أننـا ... وُلدنا اذا كُرِهَ الشَّيْبُ شِيبا

وبلّغ أخا صحبتى عن أخيك ... عشيرته نائيا أو قريبا

تبـدّلتُ من ناركم ربَّهـا ... وخُبثِ مواقـدِها الخُلدَ طِيبا

حَبستُ عنـانِىَ مستبصرا ... بأيّةِ يستبقون الذّنوبا

نصحتكمُ لو وجدتُ المُصيخَ[1] ... وناديتكم لو دعوتُ المجيبا

أفيئوا فقـد وعـد الله فى ... ضـلالةِ مثلكمُ أن يتوبا

وإلا هلمّـوا أُباهيكُمُ ... فمن قامَ والفَخْرَ، قام المصيبا

أمثـلِ محمـدٍ المصطفى ... اذا الحكم وُلِّيتُموه لبيبا

بعـدلٍ مكانَ يكون القسيمَ ... وفصـلٍ مكانَ يكون الخطيبا

وثَبْتٍ[2] اذا الأصلُ خانَ الفروعَ ... وفضلٍ اذا النقصُ عابَ الحسيبا

وصَـدْقٍ بإقـرار أعـدائه ... اذا نافق الأوليـاءُ الكذوبا

أبان لنـا اللهُ نَهْجَ السبيل ... ببعثتـه وأرانا الغيـوبا

لئن كنتُ منكم فإنّ الهجيـ ... ـنَ يُخرِجُ[3] فى الفَلَتاتِ النجيبا

أَلِكْنِي[4] الى مَلِكٍ بالجبا ... لِ يدفعُ دفعَ الجبالِ الخطوبا

فتًى يطرُقُ المدحُ من بابه ... قِرًى كافيا وجنابًا رحيبا

قوافٍ تلك وَرَدْنَ النميـ ... ـرَ من جوده ورَعَيْنَ الخصيبا

عوارىَ تُكسَى ٱبتساماته ... وفى القول ما يستحقّ القُطوبا

ومن "آل ضَبَّة" غصنٌ يهزُّ ... جَنِيًّا، ويُغْمَزُ عُودًا صَليبا[5]

وكانوا اذا فتنـةٌ أظلمتْ ... وأعوزهم مَنْ يُجلِّى الكروبا

(١) المصيخ : المصغى . (٢) الثبت : الثابت . (٣) الهجين : الذى ولد من أمة وأبوه عربىّ أو من أبوه خير من أمّه . (٤) ألكنى : أرسلنى . (٥) صليبا : شديدا .

تداعوه : يا أوحــدًا كافيًـا لنـا مستخصًّا الينـا حبيبا
فكان لنـا قمرا ما دجتْ وماءً اذا هى شُبّتْ لهيبـا
أرى مُلْكَ "آلِ بُوَيْه" ارتدَى عَواراً بأن راح منــه سليبـا
فإن يُمسِ مَوضـعُه خاليـا فمـا تُعْرَفُ الشمسُ حتى تغيبا
لك الخير مَوْلًى، رَمَيتُ المنى رِشاءً اليـه، فروّى قَليبـا (١)
لحظّىَ فى حبس سَـــيْرِى اليـ ـك رَأْىٌ سأنظُرُهُ أن يؤوبا
اذا قلت : ذا العامُ شافٍ بدت قوارفُ منع تُجِــدُّ النُّــدوبا (٢)
ولى عزمةٌ فى ضمـانِ القبولِ سَتُدْرِكُ، إن ساعدتنى هُبوبا
وإلا فتحمِلُ شكرا اليـــك يشُوقُ الخلىَّ ويُغرِى الطروبا
وعذراءَ تُذْكِر نُعــماك بى وإن كنتُ لستُ بها مستريبا
ستُنكــرُ لجــأةَ عُنوانهـا اذا هو أعطاك وَسْمـا غريبا
فوفِّ، فقــد جَعَلَ الدِّينُ ما تنفَّلتَ فى الجودِ فرضا وُجوبا
وقد كنتُ عبدا قصيّا وجُدتَ فكيف وقد صرتُ خِلًّا نسيبا !

⁂

وقال وكتب بهـا الى أبى الحسين علىّ بن محمد البُندارىّ الكاتب خليفة الكافى الأوحد ، يشكره على كثرة وصفه إيّاه وإطرائه له ، وبلغه ذلك عنــه بلاغة يُرغَبُ مع مثلها فى المودّة

أخى فى الودّ فوق أخى النسيبِ وخِلّى دون كلِّ هــوًى حبيبى
ومــولاى البعيــدُ يقــول خيرا قريبٌ قبــل مولاى القــريبِ

(١) القليب : البئر . (٢) قوارف : قواشر، من قولهم : قرف القرحة أى قشرها بعد يبسها .

(٧)

وما دِحَى المصرِّحُ شاهدًا لى … فداءٌ للعرِّض فى مَغيبِ
فلا نتطلّبى غَلَطاتِ شوقى … فما إن زلتُ ذا شوقٍ مصيبِ
أَرَدْتِينِى ليملكنى نفاقا … سليمُ الوجه ذو ظَهرٍ مريبِ
وألسنةٌ تظاهرنى صِحاحًا … وأعلمها بطائنَ للعيوب
قد اعتذر الزمانُ بودّ خِلٍّ … محا ما كان أسلفَ من ذُنوبِ
أتتنى — طاب ما أتتِ ابتداءً … بلا حقٍّ عليه ولا وُجوبِ —
يدٌ منه وَفَتْ بيد الغمام الـ … مصيب، همَتْ على العام الجديبِ
فمثّله التصوّرُ لى بقلبٍ … يَرَى بالظنّ من خَلَلِ الغيوبِ
"أبا حسنٍ" بدأتَ بها فتمّم … وإن لم تعطنى إلا نصيبى
صفاتُك وهى تكشف عن قريضى … يمينُ القَيْن يشحذ عن قضيبِ
بنا ظمأٌ وعندكُمُ قَليبٌ … وأنت رِشاءُ هاذاك القَليبِ
"أبو العباس" موئلنا و"سعدٌ" … فقل فى الطود، أو قل فى الكثيبِ
رضيتك ثمّ لى ذخرا لنشر الـ … سليم الطىّ أو نشر المَعيبِ
وغيرك مَنْ سَكَنتُ اليه كُرهًا … كما سكَن العِذارُ الى المشيبِ
متى سالمتنى سلمتْ صَفاتى … على ما دسّ قومٌ من ذنوبى
اذا نَظَر الحبيبُ بعينِ عَطفٍ … فأهونُ ناظرٍ عينُ الرقيب

⁂

وقال بعد عوده من حضرة الكافى الأوحد، وقد تأخر كَتابه ورسومٌ له، لغلبة الأشغال عليه، وكتبَ اليه يعاتبه بهذه القصيدة وأنفذها اليه

شفى الله نفسا لا تَذِلّ لمَطْلَبِ … وصبرا متى يسمعْ به الدهرُ يَعجبِ
وصدرًا، اذا ضاقت صدورٌ رحيبةٌ … لخطبٍ، تلقّاه بأهلٍ ومَرحبِ

بعيـدا من الأفكار ما كُنَّ حطّةً ... فإن تك فى كسب المكارمِ تَقـرُب
تمرَّنْ بأخلاقِ، فتى الحيّ، إن تكن ... رفيقـا، فإمّا عاذرى أو مؤنبى
تبغَّضْ اذا كنتَ الفقيرَ وإن تكن ... غنيًّـا فطامِنْ للغنَى وتحبّب
اذا لم تَجِدْ ما يُعظمونك رغبـةً ... وأردت النَّصْف منهـم فأرهبِ (١)
فإنك ما لم تُرْجَ أو تُخْشَ فيهـمُ ... وتقعدْ مع الوُسطَى تدُسْكَ فتَعطَبِ
أفق يا زمانى، ربمـا أنا صـائر ... الى سهلِ ما أرجو بفـرطِ تصعُّبي
أغرَّكَ فى ثوب العفافِ تزمُّـلى ... وأخـذِى مكانَ الآملِ المترقّبِ؟
اذا أنا طـالت وقفـتى فتـوقّنى ... فإنّ لهـا لا بدّ وثبـةَ مُنجِبِ
ويا صاحبى، والذلّ للرزق موردٌ ... أضَنُّ بنفسى عنـه وهى تجودُ بى
خذ النفسَ عنى والمطامعَ إنهـا ... قد آستوطأتْ من ظهرها غيرَ مركبِ
حرامٌ وإن أمحضتَ مطـعم (٢) ... عـلىّ، اذا أدّاه أخبثُ مكسبِ
أأنت على هجـر اللئـام معنّفِى؟ ... نعم أنا ثَمَّ، فارض عنّى أوِ آغضبِ
أألقَ البخيـلَ أجتـديه بمدحةٍ ... خصيان فيهـا شاهـدى ومغيّبى
وأكذِبُ عنـه فى عبـارةِ صادقٍ ... كثيرٌ إذًا، فى حيث أصدقُ، مُكذِبى
تعـودّته خُلْقـا، شـانئى لمحسنٍ ... أقول بمـا فيـه، وذمّى لمذنبِ

(١) هكذا بالأصل وهو مختل الوزن وقد ورد فى بعض النسخ المطبوعة هكذا :

إذا لم تجد ما يعظمونك رغبة * ورمتُهمُ أن ينصفوك فرهّبِ

وهو مختلف عن الأصل فى لفظه، ومع المحافظة على ألفاظ الأصل لعله يكون هكذا :

اذا لم تجد ما يُعظمونك رغبـةً * به وأردت النَّصْف منهم فأرهبِ

بزيادة "به" فى أوّل الشطر الثانى .

(٢) كذا بالأصل ولعله * حرامٌ — وإن أمحضتَ — أُطيبُ مطعمٍ *

فما سرّنى فى الحقّ أنّى مع العدا ... ولا عابَ أنّى فى المحال على أبى
وحاجةِ نفسٍ دبّر الحزمُ صدرَها ... فأُبتُ بها محمودةً فى المُعَقَّبِ
أريدُ بها "الكافى" بقلبٍ معذَّبٍ ... مُرادَ "ابن حُجْرٍ" قبلها "أمَّ جُنْدَبِ"(1)
وليلِ تِمامٍ(2) قد قليتُ نجومَه ... اليه، يُرِدنَ الشرقَ، يَذهبن مَذهبي
وما لانفرادى مالها من تجمُّعٍ ... ولكن بقلبى ما بها من تلهُّبِ
وطودٍ تخال الراسياتِ وِهادَه ... متى يَبْغِ ظنُّ العينِ أحراه يُكْذَبِ
تراه — ولم تظفر محلِّقةٌ به — الـ ... عُقابُ بعينَىْ عاجزٍ فى تهيُّبِ
سَلكتُ فأدّانى بقلبٍ ملفَّعٍ ... عظائمَ ما ألقَى، وجسمٍ مجرَّبِ
إرادةُ حظٍّ أتعبَتْنى، ومن تكن ... له حاجةٌ فى ذمّةِ الشمسِ يَتْعَبِ
فِدَى الأوحد "الكافى" جبانٌ، لسانُه ... شجاعٌ، بحيث القولُ غير مصوَّبِ
بخيلٌ، لو انّ البحرَ بين بنانه ... وفرّقها عن قَطرِهِ لم تَسَرَّبِ
يساميه تغريرا برأيٍ مُشعَّثٍ(3) ... يكدُّ ولا يُجدى، وعِرضٍ مشعَّبِ(4)
ومنتسبٌ يومَ التفاخرِ مُسفِرٌ، ... اذا انتسب "الضبيُّ" قيلَ: تنقَّبِ
أيا ساريا، إمّا ركبتَ فلا تُنِخْ ... مُريحا، وإمّا ماشيا كنتَ فاركبِ
لعلك تأتى شِرعةَ الجودِ سابقا ... بهاذاك، مع فرط التزاحم تَشربِ
وقل: يا "أبا العباس" بل يا أبا الورى ... فكلّهمُ فيما مَلكتَ بنو أبِ
أنا ذاك، لم تكفِ اشتياقِى زَورةٌ، ... بَلَى، زادنى بالبعدِ شجوًا تقرُّبى
اذا كنتَ تهوى الشيءَ إمّا رأيتَه ... وأحببتَ أن تَشقَى، فزرْ ثم جنِّبِ



(1) يشير الشاعر هنا الى قول امرئ القيس بن حجر

خليلىَّ مرّا بى على أمّ جُندَبِ ... لنقضى لُبانات الفؤادِ المعذَّبِ

(2) ليل التمام بكسر التاء: أطول ليالى الشتاء. (3) مشعّث: مفرّق. (4) مشعّب: مصدّع.

أحنّ اذا الوفدُ آستقلّوا لقصدكم ... حنينَ الفتى العُذرىّ مرّ بربربِ

ووالله لم أهجركم العامَ عن قِلًى ... ولا أنّ سيرًا نحوكم كان مُنْصِبي

وما صاحبي قلبٌ بظنّ مُرَجّمٍ ... الى غيركم فى العالمين مُقلِّبِ

اذا أطربَ الإبْلَ الحُداءُ فإننى ... اليكم متى غنّيتُ فالجودُ مُطربى

ونفسى لكم، تلك التى لودادها ... ولو أُغضِبتْ فى واجبٍ ألفُ مُوجِبِ

أأمدحُ منها ما آختبرتم! وإنما ... يُظَنُّ بعتق السيف ما لم يُجرَّبِ

هجرتُ لك الأقوامَ حبًّا فوفِّنى ... يَبِنْ بِى الى جدوَى يديك تحزُّبى

وأشمتُّهم ذا العامَ أنّك جُرتَ بى ... ومَذهَبُك العدلُ الصحيحُ ومَذهَبى

لئن عتَبوا أنى تفرّدتُ دونهم ... بمدحك، فاشهدْ أننى غيرُ مُعتِبِ

فإن خَبُثَتْ أيديهُمُ لِى وأَسْهَكَتْ(١) ... فرُبَّ نوالٍ طاهرٍ لك طيّبِ

* * *

وقال وأنشدها الأميرَ سندَ الدولة أبا الحسَن بن مَزْيَد فى داره بالنيل، وقد لقيَهُ بها فى شهر ربيع الأوّل سنة ثمانى وتسعين وثلاثمائة

هَبْ من زمانِكَ بعضَ الجِدّ للّعبِ ... وآهجرْ الى راحةٍ شيئًا من التعبِ

ما كُلُّ ما فات من حظّ بليّتُهُ ... عجزٌ، ولا كُلُّ ما يأتى بمُجتلَبِ

لا تحسَبِ الهمّةَ العَلياءَ مُوجِبةً ... رزقًا على قِسمة الأقدارِ لم يجبِ(٢)

لو كان أفضلُ مَنْ فى الناس أسْعدَهم ... ما آنحطّتِ الشمسُ عن عالٍ(٣) من الشُّهُبِ

أو كان أَنْيَرُ ما فى الأُفق أَسْلمَهم ... دام الهلالُ فلم يُمْحَقْ ولم يَغبِ

يا سائقَ الرَّكْبِ غَرْبيًّا وراءك لى ... قلبٌ الى غير نجدٍ غيرُ مُنقلِبِ

---

(١) اسهكت: أتت فى عَرَقِها بريح خبيثة. (٢) فى الأصل: لم تجب. (٣) فى الأصل: مِنْ.

تلفُّتًا، بخلال الضَّيقِ مُتَّسعٌ ... وربَّ منجذبٍ فى زِىّ مجتنبِ

قِفْ نَادِ يا "آل بكر" فى بيوتكُمُ ... بيضاءُ يُطرِبها فى حُسنها حَرَبى

لما رأت أُدْمةً[1] نُكرًا وغائرةً ... شهباءَ[2] راكضةً فى الدُّهم[3] من قُضُبى[4]

لوتْ وقد أضحكتْ رأسى الخطوبُ لها ... وجهًا الى الصدّ يُبكينى ويَضحَك بى

لا تعجبى اليومَ من بيضائها نظرًا ... الى سِنِيّ، فمن سودائها عجبى

ما زلتُ — علمًا بأنَّ الهمّ مخترمٌ ... عُمرَ الشبيبةِ — أبكيها ولم أشبِ

وُسُومُ شَيْبٍ، فإن حقَّقتِ ناظرةً ... فإنهنّ وُسُومٌ فىَّ للنُّوَبِ

تُرَى ندامایَ ما بين الرُّصافةِ فالـ ... ـبيضاءِ[5] راوين من خمرٍ ومن طربِ؟

أو عالمين — وقد بُدِّلتُ بعدَهُمُ — ... ما دارُ أنسى وما كأسى وما نشبى؟

فارقتهم، فكأنى — ذاكرًا لهمُ — ... نضوٌ تلاقت عليه عضَّتا قتَبِ

سقَى رضایَ عن الأيام بينهمُ ... غيثٌ، وبان عليها بعدَهم غضبى

إذ نَسكُب الماءَ بُغضًا للمزاج به ... ونطعمُ الشُّهدَ إبقاءً على العنبِ

يمشى السُّقاة علينا بين منتظرٍ ... بلوغَ كأسٍ ووثّابٍ فمستلبِ

كأنما قولنا للبابلىّ: أدر ... حلاوةً، قولنا للمَزْيَدىّ: هَبِ

فِدًى علىٍّ جبانُ الكفِّ مقتصرٌ ... من الفخار على الموروث بالنسبِ

يُرَى أبوه ولا تُرْضَى مكارمُه ... الأرضُ صحّت وأودى الداءُ بالعُشُبِ

ومُشْبَعون من الدنيا وجارُهمُ ... بادى الطَّوَى ضامرُ الجنبين بالسَّغَبِ

(١) الأدمة: السمرة فى الإنسان، ولون مشرَبٌ سوادا فى الإبل. (٢) الشهباء: البيضاء يصدعها سواد. (٣) الدهم جمع أدهم وهو الأسود. (٤) القضبُ جمع قضيب وهى الناقة التى لم تُرَضْ، وكلّ ألفاظ البيت من بابٌ الاستعارة يصف بها ما أصاب وجهه من التلويح وما أصاب رأسه من الشيب كما يتضح من الأبيات التالية. (٥) الرصافة والبيضاء: اسما بلدتين.

قـــل للأمير، ولو قلت : السماءُ به … مفضوحةُ الجَـودِ[١]، لم تَظلِمْ ولم تَحُبِ[٢] :

أعطيتَ مالَك، حـتى رُبَّ حادثةٍ … أردتَ فيهـا الذى تُعطِى فلم تُصِبِ

لو سُمتَ نفسَـك أن ترتاضَ تجربةً … بحفـظ ذاتِ يدٍ يومينِ لم تَطِبِ

كأنّ مالَكَ داءٌ أنت ضامنُـه … فمـا يُصِحُّك إلا عـلّةُ النشبِ

لو كان يُنصفك العـافون لاحتشموا … بعضَ السؤالِ، فكفُّوا أيسرَ الطلبِ

يا بدرَ عَوفٍ، وعوفُ الشمسُ فى أَسَدٍ … وأَسَـدٌ[٣] شامةٌ بيضاءُ فى العـربِ

أنتمْ أولو البأسِ والنعماءِ، طارفـةً[٤] … أخبارُكم، وعُلَى تُـلْدٌ[٥] من الحِقَبِ

أحلى القـديم حديثًا جاهليَّتُـكُمْ … وقصُّ أسلافِكم من رتبـة الكتُبِ

ما كنتمُ مذ جلا الإسـلامُ صفحتَهُ … إلا سـيوفَ نبيٍّ أو وصيِّ نبى

بكم "بصِـفِّينَ" سـدَّ الدِّينُ مَسكنَهُ … و "آلُ حَرْبٍ" له تحتال فى الحُرَبِ

وقام "بالبَصْرة" الإيمـانُ منتصبـاً … والكفرُ فى "ضَبَّةٍ" جاثٍ على الرُّكَبِ

حـتى تقيَّلتَهـا إرثًا، وأفضـلُ ما … نقلتَ دينَك شَرْعًا عن أبٍ فأبِ

اذا رأيتَ نجيبًا صحَّ مـذهبُـهُ … فاقطع بخـيرٍ على أبنـائه النُّجُبِ

لا ضاعَ، بل لم يضعْ يومَ انتصرتَ به … وأنت كالوِرْدِ، والأعداءُ كالقَـرَبِ[٦]

وقـد أتوكَ برايـاتٍ مكـرّرةٍ … لم تدرِ قبلك ما اسمُ الفرّ والهـربِ

تمشى بهـم ضُمَّـرٌ، أَدْمَى روادفَها … غرورُ فـرسانهـا بالفـارسِ الدَّرِبِ

لمـا دعوتَ "عليًّا" بينهـم، ضَمِنتْ … لك الولايةَ فيهـم سـاعدُ العطبِ

حكت رءوسَ القنا فيـه رءوسُهمُ … حـتى تموّهتِ الأعناقُ بالعَـذَبِ[٧]

---

(١) الجود : المطر. (٢) لم تحب : لم تأثم، وفى الأصل "لم تخب" وهو تحريف. (٣) كلمة "وأسد" فى هذا الشطر يدخلها "الخَبْلُ" وهو ما حُذِفَ ثانيه ورابعه السـاكنان. (٤) الطارفة : الحديثة. (٥) التلد جمع تليد وهو القديم. (٦) القَرَبُ : سير الليل لورد الغدِ. (٧) العَذَبُ جمع عَذَبةٍ وهى خرقة تشدّ على رأس الرمح، وهى أيضا ما سدل بين الكتفين من العمامة.

وطامعٌ فى معاليــك ٱرتقَى فهوى ... وهل يَصِحُّ مكانُ الرأسِ للذنَبِ؟
ما كان أحوجَ فضلا تمّ فيك الى ... عيبٍ يعـوِّذُه من أعينِ النُّوَبِ
أحببتكم ، وبعيــدٌ بين دَوْحتنا(1) ... فكنتُ بالحبِّ منكم أىَّ مقترَبِ!
وودُّ "سَلْمانَ" أعطاه قرابتَـهُ ... يوما ، ولم تُغنِ قُربَى عن أبى لَهَبِ
ورفْـعَ الصوتِ إلا عن مناقبكم ... أسبابَ مدحِىَ فى شِعرى وفى خُطَى
فما ترانِىَ أبوابُ الملوك مـع الـ ... زّحام فيها على الأمـوال والرُّتبِ
قَناعـةٌ رَغِبتْ بى عن زيارة مسـ ... ـدولِ الستورِ وعن تأميلِ محتجِبِ
ولى عوائدُ جُودٍ منـك لو طَرَقت ... تَسْتامُ مُلكَكَ لم تُحـرَمْ ولم تَخِبِ
ملأتُ بالشكر قلبَ الحافظ الغزِلِ الـ ... ـفؤادِ منها وأُذنَ السامعِ الطَّـرِبِ
فـرأىُ جُودِك فى أمثالها لفـتًى ... أتاك بالحرمتين الدِّينِ والأدبِ
ومَنْ توسَّلَ فى أمرٍ فما سببٌ ... اليـك أوكدُ فى الأمرين من سببى

* * *

وقال وكَتب بها الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم ،وقد ورد من فارس يهنّئه بخَلَعٍ أُفيضت عليه بها ، وتَكرِمةٍ لحقتْه فيها ، و بسلامته و بالمِهْرَجانِ(2) ، و يقتضيه حاجةً كانت له

رعى اللهُ فى الحاجاتِ كلَّ نجيبِ ... سميعٍ علـى بُعـدِ الدعاءِ مُجيبِ
وطهَّـرَ فِتْيانا من الذمّ طهّـروا ... غيو بَهـمُ(3) أن تُنْتَحى بعيـوبِ
سـواءٌ على عُسرى ويُسرى وفاؤهم ... وألسُنُهم فى مَشـهَدى ومَغيبى
أحبُّوا المعالى وهى مُنصِبةٌ لهـم ... فما قَنِعوا من وصلها بنصيبِ

(1) الدوحة : الشجرة العظيمة الباسقة .
(2) المِهْرَجانُ : عيد الفرس ، وهى كلمة مركّبة مِن "مِهْر" و "جان" ومعناها : مَحبّةُ الروح .
(3) فى الأصل : عيوبهم .

بجارِهمُ من دارهم مثــلُ ما لَمِ على راحــةٍ من عيشهم ولُغــوبِ (١)

اذا جئتهـــم مستصرخا ثارَ مجدُهم بكلِّ مُجيبٍ فى الخطــوب مَهيبِ

وكـرَّم عيشى عنـــدهم وأعاده بما فاض من حُسْنٍ عليــه وطِيبِ

تعـــيّرنى "لَيْـلَى" الوفاءَ بعهـدِهم عـلى بُعــدِهم، أنْتِ غيرَ مُنيبِ!

خُلِقتُ رقيق القلب، صـــعبًا تقلُّبى أَرَى لبعيــدٍ ما أَرَى لقـــريبِ

وما زلتُ أهـوَى كلَّ شىء ألفتُـــه وصاحبْتُهُ حـــتى ألفتُ مَشـــيبى

وتُنكِر أضـــفارى (٢)، كأنْ لم تَر الصِّبا ســـقَى وَرَقَى يومًا وهزَّ قضـــيبى

ولم ألقَ أشراكـــا فأَثنِى حبالَهــا على ما اشتهتْ من أعينٍ وقلوبِ

فــا زال مُمسِىَّ الزمانُ ومُصْبِحى بأسمــاله (٣) حتى آســـتردَّ قشـــيبى

فداءُ بنى "عبــد الرحيم" وودُّهم هوى كــلِّ ممذوق الوداد مُريبِ

ولا بَرِحتْ، تسقِى "الحسينَ" وعَرْصَهُ بملآنَ من فَيض الثناء سَكوبِ

مجلجِـــلةٌ الأرجاءِ، صادقٌ برقِهــا حَلوبٌ لمــاء الشِّــعرِ غــيرُ خَلوبِ

مَرَتْها (٤) رياحُ الشـــكر حتى تلاحمتْ بمــا نســـجَتْها من صَــبًا (٥) وجَنوبِ

فصابتْ، فعمَّتْ ماسقته، فأخصبتْ، عـــلى أنها لم تُسْـــقِ غيرَ خَصيبِ

وجازاه ملكا فى الجـــزاء فضـــيلةً وأدَّى ثوابَ الشـــكر حــقَّ مُثيبِ

أخى، وأخى الموروثُ غـــيرُ موافِقٍ ومولاى (٦)، وآبنُ العمّ غــيرُ نسيبِ

ضميرٌ على حكم اللسانِ، وبعضُهم أخـــو مَلَقٍ يُبـــلَى أخـــوه بذيبِ

وعن حفظ غَيبِ المُلكِ نُصحا اذا طغى به غَلُّ (٧) أسرارٍ وعينُ غيـــوبِ

---

(١) اللغوب : التعب . (٢) أضفار : جمع ضَفْر وهى كلّ خصــلة على حدتها كالضفيرة .

(٣) الأسمال جمع سَمَلٍ وهو الثوب الخَلَقُ . (٤) مرتها : آستخرجتها . (٥) الصَّبا : الريح الشرقية ، والجنوب : ريح تقابل الشَّمال . (٦) المولى : ابن العم . (٧) الغَلّ : المــاء جرى بين الأشجار .

فكم غمّــة عَمياء أعضــلَ داؤها رماها برأيٍ من نُهــاهُ طبيبِ

وشاهــدةٍ(١) بالفخر أوفتْ صــفاتُهــا على كلّ معــنًى فى الجمــال عجيبِ

أتت شَرفًا من ســيّدٍ، وكأنهــا أتت من محبٍّ تُحفــةً لحبيبِ

صَفَتْ وَضَفت حتى آستطالت جُنوبها بوافٍ، ومــدَّتْ باعَهــا برحيبِ

ونيطتْ بأخرَى مثلِهــا فتظاهــرا على ظهــر طَودٍ فى قميص قضيبِ

ومنحولةٍ(٢) جسمَ الهــواءِ نحيــلةٍ كأنّ الهوى فيهــا رَمَى بمصيبِ

من الريح، لولا أن "يَذْبُلَ" تحتهــا وقارُك، مرَّتْ عنك مرَّ هُبوبِ

اذا دقَّ مسًّــا وقعُــها جلَّ رفعُــها الى منصِبٍ فى القَــريتين(٣) حسيبِ

وذى شيبتين(٤) آستَوْقف الصبحَ والدجى على ناصــلٍ من لونه وخضيبِ

كأنّ السحابَ جَوْنَهَا وبياضَها تفــرّعَ من صــافٍ به ومَشوبِ(٥)

تشبّثَتِ الأبصــارُ حــتى تمكّنتْ وقــد كرّ من هادٍ(٦) له وسَبِيبِ(٧)

توقّى الأذى من عُرْفه بخميــلةٍ وحكَّ الحصى من ذيله بعَسيبِ(٨)

وأَعجَبــه فى رِدفــه ووشــاحــه ملابسُ تكسو منــه كلَّ سليبِ

نصيبٌ من الدنيا أتاك ففُــزْ به ولا تنسَ من فضــلِ العطاء نصيبي

كفى المِهرَجان مُــذْكِرا وذريعــةً الى محُسِــنٍ فى المكرُماتِ مُطيبِ

بقــاؤك ألفًــا مثــلَه فى كفالتى دعوتُ، ومَنّ اللهُ فيــك مجُيبي

فمــا زال فيــكم كلُّ خيرٍ طلبتُــه قُضِى لِيَ فى إدراكــه وعُــنِي بى

---

(١) يقصد بقوله "وشاهدة" خلعة ضافية . (٢) منحولة : معطاة . (٣) القريتين : اسم بلد . (٤) يصف جوادا . (٥) فى الأصل "شُبوب" وهو خطأ . (٦) الهادى : العنق . (٧) السبيب : شعر الذنب والعرف والناصية من الفرس . (٨) العسيب : عظم الذنب أو منبت الشعر منه .

***

وقال وكتب بها الى الرئيس أبى الحسَن الهُمَانىّ فى عيد النحر، وقد حصل ببغداد يهنّئه و يُعرِّض بذكر عدوّ له توثّب على ولايته بالعناية دون الكفاية

أَستنجِدُ الصبرَ فيكم وهو مغلوبُ ... وأسالُ النومَ عنكم وهو مسلوبُ
وأبتغى عندكم قلبًا سمحتُ به، ... وكيف يرجعُ شيءٌ وهو موهوبُ؟
ما كنتُ أعرفُ مامقدارُ وصلكُمُ ... حتى هجرتم، وبعضُ الهجر تأديبُ
أستودع اللهَ فى أبياتكم قمرًا ... تراه بالشوق عينى وهو محجوبُ
أَرضَى وأسخطُ أو أرضَى تلوُّنَه ... وكلُّ ما يفعلُ المحبوبُ محبوبُ
أمّا وواشيه مردودٌ بلا ظَفَرٍ ... وهل يُجابُ وبذلُ النفس مطلوبُ؟
لو كان يُنصِفُ ماقال: آنتظرْ صلةً ... تأتى غدًا، وآنتظارُ الشيء تعذيبُ
وكان فى الحبِّ إسعادٌ ومُنعطَفٌ ... منـــه، كما فيه تعنيفٌ وتأنيبُ
يا لَلَّواتى بَغضنَ الشَّيْبَ وهو الى ... خـــدودهنَّ من الألوانِ منسوبُ
تأبَى البياضَ وتأبَى أن أسـوِّده ... بِصبغةٍ وكلا اللونَيْن غِربيبُ (١)
ما أنكرتْ أمسِ منه ناصلًا يقَقًا (٢) ... ما تُنكر اليومَ منـه وهو مخضوبُ
ليتَ الهوى صان قلبي عن مَطامعه ... فلم يكن قطّ يستدنيه مرغوبُ
إنى لأسغَبُ (٣) زهـدًا والثرى عَمَمٌ (٤) ... نبتًا، وأظماوغَرْبُ (٥) الغيثِ مسكوبُ
ولا أَرِقُّ لحِرصٍ خابَ صاحبُـهُ ... سعيًا، و يعلم أنّ الرزقَ مكسوبُ



(١) الغربيب: الشـديد السواد، يريد أن كلا اللونين فى الشعر وهما الأبيض الناصل والمخضوب، أسود فى لونه لأن كليهما لا ترضاه العين، وقد قال المتنبي

ابعدْ بعدت بياضًا لا بياضَ له ... لأنتَ أسودُ فى عينى من الظُّلَم

(٢) اليقق: الأبيض. (٣) أسغب: أجوع. (٤) العمم: اسم لكل ما آجتمع وكثر.

(٥) الغرب: الدلو العظيمة.

عُقبى الطاعة فى مالٍ يمنّ به — عُصارةٌ لا يُغطّى خُبثَها الطِّيبُ
طهِّرْ خِلالَك من خِلٍ تعابُ به — وأسلم وحيدًا فما فى الناس مصحوبُ
إنى بُليت بمضطرٍّ رفيقُهمُ، — والماءُ يملُحُ وقتًا وهو مشروبُ
كم يوعد الدهرُ آمالى، ويُخلِفُها[1] — أخًا أُسَرُّ به، والدهرُ عُرقوبُ[2]
أسعى لمثل سَجايَا فى "أبى حسنٍ" — وهل يُبلِّغنِي الجوزاءَ تقريبُ[3]!
فِدى محمدٍ المنسىَّ نائلُهُ — مُراجِعٌ، نيلُه المنزورُ محسوبُ
حالٌ تحدِّثه الأحلامَ جاهلةً — لحاقَهُ، وأخو الأحلامِ مكذوبُ
إن قدَّم الحظُّ قومًا غالطًا بهمُ — أو بيَّتتهمْ عِناياتٌ وتقريبُ
فالسيفُ يُخبَرُ قطعًا وهو مدَّخَرٌ — والطِّرفُ يكرمُ طبعًا وهو مجنوبُ[4]
حذارِ من حَدَثِ النَّعماء مؤتنَفٍ[5]، — علاؤه بشفيع الوجه مجلوبُ
تسوءه سائلا: مِن أين سؤددُه؟ — إنّ اللئيم بما قد ساد مسبوبُ
أأنت أنت وفى الدنيا "أبو حسنٍ"؟ — صدقتَ إن لفى الدنيا أعاجيبُ
اذا رأيتَ ذيولَ السَّرح آمنةً — لم يَحمِها، فلأمرٍ يحلُمُ الذيبُ
يا مُلبِسى الشيمةَ الغرّاءَ ضافيةً — علىَّ، إن قَلَصتْ عنّى الجلابيبُ
عَلِقتُ منك بعهدٍ لا مَواثِقُهُ — تُنسَى، ولا حبلُه بالغدر مقضوبُ
وأحمدَتْك اختباراتى وقد سَبَرتْ — غَوْرَ الرجال وكدَّتها التجاريبُ
فلتجزِينَّك عنّى كلُّ غاديةٍ — لها من الكَلِم الفيّاضِ شُؤبوبُ[6]
اذا وسَمتُ حَيَاها باسمك انحدرتْ — له الرُّبَى وأطاعته المصاعيبُ

---

(١) فى الأصل "يعد" (٢) عرقوب: اسم رجل كان أكذب أهل زمانه و يضرب به المثل فى الخلف. (٣) التقريب: ضربٌ من العدو. (٤) فى الأصل "محبوب" وهو خطأ والمجنوب من الخيل الذى تقوده الى جنبك. (٥) حدث النعماء مؤتنف: حديث النعمة جديد العهد بها. (٦) الشؤبوب: الدفعة من المطر.

فاسلم لهنّ ولى ، ما طاف مستلمٌ سَبْعا ، وعلّق بالأســـتارِ مكروبُ
تُرجَى وتُخشَى فَسيحَ الباب ممتنِعًا إنـ الكريمَ لمرجُوٌّ ومرهوبُ

* * *

وقال وقد أُنفِذَ الصاحبُ أبو القاسم بن عبد الرحيم الى حضرته بفارس فى رسالة ، عقيب موت الملك بهاء الدولة رحمه الله ، فأحسن البلاغَ وأحسن السّفارةَ وآستقلّ بقضاء الحاجة ، فأفيض عليه خِلَعٌ جميلةٌ وكرمٌ ، فكتب اليه وقد عاد الى العراق يهنّئه ويستوحشُ لسابق بُعدِه ويذكُرُ المسرّة بقُربِهِ

أَفلحَ قومٌ اذا دُعوا وَثَبُــوا لا يرهبون الأخطارَ إن ركبوا
تَسبِقُ نهضاتُهُـــم عزائمَهُـمْ أنْ تُستشارَ[1] العاداتُ والعُقُبُ[2]
سارُون لا يسألون : ما حَبَسَ الـ ـفجرَ ولا كيف مالت الشُّهُبُ
عوّدهم هجرُهـم مُطالَبَـــةَ الـ ـراحةِ أن يظفَروا بمـا طلبوا
وخاب راضٍ بالعجز يَصبِرُ للـ ـأوزار مستسلمـا ويَحتسِبُ
إنـ فاته حظُّ غـــيرِه فله منه آغتيابٌ يشفيه أو عجبُ
لا تستريح العلى الى سكنٍ إلا غـلامًا يريحـــه التعبُ
تَضمَّنَ السيرُ صدرَ حاجتِــه والثّقتان التقـريبُ والخَبَبُ[3]
من مبلغُ البينـ يومَ دلَّنِى : آبَ ، بمـا سرَّ بَعدَك ، الغُيَبُ[4]
رُدَّ شبابى من "الحسينِ" كما كان ، وعادت أيامِىَ القُشُبُ[5]
يا قادما أُتهِـــمُ البشـــيرَ به من فرحٍ ، أنَّ صِـدْقَه كذِبُ
سِرتَ ، ونفسى تودُّ فى وطنى بَعْــدَك أنّ المقـيمَ مغتربُ

(١) يريد : مخافة أن تستشار . (٢) العقب جمع العاقبة وهى آخر كلّ شىء . (٣) الخبب : ضربٌ من العدو . (٤) الغُيَبُ : جمع غائب . (٥) القشب جمع قشيب وهو الجديد .



أحتشم البدرَ أن أراه فالـ ـحاظِيَ عنه بالدمع تحتجبُ
وكم تصدَّى عمدًا ليخدَعَني يَسفِر عن غيهبٍ وينتقبُ
فلم أزده على مسارقة الـ ـجفن ولحظ بالكره يُستلبُ
وعَبرةٍ رِيِّه (١) وَحليتُه يُشرَبُ من مائها ويُختضَبُ
ويومِ بينٍ صَبَرتُ قبلَك، أن يفوتَني الحزمُ فيه والأربُ
حَملتُه ثابتَ الحشا ذكَرَ الـ ـقلبِ، وموجُ الحُمولِ مضطرِبُ
سلوانَ أَجزِى بالصدّ جانيَه بملْك رأسى إن أظلم الغضبُ
ونظرةٍ حُلوةٍ رَدَدْتُ عن الـ ـبيتِ وفيه الجمالُ والحسبُ
بسُنَّة غير ما ٱقتضَى أدبُ الـ ـحبِّ حِفاظًا، وللهوى أدبُ
وٱنقدتُ طوعا فى حبل (٢) ظالعة (٣) تجنبُنى أو يقالَ : مُجتنَبُ
بيضاءَ تُقلَى بُغضًا وأعهدُها سوداءَ تُرضَى حبًّا وتُنتخبُ
صاحتْ وراءَ المزاحِ واعظةً : لا يَلتقِى الأربعونَ واللعبُ
أَعدَى بها الشَّيبُ وهى واحدةٌ أَلفًا، ويُعدِى الصحائحَ الجُرُبُ (٤)
يا ساكنًا ثائرَ العزيمة مـ ـسَّ الصِّلِّ من تحت لينه يثبُ
قد عَلِمَ الملكُ اذ دعاك وحبـ ـلُ الرأيِ واهٍ والشملُ منشعبُ
أنّ قلوبا غِشًا، تميل مع الـ ـدولةِ أهواؤُها وتنقلبُ
وأنّ سِرًّا متى ٱصطفاك له أخلصَ ما فى إنائِه الذهبُ
لما تجلَّى وجهُ الحِذارِ وليـ ـمَ ٱبنٌ على غدره وخِيفَ أبُ

---

(١) فى الأصل : زيّه . (٢) الحبل : الرسن . (٣) يريد بقوله "ظالعة" : شعرة فى رأسه شائبة تجنبه مجالس أنسه ولهوه وقد شبهها بالناقة الظالعة وهى التى تغمز فى مشيها . (٤) الجرب جمع أجرب وهو غير الصحيح .

رَمَى بك القصدُ سهمَ مُنجِحةٍ يسبِقُ حِرصا حديدَه العَقِبُ
لم يَثنِ فالَ الشهورِ عزمتَــه لا صَــفَرٌ عائــقٌ ولا رجبُ
جَرتْ عليه أو مرّت الريحُ تلقـ ـاها بوجه أديمُــه كَرَب[1]
قَليــلَةُ الجَرْيِ وهي جامدةٌ له كيوم الجــوزاءِ يلتهِبُ
سفرتَ فيها سَــفارةَ الليثِ لا يرجعُ إلا في كفِّه الطلبُ
لســعيه ما أهمَّه الدمُ والـ ـلحم ولكن لغــيرِه السَّلَبُ
حتى آستقامت على تأوّدهـا[2] وآنتظمتْ في رءوسِها العَذَبُ
جزاك حسنَى ما آسطاع إن وَزَنتْ فعــلَك تلك الأقدامُ والرتبُ
أعطاك ما لم تنل يدانِ ولا آمـ ـتدّ الى مَطــرَحِ المُنَى سببُ
وضافياتٍ تطول في مذهب الـ ـملك اذا شُمِّرتْ وتَنسَــحِبُ
أهدَى، من مُزنة السماء لهـا ماءٌ، ومن نور شمسها لَهَبُ
اذا علتْ مَنكِباً علاَ، فعيــو نُ الدهرِ زُورٌ[3] عن أفقه نُكُبُ[4]
أوكيتَ[5] رأسًا منهـا مُوافِيَــهُ[6] فكلُّ رأسٍ لمجــدِه ذَنَبُ
وصافناتٍ[7] بين المواكب كُثـ ـبانٌ[8] وفي الروع ضُمَّرٌ قُضُبُ
ضاقت مكانَ الحصورِ وآتسعتْ أضــالعًــا لا تُقِلُّهــا الأُهَبُ[9]

---

(١) قد ورد هذا البيت في نسخة مطبوعة هكذا :

عليه إن مرّت الرياح تلقّـ ـاهـا بوجه أديمــه كربُ

والكَرَبُ أصول السعف الغلاظ .

(٢) التأوّد : الأعوجاج . (٣) زور: جمع أزور وهو المائل . (٤) نكب جمع أنكب وهو المائل أيضا . (٥) أوكى : يقال أوكى القربة أي شدّ رأسها بالوكاء وهو الرباط . (٦) في الأصل : يوافيه . (٧) الصافنات : الخيل تقوم على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة . (٨) الكثبان جمع كثيب وهو التلّ من الرمل . (٩) الاهب جمع أُهبة وهي العدّة .

تَغيبُ فى جريها قوائمُها فما تُرَى أذرعٌ ولا رُكَبُ
من كلِّ دهماءَ أنسُها الليلُ تعـ ـزوه الى لونها وتَنتسِبُ
ثارت فطارت فخاضت الأُفُقَ الـ ـعُلوِىَّ تجتاحه وتَنتقبُ
فَمِنْ ثُريَّاه أو مَجرَّته لجامُها العسجدىُّ واللَّبَبُ[1]
مواهبٌ لا يَرُبُّهنَّ أبٌ إلا شفيقٌ على العلا حَدِبُ[2]
من معشرٍ لا يُجارُ مَنْ طَرَدوا ولا يَطيبُ البقاءُ إن غضبوا
مُثْرِينَ مجدًا ومُقْتِرِينَ لُهًى[3] والمجدُ طَبْعٌ والمالُ مكتسَبُ
فُرسان يومِ الطعانِ إن طَعَنوا بالألسن المشكلاتِ أو ضَرَبوا
لا يَرجِعُونَ الكلام كَرًّا من الـ ـعِىِّ ولا يعرفون ما كَتَبوا
دعا فؤادِى شوقى اليك على الـ ـبعدِ، فلبَّيكَ والمَدَى كَثَبُ[4]
جواب من لا يُرام جانبُهُ منذُ غَدَا وهو جارُك الجُنُبُ[5]
ولا يُبالى اذا سلمتَ له ما حَصَدتْ من نباتها الحِقَبُ
حَمَلْتَ دُنيايَ فاسترحتُ، وقد طال عناءُ الآمالِ والتعبُ
وقُمتُ مذ قادنى هُداك على مَحَجَّةٍ لا تدوسها النُّوَبُ
فليحمدنِّى فى كلِّ قافيةٍ تزيدُ حسنا فى دُرِّها الثُّقَبُ
أمسحُها[6] فيك أو تَقِرُّ وقد أوغل[7] فى أمِّ رأسها الشَّغَبُ[8]
حُلِّىَ من المعدن الصريح، اذا غشَّ تِجارُ الأسعارِ ما جَلَبوا

(١) اللبب : ما يشد من سيور السرج فى اللبة من صدر الدابة ليمنع استئخار الرحل. (٢) الحدِب : المتعطف. (٣) لهى جمع لهوة وهى أعظم العطايا وأجزلها. (٤) كثبٌ : قريبٌ. (٥) الجارُ الجنب : جارك من غير قومك. (٦) أمسحها : أحسِّنها. (٧) أوغل : يقال أوغل فى الشىء : اذا ذهب فيه وأبعد (٨) الشغب : الكلام يؤدّى الى الشر.

تَشكُرُها الفُرْسُ فى مديحك للـ ـمعنَى، وتَرضَى لسانَهـا العَرَبُ
يُظهِرُ منها السرورَ حاسـدُها ضرورةَ الحقِّ وهـو مكتئبُ
يُطرِبه البيتُ وهو يُحـزِنُه ومن أنينِ الحمامةِ الطَّربُ
يا آل "عبد الرحيم" لا تزل الـ ـدنيـا رحًى، أنتمُ لهـا قُطُبُ
إن تفضُلوا الناسَ والحسينُ لكم ومنكمُ، فافضلوا، فلا عَجَبُ!
فـدَاكُمُ خاملون لو كاثَرُوا الـ ـرملَ بأعدادهم لمـا حُسِـبوا
لا يَخلُقُ العَـدلُ فى خلائقهم لينًا، ولا يُكْرَمُونَ إن شربوا
أنَّ أقدامَهـم وقدمكـم أنهُـمُ يحسبون ما كَتبوا

* * *

وقال وكَتب بها الى الأستاذ الجليل أبى طالب بن أيّوب رحمه الله تعالى

قالوا رَضيتَ قلتُ ما أجدَى الغَضَبْ ما غالبَ الدهرُ فتًى إلا غَلَبْ
كيف أبالى قُبْـحَ ما خيَّبنى؟ اذا علمـتُمْ كيفَ أجملتُ الطلَبْ
اذا آجتهـدتُ لم يَعِبْنى فعـلُهُ ما لم يَجِبْ، وما قَضَيتُ ما وَجَبْ
يلومنى عـلى الهُـزال راتعٌ يحسَبُ ما أسمنَهُ ممـا آكتسبْ
ومن يرَأْ[1] من بِلَّة الخِصْبِ دَرَى أنّ الحظوظَ منحـةٌ بلا سَـبَبْ
لله ما أبصـرَنى بزَمَـنِى! لو سَـلِمَ المجلومُ[2] من عَيْبِ الأزبّ[3]
جَنباىَ للحَمْـلِ، وجاء لا ثمـا أملسُ لم يَقْمِصْ[4] لعضّات القَتَبْ
جرِّبْ كما جرَّبتُ فى النـاس تجِدْ أصدقَ ظنِّك الذى فيهـم كَذِبْ
تستحفِل الضَّرعَ فإن لامستَه عاد بَكِيئًا[5] جلدُه بلا حَلَبْ

(١) يَرَأْ: يمتلئ من الطعام، وفى الأصل: يرا. (٢) المجلوم: المحلوق. (٣) الأزبّ: كثير شعر الوجه والعثنون. (٤) يقمص: يثب. (٥) البكىءُ: الناقة قل لبنها وفى الأصل "بكيًّا".

إنك ما آستعففتَ أنتَ المُجتَبَى وما ثطفتَ (١) فأنتَ المُجتنَبْ
نذيرةٌ فلو قبلتَ نُصحَها توقَّ مَن تأمنُ وآهجرْ مَن تُحِبْ
كم من أخٍ ملأتُ كَفِّىَ به أحسبُ فى الوفاء غيرَ ما حسبْ
حَمَلتُه أطوى حياءً عيبَهُ كما حملت جلديك (٢) الجرب
وحالياتٍ من جمالٍ ونَسَبْ نفَّرهُنّ عَطَلى من النشب (٣)
بكَرْنَ إشفاقاً يعبنَ مقعدى على الخمول : ما لهذا لا يثبْ؟
نراه تحتاً ونرى مَنْ تحتَه فى الفضل فَوْقاً ، يا لَهَذا مِن عَجَبْ!
أَمَا جَنَى خيرا له آدابُهُ ، أعاذكُنَّ اللهُ مِن شرِّ الأدبْ
هو الذى أخّرنى مَشارفَ (٤) ال سبق ، فأظمأ شفتى على القَرَبْ
لا تغترِرنَ بابنِ أيوبَ اذا أُعْجِبَ منه بالصفايا (٥) والنُّخَبْ
فإنه مِمَّن تَرَينَ واحدٌ وليس كلُّ معدنٍ عرقَ الذهبْ
يطلبه قومٌ ، وما آجتهادهم فى حلبةٍ مُدركُ رأسٍ بذَنَبْ
أكلُّ من تشجّرتْ نسبتُهُ صحَّ له البطنانِ من خالٍ وأبْ!
وساعدَتْهُ يدُهُ ونفسُهُ بالفضل والبذل فسادَ ووَهَبْ
تزحزحوا — فليس من أوطانكم — للأُسَد الوَرْدِ (٦) عن الغاب الأَشِبْ (٧)
ولا يروقَنَّكُمُ تشادُقٌ فتحسبون كلَّ مَن قالَ خَطَبْ

---

(١) كذا بالأصل ولعلها : تطفَّلتَ . (٢) كذا بالأصل وهو مكسور وفى بعض النسخ ورد هكذا ولعله الصواب

* حزما كما حَمَّلتَ جلديك الجرب *

(٣) النشب : المال والعقار . (٤) المشارف : الأعالى من الأرض وقد آستعاره هنا للسبق .

(٥) الصفايا والنخب جمع صفىّ ونخبة وهما ما يُصطفى ويُنتخب . (٦) الورد : الأحمر الضارب الى الصفرة . (٧) الأشب : الملتف من الشجر.

دَعُوا قنا الأقـــلامِ إن نكصتُمُ … لحاذقِ الطعنِ اذا شــاء كَتَبْ

من تاركى الســـيوفِ وهى زُبَرٌ[1] … شـــدائدٌ أسرَى بجـــزَّارِ القَصَبْ

قومٌ اذا نار الوغى شَبَّتْ لهـــم … كانُبا فَلُّوا شَـــباها بالكُتُبْ

إن شووِروا لم يَعجلوا أو سُـئلوا … لم يَقِـــفوا تلفُّتًا الى العُـــقُبْ

لا ظَهرُهـــمْ لِغيبَةٍ إن ذُكروا … يوما، ولا مِلحهُـــمُ عـــلى الرُّكَبْ[2]

وقَصَّ[3] آثارَهُـــمُ محمـــدٌ … شهادةٌ، إنَّ النجيبَ آبنُ النُّجُبْ

فلا تَزَلْ نوافـــذٌ صـــوائبٌ … يُصمَى بها الحاسدُ أو يَرضَى المحبْ



ما شُكِرتْ صنيعةٌ أو ظَهَرتْ … مودّةٌ خالصـــةٌ من الرِّيَبْ

وآختلف النيروزُ والعيـــدُ، وما … توافقـــا فى بُعْـــدٍ ولا قُـــرُبْ

تأخـــذ ما تشــاء من حظّيهما … مقـــترحًا محتكما وتَنْتَصِـــبْ

وزائراتٍ[4] طَيَّبَتْ أعطـــافَهـــا … منـــك بذكرٍ لو عَداك لم تَطِبْ

جَـــواريًا مـــع الرياح بالذى … أوليتَ، أو سَواريًا مع السُّحُبْ

كلُّ فتـــاةٍ قـــرّ لى شِمَـــاسُها[5] … وذَلَّ فى فودىَّ منهـــا ما صَعُبْ

تلقاك نفسا حرّةً مـــن فارسٍ … بنتَ الملوكِ، وفمًا من العَـــرَبْ

تُروَى، فلو أطربَ شيءٌ نفسَـــهُ … لقـــد سمعتَ من قوافيها الطرَبْ

أَضحَى وراحَ حاسدى إن قلتُهـــا … وحاســـدوك إن علوتَ فى تَعَبْ

---

(١) الزبر جمع زُبْرة وهى القطعة الضخمة من الحديد . (٢) يقال : ملحه على ركبتيه أى لا وفاء له وفى الأساس : "فلان ملحه موضوع على ركبتيه" أى هو كثير الخصومات كأن طول مجاثاته ومصاكّته للركب قرّح ركبتيه فهو يضـــع الملحَ عليهما يداويهما به . (٣) قَصَّ : آقتفى . (٤) يريد بقوله "وزائرات" قصائده . (٥) الشماس : الأمتناع والإباء .

٭٭٭

وقال وكتب بها الى الأستاذ أبى طالب بن أيوب أيضا

أَصبتُ او أَخطأتُ أن أصيبا	وفزتُ لو كان الحِجا المطلوبا
وراضَ منّى الدهرُ ظَهْرا لم يكن	لو أنْصفَ الحظُّ له مَركوبا
أقسمَ لا آزددتُ به فضيلةً	دهرِىَ إلا زادنى تعذيبا
فكلّما آنستُ منه بأذى	بَقّاهُ وآستأنف لى غريبا
رَميتُ حظّى بوجوهِ حِيَلى	فلم أُصِبْ ولم أقع قريبا
تنزهٌ يُعابُ أو محاسنٌ	محسودةٌ محسوبةٌ ذُنوبا
أُنظر الى الأقسام[1] ما تأتى به	متى أردتَ أن تَرى عجيبا
تَجمعُ بين الماءِ والنارِ يدٌ	وما جَمعَتْ الرزقَ والأديبا[2]
ليتَ كفانى الدهرُ مَعْ تخلّصى	مكروهَهُ كما كَفَى المحبوبا
أو ليتَ أعدَى خُلُقِى جنونُهُ	فكنتُ لا سَمْحًا ولا لبيبا
يا صاحبَ الزمانِ مغترًّا به	أنتَ دَمٌ فآحذرْ عليك الذيبا
تبعثُ ألحاظُك من وفائه	بارقةً صيفيّةً خَلوبا[3]
سَلْنِى به وقِسْ علىَّ معَهُ	فقد قتلتُ أهلَه تجريبا
بَعدَ عنائى وآجتهادى كلّه	بالأرض حتى وَلَدَتْ نجيبا
جاءت به بعد التراخى غَلَطًا	ثم نَوتْ من بعدُ أن تتوبا

(١) الأقسام : الحظوظ . (٢) يقول : أن تجمع اليد بين الضدّين الماءِ والنارِ أصعب من الجمع بين الحظ فى الرزق والفهم ، ولعله من قول المتنبى

وما الجمع بين الماء والنار فى يدى ... بأصعبَ من أن أجمع الجَدَّ والفهما

(٣) فى الأصل "حلوبا" وهو تحريف .

أبلجَ بسّـامَ العشىّ واضحـا ريّانَ مخضرّ الثرى رطيبا
تصفو المدامُ وتروقُ ما انتمتْ حُسْـنًا الى أخلاقه وطيبا
للمجد قومٌ وقليـلٌ ما هُـمُ وفى القليـل تجِـدُ المطلوبا
كالنجم للباعِ المديد بُعْـدُه وللعيون أن يُرَى قريبـا
لا تشكُرنّ من فتًى فضيلةً وليس فيهـا مُعْـرِقا نسـيبا
فإنما أعطَى "ابنَ أيّوبَ" المَدَى فى الشرف اقتفاؤه "أيّوبا"
يا لابسَ الكمال غـيرَ مُعْجَبٍ تركـتَ كلَّ لابسٍ سليبـا
إن غادر الشكرُ لسـانًا ناكلا[1] وكان سيفا قبله مذروبا[2]
فقد عقَـدتَ لَسَنِى[3] وقُدتنى بالطَّـوْلِ فى حبـاله جنيبا[4]
حَسبتُ أعداد الحصى ولم أُطِقْ عدَّ الذى أوليتَنى محسـوبا
فى كلّ يومٍ شارقٍ معـونةٌ تَبرُدُ حرَّ جَوْرِه المشـبوبا
ونعمةٌ تسـير فى نُضوحها خَرْق[5] الجديب فيُرَى خصيبـا
يُخجلنى استقبالُها فتحسَب الـ ـعينُ ابتسامى نحوَها قُطوبا
لو شئتُ لاسترحتُ من أثقالها إن كنتُ من مكرُمةٍ متعوبا
كنتُ أخًا ، فلم تزل تَسبُغنى باللّطفِ حـتى خِلتُنى حبيبا
فإن قضَى الثناءُ حقَّ نعمةٍ أو كاد أن يقضيَهَا تقريبا
وأَقنعَ الميسـورُ فاحبِسْ شُرَّدًا تَسألُ عنهـا الشمألُ الجَنوبا
يَعلَقُ بالعِـرضِ الكريم نَشرُها وهى به طائرةٌ هُبـوبا

(١) ناكلا : ناكصا . (٢) المذروب : المحدود . (٣) اللدن : الفصاحة . (٤) الجنيب : يقال جنبه أى قاده الى جنبه فهو جنيب . (٥) الخرق : القفر .

اذا بنيتُ البيتَ منها وتِدِ الـ ـأسماعُ لو كانت له طُنـوبا (١)
يَخْـلُدُ مسموعا ويُغنِى كلّما عوّضتَ مُهْدًى عنه أوموهوبا
عُدَّ السنينَ صومَها وفِطرَها تُحِفُ مَقروءا به مكتوبا

(١٥)

* * *

وقال وكتب بها الى مؤيّد السلطان أبى القاسم بن الأوحد ذى السياستين أبى محمد ابن مُكْرَم ، يشكره على ملاطفةٍ جميلةٍ لاطفه بها، ودنانيرَ حملها اليه سنيّةٍ، وجوابٍ أجاب به عن كتبه، يشكر منالَه ويصف فيها السفينةَ، وقبيحَ وساطةِ غلامٍ أُنفذت الهديّةُ على يده، وتعرُّضَه لها وآستبدادَه ببعضها، ويذمُّ الغلامَ و يسأل الغرامة، وأنفذها فى صفر سنة تسع وأربعمائة

سَلَا دارَ البخيلةِ "بالجنابِ" (٢) متى عَرِيَتْ رُباكِ من القِبابِ ؟
وكيفَ تشعَّبَ الأظعانُ صبحا بدائدَ (٣) بين وُهْدِكِ (٤) والشِّعابِ ؟
بطالعةِ (٥) الهلال على "ضُمَيْرٍ" (٦) وغاربةٍ كمنقَضِّ الشِّهابِ
حَمَلْنَ رشائقًا ومبدَّناتٍ رماحَ الخَطِّ تَنبُتُ فى الرَّوابى
وأين رضاكِ عن سُقيا دموعى ربوعَكِ من رضاكِ عن السحابِ
بكيتُكِ للفراقِ ونحنُ سَفْرٌ (٧) وعُدتُ اليومَ أبكى للإيابِ
وأمسحُ فيكِ أحشائى بكفٍّ قريبٍ عهدُها بحشا "الرَّبابِ"
لها أرَجٌ بما أبقاه فيها الـ ـتصافُحُ بعدُ من ريحِ الخِضابِ
أمفصِحةٌ فأطمعَ فى جوابٍ ؟ وكيف يُجيبُ رَسمٌ فى كتابِ ؟

(١) الطنوب جمع طنب بضم الطاء والنون وهو الحبل يشدّ به سرادق البيت . (٢) الجناب : اسم واد .
(٣) بدائد : متفرقة . (٤) الوُهْد جمع وَهْدٍ وهو ما آنخفض من الأرض . (٥) فى الأصل : "يطالعه" وهو تحريف . (٦) ضمير : اسم بلدة . (٧) السفر : جماعة المسافرين .

نَحَلتِ ففى ترابِك منـك رَسمٌ كما أنى خَيالٌ فى ثيـابى

وفى الأحداج مُتعبـةُ المَطَايَا تُلِينُ عرائكَ الإبلِ الصِّـعابِ

بَعيـدَةُ مَسقِطِ القُرطَيْن تُقْرَا خُطوطُ ذؤابَتَيْهـا فى التراب

تُجَمَّع فى الأسـاورِ مِعصَماها ويَقلَقُ خصرُها لكَ فى الحِقَاب

تَعيبُ على الوفاءِ نحولَ جسمى ، ألا بالغـــدر أجدرُ أن تُعابِى !

وما بِكِ أن نَحَلتُ سوى نُصولى من السنواتِ أسرعَ فى خِضابى

جزِعت له كأنَّ الشَّيبَ منـه يَسُلُّ عليـكِ نَصْلاً من قِرابِ

فمـا ذنبي اذا وقعتْ عُقـابٌ مِن الأيّام طار لها غرابى ؟

وقد كنتُ الحبيبَ وذا نحولى وهـــذا فى العريكة حدُّ نابى

ليالىَ لِى من الحاجاتِ حُكمِى وليس وسيلةٌ بسوى شـبابى

* * *

ألا لله قلبُــكَ من حَمولٍ على عِلاَّتِ وَصْـلٍ وآجتنابِ

وحبُّـكَ من وَفِىِّ العـهدِ باقٍ على بُعْـدٍ يُحيـلُ أو آقترابِ

هوًى لكَ فى جبالِ "أبانَ" ثاوٍ وأنتَ على جبالِ "عُمانَ"(١) صابى

وكان المجدُ أعودَ حين يَهوِى عليـكَ من المُهفهَفة الكَعابِ

وإن وراء بحر "عُمانَ" مُلْكًا رطيبَ الظلِّ فَضفاضَ الرِّحابِ

رقيــقٌ عيشُــهُ عَطِرٌ ثراهُ بِطُرّاقِ الفضائلِ غيـرُ نابى

متى تنزِلْ به تنزِلْ بوادٍ من المعروفِ مَرعىِّ الجنابِ

يدبّره من الأمراء خِرْقٌ(٢) يَذلُّ لعـزِّه غُلْبُ(٣) الرِّقابِ

(١) كلمتا "جبال" الواردتان فى هذا البيت وردتا فى الأصل "حبال"، وأبان: اسم جبل، وعمان: بلد باليمن . (٢) الخِرقُ: السخىّ والفتى الحسن الكريم الخليقة . (٣) الغلب جمع أغلب وهو الذى غلظت عنقه .

وَفَى ذُو المجدِ سَبَّاقا فواقَ ... يحلِّق عُرْفُه والنجمُ كابِى

وقامَ بنفسِه يسعَى ففاقَتْ ... غريزةُ نفسِه شَرَفَ النِّصابِ (١)

وبانَ به لعينِ أبيهِ بَوْنٌ ... أراه الشِّبلَ أغلبَ ليثَ غابِ

على زَمَنِ الحَداثةِ لم يُفتهُ ... تقدُّمُ شِيبِهم قَدَمَ الشَّبابِ

سَمَا لمكانِهم وهُمُ شموسٌ ... فطال الطودُ أعناقَ الهِضابِ

وسيِّدُ قومِهِ من سوّدوه ... بلا عَصَبيّةٍ وبلا مُحابِى

وقُدِّم بالفِراسةِ وهو طِفلٌ ... تُحَلُّ عنه أَنشِطةُ (٢) السِّخابِ (٣)

وما تَرْكُ الشريفِ على بنيهِ ... وهم منه، تَجاوُزَه بعابِ

وإن كان الفتى لأبيهِ فَرْعًا ... فإن الغيثَ فَرْعٌ للسحابِ

بَلَوْهُ وجرَّبوا يوميهِ نُعمَى ... وبأسًا فى السكينةِ والوِثابِ

فما ظَهَروا مُخاطَبةً بوانٍ ... وما ظَفِروا مُضارَبةً بنابِى

ولا عدِموا به لَسَنًا (٤) وقطعًا ... عمائقَ فى الإصابة والصوابِ

لذلك جاوروا بالبحرِ بحرًا ... كِلَا كرميهما طاغى العُبابِ

يقول لِىَ الغنَى ورأى قُعودى ... عن السعى المُوَلِّ والطِّلابِ

وعفةَ مذهبى ظَلِفًا (٥) ومَيْلِى ... الى العيشِ المُرَمَّقِ (٦) وانصبابِى :

أرى لكَ فىّ لو خاطرتَ مَرْعَى ... يبدِّلُ صحَّةً أُهُبَ (٧) الجِرابِ

أما لكَ فى بحارِ "عمانَ" مالٌ ... يسُدُّ مَفاقِرَ الحاجِ الصِّعابِ ؟

ومَولًى يوسعُ الحُرُماتِ رَعْيًا ... ويَعمُرُ دارسَ الأملِ الخرابِ

---

(١) النصاب : الأصل . (٢) أنشطة : يريد بها جمع أنشوطة وهى عقدة يسهل حلّها مثل عقدة التكة . (٣) السخاب بوزن كتاب : قلادة من سُكّ وقرنفل ومحلب بلا جوهر ، والسُّكّ : طيب يعجن و يقرّص و يترك يومين ثم يثقب بمسلة و ينظم فى خيط قُنّب وكلما عَتُقَ طابت رائحته . (٤) اللَّسَن : البيان . (٥) الظَّلَفُ : النزهُ (٦) المرمّق : الذى يُتَبلّغ به (٧) أهب جمع إهاب والجراب جمع أجرب .

لعلَّ "مؤيَّدَ السلطانِ" تحنو | عواطفُ فضله بعدَ اجتنابِ
قفلتُ ودونه متــلاطماتٌ | زَواخرهنَّ كالأُسْدِ الغِضابِ
صَواعدُ كالجبال اذا أحسَّتْ | نسـيمًا، أو نوازلُ كالجَوابِي (١)
وأخضرُ لا يروق العينَ يُطْوَى | عــلى بيضاءَ سوداءِ الإهابِ (٢)
تجـاذبه الأزِمَّةُ من حديدٍ | فَيَقمِصُ أو يُقطِّر في الجذابِ (٣)
اذا خُوصُ الرِّكاب شكون ظمْأً | شكى رُكبانُها شَرَقَ الرِّكابِ (٤)
يروعُ حُـداءُ أحبُشِها النَّواتِي (٥) | اذا شاقتــك حاديةُ العِرابِ (٦)
اذا عثَرتْ فليس تُقالُ ذنبـا | و إن صدَعتْ فليست لانشعابِ
ولستُ بسابحٍ فأقولُ : أنجـو | عسى إن ظهـــرُها يوما كَبَا بِي
اذا حَلَمَتْ بها فى النوم عيني | طفقتُ أجُسُّ هل رَطِبتْ ثيابِي ؟
ومالى والخطارَ وقــد سَقَتْنِي | سماءُ يديهِ من غـير اغـترابِ
وجاءتني مَواهبُــهُ بعيــدا | بأفضـلِ ما يجيءُ مع اقترابِ
رغائبُ من يديه فاجأتني | وَفَيْنَ رِضًا بآمالى الرِّغابِ
وزِدنَ على حساب مُناىَ لكن | "وِشَاحٌ" (٧) لم يكُن لى فى حِسابِي
ندًى وَصَلَ السماحَ به ولكن | تولَّى عنــه حاجبُه حِجابِي
أمرتَ بها (٨) كعِرضك لم يُدنَّسْ | بلا غِشٍّ يشوبُ ولا ارتيابِ
من الذهب الصريحِ فصار ممّا | يُبَـدَّلُ فى يديه الى الذَّهابِ

---

(١) الجوابى جمع جابية وهى الحوض الضخم . (٢) يصف بقوله "وأخضر" البحر و بقوله "بيضاء سوداء الإهاب" سفينة مطليّة الجِرْم بالجير والقار . (٣) يقطّر : يُلقَى على قُطره أى جانبه .
(٤) خوص جمع خوصاء وهى التى غارت عينها . (٥) النواتى : جمع نوتىّ وهو ملّاح السفينة .
(٦) العراب : الإبل المنسوبة للعرب، وفى الأصل "الغراب" . (٧) وشاح : اسم غلام الأمير الذي ناوأ الشاعر علي جوائزه . (٨) يريد بقوله "أمرت بها" الصلة أو الجائزة .

وقاسمني مُناصَفةً عليه	وجاحَدَني ليحبسه كتابي (١)
وقال ولم يهبكَ ولم يَصُنِّي :	كذلكَ فيكَ منذُ سنينَ دابي
اذا حُمِّلتُ رِفْدا أو كتابًا	اليكَ لواه نَهْبي وآغتصابي
مَكارمُ سقتهنّ الى محبٍّ	ففاز بها مُغيرٌ لم يُحابِ
بعثتَ بها الخئون، فضاع سِرْبٌ	أمِنتَ عليه غائرةَ الذئاب
ولولا أنَّ خدمتَه وَقَتْهُ	وحُرمةَ عزِّ بابك والجناب
لَمَا سَلِمَ البعوضُ على عُقاب	ولا عَضَّ الهِزَبْرُ بشرِّ ناب
أَدَلَّ بكم فالحمَني، وكانت	نواحيه مآ كلَ للسِّباب
بخَلَّ عن الهجاء بذاك عندى	وقَلَّ بما أتاه عن العتاب
سُلِبْتُ نداك فى ناديك ظلما	بغارةِ صاحبٍ لك فى الصحاب
ثلاثَ سنينَ حَوْلا بعدَ حَوْلٍ	بكفِّ "وِشاحَ" مُقتَسَمٌ نِهابى
وأنتَ خفيرُ مالِكَ أو يؤدِّى	الىَّ ولو بمنقطِع التراب
اذا أنصفْتَنى فعليك دَيْنًا	غَرامةُ ما تجمَّعَ فى الحساب
أعِدْ نظرًا فكم أغنيتَ فقرًا	به وجَبَرتَ كَسْرًا من مُصاب
وكم نوديتَ يا بحرَ العطايا	فجاء البحرُ بالعجبِ العُجاب
وَفَتْ فيك المنى وقضَتْ نُذُورى	فوَفِّ عُلاكَ حقِّى تُرْضِها بى
وفى يدك الغنى فابعث أمينا	الىَّ به وصيِّرْه جوابى
ولا تُحوِجْ ظَماىَ الى قَليبٍ	سواك على مُقامى وآنقلابى
أُذكِّرك الذى ما كنتَ تنسَى	سُفورى تحت ظِلِّك وآنتقابى
وإنى إن بلغتُ النجمَ يومًا	لكان الى صنيعتك آنتسابى



(١) يريد وجاحدنى كتابى ليحبس عنى الذهب.

***

وقال فى معنًى عَرَضَ له

مَنْ بِسَلْعٍ مُطْلِعٌ لى	قمـرا طال مَغيبُـهْ ؟
وأصـيلا بالحِمَى نُغَـ	ـصَ بالعاذل طِيبُـهْ
كلُّ شىءٍ حَسَنٍ حا	شاكَ فالعين تُصيبُهْ (١)
عنّفوا القلبَ على قا	تِلِه وهو حبيبُـــهْ
كلُّ جُرْمٍ لك إلا الـ	ـغَدْرَ فالقلبُ وَهُوبُهْ (٢)
وأقلُّ الناس ذَنْبًا	قادرٌ عُدَّتْ ذنوبُهْ

***

وقال وقد أوجب عليه بعض الرؤساء المشهورين وهو أبو الحسين أحمد بن عبدالله الكاتب رحمه الله حقًّا أكّده بقصده إيّاه فى علّةٍ نالته، عائدا عِدّةَ دفعاتٍ من غير أن يكون سَبَق اليه بمعرفةٍ، ولاجرى بينهما لقاءٌ إلا بالذِّكر والصفة من الأستاذ أبى الحسن المختار بن عبد الله الذهبىّ، وواصَلَ تفقُّدَه تبرُّعا وآبتـداءَ ما يوجب الشكر ويُعرَف مثلُه من أمثاله فى هـذا الوقت، وكتب بها اليه يشكره ويعتمد بفعله، وأنفـذها فى رجب سنة آثنتى عشرة وأربعمائة

هَوًى لى، وأهواءُ النفوس ضُروبُ	تجانُبُ ‹‹قَوْسَى›› (٣) أن تَهُبَّ جَنوبُ
يدُلُّ عليها الريفُ أين مكانُهُ	ويُخبِرها بالمُـزْنِ كيفَ يصوبُ

---

(١) ورد هذا البيت كما هو فى النسخة المطبوعة، وورد فى الأصل هكذا

كلّ شىء حسن فى العين تصيبه

وهو مختل وزنا ومعنى، ولو حافظنا على الأصل لعله يكون هكذا

كل شىء حسنٍ فى الـ ـعينِ فالعين تصيبه

(٢) فى الأصل: ‹‹العزر››. (٣) قوسى: اسم بلدة، ومعنى البيت: أن هواه على آختلاف أهواء النفوس فى أن يجانب ‹‹قوسى›› وهى البلدة التى بها محبوبه مخافة أن تهبّ عليها ريح الجنوب وهى ريح حارة تخالف الشمال، وقد كنى بها عن زفراته فى حرّها.

وتَمشِي على روضِ الحِمَى ثم نلتق	فيبلغُنِي منهـا الغـداةَ هبوبُ
أمانِي بعيـــدٍ لو رآها لسرَّها	مكانَ الحيا من مقلتيه غُروبُ
ودَمْع إذا غالطتُ عنه تشاهدَتْ	قَوارِفُ فى خدّى له ونُدوبُ
عَلَى أنّ ذِكْرا لا تزال سهـامُهُ	تَرَى مَقتَلا من مهجتى فتُصيبُ
إذا قيل "مَىٌّ" لم يَرُعْنِي بحلمه	حياءٌ، ولم يحبِسْ بكاىَ رقيبُ
أُعِيرُ المنادى باسمها السمعَ كلّه	على علمـــه أنى بذاك مُريبُ
وكم لِىَ فى ليل الحِمَى من إصاخةٍ	الى خَبَرِ الأحـلامِ وهو كذوبُ
توقّرُ منهـا ثم تسـفَهُ أضلعى	ويجمُـدُ فيهـا الدمعُ ثم يذوبُ
وما حبُّ "مىٍّ" غيرُ بُرْدٍ طويتُهُ	على الكُرهِ طىَّ الرَّثِّ (١) وهو قشيبُ (٢)
رأَتْ شَـعَراتٍ غَيَّرَ البينُ لونَها	فأمست بما تُطريه أمسِ تَعيبُ
أساءكِ أن قالوا: أخٌ لكِ شائبٌ؟	فأسوأُ منـه أن يُقالَ: خَضيبُ
ومن عجبٍ أنَّ البيـاضَ ولونَه	اليـكِ بغيضٌ وهو منكِ حبيبُ!
أحِينَ عسَا (٣) غُصْنِى طرحتِ حبائلى	الىّ، فهلّا ذاك وهو رطيبُ؟
نُظَنِّنَـهُ من كَبْرَةٍ فرطَ ما انحنَى	كأنْ ليس فى هذا الزمان خُطوبُ!
فعُدِّى (٤) سِنيه، إنمـا العهدُ بالصِّبا	وإن خانه صِـبغُ العِذارِ قريبُ
وفى خَطَلِ (٥) الرمح انحناءٌ، وإنمـا	تُعَـدُّ أنابيبٌ له وكعوبُ
همومِىَ من قبل اكتهالى تَكَهُّلٌ	وغدرُكِ من قبل المَشيبِ مَشيبُ
وما كان وجهٌ يوقِـدُ الهمُّ تحتـه	لتُنكَرَ فيـه شَيْبـةٌ وشُحوبُ (٦)
لوَ انّ دَمِى حالتْ صَبيغةُ لونِهِ	مُبيَّضَـةً ما قلتُ: ذاكَ عجيبُ!

(١) الرث: البالى. (٢) القشيب: الجديد. (٣) عسا: كبر. (٤) فى الأصل: "تعدّى" وهو تحريف. (٥) الخطل: الاضطراب. (٦) الشحوب: تغيّر اللون.

أَلَم تعلمى أَنَّ الليـالى بحافلٌ ... وأَنَّ مُداراةَ الزمانِ حروبُ ؟
وأَنَّ النفوسَ العـارفاتِ بليّـةٌ ... وحمـلَ السجايا العالياتِ لُغوبُ (١)
يُسيغ الفتى أَيامَهُ وهو جاهلٌ ... ويغتصُّ بالساعاتِ وهو لبيبُ
وبعضُ مَودّاتِ الرجالِ عقاربٌ ... لهـا تحت ظلماء العُقوقِ دبيبُ
تواصَوا على حبِّ النفاقِ، ودينُهُ ... بأنْ يتنـافَى مَشْهـدٌ ومَغيبُ
فما أكثَرَ الإخوانَ بل ما أقلَّهم ... على نائباتِ الدهرِ حين تنوبُ !
وقبلَ ٱبنِ عبـدِ الله ماخلتُ أنه ... يُرَى فى بنى الدنيا الوَلودِ نجيبُ
ألا إن بانى المجـدِ يَخلُصُ طِينُهُ ... وكلّ الذى فوق التراب مَشوبُ
سقى الله نفسا مذ رعت قُلّةَ العُلا ... فكلُّ مَراعيهـا أعمُّ خصيبُ
وحَيَّا على رغمِ الغـزالةِ غُرَّةً ... إذا طلعتْ لم تَدْجُ حـين تغيبُ
وحصَّنَ صدرا قلبُ ”أحمدَ“ تحته ... يضيق ذراعُ الدهرِ وهو رحيبُ
من القوم بسّامون والجوُّ عابسٌ ... وراضون واليومُ الأصمّ غضوبُ (٢)
رأوا بابنهم ليثَ الشرى وهو ساربٌ ... لحاجتـه، والبحرَ وهو وهوبُ
فتًى سوّدته نفسُـهُ قبـل خَطِّه (٣) ... وشابت عُلاه وهو بَعْـدُ ربيبُ
وقدّمه ــ أن يعلَقَ الناسُ عَقْبَهُ ــ ... سماحٌ مع الريحِ العَصوفِ ذَهوبُ
ورأىٌ على ظَهرِ العواقبِ طالعٌ ... إذا أخطأ المقـدارُ فهو مصيبُ
إذا ظنَّ أمرًا فاليقـينُ وراءه ... ويصدُق ظنٌّ تارةً ويحوبُ (٤)
وخُلْقٌ كريمٌ لم يَرُضْـهُ مؤدِّبٌ ... تمطَّقَ (٥) فُوه الشّـذَى وهو أديبُ

---

(١) فى الاصل : ”الغاليات“ . (٢) اليوم الأصمّ : العصيب الشديد . (٣) قوله : ”قبل خطّه“ أى قبل نبت عذاره من قولهم : خَطَّ الغلامُ إذا نبت عذاره . (٤) يحوب : يأثم .
(٥) تمطّق : تذوّق .

تحمّــل أعباءَ الرياسـةِ ناهضا ... بهـا قاعدا والحـادثاتُ وُثوبُ
وصاحتْ به الجُلَّى لسدّ فُروجها ... فاقدَمَ فيها والزمانُ هَيوبُ
وكم عَجَمتْهُ النائبـاتُ فردَّهـا ... رِداداً وعاد النَّبْعُ(١) وهو صليبُ
هنالك اتفاقُ النـاسِ أنك واحدٌ ... إذا كان للبـدرِ المنيرِ ضريبُ
وأعجبُ ما فى الجودِ أنك سالبٌ ... به كلَّ ذى فضل وأنتَ سَليبُ !
أأنسى لك النُّعمى التى تركَتْ فى ... يُصَـعِّدُ يبغِى شُكرَها ويَصوبُ ؟
ملكتَ فؤادى عنـد أوّل نظرةٍ ... كما صـاد عُذريًّا(٢) أغنُّ ربيبُ
وكنتُ أخاف البـابلىَّ وسِحـرَهُ ... ولم أدرِ أن الواسطىَّ(٣) خَلوبُ
وغَنَّـاكَ أقوامٌ بوصـفِ مَناقبى ... فرَنَّحَ نَشـوانٌ وحَنَّ طروبُ
رفعتَ مَنـارَ الفخرِ لى بزيارةٍ ... وسَمَّتَ بها مَغْناىَ وهو جديبُ
وكنتَ لداءٍ جئتَنى منـه عائدا ... شفاءً، وبعضُ العائدين طبيبُ
وأنهلتَنى من خُلقِك العذبِ شَربةً ... حلَتْ لى، وما كلُّ الدواء يطيبُ
ولمـا جلا لى حُسنَ وجهك بِشرُهُ ... تبـيَّنَ فى وجه السَّـقام قُطوبُ
أجبتَ وقد ناديتُ غيرَك شاكيا ... وذو المجـدِ يُدعَى غيرُهُ فيُجيبُ
فَطِنتَ لهـا أُكرومةً(٤) نام غَفْلَةً ... من النـاس عنها مائقٌ وأريبُ
ذهبتَ بها فى الفضلِ ذكرًا بصوته ... سبقتَ، فلم يقدر عليك طَلوبُ
لئن كان فى قِسْمِ المكارم شَطرُها ... فللدِّين فيهـا والولاءِ نصيبُ
وإن أكُ من "كِسْرى" وأنتَ لغيره ... فإنى فى حبّ "الوصىّ" نسيبُ
ستَعلمُ أنَّ الصُّنع ليس بضائعٍ ... علىَّ، ولا الغرسَ الزكىَّ يخيبُ

---

(١) النبع : شجر تعمل منه القسىّ والسهام . (٢) عذريًّا : رجلا من بنى عُذرة وهم قوم مشهورون بالعشق . (٣) البابلىّ والواسطىّ نسبة الى بابل وواسط . (٤) الأكرومة : فعل الكرم .

وتحمَــدُ منّى ما ســعيتَ لكسبِهِ — وما كلّ ساعٍ فى العَلاء كسوبُ
ومهما يُثِبْك الشــعرُ شكرا مخلّدا — عليها، فإنّ الله قبلُ يُثيبُ
وتَسمعُ فى نادى النَّدى أىَّ فِقْرةٍ[1] — يقوم بهــا فى الوافدين خطيبُ
متى آمتدّ بى عُمرٌ وطالت مودّةٌ — فربعك حُسنٌ من ثَناىَ وطِيبُ
ودونك منى ضَيغمٌ، فُوهُ فاغِرٌ[2] — متى ما دنا من سَرْحِ عِرضك ذيبُ
محاسنُ قومٍ وَسمةٌ فى جباههــم — ولى حســناتٌ سِرُّهن غُيوبُ
وما الحُسنُ ما تُثنِى به العينُ وحدَها — ولكنّ ما تُثنِى عليــه قلوبُ
لقد عَقَلَتْ دنياك مذ قيِّضْتَ لى — وراح عليها الحِـلمُ وهو غريبُ
أظنُّ زمانى إن زجرتَ صروفَه — ســيرجع عمّــا ساءنى ويتوبُ
تخاتِلنى الأخبارُ ــ أخلبَ برقُها ــ — بأنك يا بــدرَ الــكمال تغيبُ
فأمسكُ قبلَ البين أحشاءَ مُوجَعٍ — لهــا بين أثناء الحــذار وجيبُ
بأىّ فؤادٍ أحمل البعدَ، والهوى — جديدٌ، وذا وجدى وأنتَ قريبُ
فلا تصــدَع الأيامُ شملَ محاسنٍ — تُســافر مصحوبا بهــا وتؤوبُ
ولا تعــدَم الدنيا بقاءَك وحدَه — فإنك فى هذا الزمانــ غريبُ

(١٩)

وقال يمدح سيّد الوزراء مؤيّدَ الملك أبا علىٍّ الرُّخّجىَّ، ويشكر إنعامَه فى تقديمِــه وإكرامِه، وتطوّلَهُ فى تحسين وصفه وتقريظه، ويعتدّ لإحسانه بعادات مُواصِــلة فى القول والفــعل، عَقيبَ تقلّدِهِ الوزارةَ بعــد آمتناعِهِ من الدخول فيها، ومدافعتِهِ بالتلبّس بها، وذَكر ذلك فى القصيدة وماظهر من آثاره فى النظر، بعد نكول من سبقَ من الوزراء، وأنشدها بحضرته فى الدار بباب الشعير .

(١) الفقرة : أجود بيت فى القصيدة . (٢) فاغر : مفتوح .

إذا عمّ "صحراءَ الغُميرِ" جُدوبُها ... كفى دارَ "هندٍ" أنّ جفني يصوبُها
وقفتُ بها والطَّرفُ مما توحّشتْ ... طريدُ رباها، والفؤادُ جَذيبُها
وقد دَرَسَتْ، إلا نَشايا[1] عواصفٌ ... من الريح لم يَفطُنْ لهنّ هُبوبُها
خليليّ، هذى دار أنسى، وربما ... يَبِينُ بمشهودِ الأمور غُيوبُها
قِفَا نتطوّعْ للوفاء بوقفةٍ ... لعلّ المُجازِى بالوفاء يُثيبُها
فلا دارَ إلا أدمعٌ ووكيفُها ... ولا "هندَ" إلا أضلعٌ ووَجيبُها
وعَبْرتُمانى زفرةً خَفَّ وَقدُها ... مَليًّا، وعينًا أمسِ جفّتْ غُروبُها
فإن تك نفسى أمسِ فى سلوةٍ جَنَتْ ... فقد رجع اليومَ الهوى يَستتيبُها
وإن يُفْنِ يومُ البينِ جُمّةَ أدمعى ... فعند جُفونى للديار نصيبُها
تكلّفنى "هندٌ" إذا التحتُ[2] ظامئًا ... أمانىَّ لم تُنْهَزْ لرىٍّ ذَنُوبُها[3]
وأطلبُ أقصَى ودّها أن أنالَهُ ... غِلابًا، وقد أعيى الرجالَ غَلوبُها
بمنعطفِ الجزعَين لمياءُ لو دعتْ ... "بمدينَ" رُهبانًا صبَتْ وصليبُها
إذا نهض الجاراتُ أَبطأ دِعْصُها[4] ... بنهضتها، حتى يخفّ قَضيبُها
تَبَسّمُ عن بيضٍ صوادعَ فى الدجى ... رِقاقٍ ثناياها، عِذابٍ غُروبُها
إذا عادتِ المسواكَ كان تحيّةً[5] ... كأنّ الذى مسّ المساويكَ طِيبُها
وكم دون "هندٍ" رُضتُ من ظهرِ ليلةٍ ... أشدَّ من الأخطارِ فيها ركوبُها
فنادمتُها والخوفَ، تُروِى عِظامَها الـ ... ـمدامُ، ويَرْوَى بالبكاء شَريبُها

(١) نشايا جمع نشيّة وهى الرائحة . (٢) التحتُ : عطشتُ . (٣) الذَّنوب : الدلو .
(٤) الدعص : قطعة من الرمل مستديرة . (٥) يشير الشاعر هنا الى عادة من عادات العرب فى أعيادهم وهى أنهم كانوا اذا حيّوا يقدّمون الريحان تحيّةً وكان ذلك فى يوم من أيامهم آسمه "يوم السباسب" وفيه يقول النابغة : رقاقُ النعال طيّب حجزاتهم ... يحيّون بالريحان يومَ السباسبِ
فيكون معنى بيت مهيار : أنها اذا آستاكت فسواكها يكون ريحانة يحيّى بها لما ناله من نكهتها .

إذا شربتُ كأسًا سَقَتْنى بمثلها ... من الدمع، حتى غاض دمعى وكُوبُها (١)

حَمَى اللهُ بالوادى وجوهًا كواسيا ... إذا أوجهٌ لم يُكْسَ حُسْنًا سَليبُها

بِوادىَ وَدَّ الحاضرون لو آنها ... مَواقعُ ما ألقتْ عليه طُنوبُها

إذا وصفَ الحُسْنَ البياضُ تطلَّعتْ ... سَوَاهِمُ (٢) يُفْدَى بالبياض شُحوبُها

ولله نفسٌ، من نُهاها عذولُها ... ومن صَونِها ـ يومَ العُذَيْبِ ـ رقيبُها

لكلِّ محبٍّ يومَ يظفَرُ رِيبةٌ، ... فَسَلْ خَلَواتى: هل رأت ما يريبُها؟

إذا آختلطت لذَّاتُ حُبٍّ بعاره ... فأنعمُها عندى الذى لا أُصيبُها

وساء الغوانى اليومَ إخلاقُ لِمَّتى (٣) ... فهل كان ممّا سَرَّهنّ قشيبُها؟

سواءٌ عليها كَثُّها (٤) ونَسيلُها (٥) ... وناصلُها (٦) من عِفّتى وخضيبُها

وتعجَبُ أن حُصَّتْ (٧) قوادمُ مَفرِقى (٨) ... وأكثرُ أفعالِ الزمانِ عجيبُها!

ومن لم تغيِّره الليالى بعدّه ... طِوالَ سِنيها غيَّرته خُطوبُها

إذا سُلَّ سيفُ الدهرِ والمرءُ حاسرٌ (٩) ... فأهون ما يَلْقَى (١٠) الرءوسَ مَشيبُها

يعدِّد أقوامٌ ذُنوبَ زمانهم ... فمن لى بأيامٍ تُعَدُّ ذُنوبُها

يقولون: دارِ الناسَ تَرْطُبْ أكفُّهم ... ومَنْ ذا يدارِى صخرةً ويُذيبُها؟ (٣٠)

وما أطمَعَتْنى أوجهٌ بآبتسامها ... فيُؤْيِسَنى ممّا لديها قُطوبُها

وفى الأرض أوراقُ الغنى لو جَذبتُها ... لَرَفَّ على أيدى النوال رطيبُها

إذا إبِلى أمستْ تُماطَلُ رَعْيَها ... فهل يَنفعَنِّى من بلادٍ خَصيبُها؟

---

(١) الكوبُ: كوز لا عروة له. (٢) سواهم: متغيرات. (٣) اللمة: الشعر المجاوز شحمة الأذن. (٤) الكث: كثرة شعر اللحية. (٥) النسيل: ما يسقط من الشعر والريش. (٦) الناصل: الخارج من الخضاب. (٧) فى الأصل "خصّت" وهو تحريف، وحُصَّتْ من قولهم: رجلٌ أحصّ أى قليل شعر الرأس. (٨) المفرق: وسط الرأس وهو الذى يفرق فيه الشعر. (٩) الحاسر: من لا مغفر له ولا درع أو لا جُنَّة له. (١٠) فى الأصل "تلق".

عَذيرىَ من باغٍ يودّ لنفســـهِ ... نزاهــةَ أخلاقٍ، ويُمسى يَعيبُهـــا

إذا قصّرتْ عنّى خُطاه أَدبَّ لى ... عقاربَ كيدٍ غيرُ جِلْدى نسيبُهـــا

ومِن أَمَلِى فى ســيّد الوزراء لى ... مطاعمُ يَغْنَى عن سواها كَسوبُهـــا

إذا ما حَمَى مــؤيَّدُ المُلْكِ حوزةً ... من الصُّمّ لم يقــدرْ عليها طَلوبُهـــا

علىَّ ضوافٍ من سوالفِ طَوْلهِ ... يجرِّرُ أذيالَ الســحاب سَحوبُهـــا(١)

وعَذراءَ عنــدى من نداهُ وثيِّبٍ ... إذا جُلِيَتْ زانَ العُــقودَ تَرِيبُهـــا(٢)

عوارفُ تأتى هـــذه إثْرَ هـــذه ... كما رافدَتْ أعلَى القنـاةِ كُعوبُهـــا

إذا عُدّدَ المجـــدُ ٱنبرَيْنَ فوائتـــا ... عُقودَ البنانِ، أَن يَعُــدَّ حسيبُهـــا

حلفتُ بمُشْتَنِّ البطاحِ وما حَوَتْ ... أسابيعُها(٣) من مَنْسَــكٍ وحَصيبُهـــا

وبالبُــدْنِ(٤) مُهداةً، تُقادُ رقابُهـــا ... مُوقَّفَــةً(٥)، أو واجباتٍ(٦) جُنوبُهـــا

لقام الى الدنيا، فقام بأمرهـــا ... ـــ على فترة ـــ جَلْدُ الحصا وصليبُها

وغَيْرانُ لا يُرضيه إصلاحُ جسمه ... بدارٍ إذا كان الفســادُ يشوبُهـــا

وقاها من الأطماع حتى لو ٱنه ... جرى الدّمُ فوقَ الأرضِ ما شَمَّ ذيبُها

ومدّ عليهـــا حامياً يَدَ مُشْــبِلٍ(٧) ... له عصــبةً بعـــدَ النذيرِ وُثوبُها

يَدٌ كلِّ ريحٍ تَمتَرِى ماءَ مُزْنهـــا ... فمـــا ضرّها أَلّا تَهُبَّ جَنوبُهـــا

أرى شِبهَهُ الأيّامَ عادتْ بصــيرةً ... ومُذنِبَهـــا قد جاءَ وهو مُنيبُهـــا

وذلّتْ فأعطاها يَدَ الصفحِ ماجدٌ ... إذا سِــيلَ(٨) تَرّاكُ الذُّحولِ(٩) وَهُوبُها

---

(١) فى الأصل ''سُحُوبها'' وهو تحريف. (٢) يريد بالتريب: الترائب وهى عظام الصدر.

(٣) الأسابيع: يريد أسابيع أشهر الحج. (٤) البدن جمع بَدَنةٍ وهى من الإبل والبقر كالأضحية من الغنم تُهدَى الى مكة. (٥) فى الأصل: ''موفقة'' وهو تحريف. (٦) واجبات: ساقطات، وفى القرآن الكريم: (فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا). (٧) فى الاصل: ''مسبل'' وهو تحريف، والمشبل: ذو الأشبال وهى أجراء الأسد. (٨) سيل: سُئِلَ. (٩) الذحول جمع ذَحْل وهو الثأر أو العداوة والحقد.

لكَ اللهُ راعى دولةٍ رِيعَ سَرْحُها ... وراح أمام الطاردين عَزِيبُها (١)

طوتْ حُسنَها والماءُ تحت شفاهها ... غِراثًا، وأدنى الأرض منها عَشيبُها

إذا ما تراغت (٢) تقتضى نصرَ ربِّها ... فليس سوى أصدائها ما يُجيبُها

وقد غَلَب الطّالِينَ عَرٌّ (٣) جلودها ... وفاتت أكفَّ المُلحِمينَ نُقُوبُها (٤)

لها كلَّ يومٍ ناشدٌ غيرُ واحدٍ ... تَقَفَّى المُنَى آثارَها فيُخيبُها

ومُطّلِعٌ يَفْلِي (٥) طريقَ خلاصِها ... فيعمَى عليه سهلُها وحَزيبُها (٦)

نفضتَ وفاضَ الرأى حتى انتقدتَها (٧) ... وما كُلُّ آراءِ الرجالِ مُصيبُها

مُحمَّلةً من ثِقلِ مَنِّكَ أوْسُقًا ... ينوء بها مركوبُها وجَنيبُها

فعطفًا عليها الآنَ تَصْفُ حِياضُها ... وتُبقِلْ مَراعيها وتُدْمَلْ نُدوبُها

فما رَأَمَتْ أبْواءَها (٨) عند مالكٍ ... سواك ولا حنَّتْ لغيرك نِيبُها (٩)

تَسربلْ بأثوابِ الوزارة إنها ... لك انتَصحتْ (١٠) أردانُها وجيوبُها

وقد طالما منَّيتَها الوصلَ مُعرِضًا ... وباعدتَها من حيث أنتَ قريبُها

ومَن يك مولاها الغريبَ وجارَها ... فأنت أخوها دِنْيَةً (١١) ونسيبُها

بلطفِك فى التدبير شابَ غلامُها ... على السيرة المُثلَى وشَبَّ رَبيبُها

وقد ضامها قبلُ الولاةُ وقصَّرتْ ... قبائلُها عن نصرِها وشُعوبُها

فداك — وقد كانوا فداءك — منهمُ ... جبانُ يدِ التدبير فينا غَريبُها

---

(١) العزيب : من الإبل والشاء التى تعزب عن أهلها فى المرعى ، وفى الأصل : "غريبا" .

(٢) تراغت : صوّتت فضجّت . (٣) العرّ : الجرب . (٤) نقوب جمع نَقْب وهو قرحة تخرج بالجنب . (٥) يفلى : يتدبّر . (٦) الحزيب : الأمر الشديد ، وفى الأصل "وحَزوبها" .

(٧) فى الأصل "اتقدتها" وهو تحريف . (٨) أبواء جمع بوّ وهو جلد الحوار يُحشى تبنا ويقرّب من أمّ الفصيل فترأمه وتعطف عليه فتدرّ . (٩) النيب جمع ناب وهى الناقة المسنة . (١٠) انتُصحتْ : خِيطَتْ . (١١) الدنية : يقال : هو ابن عمى دنية بمعنى هو ابن عمى لحًّا أى لاصق النسب .

رمَى بكَ فى صدر الأمور ولم يخَفْ ... فُلولَ نيوبِ الليثِ مَن يستنيبُها

حملتَ له الأثقالَ والأرضُ تحتَه ... وراعيتَه لما عَلَتْه جُنوبُها (١)

وآخرُ أرخَى للنعيم عِنانَهُ ... أخو الهزلِ مِمْراحُ العشايا لَعُوبُها

* * *

تزخرفَتِ الدنيا له فصَبَا لها ... مُقارَضَةً يَخشَى غدًا ما ينوبُها

وكان فتى أيامِهِ وآبنَ لينِها ... وأنت أبوها المتَّقَى ومَهيبُها

وقاسٍ كأنَّ الجمرَ فلذةُ كبدِه ... يَرَى بالدماءِ نَحْلَةً يستذيبُها (٢)

مَخُوفُ نواحى الخُلْقِ، مُجٌّ طباعُهُ ... إذا عولجت، مُرُّ المحاظِ مُريبُها

إذا هَمَّ فى أمرٍ بعاجلِ فتكةٍ ... على غَرَرٍ (٣) لم يلتفتْ ما عَقيبُها

* * *

وذو لُوثةٍ (٤)، مَنَّاهُ سلطانُ رأيه ... مُنًى غَرَّهُ محداجُها (٥) وكَذوبُها

ولم يك ذا خيرٍ فشاورَ شرَّهُ ... وما الشرُّ إلا أرضُ تيهٍ يجوبُها



يواثب من ظَهْر الوزارة رَيِّضًا (٦) ... زلوقًا (٧) وقد أعيَا الرجالَ رُكوبُها

ومدّ بكفِّ العنفِ فَضلَ عِنانِها ... فعادتْ له أفعَى حِداداً نُيوبُها

رَمَى الناسَ عن قوسٍ وأعجبُ مَنْ رمَى ... يدٌ أرسلتْ سهما فعادَ يُصيبُها

تَوقَّ خُطًا لم تدرِ أينَ عِثارُها ... فكم قَدَمٍ تسعَى الى ما يَعيبُها

ولا تحسَبَنْ كلَّ السحابِ مَطيرةً ... فخاصبُها من حيث يُرجَى صبيبُها

---

(١) فى الأصل " عليه " . (٢) يستذيبها : يطلب ذوبها وهو العسل ، وفى الأصل " يستذيبها " . (٣) الغرر : الخطر . (٤) اللُّوثة : الحُمق . (٥) المحداج : الصيفة قل مطرها . (٦) يقال : ناقة رَيِّض : أول ما ريضت وهى صعبة بعدُ . (٧) الزلوق : الناقة السريعة ، وفى الأصل : " زليقا " ومعناها : الولد السقط للناقة اذا أسقطت وهذا لا يتفق ومعنى البيت .

وكم أَصْرَمَتْ(١) تحت العصائبِ لِقحةٌ(٢) ... ودرّتْ لغــير العاصبين(٣) حُلوبُهــا
أَبَى اللهُ أن يُشْــقِى بك اللهُ أمّةً ... أردتَ بهــا سُــقْما وأنت طبيبُهــا

* * *

تَطأْطَأْ لِمنْ لو قمتَ نالك جالسًــا ... فمــا كلُّ أولادِ الظنون نجيبُهــا(٤)
فقــد دانت الدنيــا لربِّ محاسنٍ ... محاسنُ قومٍ آخرين عيوبُهــا
فيا ناظمًا عِقــدَ الكلام(٥) تَمــلَّه ... ويا ناشر النعماءِ حيَّــاكَ طِيبُهــا
إذا الأنفس اختُصّتْ بحبِّ فضيلةٍ ... سموتَ بنفسٍ كلُّ فضلٍ حبيبُهــا
توافَقَ فيك الناسُ حُبًّا وأَمطَرتْ ... بشكرك سُحْبُ القولِ حتى خَلوبُها
ملكتَ مكانَ الودّ من كلّ مهجةٍ ... كأنك لُطفًا فى النفوس قلوبُهــا
إذا الشمس لم تطلُعْ علينا، وأمرُنا ... بكفّك معقودٌ، فدامَ مَغيبُهــا
أنا العبــدُ أعطتــك الكرامةُ رِقّهُ ... وجاءت به عفوا اليك ضُروبُهــا
رفعتَ بأوصــافى طريفًا وتالدًا ... كواكبَ لى عمَّ البــلادَ ثقوبُهــا(٦)
وميّزتَنى حتّى ملكتُ بوَحْــدَتى ... نواصىَ هذا القولِ يضفو سبيبُهــا(٧)
وكم أملٍ أســلفتُ نفسى ودعوةٍ ... قنطتُ لهــا، واللهُ فيك مجيبُهــا
بلغتُ الأمانى فيك، فابلغ بِىَ التى ... تُنَفِّسُ نَفْسًا، ملءُ صدرى كُروبُها
وللدهرِ فى حالِى جُروحٌ وإنه ... بلحظك إن لاحظتَ يُوسَى رغيبُها(٨)
ومهما تُعِزْ من نِعمةٍ بجزاؤها ... على الله، ثمَّ الشــعرُ عنى يُثيبُهــا
بكلّ شَرودٍ يَقطعُ الريحَ شَوطُها ... ويَسرى أمامَ الغاســقات دُبوبُها
تَزِمُّ(٩) لِىَ الأصــواتُ يومَ بلاغِها ... إذا ما علا أعوادَ شعرٍ خطيبُهــا

---

(١) أصرمت : انقطع لبنها . (٢) اللقحة : الناقة الغزيرة اللبن . (٣) العاصب : الذى يشدّ بالعصابة فخذى الناقة لتدرّ . (٤) فى الأصل : "يخيبها" . (٥) كذا بالاصل وفى النسخة المطبوعة "الكمال" . (٦) ثقوبها : ضوءها . (٧) السبيب : شعر الناصية . (٨) رغيبها : واسعها . (٩) تزمّ : تصوّت .

يروقُكَ منها جَزلُها وحَميسُها — إذا راقَ من أبياتِ أُخرَى نسيبُها

ترى الناسَ خَلفِى يلقُطونَ(١) بَديدَها — ويُعجِبهُم من غيركَدٍّ غُصُوبُها

جواهرُ،لى تصديقُها من بحورها — صِحاحًا، وللعادِى المُغيرِ ثُقوبُها

يَمُرُّ بها لا بائعا يستحلُّها — بملكٍ ولا مستوهبا يستطيبُها

بَقِيتَ لها مستخدما حِبرَاتِها — ومنتقِدًا ما حُرُّها وجَليبُها

موسَّعةً أيّامُ مُلكِكَ، مُعوِزًا — على الحادثاتِ أن يَضيقَ رَحيبُها

وأعداكَ من شمسِ النهار خُلُوُّها — وإشراقُها، لكن عَداكَ غُروبُها

* * *

وقال يمدح الوزير تاجَ المُلْك أبا غالب الحسن بن منصور ويهنّئه بالوزارة، وأنفذها اليه وهو بواسط، بعد ظَفره بأبى محمد بن سَهْلانَ، وعرَّضَ بذكر الحرب التى جرت بينهما، وحصولِه فى رِبقَته، وذلك فى سنة ثلاث عشرة وأربعمائة

قضى دَينَ "سُعدَى" طيفُها المتأوِّبُ(٢) — ونَوَّل إلا ما أَبَى المتحَوِّبُ(٣)

سَرَى فأراناها على عهد ساعةٍ — ومن دونها عَرضُ "الغُوَيرِ" "فَغُرَّبُ"(٤)

فَثَلْها لا عِطفُها متشمِّسٌ — ولا مسُّها تحت الكرى متصعِّبُ

تحيِّي نَشاوَى من سُرى الليل ألصقوا — جُنوبا بجِلدِ الأرضِ ما تتقلَّبُ

إذا أنِسوا بالليل جاذَبَ هامَهم — حوافرُ قَطْعِ الليل، والنومُ أطيبُ

وفى التُّربِ مما آستصحبَ الطيفُ فَعْمَةٌ(٥) — يُرواح قلبى نَشْرُها(٦) المتغرِّبُ

فَعَرَّفنى(٧) بين الركاب كأنما — حقيبةُ رَحلى باقِيَ الليلِ مَسْحَبُ

---

(١) فى الأصل: يطلقون . (٢) المتأوِّب: الطارق أوّل الليل . (٣) المتحوب: المتعبد الذى يلق الحوب عن نفسه . (٤) الغويركزُبير ، وغُرّب كسكّر: اسما موضعين . (٥) فعمة: نفحة . (٦) فى الأصل "بشرها" وهو تحريف . (٧) فعرّفنى: فطيبنى بعَرفِه .



ألا ربمـا أعطتــك صـادِقَةَ المُـنَى ... مصـادَفَةُ الأحلامِ من حيثُ تَكذِبُ

ويومٍ كظلِّ السـيفِ طال قصـيرُهُ ... على حاجةٍ من جانبِ "الرَّملِ" تُطلَبُ

بعثتُ لهـا الوَجناءَ(١) تَقـفو طريقَها ... أمامَ المطـايا تسـتقيمُ وتَنـكُبُ

فـالت على حكمِ الصَّبا "لمحجَّرٍ"(٢) ... وللسـيرِ فى أُخرَى مَظَنٌّ ومَحسَبُ

أعِذْ نَظَـرًا وآسـتأنِ يا طرفُ ربّمـا ... تكونـ التى تهوَى التى تتجنَّبُ

فمـا كلُّ دارٍ أقفـرتْ "دارةُ الحِمَى" ... ولا كلّ بيضـاءِ الترائبِ "زَينبُ"

عجبتُ لقلبى كيف يسـتقبل الهوى ... ويرجو شبابَ الحىّ والرأسُ أشيبُ

تَضُمُّ حِبـالَ الوصل من "أمّ سالمٍ" ... وحبلُكَ بعـد الأربعـينَ مُقَضَّبُ(٣)

وليس لسوداءِ المحـاجِرِ ـ ولو دنا ... بها سببٌ ـ فى أبيضِ الرأس مَطْرَبُ

ولائمـةٍ فى الحظّ تحسَـبُ أنّه ... بفضلِ آحتيالِ المرءِ والسـعيِ يُجْلَبُ

رأت شَـعَثًا غطَّى عليـه تَصَـوُّنى ... وعيشـا بغيضـا وهو عنـدى محبَّبُ

وقد كنتُ ذا مالٍ مع الليـلِ سارحٍ ... علىّ، لو آن المـالَ بالفضلِ يُكسَبُ

ولٰكنه بالعِـرضِ يُشرَى خِيـارُه ... وينمِى على قَدرِ السـؤالِ ويَخصِبُ

وما ماءُ وجهى لى إذا ما تركتُهُ ... يُراقُ على ذلِّ الطِّـلابِ ويَنضُبُ

وإنكِ لا تدرينَ، واليـومُ حاضرٌ ... بحـالِ آختـلالى، ما غدًا لِى مُغَيَّبُ

لعـلّ بعيـدًا ماطَلَتْ دونه المُـنَى ... سيحكُمُ "تاجُ المُلْكِ" فيـه فيقـرُبُ

فمـا فوقه مَرمًى لظـنٍّ موسَّـعٍ ... ولا عنـه للحقّ المضَـيَّعِ مَذهَبُ

وإن فاتنى مِن جودِهِ وآصـطفائِهِ ... الى اليــوم ما تُسنِى(٤) يداه ويوهَبُ

وأيبَسَ رَبعى وحـدَه من سَحابةٍ ... تبيتُ لمثـلى من عَطـاياه تَسكُبُ

فرِجْلِىَ كانت دون ذاك قصـيرةً ... وحظِّىَ فيما جازنى(٥) منـه مُذْنِبُ

(١) الوجناء: الناقة المسرتة . (٢) محجَّر: كمُعظَّم ومُحدَّث أسم لجملة مواضع . (٣) المقضَّب: المقطَّع . (٤) تسنى: ترفع . (٥) فى الأصل "حازنى" .

ولا لومَ أن لم يأتنِ البحرُ، إنما ... على قدر ما أسعَى الى البحرِ أشربُ
حَمَى بَيْضةَ الإسلامِ ليثٌ تناذرتْ ... ذئابُ الأعادِي الطُّلْسُ (١) عما يُذَبِّبُ (٢)
وزانت جبينَ المُلكِ دُرّةُ تاجِهِ ... فما ضرَّه أىُّ العمائمِ يُسْلَبُ
وَفَى بالمعالى مستقِلًّا بحملها ... متينٌ إذا خارت قُوَى العزمِ صُلَّبُ
تريه خَفِيّاتِ الشَّواكلِ فكرةٌ ... بصيرٌ بها مِن خَطْفةِ النجم أثقبُ
إذا آستقبل الأمرَ البطىءَ برأيه ... تبيّنَ من أُولاهُ ما يتعقّبُ
ومُزلِقةِ المتنين تمنعُ سرجَها ... وتُسأَلُ قُوسُ (٣) القُّمِ: من أين تُصحَبُ
أبَتْ أن يُطيفَ الرائضون بجنبِها ... فقوَّدتَها مملوكةَ الظَّهرِ تُركَبُ
ويومٍ بلون المشرفيّةِ أبيضٍ ... ولكنه مما يُفَجِّرُ أصهبُ (٤)
إذا أسفَرتْ ساعاتُه تحت نَقْعهِ ... عن الموتِ ظلَّت شمسُه تتنقّبُ
صبَرتَ له نَفْسًا حبيبًا بقاؤها ... الى المجدِ حتّى جئتَ بالنصرِ يُجْنَبُ
كواسِطَ، والأنبارُ أمسِ كواسِطٍ ... ومن إيمَّا يوميْك لا أتعجّبُ
وكم دولةٍ شاختْ وأنتَ لها أخٌ ... وأخرى تُربِّيها وأنتَ لها أبُ
ينام عزيزا كهلُها وغلامُها ... وأنت عليها المُشْبِلُ المتحدِّبُ
أرَى الوزراءَ الدارجين تطلَّبوا ... على فضلهم ما نلتَه فتخيَّبوا
تباطَوْا عن الأمرِ الذى قمت آخذا ... بأعجازه وآستبعدوا ما تُقَرِّبُ
فلو لحقتْ أيامُهم بك خلتَهم ... بهَدْيك ساروا أو عليك تأدّبوا
نَهيتُ الذى جارالك راكبَ بغيِه ... الى حَينِه، والبغىُ للحَينِ مَركَبُ
وقلتُ: تَفلَّلْ (٥)، إنما أنت حابِلٌ (٦) ... على جنبك الواهى تَحُشُّ وتحطُبُ

---

(١) الطلس جمع أطلس وهو الأمعط من الذئاب. (٢) يذبّبُ: يدافع. (٣) قُوس جمع أقوس وهو المحنىّ. (٤) أصهب: أحمر. (٥) تفلّلْ: انهزمْ. (٦) الحابل: الذى معه حبله.

دع الرأسَ وٱقنع بالوسيطة ناجيًا ... بنفسك، إن الرأسَ بالتاج أنسبُ
وإن وليّ الأمر دونك ناهضُ الـ ... ـبصيرةِ طَبٌّ(1) بالخطوب مدرّبُ
وأهيبُ فينا من قُطوبك بِشرُه ... وما كلّ وجهٍ كالحٍ يُتَهيّبُ
بفعلك سُدْ، إن الأسامِي(2) مُعارةٌ ... وبالنفس فاخرْ لا بمن قمتَ تَنْسُبُ
تمنّوكَ "تاجَ الملكِ" أن يتعلّقوا ... غُبارَك، وٱبنُ الريح في السّبق أنجبُ
فظنّوا تكاليفَ الوزارة سهلةً ... ومنكِبُ "رَضوى"(3) في العريكة يَصعُبُ
فلا زلتَ تلقَى النصرَ حيث طلبتَه ... بجَدّك يعلو أو بسيفك يَضرِبُ
تَمُدُّ لك الدنيا مَطَاها(4) ذليلةً ... فتركَبُ منها ما تشاءُ وتُركِبُ
الى أن ترى ظهرَ البسيطةِ قبضةً ... بكفّيك يَلْقَى مَشرِقًا منه مَغرِبُ
وقُيِّضَ لى من حُسنِ رأيك ساعةٌ ... يُساعف فيها حظِّىَ المتجنِّبُ
فتُمطِرنى من عذلِ جودك دِيمةٌ ... تَبلُّ ثرى حالى بما أنا مُجدِبُ
لعل خَفيًّا كامنا من محاسنى ... تبوحُ به نُعماك عنّى وتُعرِبُ
ومَن لِيَ لو أنّى على العجز ماثلٌ ... بناديك يُصغِى المُفحَمون وأخطُبُ؟
فتشهدَ أنى ما عدمتُ فضيلةً ... الى مثلكم مثلى بها يَتقرّبُ
وتَعلمَ منّى كيفَ أمدحُ ناظما ... فإنك تدرى ناثرا كيف أكتُبُ

⁂

وقال وقد تُوُفِّىَ أبو الحسين أحمد بن عبد الله، وكان من معادن الفتوّة الغريبة، ومظانّ الكرم العجيبة، وجامعا للدين والمروءة والفضل والرياسة، واتفَقَ قبل موته بسنين قلائلَ ٱنتساجُ مودّةٍ بينه وبينه سبقَ خبرُها، بدأ أبو الحسين بخِطْبتها، وقصدَهُ

(1) الطبّ: البصير بالأمر والحاذق الماهر. (2) الأسامىُ: الأسماء. (3) رضوى: اسم جبل. (4) المطا: الظهر.

راغبا فيها، وتبرّع بضروب من التفقّدِ وأصنافٍ من الرّعاية، تبعُدُ على كثيرٍ من أبناء الزمانِ الفطنةُ لها، فعمل هذه القصيدةَ يرثيه، وتُوُفِّيَ بواسطٍ فى شوّال سنة ثلاث عشرة وأربعمائة

نعم! هذه يا دهرُ أمُّ المصائبِ	فلا تُوعِدَنِّى بعدَها بالنوائبِ
هتكتَ بها سِترَ التجامُلِ بيننا	ولم تلتفت فينا لِبُقْيَا[1] المُراقِبِ
وما زلت ترمى صفحتى بين عاصدٍ[2]	ومنحرِفٍ حتى رَمَيْتَ بصائبِ
فرأيَكَ فى قَوْدى، فقد ذلَّ مِسْحَلى[3]	وشأنَكَ فى غمزى، فقد لان جانبى
ولا تحسَبَنِّى باسطا يدَ دافِعٍ	ولا فاتحا من بعدها فمَ عاتبِ
ولا مُسبِغا فَضفاضةً[4] أبتغى بها	شَبَاً[5] طاعنٍ من حادثاتك ضاربِ
لها كنتُ أستبقى الحياةَ وأحتمى	وأجمعُ بُرْدِى من أكفِّ الجواذبِ
وَلجتَ رُواقَ العزّ حتى اقتحمتَهُ	بلا وازعٍ عنه ولا ردِّ حاجبِ
وأنشبتَ فى صمّاءَ عهدى بمتنِها	صفيقَ المَطَا زَلِيقةً بالمخالبِ
سددتَ طريقَ الفضلِ من كلِّ وِجهةٍ	وملتَ على العلياء من كلّ جانبِ
فلا سَنَنٌ[6] إلا محجّةُ تائهٍ	ولا أملٌ إلا مطيّةُ خائبِ
أبعدَ ابنِ "عبدِ الله" أحظَى براجعٍ	من العيش، أو آسَى على إثْرِ ذاهبِ؟
وأُرسِلُ طَرفى رائدا فى خميلةٍ	من الناسِ أبغى نُجعةً لمَطالبى؟
وأقدحُ زَندا واريًا من هَوَى أخٍ	وأكشفُ عن ودٍّ خبيئةَ صاحبِ؟
وأدفعُ فى صدرِ الليالى بمثلِهِ	فتَرجِعَ عنّى داميات المناكبِ؟

(١) فى الأصل: "كُبْقَيَا". (٢) العاصد: السهم الملتوى. (٣) المسحل كمنبر: اللجام.
(٤) الفضفاضة: الدرع. (٥) شبا جمع شباة وهى حدّ كلّ شىء. (٦) السنن: الطريق.

أَبَى ذاكَ قلبٌ عنـه غـيرُ مُغالِطٍ ... برجمٍ[(١)]، وحلمٌ بعدَهُ غـيرُ عازبِ

وأنَّ خُروقَ المجـدِ ليستْ لراقعٍ ... سواه، وصدعَ الجودِ ليس لشاعبِ

طَوَى الموتُ منه بُردةً فى دُروجِها ... بقيَّـةُ أيامِ الكرامِ الأطايبِ

مُحَبَّرةً، سَـدَّى[(٢)] وألحمَ وَشْيَها ... صَـنَاعٌ بحَوْكِ المكرماتِ الرغائبِ

كسا اللهُ عِطفَ الدهرِ حِينًا جمالَها ... فلما طغى قِيضَتْ لها يَدُ سالبِ

لئن دَرَسَتْ منها الخُطوطُ[(٣)] فإنه ... لَيَبْقَ طويلا عَرفُها فى المَساحبِ

وجوهرةً فى الناس كانت يتيمةً ... وهل من أخٍ للبدرِ بين الكواكبِ

أَبَى الحسْنُ أن يحبَى بها عِقـدُ ناظِمٍ ... فَتُسلَكَ، أو يسمو لها تاجُ عاصبِ

فمُـدَّتْ اليها بالردى يَدُ كاسِرٍ ... وكان يقيها المجـدُ من يد ثاقبِ

سل الموتَ: هل أودعتَه من ضغينةٍ ... تَنَـقَّمَ منها فهو بالوِتْرِ[(٤)] طالبى؟

له كلَّ يومٍ حولَ سَرحِىَ غارةٌ ... يشرِّد فيها بالصفايا النجائبِ

سُـلافةُ إخوانى وصـفوةُ إخوتى ... ونُخبـةُ أحبابى وجُـلُّ قرائبى

فليتَ عفا عن "أحمدٍ" فاديًا له ... بمُصرمـةٍ[(٥)] ممـا آقتنيتُ وحالبِ

أألآنَ لمّا آشـتدّ مَتْنِى بودّه ... وردْتُ ملاءً من نَداه حَقـائبى!

وجَمَّتْ لآمالى العطاشِ حِياضُـهُ ... وكانت تُخَلِّى عن نِطافِ[(٦)] المَشاربِ!

فُجِعتُ به غَضَّ الهوى حاضرَ الجَدَى ... جديدَ قميصِ الودّ سَهْلَ المَجاذبِ

كأنى على العهدِ القريبِ آعتلقتُـهُ ... بطُولِ آختبارى أو قديمِ تجاربى

سـددتُ فَمَ الناعِى بكفّى تطيُّرًا ... ولوّيتُ وجهى عنـه لَىَّ مُغاضِبِ

---

(١) الرجم: الظن. (٢) سَدَّى وألحم أى أقام سَداها ولُحمَتَها. (٣) فى الأصل: "الحظوظ" وهو تحريف ويريد بها خطوط البردة التى كسا الله بها عطف الدهر. (٤) الوتر: الثأر أو الحقد. (٥) المصرمة: الناقة التى كُوِىَ ضرعها فانقطع لبنها. (٦) نطاف جمع نُطفة وهى الماء الصافى أو البقية منه.

وقلتُ : تبيَّنْ ما تقولُ لعلَّها تكون كتلك الطائراتِ الكواذبِ !
فكم غامَ من أخباره ثم أقشعتْ سحابتُه عن صالحِ الحالِ ثائبِ
فلمّا بدا لِى الشرُّ فى كَرِّ قوله ربطتُ نَوازِى أضلعِى بالرواجِبِ (١)
ومِلتُ الى ظِلٍّ من الصبر قالِصٍ قصيرٍ، وظَنٍّ بالتجمُّلِ كاذبِ
ونفْسٍ شَعاعٍ (٢) قد أخلَّ وقارَها بعادتِه فى النازلاتِ الصعائبِ
وعينٍ هَفَا الحزنُ الغريبُ بجفنها فطاحَ ضياعا فى الدموعِ الغرائبِ
أُسائلُ عنه المجدَ وهو معطَّلٌ سؤالَ الأجبِّ (٣) عن سَنامٍ (٤) وغاربِ (٥)
وأستروحُ الأخبارَ وهى تسوءنى علائقَ (٦) منها فى ذيولِ الجنائبِ
فيُفصِحُ لى ما كان عنه مُجَمْجِمًا ويصدُقُنِى ما كان عنه مُوارِبِى
فَقِيدٌ "بميْسانٍ" (٧) آستوت فى آفتقاده مَشارقُ آفاق العُلا بالمغاربِ
وقِيدَ الحياءُ والسماحُ فأُرْجِلَا عَقيرينِ فى تُرْبٍ له مُتراكِبِ
تُنافِثُ عن جمرِ الغضا نادِباتُهُ كأنّ فؤادى فى حُلوقِ النوادبِ
بكتْ أدمعا بِيضًا ودمَّتْ جِباهَها فتحسَبُها تَبكِى دَمًا بالحواجبِ
هوتْ هَضْبةُ المجدِ التليدِ وعُطِّلتْ رسومُ الندَى وآنقضَّ نجمُ الكواكبِ
ورُدَّتْ رِكابُ المُخمِسين (٨) بظِمْئِها تكُدّ الدلاءَ (٩) فى ركايا (١٠) نواضبِ (١١)

---

(١) الرواجب جمع راجبة وهى المفاصل التى تلى الأنامل . (٢) شعاع : متفرقة .
(٣) الأجبّ : مقطوع السنام . (٤) السنام : الحدبة فى ظهر البعير . (٥) الغارب : الكاهل .
(٦) الجنائب : جمع جنوب وهى ريح تخالف الشمال . (٧) ميسان : اسم كورة واسعة بين البصرة وواسط . (٨) المخمسين : الذين ترد إبلهم خمسا ، والخمس بكسر الخاء : من أظماء الإبل وهو أن ترعى ثلاثة أيام وترد الرابع . (٩) الدلاء جمع دلو وهو معروف . (١٠) الركايا جمع ركية وهى حفرة يجتمع فيها الماء . (١١) نواضب : غوائر .

وَمَنْ يستبلُّ المُسنِتونَ [(١)] بسَيْبِه [(٢)] ... فيَرجِعَ خُضْرًا بالسنين الأشاهِبِ [(٣)] ؟

ومولًى كشفتَ الضيمَ عنه وقد هَوَى ... به الذلُّ فى عَمياءَ ذاتِ غَياهِبِ

فلما رآك آستشعرَ النِّصْفَ وآستوتْ ... به رِجلُهُ فى واضحٍ مُتَلاحِبِ [(٤)]

وفيمن يُصاغُ الشعرُ بعدَك ناظِمًا ... عقودَ الثناءِ حاظيًا بالمَناقِبِ !

وأين أخوك الجودُ من كفِّ راغبٍ ... إذا لم تكن قَسَّامَ تلك الرغائبِ ؟

ومن ذا يعى صوتى ويمتدّ نُصرتى ... جهادا، وودّى من وشيجِ [(٥)] المَناسِبِ [(٦)] ؟

برغمىَ أنْ هبَّ النيامُ وأنى ... دعوتُكَ وجهَ الصبحِ غيرَ مُجاوِبِ

وأن لا تُرَى مُستعرِضا حاجَ رُفقةٍ ... ولا سائلًا : من أين مقْدَمُ راكبِ ؟

وكنتُ إذا ما الدهرُ شلَّ مَعاطِنى ... دعوتُك فاستنقذتَ منه سَلائبى

ذخيرةُ أنسى يومَ يوحشنى أخى ... وبابى اذا سُدَّتْ علىَّ مَذاهبى

وكم من أخٍ بَرٍّ وإن أنا لم أجِدْ ... كأَنْتَ أخًا فى أسرتى والأجانبِ

سَرَى الموتُ من أوطانه فى مآلفى ... ونقَّبَ من أخلافِهِ [(٧)] عن حبائبى

عجبتُ لهذى الأرضِ كيف تَلُمُّنا ... لتَصدَعنَا، والأرضُ أمُّ العجائبِ

نطارِدُ عن أرواحنا بِرِماحِنا ... ونَطرُبُ من أيامنا للحرائبِ

وتَسحَرنا الدنيا بشَبعةِ طاعمٍ ... هى السَّقَمُ المُرْدِى، ونَهلةِ شاربِ

أُحدِّثُ نفسى خاليًا [(٨)] بخلودها ... فأين أبى الأدنَى وأين أقاربى ؟

ولا كنتُ إلا واحدا من عشيرةٍ ... ولا باقيا فى الناس إلا آبن ذاهب

---

(١) المسنتون : المجدبون . (٢) السيب : العطاء والعرف . (٣) الأشاهب : يقال سنة شهباء أى لا خضرة فيها أو لا مطر . (٤) يريد بقوله متلاحب : واضح وهو من باب التوكيد لقوله "واضح" قبلها . (٥) الوشيج : اشتباك القرابة . (٦) المناسب : القرابات . (٧) الأخلاف جمع خَلْف وهو البقية من الناس، وفى الأصل "أخلاقه" . (٨) فى الاصل : "حاليا" .

فهل أنا أَنْجَى من مَقَاوِلِ "حِمْيَر"[1] وأمنعُ ظَهرا من مُشيَّدِ "مَارِب"[2] ؟

وهل أخَذتْ عهدَ "السموءلِ" لى يدٌ من الموت أو عندى حَنيَّةُ "حاجبِ"[3] ؟

أرُدُّ شِفارا عن نحورِ صَحابةٍ كأنى دَفَّاعٌ لها عن ترائبى

ولا عِلمَ لى من أىّ شِقّ مَصرَعى وفى أيِّما أرضٍ يُخَطُّ لجانبى

إذا كان سهمُ الموتِ لابدّ واقعا فياليتنى المرمىُّ من قَبلِ صاحبى

و ياليتَ مقبورا "بكوفان" شاهدٌ جوایَ ، و إن كانت شهادةَ غائبِ

ولَيتَ بِساطَ الأرض بينى و بينه طوتْه على الأعضادِ أيدى الركائبِ

فَعُجْتُ عليه واقفا فسلّما و إن هُوَ لم يَفقهْ حديثَ المُخاطِبِ

ولَيتَ طريفَ الودّ بينى و بينه ـ و إن طابَ يومًا ـ لم يكن من مكاسبى

سلامٌ على الأفراح بعدَك إنها ـ و إن عشتُ ـ ليست إربةً من مآربى

إذا دنّس الحزنَ السلوُّ غسلتُهُ فعاد جديدا بالدموعِ السواكبِ

و إن أحدثَتْ عندى يدُ الدهرِ نعمةً ذكرتُك فيها فاغتدتْ من مصائبى

أُدارِى عيونَ الشامتين تجلّدا وأبسِمُ منهم فى الوجوهِ القواطبِ

أُرِيهم بأنى ثابتُ الريش ناهضٌ وتحت جَناحى جانفاتُ المخالبِ

سَقَتكَ بمعتادِ الدموع مُرِشَّةٌ أفاويقُ[4] لم تُخدِجِ[5] بلمعةِ خالبِ

يلوث خطافُ البرقِ فى جَنَباتِها بهامِ الهضابِ السودِ حُمرَ العصائبِ

لها فوق مَتنِ الأرض ـ وهى رفيقةٌ بما صافحت ـ وَخْدُ القرومِ المصاعبِ

(١) المقاول جمع مِقول وهو الملك من حِمْيَر . (٢) مارب : يريد "مأرب" كمنزل : موضع باليمن ، وقيل اسم قصر بها . (٣) يريد حاجب بن زرارة حين وفد على كسرى وأرهنه قوسه ضمانا له بوفاء العرب . (٤) الأفاويق : ما اجتمع فى السحاب من ماء فهو يمطر ساعة بعد ساعة . (٥) لم تخدج أى لم يقلّ مطرها .

تَرَى كلَّ تُربٍ كان يَعتاضُ لينًا لما ، وغلامًا كلَّ أشمطَ شائبِ [١]
إذا عُمِّمتْ جَلْحاءُ [٢] أرضٍ بوبلها غدتْ روضةً وفراءَ ذات ذوائبِ
وإن كان بحرٌ فى ضريحك غانيا بجُمّاتهِ عن قاطراتِ السحائبِ

* * *

قال وكتب بها إلى الصّاحبِ أبى القاسمِ بنِ عبدِ الرّحيم رحمهُ الله، يهنئه بمقدَمِهِ من واسِطٍ، ويَستبشِرُ به، ويَذكُرُ خلاصَه من النَّبْوَةِ التى لحقتْه بها، وذلك فى صفر سنة أربع عشرة وأربعمائة

تزِلُّ الليالى مرَّةً وتصيبُ ويعزُبُ حِلمُ الدهرِ ثمَّ يثوبُ
وتَستلقِحُ الآمالُ بَعدَ حِيالها [٣] أوانًا ويَنأَى الحظُّ ثم يؤوبُ
ولولا قُفولُ الشمسِ بعد أُفولِها هوتْ مَعَها الأرواحُ حين تغيبُ
تَنَظَّرْ وإن ضاقتْ بصدرٍ رِحابُهُ فُروجَ صَلاحٍ ذَرعُهنّ رحيبُ
فما كلُّ عينٍ خالجتْك مريضةٌ وخطفةِ برقٍ خالستْك خَلوبُ
قَضَتْ ظُلُماتُ البُعدِ فيك قَضاءَها فصُبْحًا [٤] ، فهذا الفجرُ منك قريبُ
بدَتْ أوجُه الأيّام غُرًّا ضواحكا وكنَّ وفي آستبشارِهنّ قُطوبُ
وطارحْنني عُذرَ البرىءِ وربما سَبقنَ وفى أعذارهنّ ذُنوبُ
أَرى كَبِدِى قد أثلجتْ فى ضلوعها وكانت على جمرِ الفراقِ تذوبُ
وراحت إليها بعدَ طُولِ آلتياحِها صَبًا قَرَّةٌ تَندَى لها وتطيبُ
سَرَى الفضلُ من مَيسانَ يُشرِقُ بعدما أطال دُجَى «الزَّوراءِ» منه غروبُ

(١) يريد بقوله «وغلاما كل أشمط شائب» أن الأرض ترعرعت وآخضرت وعاد اليها لينها بعد يبسها وأن كل شائب عاد غلاما مترعرعا مما حلّ به من الخصب الذى أعاد للارض لينها وللشائب نضرته بما عاد عليه من ترف العيش ورفاهته . (٢) الجلحاء : الأرض التى لا نبات فيها . (٣) الحيال : عدم حمل الناقة . (٤) يريد فآنتظر صبحا .

وهبّت رياح الجودِ بُشرَى بقربِهِ لها سالفٌ[1] من نشرِها وجنيبُ
وما خِلتُ أن البدرَ يطلُعُ مُصعِدا ولا أنَّ ريحَ المكرماتِ جَنوبُ
تزاحمتِ الأيّامُ قبلَ لقائه بجنبيَّ من ذنب الفراقِ تتوبُ
وتُقسِمُ لى أيمانَ صدقٍ بأنْ غدًا تراه، وبعضُ المُقسِمين كذوبُ
وقد زادنى شكرا — لحُسنِ وفائها بما وَعَدَتْ — أنَّ الوفاءَ غريبُ
كفَى البين، أنى لِنْتُ تحتَ عِراكِهِ ونُحِتُ وعُودى فى الخطوبِ صليبُ
وقاربتُ من خَطوِى رِضًا بقضائِهِ ولى بين أحداثِ الزمانِ وُثوبُ
حملتُ وُسوقَ البُعدِ فوق أضالع من الثِّقْلِ عَضّاتٌ بها ونُدوبُ
أَخُبُّ حِذارَ الشامتينَ تجلُّدا بهنّ وما تحتَ الجِبالِ[2] نجيبُ
فإن تُعقبِ الأيّامُ حُسنَى تسوءُها فللصبرِ أُخرَى حُلوةٌ وعَقيبُ
سَمَتْ أعينٌ مغضوضةٌ، وتراجعتْ الى أُنسِها بعد النفور قُلوبُ
وعادت تسرّ الرائدين خميلةٌ تَعاورَها بَعدَ "الحسَين" جُدوبُ
فماءُ الندَى عَذبُ اللِّصابِ[3] مُرَقْرَقٌ وغصنُ المُنَى وَحْفُ[4] النباتِ رطيبُ
سيُلقِى عصاهُ وادعًا كلُّ خابطٍ على الرزقِ يطوِى أرضَه ويجوبُ
وهل ينفُضُ الجوَّ العريضَ لنُجعةٍ أريبٌ، وواديه أعمُّ خصيبُ؟
أقولُ لآمالى وهنّ رواقدٌ: خذى أُهبةَ اليقظانِ، حانَ هُبوبُ
إذا الصاحبُ آستقبلتِ غرّةَ وجهِهِ بدا قمرٌ وافٍ وماسَ قضيبُ
ولم تَفتحِى الأجفانَ عن طَرْفِ لافتٍ الى نائباتِ الدهرِ حين تَنوبُ
سلامٌ! وحيّا اللهُ والمجدُ سُنّةً لها فى دُجُنّاتِ الظلامِ ثُقوبُ

---

(١) السالف: السابق. (٢) الجبال: الكَلّ. (٣) اللصاب جمع لِصْب وهو مضيق الوادى. (٤) الوحف: الكثير الملتف.

وزادت عَلاءً فى الزمان وبَسْطَةً ... يَدٌ تُضرِمُ الأنواءُ (١) وهى حَــلُوب
لآثارِهـا فى كلِّ شهباءَ (٢) روضـةٌ ... وفى كلِّ عَميـاءِ المِيـاهِ (٣) قليبُ
حمى مجـدَهُ وافى الحمـائل سيفُهُ ... غيورٌ اذا ما المجـدُ ضِيمَ غَضوبُ
له كلَّ يَومٍ نهضةٌ دون عِرضـهِ ... اذا نام حُبـا للبقاءِ حَسيبُ
قليلةُ أُنسِ الجفنِ بالغُمْضِ عينُـهُ ... وللعـارِ مَسرًى نحـوه ودبيبُ
إذا سال وادى اللُّؤمِ حَلَّتْ بيوتُهُ ... بأرعنَ (٤) لا ترقَى إليـه عُيـوبُ
وقامَ بأمرِ المُلك يَحسِـمُ داءَهُ ... بصـيرٌ بأدواءِ الزمانِ طبيبُ
له مَـدَدٌ من سـيفِهِ ولسانِهِ ... قؤولٌ إذا ضاقَ المَجـالُ ضَروبُ
إذا يَبِستْ أقلامُـهُ أو تصامتتْ ... فصارِمُهُ رَطْبُ اللسانِ خَطيبُ
يُرَى كلَّ يومٍ لا بسًا دَمَ قارنٍ (٥) ... له جَسَـدٌ فـوق الترابِ سَليبُ
ولم أرَ مثلَ السيف عُريانَ كاسيًا ... ولا أمردَ الخـدَّين وهو خضيبُ
وقد جرّبوه عاطِــلًا ومقــلَّدا ... وقادوه يَعْصِى حبـلَهُ ويُجيبُ
فـا وَجَدُوا مَعْ طُولِ ما آجتهدوا له ... فتًى عنــه فى جُلَّى تنوبُ ينوبُ
فعادوا فعـاذوا ناهضين بعـاجزٍ (٦) ... حضورُهُـمُ ما أخّروه مَغيبُ
أمينٌ على ما ضـيَّعوا من حقوقه ... سليمٌ، وودّ الغـادرين مَشوبُ
من البيضِ، إلا أن يُحلِّ وجوهَهُم ... ـإذا هُجِروا خَلْفَ الترابِ ـ شُحوبُ
صِباحٌ، نجومُ العزِّ فوق جِباههم ... طوالعُ غُـرٌّ، والنجـومُ تغيبُ

---

(١) الأنواء جمع نوء وهو المطر . (٢) يريد بالشهباء : السنة المجدبة . (٣) يريد بعمياء المياه : المفازة التى لا ماء فيها . (٤) الأرعن : الجبل . (٥) القارن : الذى معه سيف ونبل أو رمح وجعبة . (٦) العاجز : السابق ، مأخوذ من قولهم : عاجزه فعجزه فهو عاجز بمعنى سابقه فسبقه فهو سابق .

عصائبُ تيجان الملوك سِماتُهم ... ويومُهُمُ تحتَ الرِّماح عَصيبُ
إذا حِيزَ بيتُ الفخرِ حَلَّقَ منهُمُ ... عليه شَبابٌ طيِّبونَ وشِيبُ
لهم كلُّ مقرورٍ عن الحِلم، ظَنُّهُ ... يقينٌ، وهَافٍ[1] عزمتيه لبيبُ
تَغيضُ أكفُّ الواجدين وكَفُّهُ ... على العُدْمِ تَهمِى مرّةً وتصوبُ
تكادُ من الإشراق[2] جِلدةُ خدّهِ ... تَغَصُّ بماءِ البِشر وهْو مَهيبُ
يقيكَ الردَى غُمْرٌ[3] يُجاريك فى النَّدَى ... فيعقِلُ عِيٌّ رُشْغَهُ ولُغوبُ
إذا قمتَ فى النادى بريئًا من الخنا ... تلفَّتَ من جنبيهِ وهْو مريبُ
تتبَّعَ يقفو الخيرَ منك بشرِّهِ ... خِداعًا، كما قَصَّ المَشمَّةَ ذِيبُ
تنبَّهَ مشروفًا بغلطةِ دهرِهِ ... وبِتَّ بمجدٍ أنتَ فيهِ نسيبُ
وقد يُنهِضُ الحظُّ الفتى وهْو عاجزٌ ... لحاجاتِهِ حتى يقالَ: نجيبُ
أنا الحافظُ الذوّادُ عنك وبيننا ... وَشائعُ[4] من بُسْطِ الفلا وسُهوبُ[5]
شَهَرْتُ لسانًا فى ودادك، جُرْحُهُ ... – إذا حزّ فى جِلدالنفاقِ – رَغيبُ
لك الجُمّةُ الوطفاءُ[6] من ماءِ غَربِهِ ... وعند العِدَا حَرٌّ له ولهيبُ
يَسُرُّك مكتوبا وشخصُك نازحٌ ... ويرضيك مسموعًا وأنتَ قريبُ
وكيف ترونى قاعدا عن فريضةٍ ... قيامى بها حقٌّ لكم ووُجوبُ
وفيكم نما غُصنِي وطالت أراكتِي ... وغودرَ عيشى الرثُّ وهو قشيبُ
شَوَى[7] كلُّ سهمٍ طاحَ لى فى سواكُمُ ... ولى شُعبةٌ من رأيكم ونصيبُ
ولى بَعْدُ فيكم ذَروةٌ ستنالُها ... يدى، ومُنًى فى قولها ستُصيبُ

(١) الهافى: الزّالّ. (٢) فى الأصل: "الأشواق". (٣) الغمر: الجاهل.
(٤) الوشائع جمع وشيعة وهى الطريقة فى البُرد. (٥) سهوب جمع سهب وهو ناحية الفلاة التى لا مسلك فيها. (٦) الوطفاء: السحابة الدائمة السَّحّ. (٧) الشوى: الأطراف، ويقال شواه فأشواه أى أصاب شواه ولم يصب مقتله ثم استُعملَ فى كلّ من أخطأ غرضًا.

متى تذكروا حـقِّ أَبِتْ بوفائكم وظَهْرُ العـلى العاصِى علىَّ رَكوبُ
طَرِبتُ وقد جاء البشـيرُ بقربكم وذوالشوقعندآسمِ الحبيبِ طَروبُ
وقمتُ إليـه راشـفًا من ترابِه ثرًى لك يحـلو رشـفُهُ ويطيبُ
فـلا كانَ يا شمسَ الزمانِ وبَدْرَهُ لسعدِك من بعـدِ الطلوعِ مَغيبُ
ولا زلتَ مطلوبًا تفوتُ، ومُدرِكًا أواخرَ ما تبـغِى وأنتَ طَلوبُ
كأنك من حَبِّ القلوبِ مصوَّرٌ فأنتَ إلى كلِّ النفوسِ حبيبُ

* * *

(٢٧) وقال يفخَر

أَعْجِبَتْ بى بين نادى قومِهـا "أمُّ سعدٍ" فمضَتْ تسألُ بى
سَرَّهـا ما عَلِمتْ من خُلُقى فأرادتْ عِلمَهـا ما حَسَـبِى
لا تخـالى نَسَـبا يخفِضُنى أنا مَن يُرضيكِ عنـد النسبِ
قَوْمِىَ آستولَوْا على الدهرِ فَتًى ومَشَـوْا فوق رءوسِ الحِقَبِ
عمَّموا بالشـمسِ هاماتِهـمُ وبنَـوْا أبياتَهـمْ بالشهُبِ
وأَبِى "كِسرَى" على إيوانهِ، أين فى النـاس أبٌ مثلُ أبى ؟
سَـوْرةُ الملكِ القُـدامَى وعَلَى شَرَفِ الإسـلامِ لِى والأدبِ
قد قَبستُ المجدَ من خيرِ أبٍ وقبَستُ الدينَ من خـيرِ نبى
وضَممتُ الفخرَ من أطـرافِهِ سوددَ الفرسِ ودينَ العـربِ

* * *

وقال يمدح مؤيِّد الملك سيِّدَ الوزراء أبا علىٍّ، وأنشدها فى المِهرَجان الواقع فى رجب سنة أربع عشرة وأربعمائة

أَجِدَّكَ[1] بعدَ أن ضَمَّ "الكثيبُ"[2]   هـل الأطلالُ إن سُئلتْ تُجيبُ ؟

وهل عَهدُ "اللِّوَى" "بزَرُودَ"[3] يُطفِى   أُوامَك[4] ؟ إنه عهـدٌ قـريبُ !

أعِـدْ نظـرًا فـلا خنساءَ جارٌ   ولا "ذو الأثلِ"[5] منك ولا "الجَنوبُ"

إذا وطَنٌ عن الأحبابِ عَزَّى   فلا دارٌ "بنجـدَ" ولا حبيب

يمـانيـةٌ ، تلوذُ "بذى رُعَينٍ"[6]   قبائلُهـا المنيعـةُ والشـعوب

حمتهـا أن أزورَ[7] نوًى شَطُونٌ[8]   براكبهـا ، وراحـةٌ شَبوبُ

مُلَمْلَمَـةٌ تضيـقُ العينُ عنهـا   إذا شَرِقتْ بجُمَّتِهـا السُّهوبُ

ومُعجَـلةٌ عن الإلجام قُبٌّ[9]   أعِنَّتُهـا الى الفـزع السبيبُ

وإنك "بالعـراقِ" وذِكرَ حىٍّ   على "صَنعاءَ" تَحُـلُمُ الكذوبُ

لعـلّ البانَ مطلولًا "بنجـد"   ووجهَ البدرِ عن "هندٍ" ينوبُ

ألا يا صاحـبىَّ تطلَّعـا لى   "أُشَىَّ"[10] هل اكتسى الأيكُ السليبُ ؟

وهل فى "الشِّرب" من سُقيا فإنى   أرى فى "الشِّعبِ" أفئدةً تَلوبُ[11]

أكفكفُ بالحمى نزَواتِ عينى   وقد غَصَّتْ بأدمعهـا الغُروبُ[12]

وأحـلُمُ والمطـايا يقتضِـيها   دُوَينَ حنينها الحـادِى الطَّروبُ

فمَنْ يجهـلْ به أو يَطْغَ شـوقٌ   فشـوقى لا أبا لكما لبيبُ

وبِيـضٍ راعهنّ بيـاضُ رأسى   فكـلُّ محبَّبٍ مـنّى معيبُ

---

(١) أجِدَّك معناه : أجِدًّا منك ، أو أبجِدٍّ هذا منك . (٢) الكثيب : اسم موضع بالبحرين .
(٣) اللوى وزرود : موضعان . (٤) الأوام : حَرُّ العطش . (٥) ذو الأثل والجنوب : موضعان . (٦) ذو رعين : ملك من ملوك اليمن . (٧) فى الأصل : "أز" فرجحنا كلمة "أزور" . (٨) الشطون : البعيدة . (٩) القُب : جمع قَبَّاء وهى الفرس الدقيقة الخصر .
(١٠) أشىّ : اسم واد . (١١) الشِّربُ والشِّعب : موضعان ، وتلوب : تحوم على الماء .
(١٢) الغروب جمع غَرْب وهو مُقدِمُ العين ومُؤخِرُها .

عَددنَ ـ مذ ٱلتثمتُ به ـ ذُنوبى ... وقبلَ الشَّيبِ أُحْبِطتِ الذنوبُ
يُجِدُّ المرءُ لِبْسَتَهُ ويُبلِى ... وآخِرُ لِبْسَةِ الرأسِ المَشيبُ
وكنتُ إذا عتبتُ على الليالى ... وفى وجهى لها لونٌ نسيبُ
أطاعَ شبابُها حِفظًا شبابى ... فجاءت من إساءتها تُنيبُ
فما بالى أرى الأيّامَ تُنحِى ... علىَّ مع المشيبِ وهنّ شيبُ
عَذيرِى من سَحيلِ الودّ[1]، تحوِى ... حقيبةَ رحلهِ مَرَسٌ[2] تُخيبُ[3]
وَفَى لِى وهو مَحْصُوصٌ[4] وأضحى ... غداةَ ٱرتاش وهو علىَّ ذِيبُ
ومحسودٍ علىَّ تضيقُ عنّى ... خلائقُهُ وجانبُهُ رَحيبُ
لَطِيتُ[5] له فغرَّ بلينِ مسّى ... وربَّ كمينةٍ ولها دبيبُ
تَوَقَّ عِضاضَ مختمرٍ[6] أُخيفَتْ ... جوانبُهُ وفى فيه نُيوبُ
فإن الصِّلَّ يُحذَرُ مستميتًا ... وتحتَ قُبوعِهِ أبدًا وُثوبُ
ولا تُثْلِمْ ودادَك لى بغَدرٍ ... فقد يتثلَّمُ النسبُ القريبُ
أنلنى بعضَ ما يُرضى فلو ما ... غضبتُ حَمانِىَ الأنفُ الغَضوبُ
ومَنْ هذا يردّ عِنانَ طِرْفِى ... اليك ، إن ٱستمَرَّ بِىَ الرُّكوبُ؟
ستَرمِى عنكَ بى إبلى بعيدا ... وتنتظرُ الإيابَ فلا أؤوبُ
وربّتما أتاكَ بنشرِ صيتى ... وواسعِ حالِىَ النبأُ العجيبُ
أُخوَّفُ بالخيانةِ من زمانى ... وقد مَرَنَتْ على القتَبِ النُّدوبُ
وما وادعتُهُ منذ ٱحتربنا ... على سِلْمٍ ، فتوحشَنى الحروبُ!



(١) السحيل : الخيط غير المفتول ويراد به الضعيف . (٢) المرس : الحبال واحدها مَرَسةٌ . (٣) أى تخيب من يتعلق بها . (٤) المحصوص : الذى لا ريش له . (٥) لطيت له : من لَطِىَ بالارض : لصق بها ، كناية عن الخضوع . (٦) المختمر : لابس الخمار .

وكيف يُريبنى منه بيومٍ — زمانٌ كلُّه يومٌ مريبُ؟
وإنى مذ غدت هممى سيوفا — لَأَعلَمُ أننى أبدا ضَريبُ
وما جنتِ الذى يجنيه قلبى — على جسمى العُداةُ ولا الخُطوبُ
لئن أبصرتَنى رَثًّا مَعاشى — أُطوِّفُ حولَ حظّى او أجوبُ
فَتَحْتَ خَصاصتى نفسٌ عَزوفٌ[1] — وحَشوَ مَعاوِزى[2] كَرَمٌ قَشيبُ
سلى بيدى الطُّروسَ وعن لسانى — فَوارِكَ[3] لا يلاءمها خَطيبُ
لها وطنُ المقيم بكلِّ سمعٍ — تمرّ به ، وسائرُها غريبُ
بوالغُ فى مَدَى العلياءِ لو ما — أعانَ رُكودَها يوما هُبوبُ
لئن خَفَّتْ على قومٍ ودقّتْ — فما يُدعَى بها منهم مُجيبُ
ونَقَّرها رِجالٌ لم يُرَوِّحْ — على أفهامِهم منها عَزيبُ[4]
فعند "مؤيِّدِ المُلكِ" اطمأنَّتْ — وضمَّ شَعاعَها المرعَى الخصيبُ
فكم حقٌّ به وَجَدَ انتصافا — وظَنٌّ فى نداهُ لا يخيبُ
وواسعة الذراعِ[5] ، يَغُرُّ فيها — عيونَ العيسِ رقّاصٌ خَلوبُ[6]
اذا استافَ[7] الدليلُ بنا ثراها — أرابَ شميمَه التُّربُ الغريبُ
تُخفِّضنا وترفعُنا ضَلالًا — كما خَبَّتْ براكبِها الجَنوبُ
اذا غَنَّتْ لنا الأرواحُ فيها — تطاربتِ العمائمُ والجيوبُ
عمائمُ زانها الإخلاقُ لِيثَتْ — على سُنَنٍ وَضاءتُها الشُّحوبُ
قطعناها اليك على يقينٍ — بأنّ الحظَّ رائدُه اللُّغوبُ

---

(١) عزوف : زاهدة . (٢) مَعاوز جمع مِعوز وهو الثوب الخَلَق الذى يُبتذل لأنه لباس المعوزين . (٣) الفوارك : النواشز من أزواجهن ، ويشير الشاعر بذلك الى استعصاء قصائده على كلّ خطيب . (٤) فى الأصل : "غريب" وهو تحريف وقد مر تفسير العزيب . (٥) يريد "بواسعة الذراع" : الصحراء . (٦) يريد "بالرقّاص الخلوب" : السراب . (٧) استاف : شمّ .

تَرَى[1] ما لا تَرَى الأبصارُ منها ... كأنَّ عيونَها فيها قلوبُ
الى ملِكٍ مخضَّرةٍ رُباهُ ... جَمادُ الرزقِ من يدهِ يذوبُ
يَغيضُ بنا ويملُحُ كلُّ ماءٍ ... وماءُ بنانِهِ عِدٌّ[2] شَروبُ
تناءَتْ عنه أقدامُ الأعادى ... كأنّ رُواقَه الغابُ الأشيبُ[3]
اذا ركب السريرَ عَلا فأوفَى ... على مَرْبأتِهِ[4] أقْنَى[5] رَقوبُ
يعولُ الأرضَ ما كسبَتْ يَداهُ ... وما كلُّ آبنِ مَرْقَبةٍ كسوبُ
متينُ قُوَى العزيمةِ ألمعِىٌّ ... اذا ما آرتابَ بالفكرِ الأريبُ
يريه أمسِ ما فى اليومِ رأىٌ ... تُمِلُّ على شهادته الغيوبُ
بِذَبِّك مِن وراء الملكِ قامت ... دعائم منه وآلتامتْ شُعوبُ
حملتَ له بقلبِك ما تركتَ الـ ... ـجبالَ به تُفاخِرُها القلوبُ
تَضَرَّمُ فِتنةٌ وتضيقُ حالٌ ... وصدرك فيهما ثَلِجٌ رحيبُ
وكم أشفَى[6] به داءٌ عُضالٌ ... وصنعُ اللهِ فيك له طبيبُ
طلعتَ على البلاد، وكلُّ شمس ... تضىء قد آستبدَّ بها الغروبُ
وقد قَنِط الثرى وخوتْ أصولُ الـ ... ـعضاهِ وصَوَّحَ العُشبُ الرطيبُ
ونارُ الجَورِ عاليةٌ تَلظَّى ... وداءُ العجزِ منتشِرٌ دَبوبُ
فكنتَ الروضَ تُجلِبه[7] النُّعامَى[8] ... وماءَ المزنِ منهمرا يصوبُ

---

(١) فاعل "ترى" ضمير يعود الى العيس فى قوله السابق

* عيونَ العيس رقّاص خلوبُ *

(٢) العدّ: الماء الجارى الذى لا ينقطع. (٣) الأشيب: الشجر الملتفّ. (٤) المربأة: المرقبة وسُهّلت الهمزة للضرورة. (٥) الأقنى: الذى آرتفع وسط قصبة أنفه مع ضيق المنخرين وهو من صفات المدح فى البازى والصقر. (٦) أشفى به: أودى به. (٧) تجلبه: تجعله ذا جلبة. (٨) النعامى: ريح الجنوب.

كأنك غُرَّة الإقبال لاحت ... بعقب اليأس، والفرجُ القريبُ
هنا(١) أُمّ الوزارة أن أتاها ... على الإعقام منك ابنٌ نجيبُ
وأنك سيّد الوزراء معنًى ... به سُمِّيتَ، والألقابُ حُوبُ
ولو أتتِ السماءُ بمثلك ابنًا ... لمَا كانت طوالعها تغيبُ
بك اجتمعتْ بدائدُها، ولانت ... معاطفُها، ومَعْجَمُها صليبُ
فلا تتجاذب الحسّادُ منها ... عُرى يَعيا بمِرّتها(٢) الجذيبُ
ولا يستروحوا نفحاتِ عَرفٍ ... لها، بثياب غيرك لا تَطيبُ
نصحتُ لهم لو انّ النصحَ أجدى ... ولم يكن المشاورُ يستريبُ
وقلتُ: دعوا لمالكها المعالى ... ففى أيديكُمُ منها غُصوبُ
خذوا جُمّاتِه(٣) الأُولَى وخلُّوا ... أقاصِيَ لا يخابطها ذَنوبُ(٤)



فكم من شرقةٍ بالماء تُردِى ... وإن كانت به تُشفَى الكروبُ
لك اليومانِ تكتُبُ أو تَشُبُّ ال ... وغى، وكلاهما يومٌ عصيبُ
فيومُك جالسًا قلمٌ خطيبٌ ... ويومُك راكبًا سيفٌ خضيبُ
جمعتَ كفايةً بهما وفتكًا ... ومَجْمعُ ذين فى رجلٍ عجيبُ
وضيّقةِ المجالِ(٥) لها وميضٌ ... قِطارُ سمائه العَلَقُ الصبيبُ
وقفتَ له، حسامُك مستبيحٌ ... محارمَها، وعفوُك مستثيبُ
ومسودِّ اللِّثاتِ(٦) له لُعابٌ ... يجِدُّ الخطبُ وهو به لَعوبُ
يُجال على الطروس شُجاعَ(٧) رملٍ ... اذا ما عضَّ لم يَرْقَ الاسيبُ(٨)

---

(١) هنا: أصلها هنأ وسهّلت الهمزة. (٢) المرّة: القوّة. (٣) جُمّات جمع جُمّة وهى مجتمع ماء البئر. (٤) الذنوب: الدلو. (٥) يريد بضيّقة المجال: الوغى. (٦) يريد بمسودّ اللثات: القلم. (٧) الشجاع: الحيّة أو الذكر منها. (٨) اللسيب: الملدوغ.

تَغلغــلُ منـــه فى مهج الأعادى ... جَوائفُ[١] جُرحُهـا أبدا رغيبُ[٢]

اذا مَـلَكَ الرقابَ به آمترينـا ... مضى قـلمٌ بكفّك أم قضيبُ؟

ومضْطَهَدٍ طردتَ الدهرَ عنـه ... وقد فَغـرتْ لتفرِسَه شَـعوبُ[٣]

اذا عُصرت من الظـمأ الأَداوَى[٤] ... على الإعيـاء أو رُكب الجنيبُ

فنِعم مُنـاخَ ظالعـةٍ[٥] وسَـقْيًا ... ذَراكَ الرحبُ أو يدُك الحلوبُ[٦]

عُلَا "رُنْجِيـةٍ"[٧] الأبياتِ خُطّتْ ... على شمـاءَ ينصفها "عسيبُ"[٨]

لهـا عَمَـدٌ على صـدر الليالى ... وفوق أوائل الدنيـا طُنـوبُ

صفا حَلَبُ الزمان لهـا، وقامت ... لدعوتهـا الممـالكُ تسـتجيبُ

وما مِن دولةٍ قَدُمت وعزت ... وإلّا ذكرُهـا بِكُمُ يطيبُ

ومنـــكم فى سيـاستهـا رجالٌ ... فُحُـولٌ أو لكم فيهـا نصيبُ

كرامٌ تُسـنَد الحسـناتُ عنهم ... وتَزلَقُ عن صَفاتِهِـم العيوبُ

مضَـوا طَلَقًا بأعـداد المساعى ... وجئتَ ففتَّ ما يُحصِى الحسيبُ

قنـاةٌ، أنت عامِلُهـا شروعا ... الى نحـــر السما وهم الكعوبُ

وخـيرُ قبيـلةٍ شرفًا مـلوكٌ ... لمجـدك منهمُ عِرقٌ ضَروبُ

فلا وضَحَ النهـارُ ولستَ شمسا ... ولا أَزرَى بمَطلِعك المغيبُ

ولا برحتْ بك الدنيـا فتـاةً ... تَرِبٌّ[٩] كما آكتسى الورقَ القضيبُ

---

(١) جوائف جمع جائفة وهى طعنة تبلغ الجوف ، وفى الأصـل " خوائف " وهو تحريف .

(٢) الرغيب : الواسع . (٣) شعوب : اسم المنية . (٤) الأداوى جمع إداوة وهى إناء صغير من جلد . (٥) فى الأصل : " طالعة " . (٦) فى الأصل : " الجلوب " وهو تحريف .

(٧) رُنْجِيَّة : وردت هذه النسبة فى صحيفة (٤٤) سطر (١٥) عند قوله " وقال يمدح سيّد الوزراء أبا علىّ الرُّنْجِىّ " وقد أثبتناها كما وردت بالأصل وبالبحث عنها لم نجد غير " رُنَّج " والوزن هنا يقتضى أن تكون كما وردت بالأصل . (٨) عسيب : اسم جبل . (٩) تَرِبّ : تُرَبِّى وتُنَمِّي .

اذا ما حزتها آنتفضت عِطارا[(١)] ... ســوالفُها بعـدلك والتريبُ

ومات الدهرُ وآنطوتِ الليالى ... وملكُك لا يموتُ ولا يشيبُ

وقام المِهـرَجانُ فقـال مثـلَ الـ ... ـذى قلنـا وآبَ كما نؤوبُ

وعادك زائرا ما كرَّ ليـلٌ ... لسعدك بين أنجمه ثقوبُ

بك آستظللتُ من أيامِ دهرى ... ومن رَمضائها فوقى لهيبُ

كفيتنِيَ السـؤالَ فما أبالى ... سواك مَن المنوعُ أو الوهوبُ

وغِرتَ على الكمال فصنتَ وجهى ... فليس لمائه الطامِى نُضوبُ

مكارمُ خضّرتْ عُودى وروّتْ ... ثراه وقد تعاوَره الجُدوبُ

تُواصلنى مَثانِىَ أو وحادا ... كما يَتناصر القَطْرُ السَّكوبُ

فما أشكو سوى أنّى بعيدٌ ... وغيرى يومَ ناديكم قريبُ

أفوّقُ عزمتى شوقا اليكم ... ويَقبِضُنى الحياءُ فلا أصيبُ

أصدُّ وضِمنَ دَستِك لى حبيبٌ ... عليه من جلالته رقيبُ

اذا آمتلأتْ لحاظى منك نورا ... نزا قلبى فطار به الوجيبُ[(٢)]

يُميلُ اليك بِشرُك لحظَ عينى ... ويَحبِسُ عنك مجلسُك المَهيبُ

ولو أنى بُسِطتُ لكان سعيٌ ... وبَلَّ بِلالَه الشوقُ الغَلوبُ

أبيتُ فما أُجيبُ سواك داعٍ ... ولكنّى دعاءَكُمُ أجيبُ

فإن يكن انقباضى أمسِ ذنبا ... فمنذ اليومِ أُقلِعُ أو أتوبُ

وتحضُرُ نابياتٌ[(٣)] عن لسانى ... فواقرُ[(٤)] ربُّها عبدٌ منيبُ

---

(١) هكذا بالنسخة المطبوعة وفى الأصل * اذا ما أخللتنا آنتقضت عطارا * وهو غير متزن ومحرف . (٢) الوجيب : الخفقان . (٣) نابيات : شاردات . (٤) فواقر جمع فاقرة وهى التى تنقب الخرز أو الدر للنظم و يريد أن قصائده ستأتى الممدوح ثاقبة درّ مديحه .

أوانسُ في فمي متيسّراتٌ … اذا ذُعِرتْ من الكلِم السُّروبُ
اذا أعيتْ على الشعراء قِيدتْ … اليَّ وظهــرُ ريِّضها رَكوبُ
بقِيتُ وليس لي فيها ضريبٌ … ولا لك في الجزاءِ بها ضريبُ (١)
تُصاغ لها الحماسةُ من معاني … علاك، ومن محاسنِك النسيبُ
رعَيتُ بهنّ من أمَلِي سمينا … لديك، وحاسدي غيظا يذوبُ
وهل أظمَا، وهذا الشعرُ سَجْلٌ (٢) … أمــدُّ به، وراحتك القَليبُ؟

(٣٠)

* * *

وقال يعزّي أبا الحسين بن رَوْح النّهَروانيّ عن ابنتين له تُوُفّيتَا في مدّةٍ قريبةٍ، ويتوجّع له لحرمةِ الصداقةِ بينهما

على أيّ أخلاق الزمان أعاتبُهْ … وما هــو إلا صَرفه ونوائبُهْ
تَفَرّى أديمي (٣) وهو بُتْرٌ شِفارهُ … وجافت (٤) جروحي وهو صُمٌّ (٥) مَخالبُهْ
نُدوبٌ تُقفّي هذهِ عَقبَ هذهِ … وداءٌ اذا ما باخ (٦) أوقدَ صاحبُهْ
شغَلتُ يدي حينا بعدّ ذنوبِه … وزِدن فقد تاركتُه لا أحاسبُهْ
طرحتُ سلاحي وانترعتُ تمائمي … وضاربُه يُنحِي عليّ وسالبُهْ
ببِيضٍ من الأيام هنّ سيوفهُ … وسودٍ من الليلاتِ هنّ عقاربُهْ
أُداجِيه (٧) حتّى يرانِيَ راضيا … مِرارا، وأَعصِي مرّة فأغاضبُهْ
فلا هو إن أطريتُه قابضٌ يدًا … ولا خائفٌ عارا بما أنا عائبُهْ
نصحتُك لا تُخدَعْ بسنّةِ وجهِه … فشاهده حُسْنٌ تَشوّهَ غائبُهْ

---

(١) الضريب : المثيل . (٢) السجل : الدلو . (٣) تفرّى أديمي : انشق جلدي .
(٤) جافت : بلَغَت الجوف . (٥) صُمّ جمع أصمّ وهو الصلبُ المتين . (٦) باخ : خمد .
(٧) أداجيه : أوافقه .

ولا تُمهِّدْ قِعدةً فوقَ ظهرِهِ ... فما هو إلا ضيغمٌ أنت راكبُهْ

تَردَّى رجالٌ قبلنا وتقطَّرت(١) ... بهم شُهبةٌ دون المَدِىِّ(٢) وشاهِبهْ(٣)

وصَرَّحَ عمّا ساءهم طولُ مَحضِهِ ... خبائثَ جرّتها عليهم أطايبُهْ

حبائلُ مكتوبٌ لها نصرُ كيدها ... من الله، لا يُمحَى الذى هو كاتبُهْ

فمن مغلَقٍ مستعجَلٍ أو مؤخَّرٍ ... مُراخِيهِ يوما لا مَحالةَ جاذبُهْ

تصامَمتُ عن داعى المنونِ مغالطا ... وإنّى على طول السكوت مُجاوبُهْ

وقدّمتُ غيرى جُنَّةً أتّقى بها ... ومن يوقَ من راميه لا بدّ صائبُهْ

أخلّاىَ، أيمُ اللهِ أَطلب ثأرَكم ... من الدهر، لو قد أدركَ الثأرَ طالبُهْ

أفى كلّ يومٍ لى قضيبٌ مُخالَسٌ(٤) ... وذخرٌ نفيسٌ منكم الموتُ غاصبُهْ؟

وكاسٍ من العلياء والحسنِ، يعتدى ... ـــ سليبا على سيفى وسَوطِىَ ـــ سالبُهْ

تَطيحُ به زَندى، وجَهدُ تحفُّظى ... بميثاقِهِ فى الغيب أنّىَ نادبُهْ

وكم منكمُ كالنجم رُعتُ به الدُّجى ... زمانا، خبا بعد الإضاءةِ ثاقبُهْ

وآخَرُ لمّا سامَحَتْنى بأصله الـ ... ـمنايا ذَوتْ أغصانُهُ وشعائبُهْ

وأضحى بنوه غِبطةً وبناتُهُ ... تُسَلُّ بهم أنيابُهُ ورواجِبُهْ

فينزو بلبّى شجوُهُ، وتُصيبنى ... بموضعه من سِرّ قلبى مَصائبُهْ

ألا يا أخى للودّ دنيًّا(٥)، وكم أخٍ ... لأمّى بعيداتٍ علىّ قرائبُهْ

لحا الله خَطبا، شَلَّ(٦) سرحَك طردُهُ ... وجمَّعَ فى إلهابِ قلبك حاطِبُهْ

رمَتْك يدُ الأيّام عن قوسِ قارنٍ ... اذا هو والى لم تخنه صوائبُهْ

سقتك بكفٍّ أدهقَتْ لك ثانيا ... ولمّا يُفِق من أوّلٍ بعدُ شارِبُهْ

(١) تقطّرت بهم: ألقتهم. (٢) المدىُّ: الحوض لا تنصب حوله حجارة. (٣) الشاهب: من الخيل الذى غلب بياضه على سواده. (٤) مخالَس: معجَل. (٥) يقال: هو ابن أخى أو ابن عمّى دِنيا أى لحًّا (٦) شلّ: أذهبَ.

فقرحٌ وقرحٌ لم تـــلاحَمْ نُدوبُهُ ودمعٌ ودمعٌ ما تعـــلّق ساربُهْ
ويا ليتـــه لمّـا تثـــنّى تعلّقتْ مقاديرهُ ، أو آستوين مَراتبُهْ
ولكنّها كفٌّ هوتْ إثر إصبـع وحارِكُ(١) ظهـرٍ بعـدهُ جُبَّ غاربُهْ
حَصاتان من درٍّ حَصاتانِ(٢) لم تطِرْ يدٌ بهـما ، مادنّس الدُّرَّ ثاقبُـهْ
هما(٣) بيضتـا كِنٍّ بجـانبِ مُلبِس(٤) حـماه الطروقَ تيهُـهُ وسَباسِبُهْ(٥)
حرامٌ على السارى تضيعَ على القطا أفاحيصُـــهُ(٦) فى جـوّه ومَساربُهْ
يحوطهما ما آستطاعَ وحفُ جَناحِهِ شِعارُهمـا دون التراب ترائبُـهْ
تراه يُصادى حاجبَ الشمسِ عنهما لو آنّ الردَى ما أحرز الشيءَ هائبُهْ
رزِئتَهما شمسيْنِ أقسمَ فيهـما ظلامُ الأسَى ألّا تجَـلّى غياهبُـهْ
يعـدّون خُرْقا بالفـتى فى بنـاتِهِ اذا ما بكَى أو ذلَّ للحزنِ جانبُهْ
وكم من كـريم عَزّهُ نجبـاؤه فعـزّ بمـا ساقت اليـه نجائبُـهْ
وبعضُ البناتِ مَن بهـا يُنتَج العُلا وبعضُ بنى الإنسان فى الحىّ عائبُهْ
فإلّا تكونا صارمين خِـذْوتا(٧) حُسامٍ عتيقٍ لا تُفَـلُّ مَضارِبُهْ
أخى الحـلم لم يَملِك عليـه حياؤه ولا كذّبتْـهُ فى الزمان تجاربُهْ
اذا ولَدَ آسـتذكرنَ حزمًا إناثُهُ(٨) كما ذُكّرتْ أخـلاقُهُ وضرائبُـهْ
تعزَّ آبنَ "رَوحٍ" إنما الموتُ مُدلِجٌ الى أمـدٍ فيـه النفوسُ مَراكبُهْ
ومن أخّرتْه شمسُ يومٍ فـلم يمت يمتْ حـولَه أحبـابُهُ وحبائبُهْ



(١) الحارك : أعلى الكاهل وعظم مشرف من جانبيه . (٢) حصاتان : عفيقتان .
(٣) فى الأصل " وما " وهو تحريف . (٤) مُلبَس : مُغطًّى ويراد به : المكان المحجوب .
(٥) سباسب جمع سبسب وهى المفازة . (٦) أفاحيص جمع أفحوص وهو الموضع تفحص عنه القطا لبيضها . (٧) فى الأصل : " بحـدوتا " وهو تحريف والحِذْوة : القطعة . (٨) فى الأصل : " أناتَهُ " وهو تحريف .

وأعجبُ من ذى خُـبرةٍ بزمانه ... تنكّر منه أن توالَى عجائبُـهْ

خُلقنا لأمرٍ أرهقتنا صدورُهُ ... فياليت شعرى ما تجرّ عواقبُهْ؟

غريمٌ مُلِطٌّ[1] لا يَمَلُّ وطالبٌ ... بغير تِراتٍ[2] لا تنامُ مَطالبُهْ

وقد جرّبتْك الحادثاتُ فلا تكن ... ضعيفَ القُوَى رِخوًا لمن يجاذِبُهْ

وغيرُك مغلوبٌ على حُسنِ صبرِهِ ... ولا خَطبَ إلا أنتَ بالصبرِ غالبُهْ

برغمىَ أن يَسرِى غِزىٌّ[3] من الأسَى ... اليك ولم تُفلَلْ بنصرى كتائبُهْ

وإن كان خصما لا لسانى ينوشه ... ولا كلماتى الغاسقاتُ تواقبُهْ

ويا لِدفاعى عنك إن كان صارما ... أصافحه أو كان ليثا أواثبُهْ

ومَن لى لو انّ الحزنَ يرعَى جوانحى ... فدًى لك لو يرضَى بقلبِيَ ناصبُهْ

فما هى إلا مهجةٌ لك شطرُها ... وموهوبُ عيشٍ أنت ماعشتَ واهبُهْ

وإن كان يُطفِى حَرَّ لوعتك البكا ... على أنّه جاريه لا بدّ ناضبُهْ

فدونك دمعى سائلا ومعلَّقا ... بجامدُهُ باقٍ عليك وذائبُهْ

عتبتُ على دهرى فسهّلَ عذرَهُ ... بأنّك باقٍ كلَّ ما هو جالبُهْ

اذا سلِم البدرُ التمامُ فهيّنٌ ... على الليلِ أن تَهوِى صِغارا كواكبُهْ

* * *

وقال يمدح الوزير أبا القاسم الحسين بن علىّ المغربىّ رحمه الله عند تقلّدِه الوزارةَ، ويهنّئه بالنيروز، وأنشدها فى داره بباب الشعير فى سنة أربع عشرة وأربعمائة

هل عند عينيك على "غُرّبٍ" ... غرامةٌ بالعارض الخُلّبِ[4]؟

نَعَمْ! دموعٌ يكتسِى تربُهُ ... منها قميصَ البلدِ المعشِبِ

---

(١) الملطّ : جاحد الحق . (٢) التِرات جمع تِرَة : وهى الذَّحْل . (٣) الغزىّ : الغازى وفى الأصل "عزىّ" وهو تحريف . (٤) العارض : السحاب، والخلّب : الذى يُرعِد ويُبرِق ولا مطرِ فيه، وفى الأصل "المخلب" يقال : ماءٌ مُخلِبٌ أى ذو خُلْبٍ وهو الطين، وهذا لا يتفق والمعنى .

سارِبةٌ[١] ، تَرْكبُ أردافَها ... معلَّقاتٌ بعــدُ لم تَسرُبِ

ترضَى بهنّ الدارُ سَقْيًا وإن ... قال لها نوءُ السِّماكِ : آغضبِ

علامــةَ أنّىَ لم أنتكِثْ ... مَرائرَ[٢] العهــدِ ولم أَقضِبِ

يا سائقَ الأظعانِ لا صاغرًا ... عُجْ عَوجةً ثمّ آستقِم وآذهبِ

دعِ المطـايا تلتفِتْ ، إنهـا ... تلوبُ من جفنى على مَشربِ

لا والذى إن شاء لم أعتذرْ ... فى حبّـه من حيث لم أُذنبِ

ما حدّرتْ ريحُ الصَّبا بعــدَه ... لثامَهـا عن نَفَسٍ طيّبِ

ولا حلا البــذلُ ولا المنعُ لى ... مذ هُــوَ لم يَرضَ ولم يَغضبِ

كم لى على "البيضاء" من دعوةٍ ... لولا آصطخابُ الحَلْيِ لم تُحجَبِ

وحاجــةٍ لــولا بُقيّاتُهـا ... فى النفس لم أطرَبْ ولم أرغَبِ

يا ماطلى بالدّيـن ما ساءنى ... اليــك ترديدُ المواعيــدِ بى

إن كنتَ تقضِى ثمّ لا نلتـقِى ... فدمْ على المطـلِ وعِد وآكذبِ

سال دمى يومَ الحِمَى من يدٍ ... لولا دمُ العشـاقِ لم تُخضَبِ

نبــلُ رماةِ الحىّ مطـرورةٌ[٣] ... أرفَقُ بى من أعيـنِ الربربِ

يا عاذلى قد جاءك الحزمُ بى ... أقادُ فاركبنىَ أو فاجنُبِ

قد سدّ شيبى ثُغَـرِى فى الهوى ... فكيف قَصِّى أثرَ المَهْــربِ

أفــلحَ إلا قانــصٌ غادةً ... مــدّ بحبـلِ الشَّعَرِ الأشيبِ

ما لبنـاتِ العَشْرِ والعَشْرِ فى ... جِــدّ بنى الخمسين من مَلعبِ

شِيَاتُ أفراسِ الهـوى كلُّهـا ... تُحمــدُ فيهنّ سوى الأشهبِ

---

(١) ساربة : جارية وفى الأصــل " سارية " وهو تحريف ويتعين ذلك لقوله : لم تسرب .

(٢) مرائر جمع مريرة وهى طاقة الحبل . (٣) مطرورة : محدودة .



أَمَا تَرَيْنِي ضَاوِيًا عارِيًا ... من وَرَقِ الملتحِفِ المُخصِبِ ؟
مُحتجِزا أندبُ مِن أمسِيَ الـ ... ـماضى أخًا ماتَ ولم يُعقِبِ
فلم يُثَلِّمْ ظُبَتَيْ عامِلِى (١) ... ما حَطَّمَ الساحبُ من أكعبي
يوعِدُنى الدهرُ بغدراته ... فعقعِقْ لغير الليثِ أو هَبهِبِ
قد غمزتْ كفُّك فى مَروَتى (٢) ... فتحتَ أىَّ الغمزِ لم أصلُبِ
أمُفزِعِى أنتَ بفوت الغنَى؟ ... تلك يدُ الطالى على الأجربِ
دعْ ماءَ وجهى مالئًا حوضَه ... وكُلْ سمينا نَشِبِي وآشربِ
إن أُغلَبِ الحظَّ فلى عزفةٌ (٣) ... بالنفس لم تُقمَرْ ولم تُغلَبِ
ذمَّ الأحاظِى (٤) طالبٌ لم يجِدْ ... فكيف وِجدانى ولم أَطلُبِ ؟
آه على المالِ وما يُجتَنَى ... منهُ لو آنّ المالَ لم يُوهَبِ
راخِ (٥) على الدنيا اذا عاسرتْ ... وإن أتتْ مُسمِحةً فاجذِبِ
ولا تَعَسَّفْ كَدَّ أخلافِها (٦) ... فربَّما درَّت ولم تُعصَبِ
هذا أوانُ آستقبلَتْ رشدَها ... بوقفةِ المعتذِر المعتِبِ
وآرتجعتْ ما ضلَّ من حلمها ... من بين سَرحِ الذائدِ المعزِبِ
وربّما طالَعَ وجهُ المنَى ... من شرفِ اليأسِ ولم يُحسَبِ
قل لذوِى الحاجاتِ مطرودةً ... وآبنِ السبيل الضيِّقِ المَذهبِ :
وقاعِدٍ يأكُلُ (٧) من لحمِهِ ... تنزُّها عن خَبَثِ المَكسَبِ :
قد رُفعت فى "بابلٍ" رايةٌ ... للجدِ من يَلْقَ بها يَغلِبِ

---

(١) العامل : الرمح . (٢) المروة : حجر أبيض برّاق يورى النار . (٣) العزفة : الانصراف عن الشىء والزهد فيه . (٤) الأحاظى : الحظوظ . (٥) راخ : أى أرخِ . (٦) فى الأصل "أخلاقها" وهو تحريف ، والأخلاف جمع خِلْف وهو ضرع الناقة . (٧) فى الأصل : " تأكل ".

يصيحُ داعي النصرِ من تحتها : يا خيلَ مُحيي الحسَناتِ آركبي
جاء بها اللهُ عــلى فَــترةٍ بآيــةٍ من يَرَهـا يعْجَبِ
هاجمــةِ الإقبـالِ لم تُنْتَظَـرْ بواســع الظنِّ ولم تُرقَبِ
لم تألفِ الأبصارُ من قبلهـا أن تطلُعَ الشمسُ من المَغرِبِ
رِدوا فقــد زاركم البحــرُ لم يُخَض له الهــولُ ولم يُركَـبِ
يشِفُّ للأعينِ عن دُرِّه الـ ـثمينِ صـافى مائه الأعذبِ
فارتبِعوا بعــدَ مِطالِ الحَيـا وروِّضوا بعــدَ الثرى المُجدبِ
قد عادَ فى "طيءٍ" ندَى "حاتمٍ"(١) وقامَ "كعبٌ" سيِّد الأكعبِ
وعاش فى "غالبَ" "عمرُو العلا"(٢) يَهشِمُ فى عامهــم المُــلزِبِ(٣)
وآرتجعتْ "قحطانُ" ما بزَّها من ذى الكَلاعِ(٤) الدهرُ أو حَوشَبِ
وردَّ بيتٌ فى بنى "دارِمٍ"(٥) "زُرارةً"(٦) من حــولِه مُحتبى
كلُّ كريمٍ أو فتًى كاملٍ وفاعـــلٍ أو قائـلٍ مُعــربِ
فاليومَ شَكُّ السمعِ قد زال فى أخبـاره بالمنظَـرِ الأقــربِ
الى الوزير آعــترَقَتْ نيّها(٧) كلُّ أمـونٍ(٨) وَعرةِ المجـذبِ
تُعطى الخشاشاتِ(٩) لَيـانا على أنفٍ لها غضبانَ مستصعَبِ
مجنــونةُ الحــلم وما سُفِّهتْ بالسَّـوط ، خَرقاءُ ولم تُجنَبِ

---

(١) حاتم وكعب من أجواد العرب . (٢) عمرو العلا : هاشم بن عبد مناف أبو عبد المطلب وهو أوّل من هشم الثريد لقومه . (٣) الملزب : الشديد القحط . (٤) ذو الكلاع : أحد أذواء اليمن . وسُمّى بذلك لأن حِميَر تكلّعوا على يده أى تجمّعوا وحوشب من مخاليف اليمن .
(٥) هو دارم بن مالك بن حنظلة أبو حىّ من تميم . (٦) هو زرارة بن أوفى أبو حىّ فى اليمن .
(٧) اعترقت نيًّا : أكلت شحمها ، كناية عن هزالها . (٨) الأمون : الناقة الوثيقة الخَلق .
(٩) الخشاشات جمع خِشاش وهو ما يدخل فى أنف الناقة أو البعير من خشب ونحوه .

بيأسُ فحلُ الشّولِ من ضربهـا (١) لعزّةِ النفسِ ولم تُكتَبِ (٢)
لو وَطِئتْ شَـوكَ القنـا نابتاً في طُرُقِ العليـاءِ لم تُنقَبِ (٣)
يَخطُّ في الأرض لهـا مَنسِمٌ دامٍ متى يُمـلِ السُّرى يَكتُبِ
كأنّ حاذَيهـا (٤) على قاردٍ (٥) أحمشَ (٦) مسنونِ القَـرا (٧) أحقبِ (٨)
طامنَ في الرمل له قانصٌ أعجفُ (٩) لم يُحمِض (١٠) ولم يُرطِبِ (١١)
ذو وَفضـةٍ (١٢) يَشهدُ إخلاقُها بأنهـا عامينِ لم تُنكَبِ
مهمـا تَخلّلْهُ بُنيّـاتُهـا (١٣) من "وَدَجٍ" أو "وَرِكٍ" (١٤) يُعطَبِ
فـرّ لم يَعطِفْ على "عانةٍ" (١٥) ذُعرًا ولم يَرأَمْ على "تَولَبِ" (١٦)
به خُـدوشٌ يتعجّلنـهُ قدائمٌ من لاحقِ الأكلُبِ (١٧)
بأيّ حِسٍّ ريعَ خِيلتْ له رنّةُ قـوسٍ أو شبا مِخلبِ
يَذرعُ أدراجَ الفيـافي بهـا كلُّ غريبِ الهمِّ والمطلبِ
يرمي بها ليـلُ جُمادى الى يومٍ من الجوزاءِ معصوصِبِ (١٨)
في عَرْضِ غبراءَ رِياحيّـةٍ عجاءَ لم تُسمَرَ ولم تُنسَبِ

---

(١) الضرب : السِّفاد . (٢) لم تُكتَب : لم تقيّد ولم يُختَم حَياؤها حتى لا يُنزَى عليها .
(٣) لم تنقب : لم تصب بالنَّقَب وهي القَرَح . (٤) الحاذان : ما وقع عليه الذنب من أدبار الفخذين .
(٥) القارد : المتجعّد الشعر . (٦) الأحمش : دقيق الساقين . (٧) القرا : الظهر .
(٨) الأحقب : الحمار الوحشيّ . (٩) الأعجف : النحيل المهزول . (١٠) لم يحمض : لم يصادف حَمضا . (١١) لم يرطب : لم يصادف رطبا . (١٢) الوفضة : خريطة الراعي لزاده وأداته . (١٣) بُنيّات الطريق : الطرق الصغار تتشعب من الجادّة . (١٤) ودج وورك : اسما موضعين . (١٥) العانة : اسم موضع ولغـة القطيع من حُمُر الوحش . (١٦) التولب : اسم موضع ولغةً ولد الأتان من الوحش . (١٧) الأكلب جمع كلب . (١٨) معصوصب : عصيب .



يُشكِلُ مشهورُ الركايا(١) بهـا ... على مصانيف القطَا اللُّغُبِ(٢)
حتى أُنيخت وصـدوعُ السُّرَى ... بالنومِ فى الأجفانِ لم تُشعَبِ
وشَمـلَةُ(٣) الظلمـاءِ مكفورةٌ(٤) ... تحت رِداء القمـرِ المُذْهَبِ
الى ظليـلِ البيت رَطْبِ الثرى ... عالى الأثافِى حافلِ المَحْلَبِ
مختضب الجفنـةِ ضخمِ القِـرى ... اذا يدُ الجـازرِ لم تُخْضَبِ
تُرفَـع بالمَنـدَلِ نـيرانُهُ ... اذا إماءُ الحىِّ لم تَحطِبِ
له مجـاويفُ عمـاقٌ اذا ... ما القِـدر لم تُوسع ولم تُرحَبِ
كلّ رَبوضٍ(٥) عُنْقُها بارزٌ ... مثـلُ سَنام الجَمـلِ الأنصبِ
تُعجِلها زحمـةُ ضِـيفانِه ... أن نتأنّى(٦) حطبَ المُلهِبِ
أبلج فى كلّ دجى شُبهةٍ ... لو سار فيهـا النجمُ لم تُثقَب
مُوَقَّر النادى ضحوك النـدَى ... يلقاك بالمُـرغِب والمُـرهِب
تَلحظهُ الأبصـارُ شَزْرا وإن ... أكثرَ من أهلٍ ومن مَرحَبِ
مُرٌّ، وإن أجدَتْك أخلاقُهُ ... شمـائلَ الصهبـاءِ لم تَقطِبِ
يَحُطُّ عنـه النـاسُ من فضلهم ... منحدَرَ الرِّدفِ عن المنكِبِ
أتعبَـهُ تغليسُـهُ(٧) فى العـلا، ... مَن طَلَبَ الراحةَ فليتعَبِ
من معشرٍ لم يُهتبَـلْ(٨) عزُّهم ... بغلَطِ الحـظِّ ولم يُجلَبِ
ولا عـلا آنٌ منهـمُ طالعـا ... من شَرَفٍ إلا وراءَ الأبِ

---

(١) الركايا جمع ركيّة وهى الحفرة يجتمع فيها الماء . (٢) اللغب جمع لاغب وهو المعيى ، وفى الأصل "اللعب" . (٣) الشملة الكساء دون القطيفة . (٤) مكفورة : مستورة . (٥) الربوض : الضخمة ، والأنصب : المرتفع الصدر . (٦) نتأنى : تنتظر ، وفى الأصل "نتأبى" وهو تحريف . (٧) التغليس : السير فى الغلس . (٨) يهتبل : يغتنم .

تسلّقوا المجدَ وداسوا العلا وطُرْقُها يهماءُ[1] لم تُلحَبِ[2]

ووافقوا الأيّام فاستنزلوا أبطالَها فى مِقنَبٍ مِقنبِ[3]

قومٌ إذا أخلفَ عامُ الحيا لم تختزِلهم حَيرةُ المُسْغِبِ

أو بسطَ اللهُ ربيعاً لهم لم يبطَروا فى سَعةِ المُخصِبِ

سَمَوْا وأصبحتَ سماءً لهم يطلُعُ منها شَرَفُ المَنسَبِ

زدتَ وما انحطّوا ولكنّها إضاءةُ البدرِ على الكوكبِ

خُلِقتَ فى الدنيا بلا مُشبِهٍ أغربَ من عَنقائها المُغرِبِ

لا يَجلسُ الحلمُ ولا يركَبُ الـ ـخوفُ ولم تجلس ولم تركبِ

إن جَنَحَ الأعداء للسّلم أو تلاوذوا منك الى مَهرَبِ

كتبتَ لو قلتَ ، فقال العدا : أعزلُ لم يَطعَنْ ولم يضربِ

أو ركبوا البغيَ الى غارةٍ طعنتَ ، حتى قيل : لم يكتُبِ

فأنت ملءُ العين والقلب ما تشاءُ فى الدَّستِ وفى الموكبِ

وربَّ طاوٍ غُلّةً بائتٍ من جانب الشرّ على مَرقَبِ

ينظرُ من أيامه دولةً بقلم الأقدارِ لم تُكتَبِ

راعته من كيدك تحت الدجى دبّابةٌ أدهى من العقربِ

فقام عنها باذلا بُسْلَةَ[4] الـ ـرّاق ولم يُرْقَ ولم يُلْسَبِ

بك اشتفى الفضلُ وأبناؤه بعد عُموم السَّقَمِ المُنصِبِ

والتقمَ الملكُ هُدَى نهجِهِ وكان يمشى مِشيةَ الأنكبِ

وِزارةٌ قَلّبَها شوقُها منك الى حُوّلِها القُلَّبِ[5]

(١) اليهماء : الفلاة لا يُهتدَى فيها . (٢) لم تلحب : لم تُسلك . (٣) المقنب : زهاء ثلاثمائة من الخيل . (٤) البسلة : أجرة الراق . (٥) الحوّل القلّب : البصير بالامور .

جاءتك لم تُوسِع لهـا مُرغِبا … وليّهـا المَهـــرَ ولم تَخطُبِ

كم أجهضتْ قبلَك مِن عَدِّهم … لهـا شهورَ الحاملِ المُقــرِبِ (١)

وولدتْ وهى كأنْ لم تلِدِ … أمٌّ اذا ما هى لم تُجِبِ

قُمتَ بمعنـاها وكم جالسٍ … تكفيه منهـا سِمــةُ المَنصِبِ

وهى التى إن لم يُقَدْ رأسُها … بمحصِداتِ الصـبرِ لم تُصحِبِ (٢)

مَزلَقــةٌ، راكــبُ سِيسائها (٣) … راكبُ ظهرِ الأسَــدِ الأغلبِ

راحتْ عـلى عِطفِـك أثوابُهـا … طاهــرةَ المَــرفَع والمَســحَبِ

فتحتَ فى مُبهَـــمِ تدبــيرها … تَنَفُّسَ البُلْجَـــةِ فى الغيهبِ

وآرتجعتْ منــك رِجالاتهـا … كلَّ مطيـــلٍ فى الندَى مُرغِبِ

رُدَّ بنو "يحيى" و"سهلٍ" لها … "والطاهريّون" بنو "مُصعبِ"

فآضرب عليهـا بيتَ ثاوٍ بهـا … قبلك لم يُعــمَدْ ولم يُطْنِبِ (٤)



وآستخدم الأقدارَ فى ضبطها … وآستشرِ الإقبـالَ وآستصحِبِ

وآمدُدْ على الدنيا وجَهْـلاتِها … ظِـلالَ حـلمٍ لك لم يَعزُبِ

وآطلُع على النَّيروزِ شمسا اذا … ساقَ الغروبُ الشمسَ لم تغرُبِ

تفضُــلُ ماكــرَّ سِنِى عُمــرِهِ … بملءِ كفِّ الحاسبِ المطنِبِ

يومٌ من الفُــرسِ أتى وافــدا … فقالت العُـــرْبُ له : قــرِّبِ

بات من الإحسان فى دارِكم … ــوهو غريبٌ ــ غيرَ مستغرَبِ

لو شاء من ينسِب لم يَعــزُهُ … لغــيركم عيــدا ولم يَنسِبِ

وآسمع لمغـلوب على حظِّــه … لــو أنــك النـاصرُ لم يُغلَبِ

(١) المقرِبُ التى قَرُبَ وِلادها . (٢) لم تصحب : لم تُنقد ولم تذلّ (٣) السيساء : منتظم فقار الظهر . (٤) لم يعمد ولم يطنب : لم يكن له عمد ولا أطناب .

مُوَحَّدٍ لم يشكُ من دهره ... وأهلِهِ إلا الى مُذنِبِ
أقصاه عند الناس إدلاؤه ... من فضله بالنسب الأقرب
لو قيض إنصافُك قِدما له ... عَزَّ فلم يُقص ولم يُقْصَبِ (١)
عندك من برقٍ لَمّاعةٌ ... سابقةٌ تشهدُ للغُيَّبِ
منثورُها ذاك ، ومنظومُها ... هذا ، كلا الدرين لم يُثقَبِ
ما زلتُ أرجوك ومن آيتى ... أنّ رجائى فيك لم يكذِبِ
لم يبقَ لى بعدَك عتبٌ على ... حظٍّ ولا فقرٌ الى مَطلَبِ
فاغرِسْ ونوِّهْ منعما واصطنع ... تَرضَ مضاءَ الصارمِ المُقْضِبِ
وغِرْ على رِقّى من خاملٍ ... لِملكِ مثلى غيرِ مستوجِبِ
كم أحمدتْ قبلَك عُنقى يدٌ ... لكنّها سامتْ ولم تَضرِب
ولَدنة الأعطافِ لم تُعتَسف ... بالكَلِمِ المرِّ ولم تُتْعَبِ
من الحلالِ (٢) العفوِ لم تُستلَبْ ... بغارةِ الشعرِ ولم تُنْهَبِ
دمُ الكرى المهراقِ فيها على ... سامعِها إن هو لم يطرَبِ
جاءك معناها وألفاظُها ... فى الحسنِ بالأسهلِ والأصعبِ
أفصحُ ما قيلَ ولكنّها ... فصاحةٌ تُهدَى الى "يَعْرُبِ"

*
* *

وقال فى بعض الأغراض وقد سُئِلَه

ضمانةٌ يَصدُق وعدُ الضنا ... فيها ، جناها الطَمَعُ الكاذبُ
عاد بها اليومُ جديدَ الهوى ... وقد تولّى أمسُها الذاهبُ
أيّة نارٍ قَدَحتْ فى الحشا ... عينُ مَهاةٍ زَندُها ثاقبُ ؟

(١) لم يقصب : لم يُقطع . (٢) فى الأصل "الجلال" وهو تحريف .

وأىُّ ثغــرٍ ولَمَّى صادنى؟ نابــلُ قلبى بهــما الصائبُ
حُبَّــا له من بَرَدٍ جامــدٍ يقطُــرُ منــه ضَرَبٌ[١] ذائبُ
اللهَ يا "خنساء" فى مهجةٍ أنتِ بهــا الثــائرُ والطالبُ
إن كنتِ حرَّمتِ وصالى فمن أين دمِى حلٌّ لكم واجب
سلى سهامَ الشوقِ عن أضلعى إن صدَقتْ عينُكِ والحاجبُ
مَنْ مُوقِدُ النــارِ وقد أُخمِدتْ على فــؤادى ومَن الحــاطبُ ؟

* * *

وقال وكتب بها الى الأستاذ أبى المعالى هِبَة الله بن عبد الرحيم فى النيروز الواقع فى سنة خمس عشرة وأربعمائة

يا دارُ لا أَنهَــجَ[٢] القشيبُ منــكِ ولا صَوَّحَ الرطيبُ
ولا أخلَّتْ بكِ الغــوادى تَشْعَبُ ما يَصدعُ الجُدوبُ
من كلِّ مخــروقة العَــزَالِى[٣] تغلِبُ أخياطَها الثُّقــوبُ
تعجَبُ منهــا رباكِ حتَّى يضحكَ فيها الوجهُ القَطوبُ
وكانَــ عِطْرا كما عهِــدنا مَشْىُ الصَّــبا فيكِ والهبوبُ
فــربَّ ليلٍ ثراكِ فيــه ـ بين نُحورِ العشاقِ ـ طِيبُ
نُجْنــا وليــلُ المطىِّ ليــلٌ بَعْــدٌ وصوتُ الحادى صليبُ
وما نَقضناهُ من طريقٍ من حيثُ رحنا عنــه قريبُ
فقــال صحبى : أضــلَّ هادٍ أم خُدِعَ الحــازمُ الأريبُ ؟
ليس أوانُ التعريسِ هذا قلتُ : هو الشوق لا اللُّغوبُ

(١) الضرب : الشهد . (٢) أنهج : بَلِىَ . (٣) العزالى جمع عزلاء وهى مصبّ الماء من الراوية ونحوها .

٣٥

يا من رأى "باللوى" بُرَيقًا تقدحُ نيرانَهُ الجَنوبُ
كَلَا وَلَا(١)، بينما تراهُ يطلُعُ أبصرتَهُ يغيبُ
كأنّ ما لاح منه وَهْنًا على شبابِ الدجى مَشيبُ
حدّثنى "بالغضا" حديثا سَرَّ، على أنّه خَلوبُ
يقول : هيفاءُ لم يُحِلْها عن عهدك الناقِلُ الكذوبُ
جفونُها بعدَكم حُنُوًّا ماءٌ وأحشاؤها لهيبُ
فارض، فمِن قلبها خُفوقى أُعدَى ومن طرفها أصوبُ
لا وليالٍ على "المُصَلَّى"(٢) تُسرَق فى نُسكها الذنوبُ
وما رأى "الخَيْفُ"(٣) من هَناتٍ يغفرها المالكُ الوهوبُ
وخَلَواتٍ "بأمّ سعدٍ" ما بعدها لذّةٌ تطيبُ
لولا لماها لما شفانى "بزمزمٍ" ما سقَى القليبُ
ما ذا على مُحرِمٍ "بجَمْعٍ"(٤) وسهمُهُ من دمى خضيبُ
وكيف والصَّيدُ ثَمّ بَسْلٌ(٥) تصادُ بالأعين القلوبُ ؟
يا فتكَها نظرةً خِلاسا سبَّبَ أدواءَها الطبيبُ
ذابت عليها حصاةُ قلبي يا من رأى جمرةً(٦) تذوبُ ؟
قُلْ لزمانى : ما شئت فاضغط قد دَبِرَ(٧) الجابِرُ الجليبُ

---

(١) كَلَا ولا أى كقولك " لا لا " ويراد بها أن هذا البُرَيق فى سرعته يطلع و يغيب كمقدار قول " لا لا " وهى لا تستعمل عادة إلا فى كلّ ما ينمّ على السرعة كقول مهيار فى غير هذا المكان .

كيف رأيت الإبلا * خواطفًا كَلَا وَلَا

(٢) المصلَّى : اسم موضع . (٣) الخَيْف : اسم موضع . (٤) جَمْع : اسم موضع من مناسك الحج . (٥) بسل : حرام . (٦) كذا بالأصل وفى منتخبات البارودى "صخرة" .
(٧) دبِرَ : أصابته الدبرة وهى قرحة فى ظهر البعير .

أصبتَنى بالخطـــوبِ حـــتَّى ... لم تُبْـــقِ لى مَقتَـــلا تُصيبُ
فى كل يومٍ جورٌ غريبٌ ... عنـــدى عليه صبرٌ غريبُ
حتى لقـــد صار لا عجيبا ... منـــك الذى كلُّه عجيبُ
ولائمٍ فى عُزوفِ نفْسِى ... قلتُ له : أنتَ والخطـــوبُ ؟
عساكَ ـــ خُبْرا بالناس ـــ مثلى ... إن رُدَّ من حِلمكَ العـــزيبُ
فَسِفِي قِـــلَى مَنْ تُراكَ تَلْحَى ... منهـــم؟ وفى تَرْكِ مَنْ تَعيبُ ؟
اللهُ لى ـــ إن طَرَحْتُ عِرضى ... أُكلةَ آمالهـــم ـــ حسيبُ
قد كنتُ أبكى وهـــم فُروقٌ ... شَتَّى وأشكو وهـــم ضُروبُ
فاليـــوم سوّتهـــم المَساوِى ... عنـــدى وعمّتهم العيـــوبُ
فما أرى منهُـــمُ بريئا ... يَخشَى آفتضاحا به المُـــريبُ
بلى ! قد آستثنتِ المعالى ... بيتًا لها فخـــرُهُ نسيبُ
بيتًا ، شموسُ الضحَى عمـــادٌ ... له ، وشهبُ الدجَى طُنـــوبُ
الحَسَبُ[1] العِـــدُّ[2] من بنيـــهِ ... كلُّ نجيبٍ نَمَى نجيبُ
من آل "عبـــدِ الرحيم" مُرْدٌ ... حولَ رواقِ العُـــلا وشِيبُ
تشـــابهوا سُـــودَدًا فأعطَى ... شاهدُهم فضـــلَ مَن يغيبُ
كلُّ مُحيَّـــا الجبينِ طَلْقٍ ... لم يَعتسِفْ بِشرَه القُطـــوبُ
راضون أن يُشبِعوا ويَضْوَوا[3] ... والعـــامُ مسحنفِرٌ[4] غَصـــوبُ
تَرْوَى عِطاشُ الآمالِ فيهـــم ... وهْىَ عـــلَى غـــيرهم تَلوبُ
لهـــم أفاويقُـــها إذا ما ... أصرَمَ ثَدْىُ الحَيَـــا الحَـــلوبُ

---

(١) فى الأصل : أيحسب . (٢) العِدّ : القديم . (٣) يضووا : يهزَلوا ، وفى الأصل : "يضربوا" . (٤) مسحنفز : ماضٍ مسرعا .

دوحةُ مجـدٍ، أبو المعالى … غصنُ جناها الغضُّ الرطيبُ

كان فتَـاها والرأىُ كهلٌ … وطفِـلَها والحجا لبيبُ

ليثُ حِماها والدارُ حربٌ … وفى السلامِ الظبيُ الربيبُ

لا فرحةٌ تستقلُّ منه … حِلْماً ولا نوبةٌ تنوبُ

تغمِـزُ فيه أيدى الليالى … والنَّبعُ مستعصِمٌ صَليبُ

إذا كساه الغِـنَى قميصا … فهو بأيدى النـدَى سليبُ

وكلُّ سعيٍ له كسوبٍ … تغرَمُه كفُّه الوهوبُ

(٣٦)

يحمى حِماه بنافذاتٍ … خُدوشُها فى العِدا نُدوبُ

لا يَبلُغُ السَّبرُ[1]، ما يُفَرِّى[2] … — مُعمَّقا — جُرحُها الرغيبُ

يبعثُها مفصِحا لسانٌ … ماضٍ إذا لجلجَ الخطيبُ

إذا فُروجُ الكلامِ ضاقتْ … تمَّ بها باعُهُ الرحيبُ

لا محقتْ بدرَك الدآدِى[3] … ولا محا شمسَك الغروبُ

ورجَعَ الدهرُ مستقيلا … اليكَ من ذنبِه يتوبُ

يُقسِمُ لا شِيمَ وهو سيفٌ … بعدُ ولا شَمَّ وهو ذيبُ

وعاد ظِـلُّ الدنيا عليكم … يُورِقُ أو يُثمِرُ القضيبُ

حظُّكُمُ صفوُها وحظُّ ال … أعداءِ منها المُـرُّ المشوبُ

ما كرَّ عَـوْدًا شبابُ ليلٍ … يَردُفُهُ من ضُحًى مَشيبُ

---

(١) السبر : امتحان غَوْر الجرح ومعرفة مقداره . (٢) ما يفرِّى : ما يُشَقّ .

(٣) الدآدِىُ : ثلاث ليال من آخر الشهر قبل ليالى المحاق أو هنّ ثلاث ليال فى آخر الشهر يُدأدِئ القمر فيها الى الغروب أى يُسرِعُ وقد سُهِّلت همزتها ، كقول الراجز

أبدى لنا غرّة وجه بادى * كزُهرَة النجوم فى الدآدى

وواحدتها : دَأْداء وفى الحديث "أنه نهى عن صوم الدأداء" وهى يوم الشك .

وزار يومُ النـــيروز عامَ الـ ـخِصبِ كما زارك الحبيبُ
تُهدَى لكم من ثَناىَ عُونٌ[1] كلُّ ابنِ سمعٍ لها طروبُ
قواطنٌ فيـــكُمُ وتُمسِى تجولُ فى الأرض أو تجــوبُ
فى كلِّ يومٍ تغشـاك منهـا حبيبــةٌ ما لهـا رقيبُ
كذاك لا غائبٌ خبيثٌ لكم ولا شاهـــدى مريبُ
قـــلبى صحيــحٌ لكم وودّى ما مرِضَ الودُّ والقـــلوبُ
أجبتكم قبـــلَ أن دعـوتم فكيف أُدعَى فلا أُجيبُ

وقال وكتب بها الى الرئيس سعد الملك أبى الحسين بن حاجب النُّعمان فى شوال من ســنة سبع عشرة وأربعمائة ، ويذكُرُ قديمَ الرياســةِ فى بيته ، وآجتذابَه إيّاه ، وآقتراحَه مديحَهُ، وَتواصَلَ الخطابُ على ذلك

لعلّها — واليأسُ منها أغلبُ — إن نأتِ اليــومَ غدًا تستقربُ
حاجةُ صـــدرٍ لك لا ملفوظةٌ ولا تَســوغُ حُلوةً فتُشــرَبُ
أَضحَـكُ من مواعِدِ الدهرِ بها ممّـا يجىءُ باطــلا ويذهبُ
ودونها — أن ينتهِى بحَاجُها — ذو صِبغتَيْنِ دِينُـــه التقلّبُ
فى كلّ يومٍ مُرسَـــلٌ مغـالِطٌ لى عنـــده ، وشافِـعٌ مخبَّبُ
وحَلفـــةٌ كاذبةٌ وفى فمى شكيمةٌ[2] مِن أن أقولَ : تكذبُ
مُلَّ فلا الحصـاةُ من فـــؤاده تاينٌ لى ولا اللسانُ يَرطُبُ
اللهَ ياهيـــفاءُ لى فى زمنٍ نعيمُهُ بعــدَكُمُ معـــذَّبُ

(١) العُونُ جمع عَوانٍ وهى النَّصَفُ فى سنّها من كل شىء ويريد بها قصائده . (٢) الشكيمة : الحديدة المعترضة فى فم الفرس .

وكبدٍ يصدَعُها كلُّ أسًى ... بها الكبودُ القَرِحاتُ تُشعَبُ

لا سلوةُ البعيدِ المُريحِ عِصمةٌ ... منكِ ولا الهمّ المُراحِ يعزُبُ[1]

وكلّما أطمعَ فيكِ سببٌ ... آملُهُ أيأسَ منكِ سببُ

يعيشُ قلبي وهو عيشٌ مؤلمٌ ... ثم يموتُ وهو موتٌ طيّبُ

نفسَكَ يا مُعطِي الهوى قِيادَه ، ... إنكَ في خَيطِ الهوانِ تُجنَبُ

وإن هَوِيتَ فانتصرْ بغدرةٍ ... عن ثقةٍ أنَّ الوفاءَ العطبُ

قالت على "البيضاء" أختُ عامرٍ: ... أسفرَ في فَودَيكَ ذاكَ الغيهبُ

ومن بلاياكِ وإن عبتِ به ... شبابُ حُبّي وعِذارى الأشيبُ

غدرُكِ والحسونَ ، أيّ روضةٍ ... قشيبةٍ بينهما لا تُجدِبُ؟[2]

وما الذى أنكرتِه من ليلةٍ ... يطلُعُ فيها قمرٌ أو كوكبُ؟

ما نَصَلَتْ إلا بماءِ مقلتي ... فليتها بماءِ قلبي تُخضَبُ

وعاذلٍ لا سُقِيَتْ غُلّتُهُ ... "بالغور" ما يُروِى ولا ما يعذُبُ

يزعمُ أن كلَّ دارٍ "رامةٌ" ... وأن كلَّ ذاتِ حِجلٍ[3] "زينبُ"

حلفتُ يومَ ينحرُ الناسُ بها ... ساجدةً أذقانُها والرُّكَبُ

يُعطَى المُنَى منها الذى يَستامُهُ ... طُلًى[4] تَطيحُ وجُنوبٌ تَجِبُ[5]

مثلَ التلاعِ[6] بازِلًا[7] وحِقّةً[8] ... قامَ عليهنّ الربيعُ المُخصِبُ

والمُشرِفاتِ من "منًى" كأنّها ... على ظُهورِ الهَضَباتِ حَدَبُ

وبالمُلبّينَ سعَوا فنَفَضُوا ... ذنوبَهم وجمّروا وحصّبوا

(٣٧)

---

(١) في الأصل "المزاح يغرب" وهو تحريف . (٢) في الأصل "تجذب" وهو تحريف .

(٣) الحجل : الخلخال . (٤) الطلى : الأعناق . (٥) تجب : تسقط . (٦) التلاع جمع تلعة وهي ما ارتفع من الأرض . (٧) البازل : الجمل المسن . (٨) الحِقّة : الناقة الداخلة في الرابعة من عمرها .

وماحَوَى ــ وأىُّ فضلٍ ماحوى ــ ذاك العتيــقُ البــارزُ المحجَّبُ
لو نُسبَ المجـــدُ لَمَــا كان الى غير بنى "عبدِ العزيزِ" يُنسَبُ
مِن أرضِهم طينتُـــهُ وفيهِـــمُ رواقُـــهُ وبيتُـــهُ المطنَّبُ
أَقسمَ : لا فارقَهم، وأقسـموا ما دام خُلْدًا مِن "أبانَ" مَنكِبُ
حيٌّ على رغم البـــدورِ غُرَرًا تَقـــدحُ فى فَحم الدجى فَتثقُبُ
ورِدْ نفـــوسا حُرّةً وأيديا تُحيلُ فى المحلِ عليهــا السُّحُبُ
تبادروا الجودَ فلاطُوا(١) حوضَهُ، لهم ليــالى وِردِه والقَـــرَبُ
وآنتظموا سودَدَهم نظْـــمَ القنا لكن صدورٌ ليس فيها أكعبُ
داسُوا بأعقابِهمُ هامَ العـــلا وآقتعَـدوا ظهورَهـا وآعتقبوا
شُمّ الأنوفِ والسيوفِ، قَصُرَتْ دروعُهم، وهى سِباغٌ تُسحَبُ
يَمشُونَ رَجْلَى(٢) فيُخالُ أنهـم من شَـارةٍ(٣) ومن شَطَاطٍ(٤) رَكِبوا
توارثوا الملكَ فـــلا خلافـــةٌ إلا لهـــم سريرُها والموكبُ
ومنهُـــمُ فى حربهــا وسلمها رمحٌ يَخُطُّ ولسانٌ يخطبُ
حُلِيُّ كلِّ دولةٍ عاطـلةٍ وبِشْرُ كلِّ نعـــمةٍ تُقَطِّبُ
إذا الخطوبُ خُسِمتْ بخَــدعةٍ أو رَدعةٍ لانوا لهــا وصَــعُبوا
إن كتبوا، قلتَ: آصطلاما(٥) طعنوا أو طعنوا، قلتَ : بلاغًا كتبوا
ترى الجبالَ فى الحُبَى إن جَلَسوا والأسدَ هِيجَ شَرُّها إن وَثبــوا
لهـم قُدامَى الفخرِ، ما تنقُـلُه لك الرواةُ وتريك الكتبُ
وخيرُ ما آستطرفْتَـــهُ حديثُهـم إذا الكرامُ زانهـــم ما أعقبـوا

---

(١) لاطوا : طيّنوا . (٢) رَجْلَى : على أرجلهم . (٣) من شارة : من حسن وزينة .
(٤) ومن شطاط : من طولٍ وحسنِ قوام . (٥) آصطلاما : آستئصالا .

وَولَدوا "أبا الحسين" فرأى الـ	ـمجدُ به كيف نَمَوْا وأنجبوا
برزتَ فى عِقدِهِمُ واسطةً	لها من الأبصار ما يُستلَبُ
بيضاءَ مما أَبغضَ الغوّاصُ فى الـ	ـفحص عليها أنفُسًا تُحبَّبُ
ومَطَلَتهم دونها أُمنيّةٌ	روّاغةٌ وحِقَبٌ وحِقَبُ
حتى قضى الصبرُ لهم قضاءَهُ	وآستحييتِ الأيّام مما نصَبوا
فاستخرجوها تملأُ الراحةَ والـ	ـعينَ، فقالوا : دُرَّةٌ أم كوكبُ ؟
وشَرُفَتْ فلُقِّبتْ فخرَ العلا	لو لم يقَعْ دون سناها اللقبُ
وكيف لا تطلُع بدرا فيهِمُ؟	والشمسُ جدٌّ لك والنجمُ أبُ
ألقَى الكمالُ طائعا عِنانَهُ	إليك يُرخى تارة ويَجذِبُ
وأقعصَ الأقرانَ[1] عنك قَلَمٌ	ممرَّنٌ وخاطرٌ مدرَّبُ
وقمتَ قُرحانًا[2] فتيًّا بالعلا	قُيِّدَ عنك القارِحُ المجرَّبُ[3]
وَرِثتَ فضلا لو قَنِعتَ لكفَى	لكن أَبيتَ غيرَ ما تكتسِبُ
كالليثِ لا تحلو له فريسةٌ	لا ينتقِى[4] فيها ولا يُخَلِّبُ[5]
وكم سواك لم يحُزْ حِسابُهُ	أعدادَ ما تُملِى عليه الحُسَّبُ
حَويتَ إعظاما وقد مثَّلتَ لى	رائدَ عينىَّ وقلتَ : تكذِبُ
أدُميَةٌ صيغتْ أم البدرُ هَوَى	وبَشَرٌ أم مَلَكٌ مُقَرَّبُ ؟
معجِزةٌ جاء الزمانُ غلطا	بها وآىٌ كلُّهنَّ عَجَبُ
وكرَمٌ على اللسان حاضرٌ	يشِفُّ منه الكرمُ المُغيَّبُ

(١) أقعص : أمات . (٢) القُرحان فى الإبل : مالم يجرَبْ قطّ ، وفى الأصل "قرحانا" وهو تحريف . (٣) القارح المجرَّب : المسنّ الذى أصابه الجرب . (٤) ينتق : يطلب النِّقْىَ وهو مخ العظام . (٥) يخلّب : يُعمِلُ مخالبَه .

وراحةٌ مُطلَقـــةٌ طارحَهـا الـ ـعِرضُ المصونُ أن يهون النشبُ
سحرتَنى ودارُ عِزّى "بابل" وقُـــدتنِى وأمُّ رأسى[1] تصعُبُ
وملّكتَنى لك نَشوانَ الهـــوى خلائقٌ غِنـاؤهن مُطـــرِبُ
ملأتَ بالبِشـــرِ وِطابَ[2] أمَلى وبعضُهـــم بكيئةٌ[3] لا تُحـــلَبُ
حتى رَقَى الحـاوِى فأصغيتُ له وكدتُ معْ شدّةِ زُهدى أرغبُ
وقلتُ عاش "لزهيرٍ[4]" "هَرِمٌ[5]" وقامَ فى أهل "الزُّبيرِ" "مُصعَبُ[6]"
أرضيتَنى عن الزمان بعـــد ما حرّقَ أضلاعى عليـه الغضبُ
وعاد بَرْدا وســـلاما بك لى ما توقِد الدنيـا وما تَحتطِبُ
أغنيتَنى قبـــلَ اللُّهـا مودّةً والودّ عنـدى خيرُ رِفدٍ يوهَبُ
وقرّبتَنى منـــك أولَى نظـــرةٍ حتى كأنّا لم نزل نصـــطحبُ
فِراســـةٌ أيقظك المجـــدُ لهـا وفطنـــةٌ على سواك تعـــزبُ
وهمّـــةٌ إذا ركبتَ ظهـــرَها أدركتَ من أخرَى العلا ماتطلُبُ
فاسمع أُقرِّطْك شُـــنوفا دُرُّهـا لغـــيرِ آذانِكُمُ لا يُثقَبُ
من المصـــوناتِ التى تعنّستْ[7] خلفَ الخدورِ وهى بِكرٌ تُخطَبُ
تنـافسَ الملوكُ فى مُهـــورِها واقترَعوا فى حُبِّـــها واحترَبوا[8]
عنـدهُم الرغبـــةُ والودّ لهـا وعنـــدها المـــلالُ والتجنُّبُ



(١) أمّ الرأس : الدماغ أو الجلدة الرقيقة التى عليه . (٢) الوطاب جمع وطْب وهو السِّقاء .
(٣) البكيئة : الناقة أو الشاة قلّ لبنها . (٤) زهير بن أبى سلمى الشاعر . (٥) هرم بن سنان من أجواد العرب وقد اختصه زهير بمدائحه . (٦) الزبير بن العوام رضى الله عنه حوارىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته صفية بنت عبد المطلب ومصعب ابنه . (٧) تعنّست : صارت عانسا وهى التى طال مكثها بعد إدراكها ولم تتزوج قط حتى خرجت من عداد الأبكار . (٨) احتربوا : أوقدوا نار الحرب .

وزادها نزاهةً وورَعًا ... منّى أبٌ على البناتِ حَدِبُ
ليس عليه للتمنّى طاعةٌ ... ولا له فى الشهواتِ أربُ
لا يمدح الناسَ ولكن مدحُكم ... يَلزَمُ فى دِينِ العلا ويجبُ

⁂

وقال وكتب بها الى الرئيس الأجلّ عميد الكفاة أبى سعد بن عبد الرحيم، يبتذله ببعض المعاتبة، ويهنّئه بالمهرجان الواقع فى السنة المذكورة

نأتْ والأمانِى بها تقرُبُ ... ومَلَّتْ وأحسَبها تَعتِبُ
ومال بها الغدرُ غدرُ الطبا ... عِ عنّىَ والكاشحُ المُجلِبُ
وغيرانُ يُذْعِره آسمى بكم ... ويؤنسه حولَه المِقنبُ
يكون لغيرى جَناحَ البعو ... ضِ لينا ولى قَرْمُه[1] المصعَبُ
ومنتحِلٌ فى الهوى يدَّعِى ... مقامى وشاهدُه يكذِبُ
تبدّل بى ــ ساء ذاك البديلُ ــ ... كما بِيعَ فى الأخبثِ الأطيبُ
فيا عَجَبى من مُريقٍ دمى ... عنادا وقلبى به معجَبُ
ومستهزئٌ ضاحكٌ من بكاى ... يجِدُّ بقلبى كما يلعبُ
أهيفاء، أىُّ هوى قد علمـ ... ـت يُقصى وأىّ أخٍ يُقصَبُ[2]؟
ولما آنطوَى العامُ نفسِى تَرُ ... دُّ عنكِ وحافزُها يَطلُبُ
صددتِ كما آنصرفَتْ بالصدى[3] ... غرائبُ[4] أوجهها تُضرَبُ
أقول: غدًا، نظرا للوفاء ... وغدركُمُ من غدٍ أقربُ
وكيف اللقاءُ وقد سُدّتِ الـ ... ـمطالعُ يا ذلك الكوكبُ؟
وأين النجاءُ وما الحظُّ فيه، ... ومنكِ ــ وأنتِ المنَى ــ المهربُ؟

(١) القرم المصعب: الفحل الذى ترك فلم يركب حتى صار صعبا. (٢) يُقصب: يُقطَع.
(٣) الصدى: الظمأ. (٤) الغرائب: الإبل الغريبة التى تضرب لصرفها عن الماء.

* * *

سلِ الماجعين على "ذى الطُّلوحِ"(١) وطَرفى لهم حارسٌ يرقُبُ
أشِمْتُم يمينا سنا بارقٍ يشوقُ على أنه خُلَّبُ ؟
تألَّق مستشرفا لا يُسَلُّ حتى يُرى سيفُه يُقْرَبُ(٢)
يبينُ ويُخفى رءوسَ المضابِ فتنصُلُ منه كما تُخضَبُ
يمُرُّ فيُرغِبُ(٣) فى أضلُعِى صُدوعا برَجعتِه تُشْعَبُ
وهل عنده خبرٌ إن سألـ ـتُ : ما "البانتان" وما "زينبُ" ؟
وهل ربعُ "غُرَّبَ" فى الباليا تِ أم هل على عهدنا "غُرَّبُ" ؟
سقَى بالحمى الأعينَ النابلا تِ من دم أحشاىَ ما تشربُ
وحيَّا الحيا أوجها لا تَغُشُّ، بحُينُ الجمالِ بها مُذهَبُ
وفى السانحاتِ بذاك "الرُّميـ ـل" عفراءُ تاهَ بها الربربُ
من الذاهباتِ بحَبِّ القلو بِ لا تُقتَضَى رَدَّ ما تَسلُبُ
وما نُطفةٌ حصَّنتها السماءُ بأرعنَ مَرقاهُ مستصعَبُ
مصفَّقةٌ(٤) حَلَبتْ عفوَها(٥) بها المزنُ أوّلَ ما تُحلَبُ
الى أن تبقَّت لُباناتُها وكادت بما لطُفتْ تَنضُبُ
تراوحها وتغادى الشَّمالُ ترقرقُ فيها وتُستعذَبُ
ولا نحلةٌ بات يَعسوبُها(٦) على الحسْنِ من حذَرٍ يلسِبُ
يَغار فيمنعها أن تُشا رَ(٧)، ما منع الشائرَ المِشغَبُ(٨)

---

(١) ذى الطلوح : اسم موضع . (٢) يقرب : يدخل فى القراب وهو غمد السيف .
(٣) يرغب : يوسع . (٤) مصفقة : مصفاة . (٥) العفو : أول ما يحلب .
(٦) اليعسوب : ذكر النحل . (٧) أن تُشار : أن يستخرج عسلها . (٨) المشغب : المهيِّج .

تُجاذبُ فيها أكفُّ الجُنا ... ةِ غِنًى[1] مثلها مثله تَكسِبُ
ولا مِسكةٌ طاف عطّارُها ... "بدارِينَ"[2] ينخلُ ما يجلبُ
يبقّرُ عنها بطونَ الظِّباءِ ... من الألف واحدةٌ تُنجِبُ
فجاءت لضوعتها سَورةٌ ... تكاد العِيابُ بها تُثقَبُ
بأطيبَ من فم ذات الوشاح ... سُحوراً، بلى ! فمُها أطيبُ
تقول العواذلُ : دعْ ذِكرها ... ففي الذِّكر قادحةٌ تُلهِبُ
وهَبْها كعاريةٍ تُستَرَدُّ ... لا بدَّ أو ثَلَّةٍ[3] تعزُبُ
فقلتُ : إذن كبدى فلذةٌ ... من الصخر أو كبدى أصلبُ
تُزَمُّ الحمولُ فلا أستكينُ ... وتشدو الحمامُ فلا أطربُ
عَذيرى من زمنٍ لا يَسُرُّ ... بنعماءَ إلا بها يَنكُبُ
إذا قسمَ الحظَّ بين الرجال ... فحظى من شرّ ما يُنصِبُ
تَعاوَى علىّ تصاريفُه ... تُذائِبُ حولى وتَستكلِبُ
فأدفعهنّ بصبرى الجميلِ ... اذا ظَلَع المتنُ والمنكبُ
سأركبُ عزمِىَ، حتى يطيرَ ... عن الضيم عنقاءُ بى مُغرِبُ[4]
وإلا فعندَ "عميدِ" الكفا ... ةِ" حِمًى مانعٌ وذَرًى مُعشِبُ
وراتعةٌ من أمانى العُفا ... ةِ لا هىَ تَظمَى ولا تَسغَبُ
لها ما يُوَسِّعُ من ذَرعِها ... بساطَ الرجاء وما يُرحِبُ
كريمٌ، وشائجُ[5] أعراقِه ... إلى العِيصِ[6] من مجده تَضرِبُ

(١) فى الأصل "عنى" وهو تحريف. (٢) دارين : بلدة مشهورة بالطيب. (٣) الثلة : جماعة الغنم أوالكثيرة منها. (٤) يقال : عَنقاءُ مُغرِبٌ وعنقاء مُغرِبةٌ والعنقاءُ المغربُ وعنقاءُ مُغرِب وهو طائر معروف الأسم لا الجسم وفى المثل "حلَّقت به عَنقاءُ مُغرِبٌ". (٥) الوشائج جمع واشجة وهى الرحم المشتبكة. (٦) العيص : هو من أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر.

توسَّعَ فى نسبٍ، كالهـلال ... إلى الشمس، أعرقَ ما يُنسَبُ
بُناةُ العلا آلُ "عبدِ الرحيـ ... ـم" يُعـرَفُ بابنِهمُ ما الأبُ
ميامينُ، أنديةُ المكرماتِ ... لهم تُجتَبى[1] وبهم تُعصَبُ
إذا ذكروا العارَ لم يأمنوا ... وإن ركبوا السيفَ لم يَرهَبوا
وجوهٌ ميسَّرةٌ للنجا ... ح باسمةٌ والثرى يَقطُبُ
وأيدٍ تخفُّ إلى الأعطياتِ ... إذا حُسِبَ الفقرُ لا تُحسَبُ
تراحُ عِشارُهمُ[2] للشفارِ ... فتُعبَطُ[3] من قبلِ تُستحلَبُ
ولولا القِرى ورشادُ الضيو ... فِ لم يغدُ عبدٌ لهم يَحطِبُ[4]
مضَوا تضمنُ المجدَ أحداثُهم ... وذكرهُمُ خالدٌ طيّبُ
وقام "أبو سعدهم" ذائدا[5] ... بميراثه وبما يكسِبُ
فقام بما عدَّ من سِنّه ... وشيخٌ وأحلامهم تعزُبُ
كفته بديهةُ حِدْثانِه ... قديمَ الرجالِ وما جرّبوا
وغلّس حتى انتهى واحدا، ... له المجلسُ : الصدرُ والموكبُ
كثيرُ الغَناءِ قليلُ العناءِ ... فما يستريح وما يتعَبُ
وما يَغمزُ الخطبُ فى عُودهِ ... إذا انقلب الزمنُ القُلَّبُ
أبيٌّ جوادٌ، فيومَ الخصام ... يَحُجُّ، ويومَ الندى يَغلِبُ
يَرى النفسَ تلك التى لا تُذَلُّ ... والمالَ ذاك الذى يُوهَبُ
أصاخ بكم لِىَ حظَّ الأصـ ... ـمِّ واعتذر الزمنُ المذنبُ

---

(١) تجتبى : تصطفى، وفى الأصل "تجتنى" وهو تحريف . (٢) العشار : النوق .
(٣) فتعبط : فتنحر . (٤) يريد : لولا ما يوقدونه للقرى من النار التى يُرشَد بها الضيوفُ الى أحيائهم ما احتطب لهم عبد . (٥) فى الأصل : "زايدا" وهو تحريف .

وذلَّلتُمُ لِى ظهورَ الرجا ... ءِ ما شئتُ أركبُ أو أجنُبُ

وكنتم مآلى ومالى نلسـ ... ـتُ أرهبُ شيئا ولا أرغبُ

وردَّ الودادُ اليكم قِيا ... دَ قلبي فما عنكُمُ مَذهبُ

وحلأتُ[1] عن حوض شعرى الملو ... كَ وهو لكم مُغدِقٌ مُعذَبُ

صوارمُه دونكم تُنتضَى ... وأذيالُه حولكم تُسحَبُ

أَحِنُّ لكم حَنَّة العاشقين ... فأمدحكم مثلَ ما أنسِبُ

على مَلَلٍ فيكُمُ لا تزال ... بجنبي قوارفُهُ تَنْدُبُ

متى آتِ لم آلُ مستكرَهًا ... وأنأَى فما أنا مستقرَبُ

(٤٠)

وكم ماطِرٍ فيهمُ بالوفاءِ ... إذا رمتُ أنصافَهُ[2] يحلِبُ

يُدير كئوسَ الهوى بيننا ... فيسقِى الغرامَ ولا يشرَبُ

ومن حاسدٍ لِىَ، أرسانُهُ ... بما ساءنى عندكم تُجذَبُ

إذا خافنى دبَّ فى دوركم ... يعيبى كما دبَّت العقربُ

فلا وشقاوتِهِ ما يَشُقُّ ... على البدر أن تنبحَ الأكلُبُ

ولو كنتُ أُغلى عليكم رضاىَ ... لما سرّكم أننى أغضبُ

ولكن فؤادٌ لكم رِقُّهُ ... فما يستبيح ولا يهرُبُ

يُريه الهوى أنّ إمساكه ... بكم من تنقّلِهِ أصوبُ

وأنّ الحفاظَ وحبَّ الوفاءِ ... على طينِ طابعِه أغلبُ

فلا تنتزعكم يدٌ تستبـ ... ـيحُ مِنّى ولا قاهرٌ يَغصِبُ[3]

---

(١) حلأت : منعتُ، ومعذَب : منزوع ما فيه من قذًى . (٢) أنصافه : أى نصف ما يحلبه فى قِربه، ومنه : قربة نَصفَى لمى بلغ فيها الماءُ أو غيرُه نصفَهُ . (٣) فى الأصل " يغضب " ولا يتفق والمعنى .

ولا أَعدَمَنْ منكمُ أُسرةً ... بأيسر عُتْبَى لها تعتِبُ
وغُرٍّ مفوَّفةٍ كالبرو ... دِ أو هي من حَوكها أقشبُ
تجارِي بروجَ العلا أو تعود ... وشرقُ النجوم لها مغرِبُ
يُذلُّ النوالُ لكم صعبَها ... فكلُّ شواسمها(١) تُركَبُ
بكم هامَ ريقُها(٢) في الشبابِ ... وهذا لكم عمرُها الأشيبُ
على كلِّ يومٍ جديدِ السعو ... دِ ومن حُسنها سِمةٌ تغرُبُ
فإن جاءكم أعجميُّ اللسا ... ن فهْي لسانٌ له مُعرِبُ
فتبقونَ وهي بواقٍ قعودٌ ... ما(٣) آختلفَ الصبحُ والغيهبُ

وقال وكتب بها الى أبي الحملات شبيب بن حمّاد بن مَزْيَد، وقد كرّر الرغبةَ اليه في ذلك، وثقّل بجماعةٍ من الأصدقاء سامهم تنجُّزَ مديحه، وذلك في شهر ربيع الآخر سنة تسع عشرة وأربعمائة

طَرقتْ على خطَر السُّرى المركوبِ ... والليلُ بين شَبيبةٍ ومَشيبِ
وعلى الرحائل ساجدون دَحَا(٤) بهم ... سُكْرانِ : سُكْرُ هوًى وسُكْرُ لُغوبِ
دعَموا الخدودَ بأذرعٍ مضعوفةٍ ... وتواقعوا لمناكبٍ وجُنوبِ
وتعلَّلوا طرَبا إلى أوطانهم ... بحنينِ كلِّ مندَّبٍ(٥) مجلوبِ
فكأنّ صَحْبي نالهم قَرقفٌ(٦) ... أو فزَّ بينهُمُ عِيابُ الطِّيبِ
فعجبتُ للزَّورِ القريبِ دنا به ... قَدرٌ وليس مَزارُه بقريب

---

(١) الشوامس جمع شامس وهو الفرس يمنع ظهره . (٢) الريّق : أول العمر . (٣) هذا الشطر دخل على أوله "الخرم" وهو ذهاب "الفاء" من "فعولن" . (٤) دَحَا بهم : رمَى بهم . (٥) المندَّب : الذي به آثار الجروح . (٦) قرقف : من أسماء الخمر، وفزّ : سال ونَدِيَ .

يَسرِى وحيدا "بالعراق" وأهلُه ما بين قُنَّةِ "لَعلَع" و"عَسيب"
وأبى سَلامةَ إنما جَلبَ الكرى منها عدوًّا فى ثياب حبيبِ
لو حُكِّمتْ يقظَى لما زارت بلا عِدَةٍ ولا وصلتْ بغيرِ رقيب
يا أختَ "فِهرٍ" والمحبة بيننا نسبٌ، وإن نادَاكِ غيرُ نسيبِ
لولاكِ لم أشِمِ الخلابَ ولاصبتْ نفسى لأحلامِ الكرى المكذوبِ
ولكان لى مندوحةٌ "بالحَزْنِ"[1] فى أخويك من رشأٍ له وقضيبِ
ناهضتُ حبَّك والنحولُ يخوننى وكتمتُ سرَّك والدموعُ تَشِى بى
وحَملتُ حتى قيلَ : مات إباؤه وجزعتُ حتى قيلَ : غيرُ لبيبِ
فاذا وذلك[2] ليس عندكِ نافعا لما مللتِ وقلَّ منك نصيبى
تجترمين الذنب تجزيني به والشيبُ والإقلالُ كلُّ ذنوبى
ثِنتان لو خُيِّرتُ فى كلتيهما عُمَر الربا مالى وعُمْر مَشيبى[3]
ولقد حَبستُ عن اللئامِ مَطامعى وأطلتُ فى دار الهوان مَغيبى
وعزفتُ والأرزاقُ مطمحُ ناظرى أَنِفًا من المتمنِّنِ الموهوبِ
مالى أذلُّ وسيف نصرى فى فمى والصونُ بين مآزرى وجيوبى
وعلىَّ دون الحاسدين ونَبلِهم دِرعان من فِطَنى ومن تجريبى

(١) الحزن : اسم موضع . (٢) يريد "فإذا هذا وذلك" كقول عبد الرحمن بن عبد الله أو عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى عمار المشهور بالقَسّ وهو صاحب سلَّامة المغنية

باتت تعلِّلنا وتحسب أننا * فى ذاك أيقاظ ونحن نيامُ
حتى اذا سطع الضياء لناظر * فاذا وذلك بيننا أحلامُ

وكقول أبى كبير الهذلىّ

فاذا وذلك ليس إلا ذكرُه * وإذا مضى شىءٌ كأنْ لم يُفعَلِ

(٣) كذا بالأصل رسما وشكلا ولعله :

ثنتان لو خُيِّرت فى كلتيهما * غَمرَ الرُّبَا مالى وعزَّ مشيبى



وحمــايةُ الأحرارِ تحفظُ جانبي ... والفضلُ يمنع سارحى وعزيبى

وإذا فزعتُ لجأتُ من أسدٍ إلى ... أسدٍ تأشَّبَ فى القنا المخضوبِ

ونزلتُ فى غُرَفِ العــلا متظلّلا ... بالعــزّ تحت رواقها المضروبِ

وعلِقتُ منهــا ذمّـــةً ومـــودّةً ... أن فات "حمّادٌ" بحبلِ "شبيبِ"

المــاجد ابن المــاجدين وربما ... تجدُ النجيبَ وليس بآبن نجيبِ

وآبن القِرى وآبن الصوارم والقنا ... والخيــلُ تخــلط أرجلا بسبيبِ

والواهبِ ما لا يُجــاد بمثــلِه ... والســالبِ ما ليس بالمســلوبِ

والراكبين الى ذوى حاجاتهم ... ظَهرا من الأخطار غيرِ رَكوبِ

جادوا فقال المالُ: سُحْبُ مَواهبٍ ... وسطَوْا فقال الموتُ: أُسدُ حروبِ

وتتابعوا فى المجـــد ينتظمونه، ... والرمحُ أُنبـــوبٌ على أنبـــوبِ

كانوا الأسنةَ فى "مَعَـدٍّ" كلِّها ... والناسُ بين مَعاقِدٍ وكُعوبِ

إن فوخروا شهِدت لهم أيآمهم ... فيـــها بكلِّ معــلَّمٍ مكتوبِ

يتوارثون مَكارما مُضَريّةً ... إرثَ النبوّةِ فى بنى "يعقوبِ"

دَرَجوا عليها آخذين بحكمها ... لم يُفســدوا حســناتها بعيوبِ

وجرى أبو الحملاتِ يطلبُ شأوَهم ... أكرِمْ به من لاحقٍ وطلوبِ

قالوا: الهمامُ، فأفرجَتْ أبطالُهم ... لك عن طريق الضيغمِ المرهوبِ

لقبٌ يصدّق فيــك معناه آسمَه ... ومن الرجالِ مُمَوَّهُ التلقيبِ

لك يا "شبيبُ" صباحَها ورواحَها ... عَقــرُ الكماةِ بها وعَقــرُ النيبِ

وعلى سلاحك أو سماحك أُركِزتْ ... راياتُهــا بفِنــائها المطــلوبِ

أصبحتَ غرّةَ مجــدها فبياضُه ... مستخرَجٌ من لونك الغــربيبِ

وعلامةُ العــربىّ دُهمـــةُ وجهه ... ومن الوجوه البيضِ غيرُ حسيبِ

• والبدرُ أشرفَ طالِعٍ فى أفقه ... وبياضُه المرموقُ فوق شُحوبِ
لله بيتُك أمنُهُ وجفانُهُ ... والحق بين مَخافةٍ وجُدوبِ
ومكرّماتُ النسلِ تُهونُ(١) فى القِرى ... بالمصطفى منها وبالمجنوبِ
وإذا الوَقودُ خَبَا جعلتَ لحومَها ... حطباً لنارِ الطارق المجلوبِ
من كلِّ مُشرِفةٍ تحدّث هامةً ... وردِيفةٍ(٢) عن "صَخرةٍ"(٣) و"عسيبِ"(٤)
الكُور(٥) فى وضح الصباحِ لظهرِها ... والسيفُ فى الظلماء للعُرقوبِ
حُدّثتُ والخبرُ الجلىُّ مصدَّقٌ ... عن سيبك المتدفّقِ المسكوبِ
وشمائلٍ لك فى الندى مطبوعةٍ ... كالتبر ليس صفاؤه بمشوبِ
وبما عَرفتَ فضائلى ووصفتَها ... ورغِبتَ فى ودّى وفى تقريبى
فاستاق منك غريبَ أشعارى الى ... متوحِّدٍ فى المكرماتِ غريبِ
فبعثتُها لك فاتحاً ما بيننا ... بابَ الوصال ونُهزةَ الترغيبِ
من كلِّ ساريةٍ بذكرك، صيتُها ... فى الأرض بين فدافدٍ وسُهوبِ
تزدادُ صبرا فى الزمانِ وقوّةً ... أبدا على الإدلاج(٦) والتأويبِ(٧)
وهى التى شَجَتِ الملوكَ وخودِعوا ... منها عن المنفوس والمرغوب
فاستقربوها مغرَمينَ بها وما ... تزدادُ غير تمنُّعٍ ونُكوبِ
وتفرّدتْ فى ذا الزمانِ بمعجزٍ ... لم تُؤتَ من ردٍّ ومن تكذيبِ
فاعرف لها حقَّ الزياره بغتةً ... وتلقَّها بالأهلِ والترحيبِ

---

(١) تهون : تهين . (٢) يريد : من كلّ مشرفةٍ هامةً وردِيمةٍ أى تابعة لها تحدّث عن صخرةٍ وعسيبٍ كناية عما لهذه النوق من الضخامة والارتفاع حتى صارت تحكى الجبال . (٣) صخرة : جبل .
(٤) عسيب : جبل باليمن وقد تقدّم . (٥) الكور : الرحل . (٦) الإدلاج : السير بالليل .
(٧) التأويب : السير جميع النهار .

وآكرِمْ عليها تجتابُ أخواتِهـا إنّ الصـلاةَ تتمُّ بالتعقيبِ
طلبتك تأملُ أن تنالَ بك الغنى فلئن وفَيْتَ لهـا فغيرُ عجيبِ

* * *

قال وكتب بهـا الى الصاحب عميدِ الحضرةِ ذى الرتبتين أبى طاهر بن حمّاد ، وقد بلَغه جميلُ ذكرِه به ، وتشوّقُه اليه ، وآستحسانُه لشعرِه ، وكان قد واصلَه بهدايا يريدُ بها مفاتحتَهُ ، وسفَرَ فى ذلك أبو الحسَن المختار بن عُبَيد الله الذهبيّ لأجل ما كان بينهما من المودّة والصحبة بمكاتبةٍ جامعاً بين الحقّين

(٤٢)

نظرةٌ منكِ ويومٌ "بالجَرِيبِ"(١) حَسْبُ نفسى من زمانٍ وحبيبِ
فمَن الواقفُ بى بينكما جَمْعَ الفُوقَ(٢) على سهمٍ مُصيبِ ؟
وقفــةً لا أشتكى من بعــدِها غُلَّةَ الصــدرِ ولا ذلَّ الغريبِ
يا آبنةَ "الجمرةِ"(٣) من "ذى يَزَنٍ" فى الصميمِ العِدِّ والبيتِ الرحيبِ
ما لكم ـــ لا أجدبَ اللهُ بكم ـــ يرتعِى جارُكُمُ غيرَ الخصيبِ ؟
الجـــدَى يمنعُـــه ذو جِـــدَةٍ(٤) والجنابُ الرحبُ ينبو بالجُنوبِ
ورماحٌ دونَ أضيافِكُمُ تأخذُ السالمَ فيكم بالمريبِ
أتّقيكم والهـــوى يقـــدمُ بى وأغضُّ الصوتَ والدمعُ يَشِى بى
ومنَ الشِّـقوةِ فى زورتِكم أنّ عينَ الرمحِ من عينِ الرقيبِ
لا يكن آخرَ عهـــدِى بِكُمُ ـ ياوُلاةَ القلبِ ـ ليلاتُ القليبِ(٥)
يا لَمن ينكُصُ عن غِزلانكم وهو وثّابٌ على الليثِ الغضوبِ

---

(١) الجريب : اسم واد . (٢) الفوق : موضع الوتر من السهم . (٣) يريد بالجمرة : إحدى جمرات العرب وهى القبيلة لا تنضمّ الى أحد . (٤) الجدة : اليسار والسعة . (٥) القليب : اسم ماء بنجد .

ومتى العزُّ؟ وفى أبياتكم ... أعينٌ تقهرُ سلطانَ القلوبِ

يا صَبا "نجدٍ" ويا بانَ "الغضا" ... أُرفُقا بى بالتثنِّى والهبوبِ

وآسلما، لا مثلَ ما طاحَ دمى ... منكما بين نسيمٍ وقضيبِ

قَسمَ البينُ فما عدّل بى ... غدرةَ الوافى وتبعيدَ القريبِ

وقضى الدهرُ فحالتْ صِبغةٌ ... عُدَّ ذنبُ الدهرِ فيها من ذنوبى

وفؤادى يشتكى جورَ النوى ... وعِذارِى يشتكى جورَ المشيبِ

كم أدارِى عَنَتَ الأيّام فى ... غَبْنِ حظّى وأُطاطِى للخطوبِ؟

وأردّ الحزمَ فى أُخْوصه ... وهو هافٍ يتنزّى للوثوبِ

قاعدا والجدُّ قد رحّلَ بى ... والمعالى يتقاضَيْنَ ركوبى

جِلسةَ الأعزلِ ياوِى يدَهُ ... وسلاحى بين كُورِى وجَنيبى

أمدحُ المثرين ظنًّا بهِمُ ... ربّما يُقمَرُ بالظنّ الكذوبِ

كلُّ وغدِ الكفِّ منبوذِ الحيا ... طيِّبِ المحضرِ مسبوبِ المغيبِ

يمنع الرِّفدَ وتَلقَى وفدَه ... خِفّةُ البخلِ بإدلالِ الوهوبِ

يطلبُ المدحَ لِأنْ يفضحَهُ ... وهو قبلَ المدحِ مستورُ العيوبِ

قلتُ للآمال فيه كَذَبَتْ ... أُمُّهُ — : إن كنتِ آمالى نخيبى

جَلَبُ الأرضِ عريضٌ دونه ... وسُرَى العيسِ وإدمانُ اللّغوبِ

وغلامٌ آخذٌ ما طلبتْ ... نفسُه أو فائتٌ كلَّ طلوبِ

يقمحُ[1] الضيمَ ولو أبصرهُ ... ليلةَ العِشرِ على الماءِ الشَّروبِ

ما أذلَّ الخصبَ فى دارِ الأذى ... وألذَّ العزَّ فى دارِ الجُدوبِ

يا بنى كلِّ نعيمٍ ضاحكٍ ... فى حِمى وجهٍ من اللؤمِ قَطوبِ

(١) يقال : قمح البعيرُ اذا رفع رأسه عن الشرب كارها له .

قـــد مالمناكـــم على شـــارتكم[١] ويضيقُ الصدرُ فى البيتِ الرحيبِ
وعسى الدنيـــا التى أدَّتـــكُمُ تصـــطفينا من بنيها بنجيبِ
ماجدِ الشيمةِ ســـهلٍ، ليـــلُه للقِرَى، صبٍّ إلى الحمدِ طَروبِ
يكسِبُ المـــالَ لأنـــ يُتلفـــهُ والعلا فى يدِ متلافٍ كسوبِ
تَخبُث الأيدى وفى راحتِيـــهِ من نداه أرجُ المَشـــتَا المَطيبِ
كابن "حمّـــادٍ" ولا مِثـــلَ له هل ترى للبدر فرداً من ضريبِ
جاذبَ الرُّوّاضَ عن مِقـــودِهِ مرِسٌ[٢] تُنكِرُه كفُّ الجَذيبِ
ودعا النـــاسَ الى تســـويدِهِ واسعُ الجمـــرةِ وهّاجُ الثُّقـــوبِ
أين يا سائقَها؟ أيـــن بها؟ جعجعِ[٣] الآمالَ فى غيرِ عزيبِ
جَمَعَ "الصاحبُ" من أطرافها وفى[٤] حيرَى الطُّرقِ عَمياءِ النُّكوبِ
ضمَّـــها بالرأيِ حـــتى التأمتْ شُلّتاها[٥] من شُـــذوذٍ وشـــذوبِ
ويدٍ ــ لا تربتْ تلك يدًا ــ ربقـــةِ[٦] الجانى وفكِّ المستنيبِ[٧]
ســـلّتِ الدولةُ منـــه صارما شرِقَ الصفحةِ ظمآنَ الغُروبِ
طَبَعَ الأقبـــالُ مِنـــ جوهرِهِ زُبْرةً تقدحُ نيرانَـــ الحروبِ
لو أطاعتـــه يدٌ حامـــلةٌ لم تُكذِّبْ ظبتاهُ عن ضَـــريبِ
جرَّبوه ماضـــيا حيثُ مضى صادعَ الوحيِ ومحتـــومَ الغيوبِ
قاِقًا، يَنفِى الكرى عن وجهـــهِ عِلمُه أنـــَّ المعالى فى الهبوبِ
ألمعِيـــًا ســـوّدته نفسُـــهُ والمساعى قبلَ تسويدِ الشعوبِ



(١) الشارة : الحسن والزينـة ، وفى الأصل : "شاربكم" وهو تحريف . (٢) المرس : ذو المراس والشدة . (٣) جعجع : أنخ . (٤) الوفىُ : ما اشرف من الأرض . (٥) الشلة : البعيد تطلبه . (٦) الربقة : العروة فى الحبل يشـد به البَهْم . (٧) فى الأصل المستثيب .

قدَّمتْــــهُ صاعدا عن قومِهِ مَصْعَدَ اللَّهــذمِ[١] قُدَّامَ الكعوبِ
هَبَهبـوا منــــه بايث فى الوغى قرِمِ[٢] الأظفارِ مشـتاقِ النُّيوبِ
خيرِ من خَبَّتْ[٣] له أو وَخَـدتْ للجــدَى ذاتُ سَـنامٍ وسَبيبِ
يأخذُ الحاجاتِ من حيثُ غلتْ غيرَ معذولٍ على حبِّ الغُصوبِ
تحسَبُ الغـابةَ مما آجـــتره حومـةً بين عَقـيرٍ وتريبِ
ماضــيا لم يثنِــهِ عن قصـــدِهِ هجمةُ الليلِ ولا طولُ الدؤوبِ
جَمَعَ الجـودَ الى البأسِ كما شعشعَتْ نارٌ بمـاءٍ فى قضيبِ
راحةٌ لم يَعــلَق البخـلُ بهـا وفــؤادٌ لم يُسـقهْ بالوجيبِ
ولسانٌ يخصِمُ السيفَ به يترك الفـارسَ عبـدا للخطيب
مَنْ رسولٌ سَــعِدتْ رحلتُــهُ — يومَ أدعوهُ بلبَّيْكَ — مجيبِ ؟
ناصحُ الجيبِ بما حمّلتُـــهُ حيثُ يخشى مُرسِلٌ غِشَّ الجيوبِ
لم أكلِّفهُ سُرى البيــدِ ولم أتعسَّــفه باخطارِ السُّهوبِ
عيسُـــه ، ململومةٌ[٤] يركب منها[٥] مطمئنا ظهرَ مِذلالٍ رَكوبِ
تقسِـــمُ المـاءَ بباعٍ مطـــلَقٍ وفقارٍ[٦] مُرسَــلِ الحبلِ[٧] سَروبِ
صــعبةُ الخلقــةِ سهلٌ أرضها فهو بين اللينِ منها والصَّليبِ
ساريا ليستْ عليــه خِيفــةٌ ما وقاه الله سَـوْراتِ الجَنوبِ
قــل لنوتيِّـــك : شَرِّعْ آمنـا حَذَرَ التيَّارِ والمـوجِ العصيبِ
رِدْ بها ''مَيسانَ'' واحبسها على الـ ـمَعقِلِ الممنوعِ والوادى العشيبِ

---

(١) اللهذم : القاطع من الاسنة . (٢) القرِمُ . ذو الشوق وأصله من القَرْم وهو شدّة الشهوة الى الطعام وكثر حتى قيل فى الشوق . (٣) فى الأصل ''حنت'' . (٤) ململومة : مستديرة و يريد بها السفينة . (٥) كذا بالأصل ولعلّه قد ردّ هذا الشطر من ''فاعان'' الى ''فاعلاتن'' وفى النسخة المطبوعة ''يركبها'' . (٦) الفقار : ما آنتضد من عظام الظهر . (٧) فى الاصل ''الخيل'' وهو تحريف .

فاذا ضـاقت فعـلِّقها ”أبَا طاهرٍ“ تَعلَقْ بفرّاجِ الـكروبِ
والى ذى الرتبتيْنِ آبتـدرتْ فُرَصُ المجـدِ وحاجاتُ الأريبِ
قل له عَنّىَ : حيِّتـك العُـلا بوكيفٍ من حَيَا الشكرِ صَبيبِ
وسَقَى عِرضَكَ ـ ما آستسقيتَه ـ بارقٌ من مِدَحِى غـيرُ خَلوبِ
ترفُلُ الأحسـابُ فى روضـتِهِ مَرفَلَ الغـادةِ فى البُرْدِ القشيبِ
خيرُ ما آستثمرَ من غَرسِ النَدَى وآجتنَى من غُصُنِ الجودِ الرطيبِ
وبذلتَ الوفْـرَ حتى آبتعثَـهُ هَمَّ آدابك مِنْ حُسنٍ وطِيبِ
جاءنى أنَّـك مشـعوفٌ به شَغَفَ العذرىّ بالخشِفِ(١) الربيبِ
راغبًا أنْ تصْطَفَى من جِدّه والفكاهاتِ بمـدحٍ أو نسيبِ
وتُحَلّى منـه عِقـدا ، باقيـا فخـرُهُ فى كلِّ جيـدٍ وتريبِ
قلتُ : فضلٌ عَجَبٌ من دهرِنا وهـو من فاعله غيرُ عجيبِ
ما تبالى حيـن تَسـتامُ العلا أخطيبُ الشمسِ أم أنتَ خطيبى
أَنَا من يُعطيـك مجـدا حاضرا ويُبَقِّى لك مجـدا فى العَقيبِ
لا كقولٍ يطرد ”الساقى“(٢) به جذوةً تخمُـدُ من قبـلِ اللهيبِ
كم يُمَنّيـنى عـلى سلطانِهـا نفْسَ مَرجُوٍّ ومَخشِىٍّ مَهيبِ
وآبتغَى بالمـالِ أنْ يشرِيَنى فترفَّعْتُ فطارتْ عقَّـتى بى
لكن آشتقتُ وقـد سُمِّيتَ لى بسماتِ الفضلِ والجودِ الغريبِ
فافترِ غ خيرَ هَـدِىٍّ(٣) وأَثِبْ خيرَ ما جادت به نفسُ مُثيبِ
واذا صرتَ نصـيبى منهُـمُ فقد آستوفيتُ من دهرى نصيبى

---

(١) الخشف مثلثة : ولد الظبى . (٢) لعله آسم شخص يعنيه . (٣) الهدىّ : العروس .

***

وقال وقد آتفق بُعدُ وزير الوزراء عميـدِ الدولةِ أبي سعدٍ ونزوله "أوانا"(١)، مستوحشا من سببٍ خافه ببغداد، وظهور التأسّفِ ممّن فيها على بُعدِه، وتلوّح قُربِ عَودِه، فكتب اليه يبشّره بذلك، ويذكُرُ صحّةَ تفاؤله بالسلامة فى مثله، وأنفذها الى "أوانا" فى النّيروز

نرقُّ، وتقسو " بالغوير " قـلوبُ ... ونَسألُ سكّانَ " الغضا " ونجيبُ(٢)

وتهفو على " ذاتِ النقا " بحلومنا ... وجوهٌ تُريحُ الوجـدَ وهو عزيبُ(٣)

وقفنا ومنّا رابطٌ جاشَ قلبِـهِ ... برىءٌ ومحلولُ العـزاءِ مريبُ

تجاذَبُنا أيدى الحميّـةِ والهوى ... ونأبى عـلى الأشـواقِ ثمّ نُجيبُ

نغالطُ ألحاظَ المها عن قلوبنا ... و " بالرمل " قارىٌّ(٤) السهامِ مُصيبُ

اذا أخفـقَ القنّاصُ راح بكل ما ... يَرى مُطعِمٌ للصيد منـه كسوبُ

قَضَى من دماءٍ ما آستحلَّ وحلّقتْ ... به نِيّةٌ عمّا أشاطَ(٥) شَعوبُ(٦)

فما هو بعد " النّعفِ(٧) " إلا عُلالةٌ ... أحاديثُ نفسٍ تفـترِى وتحـوبُ

تَسرُّك منها — والدجَى فى قميصه — ... زخارفُ يحـلو زُورُها ويطيبُ

فتطرَبُ والشادِى بها سامرُ المنى ... وتشربُ ما يَسـقِى وجفنُك كُوبُ

حمى الله عينا من قَـذاها على الحِمى ... تجِفُّ(٨) ضروعُ المـزنِ وهى حَلوبُ

---

(١) أوانا : اسم بليدة . (٢) هذا البيت ورد فى الأصل هكذارسما وشكلا :

" تَرِقُّ وتقسو بالغُوير قلوبُ * ويُسأَلُ سكان الغضا ويُجيبُ "

ولمّا لم نوفّق الى معنى نطمئنّ اليه آضطررنا الى تصحيفه . (٣) فى الأصل "غريب" وهو تحريف .

(٤) القاريّ : نسبة الى قبيلة آسمها " القارة " وهم رماة ومنه المثل " أنصف القارةَ من راماها " .

(٥) عما أشاط : عما عرّضه للقتل . (٦) شعوب : متشعبة . (٧) النعف : اسم بلدة .

(٨) فى الأصل "تخفّ" وهو تحريف .

اذا قلتُ : أفنى البرق جَمَّـةَ مائهـا مراها مرورُ البـرقِ وهى جَنوبُ

بكت وغديرُ الحىّ طامٍ فأصبحت عليـــه المطايا الحائمـاتُ تلوبُ (١)

وما خلتُ قبـلى أنَّ عينا ركيَّةٌ ولا أنّ مِلح المـاقِيَيْنِ (٢) شَروبُ !

وليلةَ "ذاتِ البانِ" ساهرتُ طالعا من النجم لم يُكتَبْ عليـه غروبُ

أسائلُ عن نومى وضـوءِ صباحها وأعيا ، فأىّ الغائبين يؤوبُ ؟

سَرتْ تخبط الوادى الىّ وصُحبتى : طريحٌ عـــلى أقتابِهِ وكـئيبُ

أناخوا الى تعريسـةٍ (٣) قلّ عُمرُها فمـا هى إلا خَفقةٌ وهبـــوبُ

فللريحِ منهـــم أعينٌ ومسامعٌ وللتربِ منهـــم أذرعٌ وجُنوبُ

فزارت فحيَّت ممسكا بفـــؤادِهِ له نازعٌ من شوقه وجَـــذيبُ

فيا لك باقى ليـــلةٍ لو تخلّصتْ من الغِشِّ يُقذِى صفوها ويشوبُ

ولكن نهانى الخوفُ : قم أنت مدركٌ ، وصاحَ الظلامُ : الصبحُ منك قريبُ

ولم أدرِ أنَّ القربَ عينٌ حفيظةٌ علىّ ولا أنّ الوصـالَ رقيبُ

يخوّفنى عضَّ الزمان ، ومنكبى رَديدٌ على حملِ الزمانِ جليبُ

تعـــودتُهُ لا خاضـــعا لخطوبه وكيف وكلُّ العيش فيـه خطوبُ ؟

وكم غمـزةٍ فى جانبى لم أقل لهـا : أَلِمتِ ، وجُرحى لو شكوتُ رغيبُ

تعـمّق فيهـا مُخلِبا ومُنيِّبا (٤) وأقلعَ والنبــعُ (٥) الأصمُّ صليبُ

وهل أتغطَّى منـــه خوفا وموئلى جنـابٌ منيعٌ للوزير رحيبُ ؟

ودونِىَ منه إن مشى نحوِىَ الأذى طِــرابٌ تدمّى الناعلاتِ ولُوبُ

---

(١) تلوب : تحوم حول المـاء من العطش ، ومنه : إبل لُوبٌ . (٢) المـاق : مجرى الدمع من العين أو طرفها من جهة الأنف . (٣) التعريسة : الاستراحة فى آخر الليل . (٤) أى باحثا بمخلبه ونابه . (٥) النبع : شجر تعمل منه الرماح .

وحصداءُ[1] من نُعماه، كلُّ مسدَّدٍ ... له حَيَدٌ عن سَردها ونُكوبُ
حمانى من الأيّام أروعُ لو حَمى ... شبابِىَ لم يُقدِمْ عليه مَشيبُ
رعَى "شرفُ الدين" العلا برعايتى ... فما شَمّ ريحا حول سرحِىَ ذيبُ
أثِرْ بُزلَها[2] يا طالبَ المجدِ والغنى ... وخاطِرْ بها فابنُ الخطارِ نجيبُ
وطرِّقْ هواديها الجبالَ وخلِّها ... تجوبُ مع الظلماءِ حيث تجوبُ
تقدَّمْ بها فالسعدُ بالمرءِ مقبِلٌ ... ولا تتهيَّبْ فالشقاءُ هَيوبُ
أقِمْ ببنى "عبد الرحيم" صدورَها ... اذا حطَّ منها أو أمالَ لُغوبُ
وغَنِّ بهم أسماعَها إن حدوتَها ... تحِنّ اذا حنَّت لتطرَبَ نِيبُ
ففى العيس قلبٌ مثلُ قلبك ماجدٌ ... وسمعٌ الى ذكرِ الكرام طروبُ
تيمَّمْ أعالى "دِجلةٍ" فانحُ "شامةً"[3] ... بحيثُ تَبُلُّ العيشَ وهو جديبُ
وناصِ بها[4] فرعَ "الدُّجيل" فعندَه ... مَرادٌ يعمُّ الرائدين عشيبُ
وقلْ "لعميد الدولة": اسمعْ فإنها ... مَلاحمُ إن فتَّشتها وخُطوبُ
لحظتَ ذَرا أعجازها من صدورها ... وبعضُ ظنونِ الألمعىِّ غيوبُ
وداويتَها بالرأى حتى كفيتَها ... وما كلُّ آراءِ الرجالِ طبيبُ
عجِلتَ لها مستأنيا ما وراءها ... وللأمرِ بادٍ ظاهرٌ وعَقيبُ
خلَصتَ خلوص التبرِ منها مسلَّمًا، ... عليك وميضٌ صادعٌ ولهيبُ
وقالوا خِطاءً: مسرعا متعجلا، ... وقد يتأنّى فى الأمور طَلوبُ
وأهونَ بالتغريرِ فيها كأنه ... بجِدّ الخطوبِ المثقلاتِ لَعوبُ
وما علموا أنّ السهامَ موارقٌ ... ولا أنّ خَطْواتِ الأسودِ وُثوبُ

(١) الحصداء: الدرع المحكمة. (٢) البزل جمع بازل وهو الجمل المسنّ. (٣) دجلة وشامة: اسما نهر وجبل. (٤) يقال: ناصاه: أخذ كل منهما بناصية صاحبه والدجيل: شِعب فى بغداد.

سهرتَ ونامَ الغمرُ عما رأيتَــهُ ففــزتَ، وطرفُ الألمعيِّ رَقوبُ
كأنَّ لك اليــومَ المنعّمَ صُبحةٌ(١) ويومُ الحريصِ المستغرِّ عصيبُ
وقالوا : طَوَى "بغدادَ" بغضا وسلوةً و"بغـــدادُ" مغنًى للحياة خصيبُ
وظنّوك إذ فارقتهـا أنّ قلبهـا ـعلى قلة الإعراضِ عنك ـ يَطيبُ
وقد تظعنُ الأشخاصُ والحبُّ قاطنٌ ويكثر هجــرُ البيتِ وهو حبيبُ
وما الملكُ إلا جَنّــةٌ عمّ نورها ومــذ غبتَ عنهـا سُهمةٌ وشحوبُ
فكيف غدت شلاء(٢)! لا بدمِ العدا ولا بعطارِ الغـانياتِ خضيبُ !
بكى وحشــةً وهو المغيضُ دموعَهُ وأنَّ لحَرِّ الجُــرحِ وهو ضريبُ
وكنتَ له وجها ضحوكا فبِشرُهُ عُبوسٌ — وقد فارقته — وقُطوبُ
يُوَرَّى(٣) حياءً والنــدامةُ غُصــةٌ لهـا خَدشةٌ فى صــدره ونُدوبُ
الى ماجدٍ فى صــدره قمرُ الدجى اذا تمَّ، راضٍ والهزبرُ غَضوبُ
تُقَبِّلُ منــه راحةٌ تقتلُ الصدَى تعـلَّمَ منها المزنُ كيف يصوبُ
رسَتْ فى الندَى حتى ٱستقرَّت عروقُها من البحرِ، والعرقُ الكريمُ لَصوبُ(٤)
يدٌ، تعجبُ الأقلام من أُنسِ سيفِه بهـا، وهـو فيما بينهنَّ غريبُ
اذا ٱختصَموا، قالت: تأخّرْ، فإنما لنا السبقُ، فٱتبعنا وأنت جنيبُ
فيأبَى له الحــدُّ المصمّمُ أنه يؤخَّرُ والأقــلامُ عنــه تنوبُ
وتجــرِى هَناتٌ بينهنّ و بينــه يُحكِّمُ فيهـا فارسٌ وخطيبُ
فيجعــلُ للأقلام فيهـا نصيبهَـا بحقٍّ، وللسيـفِ الحسامِ نصيبُ
وقد زعموا أنّ الحجـا متكهِّلٌ وأنّ رجالاتِ السيادةِ شِيبُ

---

(١) الصبحة : نوم الغداة . (٢) شلاء : متعطّلة الكف . (٣) يورّى : يتّقــد .
(٤) اللصوب : الناشب اللاصق .

فلله منك المنتهى فى آقتباله ... ومَنْ رَبَّ أمرَ الناس وهو ربيبُ
ومَنْ بسقتْ أغصانُه فتفرّعتْ ... على الشجرِ العادىّ[1] وهو قضيبُ
ولا تُبلِ أثوابَ الوزارةِ بعد ما ... كستك بها الأيّام وهى سليبُ
تَقمّصَها قومٌ وما خُلِقتْ لهم ... فهانوا، ومن بعضِ الجمالِ عيوبُ
أتتك فصار الرقُّ فى يدِ مالكٍ ... وقد دنّستها بِذلّةٍ وغُصوبُ
وسالَمَ معناها بسوددِك آسمَها ... وبينهما فى آخرين حروبُ
تَنافَى بيوتُ معشرٍ وبيوتُها ... وأنت لها فى جانبيك نسيبُ
فما بيت "إسماعيلَ" عنها بنازحٍ ... ولا أنّ بها "عبدُ الرحيم" غريبُ
فلو هبَّ مَيْتٌ من كراه فقام أو ... تطلّعَ مرموسُ[2] الجبين تريبُ[3]
لَقرّتْ عيونٌ أو لسُرّتْ مَضاجعٌ ... بأنّك ميراثٌ لها وعقيبُ
إذنْ لرأت منك الذى الشمسُ لا تَرَى ... بأنجمها فى الأفق حين تغيبُ
نَشرتَ لهم فخرا يعيشُ حديثُه ... ويَخلُقُ[4] عمرُ الدهر وهو قشيبُ
لئن عَمَّ شرٌّ أو أُسِرَّتْ ضغائنٌ ... ببغيٍ، فإنّ الله عنك حسيبُ
وقد علمتْ نجوَى رُقاك عقاربٌ ... لها نحوكم تحت الظلام دبيبُ
ولم تك إلا هفوةً وآستقالها الـ ... ـزمانُ وذَنبا وهو منه يتوبُ
ولا بدَّ للإقبال من يومِ عَودةٍ ... تدافعُ عنه العينُ حين تصيبُ
وكم رافعٍ لى بالعداوةِ صوتَه ... يُهِيبُ فى إيعادِه ويُهيبُ!
قويًّا على ظلمى بسيفِ عدوّكم ... وعهدى به بالأمس وهو يخيبُ
يظُنّ ـ وحاشا كم ـ عُراى تقطّعتْ ... وأنّى أخيذٌ[5] والزمان طليبُ

(١) العادىّ: القديم. (٢) المرموس: المدفون فى الرمس. (٣) التريب: المعفر بالتراب. (٤) يخلق: يبلَى. (٥) الأخيذ: الأسير.

وأنّ قناتي بعدكم ستلينُها ضُروسٌ له مذروبةٌ ونُيوبُ
ولم يدرِ أنّ "الشامَ" لو حالَ دونكم وزيلتُه(1) عنكم لكنتُ أصيبُ
فقلتُ: لفيكَ التربُ أو فوقك الحصى تغيبُ أُسودُ الغابِ ثمّ تؤوبُ
غدًا تُطلِعُ الراياتُ ـ والنصرُ تحتها ـ كتيبًا يوليِّه النجاحَ كتيبُ(2)
ترى المجدَ في أطرافها خافقَ الحشا سرورا بما ضمّت وأنتَ كئيبُ
و"بغدادُ" طلقٌ وجهُها متبسمٌ وللمُلكِ من بعد الخمودِ شُبوبُ
بشائرُ، لي في مثلهنّ مواقفٌ أصدِّق فيها والزمانُ كذوبُ
مجرَّبةٌ فيكم كأنّ عيونَها لها خلفَ أستارِ الغيوبِ ثقوبُ
تمرّ لكم طيري يمينا بزجرها على مَشهدٍ مني وحين أغيبُ
نشدتكُم باللهِ كيف رأيتُمُ مَناجحَها، والعائفات(3) تخيبُ(4)
فقولوا: نعمْ وُفِّقتَ، وارعوا ذمامَها غدًا، وغدٌ للناظرين قريبُ
بكم يابني "عبد الكريم"(5) انجلى القذى وأصبحَ وعرُ الجودِ وهو لحيبُ(6)
اذا أجدبتْ أرضي وسُدّتْ مَواردي فعندكُمُ لي روضةٌ وقليبُ
ولما رأيتُ الحبَّ في الهزلِ(7) سُنّةً عشقتكُمُ، والعاشقون ضُروبُ
فمَن يُعطِ منكم طالبا فوق حقّه فحقّي دَينٌ لازمٌ ووُجوبُ
فلا قَلَصتْ عني سحائبُ ظلّكم فمنها مُرِذٌّ(8) تارة وسَكوبُ



(1) في الاصل: زلّيتُه ولم نعثر على هذه الكلمة في كتب اللغة ولعلها محرفة عن "زيّلتُه".

(2) الكتيب: الفرقة من الجيش. (3) العائفات: الزاجرات للطير. (4) في الأصل: "تجيب" ولعله تحريف. (5) كذا بالأصل ولعله "عبد الرحيم" كما يعيّنه قوله قبل ذلك في نفس هذه القصيدة

* أفي بني "عبد الرحيم" صدورها *

وقد ورد ذكره هذا الأسم في عدة قصائد. (6) اللحيب: الواضح. (7) الهزل: الأفتقار والضيق. (8) المرذّ: السحاب الذي يهمي بالرذاذ وهو المطر الضعيف.

ولا عـــدِمتكم نعمةٌ خُلقتْ لكم ودنيـا لكم فيهـا الحياة تطيبُ
يزورُكم النَّـيروز مقتبَـلَ الصِّبا وقد دبَّ فى رأس الزمان مشـيبُ
تصوِّح أغصانُ الأعادى وغصنكم من السـعد ريَّانُ النباتِ رطيبُ
دعاءٌ حيالى فيـه ألفُ مؤمِّنٍ(١) توافقُ منهـم ألسنٌ وقـلوبُ

* * *

وقال وكتب بهـا الى أبى الحملات شبيب بن حمّاد بن مَزْيَد ، يعاتبه على تأخير رسمه ، وتغافلِه عن مقابلة قصائدَ أنفذها الى حضرته ، وذلك فى شعبان سنة عشرين وأربعمائة

ألا مَن مبلغٌ "أسدا" رسولا متى شهِدَ النـدىَّ فما أغيبُ
وعوفٌ منهُمُ أربى ، "فعوفٌ" عيونُ "خُزَيمةٍ" ، وهم القلوبُ
أفرسانَ الصباح اذا آقشعرتْ من الفزعِ السنابكُ(٢) والسبيبُ
وضاق مَخارجُ الأنفاسِ حتّى تُفرِّجَ عن سيوفكم الكروبُ
ويا أيدى الحيا والعامُ جدبٌ ووجهُ الأرض مغبرٌّ قَطوبُ
مَجازرُ تُفهِقُ(٣) الجفَناتُ منهـا ونارُ قِــرًى شرارتُهـا لهيبُ
اذا جَمَـدَ الضيوفُ تكفَّلتهم لهـا فِـلَذٌ وأسنمةٌ تذوبُ
ويا أقمـارَ "عدنانٍ" وجوها يشِفُّ على وَضاءتها الشحوبُ
أصيخوا لى فلى مَعَكم حديثٌ عجيبٌ يوم أَنْشُـوهُ(٤) غريبُ
متى أنصـفتُمُ فالحقُّ فيـه عليكم واضحٌ لى والوجوبُ
وإن أعرضتُمُ ورضيتموهُ فإنّ المجـدَ ممتعِضٌ غَضوبُ

---

(١) فى الأصل "ميِّن" . (٢) السنبك : طرف الحافر . (٣) تُفهِق : تُملأ .
(٤) أنشوه : أشيعه وأحدث به .

حديثٌ لو تلوه على "زهيرٍ" غدا من مدحه "هَرِمًا" يتوبُ
بأىّ حكومةٍ و بأىّ عــدلٍ أُصابُ من القريضِ ولا أُصيبُ ؟
وكم أعراضكم تزكو بمدحى وتنجحُ والمنى فيكم تخيبُ !
تردُّونَ الغُصــوبَ بكلّ أرضٍ وتوجَــدُ فى بيوتكم الغُصوبُ !
وتحمونــ البلادَ وفى ذَراكم حريمُ الشِّـــعرِ منتهَكٌ سليبُ !
وعنـــدكُمُ لكلِّ طريدِ قومٍ جِوارٌ مانعٌ وقِـــرًى رحيبُ !
وأبكارٌ وعُونٌــ من ثنائى عجائفُ ، عيشُها فيكم جديبُ !
محبَّبـــةٌ اذا رُوِيَتْ فإمّا طلبتُ مهورَهنَّ فلا حبيبُ
اذا أحسنتُ فى قولٍ أساءُ الـ ـفعـالَ كأنّ إحسانى ذنوبُ
أجرُّ المَطْلَ عاما بعــد عامٍ مَواعــدَ برقُها أبدًا خـلوبُ
و يا لَلنّـاسِ أَسلُبُ كلَّ حَىٍّ كـرائمَهُ ويَسلُبُنى "شَبيبُ" !
أمدُّ اليـــه أرشيةَ[1] المعـالى فيعطِشُنى وراحتُـــه القَليبُ
وأُلبسُـــه ثيابَ المدحِ فخرا فيُمسِكُ لا يُجيبُ ولا يُهيبُ
ويسمحُ خاطرى فيــه ابتداءً ويمنعُ وهـــو بذّالٌ وهوبُ
ولم نَعرِفْ غلاما "مَزْيَدِيًّا" يناديه السماحُ فــلا يُجيبُ
ولو ناديتُ من كَثَبٍ "عليًّا" تدفَّق ذلك الغيثُ السَّكوبُ
وَمنَّ على عوائده القُـــدَامَى مُضِىَّ الريحِ جدَّ بهِ الهُبوبُ
ولو "حمّـادُ" يزقو[2] لى صداه لأُكرِمَ ذلك الجســدُ التريبُ
أصـــولُكُمُ وأجدرُ إذ شهدتم مقـامَ علائهـــم ألّا يغيبوا
فما لك يا "شبيبُ" خَلاكَ ذمٌّ تَجِفُّ وعندك الضَّرعُ الحلوبُ ؟



(١) فى الأصل "أرستة" . (٢) يزقو : يصيح .

وما لخــــريدةٍ خفِيتْ لديكم   تكادُ عـــلى طُفولتها تشيبُ
محلَّلة النكاحِ بلا صَــــدَاقٍ   وذلك عنـــدكم إثمٌ وحُوبُ
يَطيبُ الشيءُ مرتخَصا مباحا   ومُرتخَصُ المدائح لا يطيبُ
فأين حياءُ وجهِك يوم تُحدَى   بها فى وصفك الإبلُ اللُّغوبُ؟
وأين حياء وجهك فى البوادى   اذا غنَّى بها الشادى الطروبُ؟
وكيف تقول: هذا وصفُ مجدى   فلا أُجدى عليـــه ولا أُثيبُ؟
وكم نَشَزتْ[1] على قومٍ سواكم   فلم يعلَقْ بهـا الرجلُ الطَّلوبُ
وراودنى ملوكُ النـاس عنها   وكلٌّ باذلٌ فيهـا خطيبُ
فلم يُكشَفْ لهـا وجهٌ مباحٌ   ولم يُعرَفْ لهـا ظهرٌ رَكوبُ
فلا يَغرُرْك منهـا مَسُّ صِـلٍّ   يلين وتحت هَـدْأته وُثوبُ
أخافُ بأن يعاجِلَنى فيطغَى   فتُصـــبِحَ[2] بالذى تُثنِى تَعيبُ
وتَشرُدَ عنكُـمُ متظلِّماتٍ   وتبغون الإياب فلا تؤوبُ

***

وقال وكتب بها الى عميد الرؤساء أبى طالب بن أيّوب، وقد آستقرت له وزارةُ الإمام القادر بالله رضوان الله عليه مكانَ أبى الحسن بن حاجب النعمان، يذكر ذلك ويهنّئه بالنَّيروز الواقع فى شهر ربيع الاول سنة آثنتين وعشرين وأربعمائة

جاء بهـا — والخيرُ مجلوبُ —   طيفٌ على الوَحــدةِ مصحوبُ
طوى الفـــلا يركب أشواقَه   والشـوقُ فى الأخطار مركوبُ
سـاعةَ لا مَسرَى عـــلى شقّةٍ   تَعيا بهـا الـبُزْلُ المصـاعيبُ
يرغبُ فى الظلمـاءِ مستأنسـا   وجانبُ الظلمـاءِ مرهـوبُ

(١) نشزت: امتنعت، وفى الأصل "نشرت" وهو تحريف   (٢) أى فتصبح قصائده.

أحسنَ بى حـتى تخيّلتُـه ... أصـدقَ شيءٍ وهو مكذوبُ

أنّى تصدّيتَ لنـا "باللّوى" ... "وصارةٌ" "دارك" "فاللُّوبُ"[1]

وبيننا عَمياءُ من أرضكم ... دليلُها أبلَهُ مسـلوبُ

لا يهتـدى الذئبُ الى رزقهِ ... فيها ولو شَمَّ بها الذيبُ

فزرتَ شُعْثًا طاف ساقى الكرى ... عليهمُ والطاسُ والكوبُ

فما تدلّى النجمُ حتى آلتـوى ... مماكسٌ[2] منهم وشِرّيبُ

بِتُّ ورحـلِى بكِ رَيحانةٌ ... نمَّ عليها الحسنُ والطيبُ

كأنما ذيلُ الصَّبا فـوقها ... بالقَطرِ أو ذيلُكِ مسحوبُ

يا آبنـةَ قومٍ وجدوا ثأرَهم ... عنـدى بها والثأرُ مطلوبُ

لولاكِ — والأيّام دوّالةٌ — ... ما آستعبَدَ الفُرسَ الأعاريبُ

أراجعٌ لى بضمانِ المنَى ... "ملحوبُ" أو ما ضمّ "ملحوبُ"[3] ؟

وصالحاتٍ من ليالى الحمى ... ما شابَها إثم ولا حُوبُ

لهوىَ نُسكٌ ووجوهُ الدمى ... تحت دجاها لى مَحاريبُ

وذاهـلٍ عابَ حنينى لها ... ولم يعِبْ أَنْ حنّتِ النيبُ

قال : سَفاهٌ ذكرُ ما قد مضى ... وظَنَّ أنّ اللومَ تأديبُ

ما لكَ ؟ لا أحببتَ إلا ومن ... فوقك سوطُ العذلِ مصبوبُ

إنْ أَبكِ أمرا بعد ما فاتنى ... فقد بكى قبلِيَ "يعقوبُ"

وأنكرَ الصبوةَ من شائبٍ ... حتى كأنْ ما صبتِ الشِّيبُ !

وهل عَدَتنى شيبةٌ فى الحشا ... إذ مَفرِقى أَسودُ غِربيبُ

---

(١) اللوب وما قبلها : أسماء مواضع . (٢) المماكس : المشاكس . (٣) ملحوب : اسم موضع .

لا لاقطٌ فيها ولا خاضبٌ والشَّيبُ ملقوطٌ ومخضوبُ
يَغلبُ فيها الحبُّ أمرَ النُّهَى والحزمُ بالأهواءِ مغلوبُ
أَمَا تقنَّعتَ بها رثَّةً لابسُها عُريانُ مسلوبُ ؟
تلاقتِ الأوجهُ مَقتاً لها عنِّي فمُزورٌّ (١) ومقطوبُ
ناصعةٌ فى العينِ لكنَّها تُبغَضُ، والناصعُ محبوبُ
فقد أراها وضيا وجهِها لى شَرَكٌ فى البيضِ منصوبُ
أيامَ فى قوسِ الصِّبا مَنزَعٌ ونَبلُهُ المكنونُ مَنكوبُ
وقد أزورُ الحيَّ مُستَقْبَلاً، لى منهُ تأهيلٌ وترحيبُ
وأَغشِمُ (٢) البيتَ بلا آذنٍ وهو على الأقمارِ مضروبُ
وأَشهَدُ النادى، فمستعبَدُ الـ ـسمعِ بآياتى ومخلوب
ومُوصَدِ الأبوابِ ناديتُهُ حتى بدا لِى وهو محجوبُ
خادعتُ من سلطانِه صخرةً فانبجستْ (٣) لى وهى شُؤبوبُ
ورحتُ عنه والذى يَملكُ الـ ـمملوكُ والغاصبُ مغصوبُ
فاليومَ إنْ صرتُ الى ما تَرَى فهْى الليالِى والأعاجيبُ
آنسنى بالعُدمِ توفيرُهُ عِرضِى وأنَّ المالَ موهوبُ

---

(١) المزورّ : المائل بجنبه، والمقطوب الذى به عبوس . (٢) أغشم البيت : أدخله غصبا، وفى الأصل "أعشم" وهو تحريف، وقد شككنا فى صحة هذه الكلمة حتى أكدها قوله فى هذه القصيدة

ما هجمَتْ غَشْماً ولا ضره تدرُّجٌ فيها وترَيُّبُ

وقوله فى قصيدة أخرى

تَعلَقُ بالآذانِ موصولةً غَشْماً بلا إذنٍ ولا حاجبِ

(٣) انبجست : تفجّرت .

جرّبتُ قوما فتجنّبتُهم ورُسُلُ العقلِ التجاريبُ
وزادنى خُبراً بمن أتّقِى أنّى بمن آمنُ منكوبُ
قل لأخى الحِرصِ : آسترحْ إنما حَظُّكَ إدلاجٌ وتأويبُ
اذا الحظوظ آنصرفتْ جانبا لم يُغنِ تصعيدٌ وتصويبُ
مالكَ تحتَ الهُونِ مسترزِقا ؟ وإنما رزقُك مكتوبُ
لا تذهبنّ اليومَ فى ذِلةٍ فاليومُ من عُمرك محسوبُ
وإن جهدتَ النفسَ فى مكسَبٍ فالمجدَ، إنّ المجدَ مكسوبُ
جَدَّ آبنُ "أيوبَ" ولو قد ونى كفاهُ ما شَيّدَ "أيوبُ"
رأى رُوَيدَ السير عجزا به فسيرُهُ حُضْرٌ وتقريبُ
سما الى المجد، فقال العدا : له طريقٌ فيه ملحوبُ
ساد طريرَ الماءِ[1] حتى آنتهى والشّيبُ فى فوديه أُلهوبُ
والرمحُ لا يُذْرَعُ[2] إلا إذا تكاملَتْ فيه الأنابيبُ
أضحى وزيرُ الدِّين ذا مَغرَمٍ: وزارةُ الدنيا وتعذيبُ
رتبةُ عِزٍّ، نفرُها عاجلٌ وأجرُها ذُخرٌ وتعقيبُ
ما هجمتْ غشماً ولا ضرّه تدرّجٌ فيها وترتيبُ
وزارةٌ ما زال من قومه مُعرِّقٌ[3] فيها ومنسوبُ
أبناءُ "عبّاسٍ" و"أيوبَ" مذ تفرّعوا رَبٌّ ومربوبُ
خلائفُ الله وأنصارُهم فصاحبٌ طابَ ومصحوبُ

(١) طرير الماء : غضًا فتياً . (٢) يذرع : يقاس بالدراع . (٣) المعرّق : العريق .

لا ودُّهم غِلٌّ ولا حبلُهم ... يوما بغدرِ الكفِّ مقضوبُ
جارهُمُ يؤكل فى جَورِهم ... ومالُهُمْ بالإفكِ منهوبُ
وما على مُقْصٍ سواكُمْ اذا ... أدناكمُ فى الرأيِ تثريبُ
لا تِلكم العاداتُ منكم ولا ... أسلوبكم تلك الأساليبُ
باسم عميدِ الرؤساءِ الذى ... ما زاد فى معناه تلقيبُ
رُدَّ عليها بعدَ ما أُيِّمتْ ... أبناؤها الغُرُّ المَناجيبُ
اِكفِ الذى(١) استكفَوْك واحملْ لهم ... ما تحمِلُ الصُّمُّ الأهاضيبُ
مُلملَمَ الجنبِ أمينَ القُوى ... وكلُّهم أدبرُ(٢) مجلوبُ
وقُدْ أعاديك بأرسانهم(٣) ... قَسْرًا فمركوبٌ ومجنوبُ
وآرتعْ من الدولة فى ظُلةٍ ... رواقها بالعزِّ مطنوبُ
محميَّةِ الروضةِ مرقيّةٍ ... والروضُ بالرُّعيانِ(٤) مسلوبُ
أفياؤها(٥) فِيحٌ(٦) وماءُ الحيا ... فى ظلّها السابغِ مسكوبُ
وآصحبْ من النَّيروزِ يومًا يفِى ... بالعزّ إن خان الأصاحيبُ
يكُرُّ بالإقبال ما خولِفتْ ... صدورُ دهرٍ وأعاقيبُ

(١) الذى بمعنى الذين وهو فى الجمع كالواحد .

(٢) الأدبر : البعير تصيبه القرحة .

(٣) الأرسان : الحبال .

(٤) الرعيان جمع راع وهو معروف .

(٥) الأفياء جمع فىء وهو الظلّ .

(٦) فِيحٌ : فِساحٌ .

يغشاكُمُ يخـدمُ إقبالَكم ماحنَّ للفُـرجَةِ مكروبُ
لا تستجيرون "بعمرو"(١) ولا واعدَكُم بالعُمرِ "عُرقوبُ"(٢)

* * *

وقال وكتب بها الى بعض أصدقائه من الكتّاب، وهو المهذب أبو المنصور الحسن بن عليّ بن المزرع، وكان غائبا فقدم يغبط له بالورود، ويحثّه على آلتزام حاجةٍ له كان آبتداء الشروع فيها بعد عتابه إياه على تفريطه فيها

من ناظرٌ لى بين "سَلعٍ" و"قُبَا"(٣) كيف أضاء البرقُ أم كيف خبَا ؟
نبّهني وميضُـه ولم تَـنَمْ عيـني ولكن ردَّ عقلا عَزَبا
قرّتْ له بناتُ قلبي(٤) خافقا وآستبردتْه أضلعي ملتهبا

---

(١) يريد الإشارة الى عمرو الملقّب "جسّاس" وقصته أنه طعن "كُلَيباً" أخا "المهلهل" التغلبيّ صاحب حرب البسوس فألقاه على الأرض فقال له "كُلَيب" : يا "عمرو" أغثني بشربة ماء فأجهز عليه وفى ذلك يقول الشاعر

المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

وفى مجمع الأمثال للميدانى

المستغيث بعمرو عند كربته كالمستغيث من الرمضاء بالنار

والمشهور "المستجير" الخ

وقد سار هـذا البيت مثلا يضرب لمن يستجير فيز يده المستجار بليّة على بليّته . (٢) عُرقوب رجل من العماليق وقصته أن أخًا له أتاه يسأله فقال له عرقوب : اذا أطلعت هـذه النخلة فلك طلعها فلما أطلعت أتاه للعدّة فقال : دعها حتى تصير بلحا، فلما أبلحت قال : دعها حتى تصير زهوا، فلما زهت قال : دعها حتى تصير رطبا، فلما أرطبت قال : دعها حتى تصير تمرا، فلما أتمرت عمد اليها عرقوب فى الليل فجدّها ولم يعط أخاه شيئا فصار مثلا فى الخلف . وقال الاشجعيّ

وعدتَ وكان الخلفُ منك سجيةً مواعيدَ عرقوبٍ أخاه بيَتْرَبِ

و"يَتْرَب" بالتاء والراء المفتوحة موضع باليمامة و بعضهم يقولها "يثرب" بالثاء وكسر الراء وهو خطأ .

(٣) سلع وقباء و بقصر موضعان . (٤) بنات قلبي : خواطرى وهواجسي .

كأنه يجلو ثنايا " بالغضا " رُوقًا (١) وينهلُ لَمًى أو شَنَبا

يا لبَعيد من "مِنًى"، دَنَا به ـيوهمنى الصدقَ ـ بُرَيقٌ كَذَبا

ولنَسيمِ سَحَرٍ " بحاجرٍ " رَدَّتْ به عهدَ الصِّبَا ريحُ الصَّبا

أليَّة، ما فتح العطّارُ عن أعبقَ منه نَفَسًا وأطيبا

سل مَن يدُلُّ الناشدين"بالغضا" على الطريد ويرد السَّلَبا ؟

أراجعٌ لى؟ والمُنَى هَلْهَلَةٌ (٢) فطالعٌ نجمُ زمانٍ غَرَبا

وطوفةٌ بين القِبابِ " بِمِنًى " لا خائفا عينا ولا مرتقَبا

مستقبَلًا بهاهُنَا وهاهُنا مقترَعا علىَّ أو مجتَذَبا

ألقَ الوصالَ مسفرًا لى وجهُهُ والغدرَ لى مع قبحِهِ متنقبا

هنالك مَنْ باعَ الغوانى حِلمَهُ بالخُرقِ (٣) عُدَّ الحازمَ المجرِّبا

ولائمٍ ملتفتٍ عن صبوتى يُنكِرها، ولو أحبَّ لَصَبا

اذا نَسبتُ بهواى ساءه مُصَرِّحًا ولو كَنَيْتُ غَضِبا

---

(١) روق جمع أروق وهو الذى تطول ثناياه العُلَا السُّفَلَ . (٢) فى النسخة المطبوعة "تعلّة" وفى الأصل "هلهلة" ولم نوفّق الى معنًى لها يتّفق والسياق إلا على وجه بعيد ، فمن معانيها "التأنى والانتظار" و" تخفيف الثوب وسخف نسجه" و" ترقيق الشِّعر" ؛ وإذا صحّ ظنّنا فلعل الشاعر يريد الإشارة الى تكرار المتمنّى لكلمة "هَلْ" الاستفهامية فى كلامه كلّما خطر بباله هاتفٌ من خواطر التمنّى بالتساؤل طلباً لما يحسبه عزيزا عليه أو حنينا الى ما هو حبيبٌ الى نفسه كقول من يقول متمنيا

* هل مشرقٌ نجمُ سعدى بعدما أفلا *

* هل بالغ عزمىَ أوجَ العلا *

* هل راجعٌ عهدُ الصِّبا *

* هل أرى ليلَى وليلَ بالغضا *

وما إلى ذلك وهو كثير، و"الهَلْهَلَةُ" فى هذا المقام أشبهُ بقولهم "العنعنة" وهى تكرارُ كلمةِ "عَنْ" عند ما يُراد بها التكثير من أسماء الثقاتِ على صحّة الإسناد . والله أعلم . (٣) الخُرق : الحُمق .

وما عليه أن غَرِمتُ "بابلا" "بحاجر" و"فاطما" "بزينبا"
يلومنى لا مات إلا لائمـا أو عاش عاش بالهوى معــذَّبا
قال : عشقتَ أَشيباً، يعدُّها منقصةً، نعم! عشقتُ أشيبا
هل شَــعَرٌ بُدِّلتُهُ بِشَــعَرٍ مُبَــدِّلِى من أربٍ لى أربا ؟
أَبَى الوفاءُ والهــوى ، وبالغٌ مَعــذرةً من سِيمَ غدرا فأبى
ما أنا من صِبغةِ أيّامكُمُ ولا الذى إن قلّبــوه آنقلبـا
ولا آبنُ وجهين أَلَمُّ حاضِرا من الصــديقِ وألومُ الغُيَّبا
قلبىَ للإخوانِ شطُّوا أو دنَوا وللهوى ساعفَ دهرٌ أو نبـا
مَن عاذِرى من مُتلاشٍ كلّمـا أذنَبَ يوما وعَــذَرتُ أذنبا
يَضحكُ فى وجهىَ ملءَ فِمــهِ وإن أغبْ وذُكِرَ آسمِى قَطَّبا
يطيرُ لى حَمامةً فإن رأى خَصاصةً دبَّ ورائى عقــربا
ما أكثرَ النــاسَ وما أقلَّهم وما أقلَّ فى القليــلِ النُّجَبا
ليتهمُ — إذ لم يكونوا خُلِقوا مهذَّبين — صَحِبوا "المهــذَّبا"
فعلَّمتْهم نفسُــهُ كيفَ العــلا ووِدُّه كيفَ الصــديقُ المجتبَى
ووَرَدوا من خُلقِــه ويدِه أبردَ ما بلَّ الصــدَى وأعذبا
مثل "أبى منصورَ" فلْتَلَذَّ لى الـ ـدنيا ولا سَرَّ ســواه آبنٌ أبا
أَتركهُ لى غنيمةً باردةً يا دهرُ وآذهبْ ببنيك سَلَبـا
اللهُ جارٌ لفــتًى أجارنى على زمانٍ لم أُفُتْــهُ هَرَبا
وفرَّجتْ عــنّى يَدَا إسعادِهِ حــوادثا ضغطْنَنِى ونُوَبا
لمـا رأى الأيَّام فى صروفهـا نارا تَشَبُّ ورآنى حطَبـا
قام لهـا يَصْــلَى بهـا وناشِنِى فلم أذق حَــدًّا لهـا ولا شَبا



وصان وجهي لاقيا بوجهه ذلَّ السؤالِ وكفاني الطلبا
عِفتُ فلم أشربْ سوى أخلاقه اذا كئوسُ الشَّرب دارتْ نخبا
وصحَّ لي جوهرةً من معدنٍ أملسَ لا يُنبتُ إلا الذهبا
من معشرٍ تُنمَى العلا اليهمُ هم أهلُها والناسُ منها[1] غُرَبا
كما اقترحتَ ، حربُهم وسلمُهم شدُّوا[2] رِباطَ الخيلِ أو شدُّوا الحُبا
ساسوا يعدّون الملوكَ واحتبوا وسْطَ النَّدِيِّ يصفون العربا
يرضيك من حديثهم شاهدُهم وفي القديم ما سألتَ الكُتُبا
اذا رجال طأطأَ اللؤمُ بهم قَعْصًا[3] فشمُّوا بالأنوف الرُّكبا
طالوا ينالون ثعالبَ[4] القنا تحسَبُ ماشيهم بُسُوقًا ركبا
وحدّثتْ فروعُهم عن أصلهم تحدُّث الناجم عما غربا
لبَّيك مشكورا كما لبيتني وقد دعوتُ قُذُقًا لا كَثَبا
وكنتَ لي بابا الى مطالبي — لولا قعودُ الحظِّ بي — وسببا
تعجَّبَ الناسُ وقد وَلِيتَها أُكرومةً ، فقلتُ : لا لا عجبا
عينِيَ منِّي ويدي فهل تُرَى يفوتني — ما سَلِما — ما طَلَبا ؟
وكيف لا تحفزُه لأربي مودةٌ تمَّت فعادت نسبا ؟
ومِقةٌ لو خلصتْ لابنِ أبي منِّيَ هزَّ عِطفَه وطربا
وإن يكن هوَّمَ فيها ناسيا وعاجَ عن طريقها وجنَّبا

(١) في الأصل "منهم" . (٢) في الأصل "سلُّوا" ولعلّها محرّفةٌ عن "شلُّوا" بمعنى : أرسلوا من قولهم : "شلَّت العين دمعَها" بمعنى أرسلته ودفعته ، أو عن "حلُّوا" اذا كان المراد "بالرِّباط" ما تُربط به الدابّة ، أو عن "شدُّوا" اذا كان يراد "بشدّ الرِّباط" إعدادُ الخيل وارتباطُها لجهاد العدوّ في الحرب وهو ما رجّحناه ؛ وفي القرآن الكريم (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ ٱلْخَيْلِ) .
(٣) القعص : داء في الصدر كأنه يكسر العنق . (٤) الثعالب جمع ثعلب وهو طرف الرمح الداخل في جُبِّ السنان ، وفي الأصل "تعالب" وهو تحريف .

وقَـدَحتْ فى أملى عنـدهمُ قادحـــةٌ لم يك فيهـا مذنبـا
فقد قبِلتُ العـــذرَ أو قتلتُـــه علمـا وقـــد عاتبتُـــه فأعتَبا
وآستقبل الرأىَ وأعطَى ذمّةً تصفحُ للآ نف عمّـا ذهبـا
فاشكر لهـا وكالةً منّى على نفسِىَ وآقض دَيْنهـا إذ وجبا
من لك مثـلى بأخٍ مسـامحٍ ترضيه بالعـذرِ اذا ما غضبا ؟
وآحذر على مجدِك أُخرَى تنتقِي[1] عَظـم الوفاءِ وتجـرُّ الرِّيَبـا
شَمّرْ عن الساقين فى آستداركها وآمحُ بوادى شرِّها معتقِبـا
ولا يزالُ أمَـلى يَقنَعُ لى بدون ما سدّ خَصاصى[2] نَشَـبا
ذاك ودعنى شاكيا وسائلا وخذْ حـديثى غَزَلا منسَّـبا
كان جناحُ الشوق أمسِ طائرى منسِّرا[3] فى كبِدى مخلِّبـا
وأكَلَ البينُ سمينَ جَلَدى حتى غدا سَنَامُ صدرى ذَنَبـا
بانَ بك العيشُ الذى يسرُّنى وعاد لمـا عدتَ لى مقـترِبا
قال البشير: قادمًا، فقلتُ: مَنْ؟ قال: "أبو منصورَ"، قلتُ: مرحبا
وقمتُ لا أملِكُ ما يَسَـعُهُ غـير نعِمْتَ من جَزاءٍ وحِبـا
أرشفُ من فيه مكانَ آسمك، لا أحسَـبنى أرشفُ إلا الضَّرَبا[4]
عَطْفٌ من الأيّام لى ونظَـرٌ جاء وما كنتُ له محتسِـبا
لكنّنى بالبعــدِ فى أثنـائه[5] أُصبحُ أو أُمسِى مَروعا مُتعَبا
اذا آطمأنّتْ أضلُعى تذكّرتْ نوالك فاهتزَّتْ جوًى لا طرَبا
فادفعْ به صدرَك ما آستطعتَهُ يوما تردّ شمـلَ أُنسى شُـعبا

(١) تنتق: تُخرج النِّقْىَ وهو مخ العظم. (٢) الخصاص: الفقر. (٣) منسِّرا: باحثا بمنسره وهو منقاره. (٤) الضرَب: الشهد. (٥) فى الأصل "أبياته".

راخِ يديكَ فى آمتــدادِ حبلِهِ ... وطاوِل الوقتَ به أن يُجـذَبا
وخَفِّف على قلبى غدًا من وقفةٍ ... يكون لى فيهـا الوداعُ العطَبا
ولا تدَعْنى أسأل الرُّكبانَ عن ... قلبٍ دوٍ[1] وأَستطِبُّ الكتُبا
لا أقفرتْ منكَ ربوعٌ عَمُرَتْ ... أُنسا ولا أيبسَ عيشٌ رَطُبا
ولا برحتَ مالكا مقتسِرا ... نواصِىَ الإقبالِ أو مغتصِبا
حتَّى تكونَ باديا وحاضرا ... بينَ النجوم بانيًا مطنِّبا

* * *

وقال يمدح عميدَ الرؤساء أبا طالب بن أيوبَ فى النَّيروز

أَبلغْ بهـا أُمنيَّـةَ الطـالبِ ... فالرزقُ بين الرِّدفِ والغـاربِ
ولا تُذَمِّمْ[2] لوجاها[3] فما الـ ... ـراحـةُ يومًا فى مَطَا[4] اللاغبِ
ليلتُهـا فى الدائبِ المتـقِى ... بُغـامُها[5] فى السارحِ العـازبِ
حُداؤها فى الرَّكبِ أحظَى لهـا ... من نَعـقةِ الراعى أو الراكبِ
فاوتَ بينَ الطيرِ حالاتُهـا ... منَ باطِشٍ أو فَرِقٍ هائبِ
فالحسفُ للجاثِمِ فى وكرِهِ ... والخصبُ للقاطعِ والكاسبِ
أفلحَ من داوسَ طُرْقَ العـلا ... موفَّقـا للسَّـنَنِ اللاحبِ
تُعجِبُـه الفضـلةُ فى ماله ... ما لم تَشُـبْها مِنَّـةُ الواهبِ
ذلك فى المولَى، غدًا فى العدا ... مَثلبـةٌ، فاسـدُدْ فمَ الثـالبِ
خوفى من العائب لى نجـوةٌ ... منَ الأذى تُشكَرُ للعـائبِ
والنـاسُ أصحـابىَ ما لم تَمِلْ ... وُسوقُ أثقالى على صـاحبِ

(١) دوٍ : مريض . (٢) تذمّم : تلُمْ . (٣) الوجى : الحفا . (٤) المطا : الظهر .
(٥) البغام : الصياح بأرخم ما يكون فى صوت الناقة .

٥١

أكون ما آستغنيتُ عن رفدهم ... جِلدةَ بين العينِ والحاجب
فإن عَرَتْ أو حدَثتْ حاجةٌ ... فالحبلُ مُلْقىً على الغاربِ
وكم أخٍ غَيَّرَه يومُه الـ ... ـمُقبِلُ عن أمس به الذاهبِ
كنتُ وإيّاه زمانَ الصدَى ... كالماء والقهوةِ[1] للشاربِ
ومَدّ باعيه[2] نخلّى يدى ... نهباً لكفّ القابضِ الجاذبِ
مرّ فلم يعطِف لحُبِّ الصِّبا الـ ... ـجانى ولا حقِّ العلا الواجبِ
كأنّ ما أحكمتُ من ودِّهِ ... أبرمتُهُ للِمسحَلِ[3] القاضبِ[4]
اللهَ للمغصوبِ فيكم على ... ديونِه يا شيعة الغاصبِ
قد قلتُ للخابط[5] خلفَ المُنَى ... مباعدا : قارِبْ بها قاربِ
إحبس مطاياك فما فى السرى ... إلا جنونُ الطمعِ الكاذبِ
لا تطلبنَّ الرزقَ من معدِنٍ ... يَنبوعه غيرُ "أبى طالبِ"
فالبحرُ مَن خلَّفَهُ خَلْفَهُ ... لم يقتنع بالوشَلِ الناضبِ
خاطَرَ فى المجد فغالَى فتًى ... لم يخشَ منه قَمْرةَ الغالبِ
وكاثَر الناسَ بإحسانِهِ ... فلم يحُزْهُ عددُ الحاسبِ
اذا آحتبى[6] ينسبُ علياءه ... دار عليه قُطُبُ الناسبِ
ضمّ الى ما كسبتْ نفسُهُ ... سالفةً فى عرقِهِ الضاربِ
فظلّ لا يَشْرُفُ من جانبٍ ... إلا دَعاهُ الفخرُ من جانبِ
من معشرٍ تضحكُ أيمانُهم ... إن آدَّ[7] عامُ السنةِ[8] الشاحبِ

(١) القهوة : الخمرة . (٢) فى الأصل "باعاه" . (٣) المسحل : المنحت .
(٤) القاضب : القاطع . (٥) الخابط : الذى يسير على غير هدى . (٦) فى الأصل "اجتبى" وهو تحريف . (٧) فى الأصل "آ" فرجحنا كلمة "آد" بمعنى : آشتدّ .
(٨) السنة : الجدب .

تُحلَبُ أموالُهُمُ ثَرَّةً (١) والضرعُ مبسوسٌ (٢) على الحالبِ
لهم نَدىً شَرِقٌ (٣) منهمُ بكلِّ مخطوبٍ له خاطبِ
لانائمُ السامرِ فى الليلةِ الـ طُّولَى ولا منتقِرُ (٤) الآدبِ
همْ وَزَرُوا الدولاتِ وآستنصحوا رَعْياً على العاطفِ والساربِ
وهم سيوفُ الخلفاءِ التى تُعلِّمُ الضربَ يدَ الضاربِ
غاروا نجوماً ووفَتْ بابنهم (٥) شهادةُ الطالعِ للغاربِ
حَذَا وزادته قُوَى نفسِهِ، والمجدُ للموروثِ والكاسبِ
زيادةَ البدرِ بشَعشاعِهِ على ضياء الكوكبِ الثاقبِ
ليتَ عيونا لهمُ فى الثرى مغضوضةً بالقدَرِ اللازبِ (٦)
تراكَ فى رتبتِهم جالسا تأمُرُ فى العارضِ والراتبِ
حتى يُقِرَّ اللهُ منها الذى أُقذِىَ بالرامسِ والتاربِ
قد عَرَفَ "القائمُ بالأمرِ" مذ سَلَّكَ أنَّ القطعَ للقاضبِ (٧)
ظَهَرتَ (٨) بالعِفَّةِ سلطانَهُ، هذا وما الزاهدُ كالراغبِ
وصنتَ ما حَسَّنَ من ذكرِهِ عن دنَسِ القادحِ والقاصبِ (٩)
فلا تَزَلْ عندكَ من طَوْلِهِ ما عندَه من رأيكَ الصائبِ
ولا خَلَا دَستُكَ من مركبٍ غاشٍ ومن راجٍ ومن هائبِ
ودام لى منكَ ربيعى الذى يُرضِى رياضِى بالحَيَا الساكبِ

(١) ثرة : غزيرة . (٢) المبسوس : الذى لا يدرّ . (٣) فى الأصل "شرف" وهو تحريف . (٤) المنتقر : الداعى بعضا دون بعض، وفى الأصل "مستنفر" . (٥) فى الأصل "بابهم" وهو تحريف . (٦) اللازب : اللازم . (٧) القاضب : السيف القاطع . (٨) ظهرت : أعنت . (٩) القاصب : الجزّار، وقد كنى به عمن يقطع لحوم الناس ذما .

(٥٢)

وجُنّتِي الحصداءُ[(١)] إن صاحَ بى دهرىَ : لاسَلْمَ ! فقم حاربِ
مالىَ فى فقــرى الى ناصرٍ ســواك مَنْ أحمِى به جانبي
فى ودّك آستبليتُ ثوبَ الصّبا وفيــه أنضــو بُردةَ الشــائبِ
قلــبِي لك المأمونُ تقليبُـــهُ ما قام "ريّانُ"[(٢)] على "مأربِ"
أبيضُ ثوبِ الودّ صافٍ على لونَيْـــهِ من راضٍ ومن عائبِ
وكلّمــا أُنســيتُمُ صُحبــتى ذكّرَتْكُمْ زَمنُ "الصاحبِ"
وخُـــرّدًا أرســـلتُها شُرّدًا من حابلٍ[(٣)] منكم ومن حائبِ[(٤)]
كلّ فتــاةٍ مَــعَ تعنيسها تفضَحُ حُسنَ الغادةِ الكاعبِ
ضوافيًا من فوقِ أعراضِكم للُســدِلِ المُــرخِى[(٥)] وللساحبِ
سارتْ مع الشمس وعمّت مع الـ ـغيث فمن ذالكٍ ومن هاضبِ[(٦)]
تعلَقُ بالآذانِ موصــولةً غشْما بلا إذنٍ ولا حاجبِ
تنصُبُ أعلامًا لكم ، سَيرُها فى الأرضِ ، فلتُشكَرْ يَدُ الناصبِ
كرّرتِ الأعيادُ أعدادَها[(٧)] والمهــرجاناتُ على الحاسبِ
حتى لقد خافت بمــا أكثرتْ ملالةَ القــارئ والكاتبِ

* * *

وقال يمدح كمال الملك و يهنّئه بالنيروز

لكِ الغــرامُ وللواشِي بِك التعبُ وكلُّ عذلٍ اذا جَــدَّ الهوى لَعِبُ
أما كفاه آنصرافُ العين مُعرِضــةً عنــه ، وسمعٌ بوقْرِ الشوق محتجِبُ

---

(١) الحصــداء : الدرع المحكمة الضــيقة الحلق . (٢) ريّان ومأرب : جبــل و بلد .
(٣) الحابل : الصائد ، لنصبه الحبالة . (٤) الحائب : القاتل ، و يريد بهذا البيت أنه يشرد قصائده فى كل واد خوفا من حابل يقيّدها أو حائب يقتلها . (٥) الذاكى : المتقد . (٦) هاضب : ماطر وفى الأصل : هاصب . (٧) الضمير فى أعدادها يعود الى القصائد .

وأنَّ قلبا وأحشاءً مُدغدَغةً ... اذا آستقامتْ حُمول الحيّ تضطربُ

لاموا عليك فما حلُّوا وما عقَدوا ... عندى، وعابوا فما شقُّوا ولا شعَبوا

فكلُّ نارِ هوًى فى الصدر كامنةٍ ... فاللّوم يُسعرها والعذلُ يحتطبُ

آهًا لوحشةِ ما بيني وبينَكمُ ... اذا خلَتْ من دِلاءِ الجيرةِ القُلُبُ

وعطَّت(١) القُورَ(٢) والأجراعَ(٣) نوقُكمُ ... طُروحَ عيني وحالت بيننا الكُثُبُ

مَن أشتكى الشوقَ إذ هزَّت وسادتَهُ ... مدامعٌ تنتحِى أو أضلعٌ تَجِبُ

فما أسفتُ لشيءٍ فائتٍ أسفى ... من أن أعيشَ وجيرانُ "الغضا" غَيَبُ

قد كنتُ أسرقُ دمعى فى محاجره ... تطيُّرًا بالبكى فاليومَ أنتحبُ

لا يُبعدِ اللهُ قلبًا ظلَّ عندكمُ ... لم يغنِني عنه نِشدانٌ ولا طلبُ

سلبتموهُ فلم تُفتُوا برجعتهِ ... وربّما رُدَّ بعدَ الغارة السلَبُ

فأين إذمامُكم(٤) قبلَ الفراق له ... ألّا يضامَ ولا تمشى له الرِّيَبُ؟

أسيرةٌ لكمُ فى الغدرِ حادثةٌ ... تخُصُّ، أم رجعتْ عن دينها العربُ؟

يا أهلَ ودّى، وما أهلًا دعوتُكمُ ... بالحقّ لكنها العاداتُ والدُّرَبُ

كُنّا بها نتسمّى قبلَ غدرِكمُ ... فاليومَ كلُّ اسمِ ودٍّ بيننا لقبُ

أشبهتمُ الدهرَ فى تلوين صبغتهِ ... فكلُّكم حائلُ الألوانِ منقلبُ

كنتم علىَّ مع الأيّام إخوتَها ... وليس إلا عُقوقٌ بينكم نسبُ

صبرًا وإن كان ملبوسا على جَزَعٍ ... ظُلِمتُ، والصابرُ المظلومُ محتسِبُ

لعلَّ عازبَ هذا الحظِّ يرجِعُ لى ... يوما وقاعدَ هذا الجَدِّ بى يثِبُ

---

(١) عطّت: شقّت. (٢) القور جمع قارة وهى الجبيل المنقطع عن الجبال أو الأرض ذات الصخور. (٣) الأجراع جمع جَرَع وهو الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل وقيل هى الرملة السهلة.

(٤) الإذمام: أخذ الذمّة.

وليتَ أنَّ "كمالَ الملكِ" خالصـةٌ آراؤه لى ورأىُ النـاسِ مؤتشِبُ(١)

بل ليتَ أنَّ قضاياه مواهبُـهُ فكان إنصافُه فى عَرضِ ما يَهَبُ

فتًى قَنِعتُ به من بين مَنْ حَمَلتْ خُوصُ الركابِ(٢) فسارت تُنقَلُ الرُّكُبُ(٣)

أحببتُه حُبَّ عينى أختَهـا ويدى يدى، ولى فى مَزيدٍ منهمـا أربُ

وكان لى حيثُ لاجفنٌ لناظرِه حفظًا وصَونًا ولا تحمِى الظُّبا القُرُبُ(٤)

عَطفًا لحـقٍّ وإسبالًا على ذممٍ كأنّه وهو مولًى فى الخنـو أبُ

يرعَى شـواردَ فيـه لم تَسِرْ مَعَها ريحٌ ولا طمعتْ فى شأوها السحُبُ

فغالبتنى على ذاك المكانِ يدٌ للدهرِ، كان لها ـ مذ ملَّنى ـ الغلَبُ

مَـلالةٌ لم تطِـرْ فيها مُطاوَلةٌ وبغضـةٌ كالتجنِّى ما لهـا سببُ

قَسَا فأصـبَح للواشـين بى أُذُنًا تليـقُ ما آختلقوا عنِّى وما آجتلبوا

لو قيل: إنّى سرقتُ السمعَ أو صرفوا الىَّ تبـديلَ دينِ اللهِ أو نَسَبوا

لَمَـا آمترَى أنَّ رُسْلَ اللهِ بى جُبِهوا بالردِّ أو حُرِّفَتْ عن أمرِىَ الكتُبُ

فقـل له ـ طيَّب اللهُ الوفاءَ له والحقُّ يَسـفِرُ والبهتانُ ينتقِبُ ـ :

يا ناقدَ الناس كشفًا عن جواهرِهم متى تَغيَّرَ عن أعراقِهِ الذهبُ؟

وكيف أفسدَ سوءُ الحظِّ خُبرَك بى حتّى بدا لك أنَّ الدرّ مَخشَلَبُ(٥)!

أغَيرَ أنَّ فَراشًا طار ينأم(٦) بى؟ لو شئتَ كان بنـار الردِّ يلتهبُ

أبعد أن رضتَنى عشرينَ أو صَعدتْ لا الجرىُ تُنكِره منّى ولا الجَنَبُ(٧)

يُروَى لك الخُرْقُ(٨) عن حزمِى فتقبلُه صفحًا ويجـذبُك الواشى فتنجذبُ!



---

(١) مؤتشب: غير صريح. (٢) خوص جمع خوصاء وهى التى غارت عينها. (٣) الركب جمع ركاب. (٤) القرب جمع قراب وهو غمد السيف. (٥) المخشلب: الخرز لا قيمة له. (٦) ينأم بى: يهمس بى. (٧) الجَنَبُ: شبه الظَّلَع. (٨) الخُرقُ: الحمُقُ.

حاشاكُم أن تكونوا عَونَ حادثةٍ أو ترتميني على أيديكم النُّوَبُ

أذنبيَ الحبُّ والإخلاصُ عندكُمُ؟ فإنّ ذنبي الى أيّاميَ الأدبُ

أمَا وقَومِكَ ، والمجدُ التليدُ لهم ـ اذا حلفتُ بهم ـ والدينُ والحسبُ

ما خلتُ ـ والدهر لا تَفنَى عجائبُهُ ـ أنّ العلا نافقٌ فى سُوقها الكذبُ

ولا عجبت لدهرى كيف يظلمني وإنما ظلمكم أنتم هو العجبُ !

يامَن به صحَّ سُقمُ العيشِ واجتمعتْ على توحدِهِ الأحزابُ والشُّعَبُ

ومَن كَفَى المُلكَ ما لم يَكفِ صارمُهُ ورَدَّ عنه الذى ما ردّه اليَلَبُ (١)

ومَن توسَّط أفقَ المجد فاعتدلتْ به البدورُ ولبّت أمرَهُ الشُّهُبُ

على بساطِكَ تُقضَى كلُّ مُبْهِمةٍ يعنو بها الخطْبُ أو تعيا بها الخُطَبُ

وهالةُ البدرِ دَستٌ أنت راكبه وتارةً هو غابُ الضيغم الأشبُ

بِشرٌ وَقورٌ ، وجَدٌّ ضاحكٌ ، ورضًا لولا الطلاقةُ خِلْنا أنه غضبُ

جَرَى بك الخُلُقُ الفضفاضُ وانقبضتْ بك المهابةُ فالسَّلسالُ واللهبُ

وأفقرتك العطايا ، والثناءُ غِنًى وأنصبتك العلا ، والراحةُ النَّصَبُ

مَن عندَهُ نَشَبٌ لا مجدَ يعضُدُهُ فإنّ عندك مجدا ما له نشبُ

حَلَلْتُ باسمك عَقْدَ الرزق فاندفعتْ عُراه تُفصَمُ لى عفوا وتَنقضبُ

وكنتَ واسطةَ العِقد الذى انتظمتْ عنه السلوكُ ولم تُخدَشْ به الثُّقَبُ

أنتم رفادةُ ظهرِى إن وَهَى جَلَدِى ودَرَّةُ العيشِ لى والضَّرعُ معتصَبُ

وَمشربى العِدُّ والغدرانُ غائرةٌ منكم لِيَ الحوضُ أو منكم لِيَ القَرَبُ

قدَّمتمونى فلى رهنُ السباقِ ، وَمَنْ يلزَنى (٢) بعدُ : مجنوبٌ ومعتقبُ

---

(١) اليلب : الدروع أو جلود تلبس مثل الدروع . (٢) يلزّنى : يلزمنى ويلصق بى .

عِزِّى بنفسِى ولكن زادنى شرفا أنّى اليـــكم ـ اذا باهلتُ[1] ـ أنتسبُ
والنـاسُ غيرَكُمُ مَن لا يجاوزنى ، أبيـاته عَمَـــدٌ تُبنَى ولا طُنُبُ
اذا صفوتم فلا وِرْدى ولا صَدَرى منهم وإن أملَحوا يوما وإن عذُبوا
لى منكم الجبهةُ الغــرّاء والعُنُقُ الـ ـتلْعاءُ والناس بعــدُ الرُّسغُ والذنَبُ
فلا تَسلْنى الليــالى فيكُمُ بيــدٍ إلا التَّبابُ[2] لها والشــلُّ والعطبُ
ولا تُصبكم عيـــونُ الدهر إنّ لها الى الكمال لحاظًا سهمُـــها غَرَبُ[3]
وإنْ أتَى رائدُ النيروزِ مجتـديًا أيْمـانَكم فالروابى الخُضْرُ والعُشُبُ
فمن جبـــاهكُمُ نورُ الربيع لنـــا ومن أكفِّكُمُ الأنواءُ تنسكبُ
يومٌ يكُرُّ به إقبـــالُ جَــدِّكُمُ غدًا على ملككم ما كرّت الحِقَبُ
تَجلُونَ من حسنه حظَّ العيونِ فللا أشعار فيكم حظوظُ السمع والطربُ
فما بقيـــتم فأيّامى بعـــزِّكُمُ كما أُحبُّ وأحـــوالى كما تجبُ

* * *

وقال وكتب بها الى الوزير زعيم الدين فى المهرجان

اذا فاتهـا روضُ الحمى وجَنـــوبُهُ كفاها النسيمُ البابلىُّ وطيبُـــهُ
وكم حُبَّ من وادٍ الى العيش مجدِبٍ وأُبغِضَ مَثْرى[4] آخَـــر وخصيبُهُ
وما الجــانبُ المسكونُ إلا وفاقُـهُ هوَى النفسِ، لا خضراؤه وعَشيبُهُ
فدعهـا تَلُسُّ[5] العيشَ طوعَ قلوبها فأمرعُ ما تـــرعاه ما تستطيبُهُ

---

(١) باهلت : حاججت مفتخرا . (٢) التباب : الهلاكُ . (٣) يقال : سهمٌ غَرَبٌ : لا يُدرَى راميه . (٤) المثرى : محل الثراء . (٥) تلسّ : تنتف الكلأ بمقدّم فيها .



وإن الثِّمادَ البَرْضَ(١) فى عزِّ قومها … لأَنقعُ من جَمٍّ(٢) يُذَلُّ غريبُهُ
وأشبعها ألّا تكون طرائدا … اذا شُلَّ(٣) من سَرحِ المسيمِ(٤) عزيبُهُ
وأن كان حيًّا بالحَمى ــ إن توفّرتْ … من الوجد ــ مُبرِى(٥) دائها وطبيبُهُ
وكلُّ هلالٍ "ذو الأراك" حجابُهُ … يسرُّ البدورَ الطالعاتِ مَغيبُهُ
تحولُ الرماحُ "العامريّةُ" دونه … فيقنطُ راجيه ويعيا طَليبُهُ
وأتعبُ من حاولتَ يا قلبُ وصلَهُ … حبيبٌ سِنانُ السمهرىِّ رقيبُهُ
يُصيبُ بعيدا سهمُهُ كلَّ من رمى … وترميه أيدٍ حولَه لا تصيبُهُ
يلوم على "نجدٍ" ضنينٌ بدمعه … اذا فارق الأحبابَ جفَّتْ غروبُهُ
وهل طائلٌ فى أن يُكثّرَ عذلَهُ … اذا قلَّ من إصغاءِ سمعى نصيبُهُ؟
وما الناسُ إلا مَنْ فؤادى فؤادُهُ … لأهلِ "الغضا" أو مَن حبيبى حبيبُهُ
سأرعَى الذى بينى وبينَ ملوّنٍ … شربتُ على صفوى له ما يشوبُهُ
خذينى بغيرِ الغدرِ خُلْقًا وإن جنى … علىّ الوفاءُ: قَرفُهُ وندوبُهُ
فذلك طينُ الأرضِ لم تبنَ فطرتى … عليها وما ماءٌ سقانى قليبُهُ
خُلقتُ يدًا دون الصديقِ وجُنّةً … يردُّ بها عن صدره ما ينوبُهُ
ركودى الى الجوّ العريض ركودُهُ … اذا رام أمرا أو هبوبى هبوبُهُ
وأصفحُ عنه عاذرا متأولا … وإن كثُرتْ زلّاتُهُ وذنوبُهُ
ويُقنعنى منه طهارةُ وجهِه … فلا أسأل التفتيشَ كيفَ مَغيبُهُ
ومن طال عن خُبرِ الأخلّاء بحثُهُ … ليبلوَهم لم يخلُ مما يريبُهُ
دعينى يكن خصمى زمانىَ وحدَهُ … وتكفيك لى أحداثُهُ وخطوبُهُ

---

(١) الثماد البرض: الماء القليل النزر. (٢) الجم: الماء الكثير. (٣) شل: طرد.
(٤) المسيم: الذى يُرعى السوام وهى الإبل من قولهم: أسامها أى أرعاها. (٥) مبرى: مبرئ.

هو الطِّرْفُ غرَّتْ رِحلتى خطواتُهُ (١) وزُمَّتْ (٢) فكان الليثَ صعباً ركوبُهُ

أصابعُ من كفَّيه صِلٌّ خديعةٍ لغير التحايا أهلُهُ ورحيبُهُ

ولولا رجالٌ هم أساةُ جروحِه جَرتْ بدمى أظفارُهُ ونُيوبُهُ

لتسقِ سَىَ "عبد الرحيم" أكفُّهم فأَروَى الحيا وكّافُهُ وصبيبُهُ

وما السيلُ ذو الدُّفّاعِ (٣) يرغُو جُفاؤه (٤) بأمرعَ من وادٍ نداهم يَصوبُهُ

هم القاتلونَ الأزْمَ (٥) والعامُ مسنتٌ (٦) يقطِّبُ فى وجهِ المُسيم جدوبُهُ

وهم إن شكا الفضلُ الغريبُ انفرادَه قبائلُه دون الورى وشُعوبُهُ

ملوكٌ على الأيّام بيتُ علائهم تُناط بأعناق النجوم طُنوبُهُ

رَبَا الملكُ طفلاً ناشئاً فى حجورهم وأشيبُ هذا الدهر بعدُ ربيبُهُ

لهم تاجُهُ المعصوبُ أيّامَ تاجِه وفيهم أخيرا سيفُهُ وقضيبُهُ

مواريثُ فيهم نصُّها إن مضى أبٌ يَسُدُّ الذى سدَّ ابنُهُ وينوبُهُ

وأمواتُهم فيهم كأحياءِ غيرِهم اذا طَلَعَ المركوبُ جاء جَنيبُهُ (٧)

اذا ما "زعيم الدين" حدَّثَ عنهمُ توارَدَ شُبّانُ الفخارِ وشيبُهُ

هو البُلجةُ البيضاءُ فى وجه عزِّهم اذا شان عِزَّ القوم بابنٍ شحوبُهُ

يَرَى نصرَهم ماسار من حسن ذكرهم فتنشرُهُ أفعالُهُ وتُطيبُهُ

فتًى كَمُلتْ فيه أداةُ اكتهالِه وغصنُ الصِّبا لم يَعسُ بعدُ رطيبُهُ

تحمَّل أعباءَ الرياسة ناهضا فما لان من عرض الرجال صليبُهُ

ومن عجبٍ أن البِكارَ (٨) جليدةٌ وقد عُقِرَتْ بُزْلُ الطريق ونِيبُهُ (٩)

(١) يقال : رَحَل البعير رِحلةً أى وَضع عليه أداة رَحْلِه . (٢) زمّت : شُدّت . (٣) الدفّاع : الموج . (٤) الجفاء : الزَّبَد . (٥) الأزم : الضيق . (٦) مسنِت : مجدب . (٧) فى الأصل : "نجيبه" وهو خطأ . (٨) البكار : الفتيّات من الإبل . (٩) النيب : جمع ناب وهى الناقة المسنة .

وكم سابقٍ فيهم ولم يَخْفَ رُسْغُهُ ولا آبتلَّ فى شَوطِ الرِّهانِ سبيبُهُ
ومِن منجبٍ فيه أبوه وأمُّهُ وما وَلَدُ الإنسانِ إلا نَجِيبُهُ
لهم يومَ يحتدُّ الجلادُ كميُّهُ ويومَ الترامى بالكلام خطيبُهُ
فلا محفِلٌ إلا وفيهم صدورُه ولا جحفَلٌ إلا وفيهم قلوبُهُ
"أبا حسنٍ" بأهلٍ بهنَّ فضائلا لحاسدها حَرُّ الجوى ولهيبُهُ
يَعيبُكَ مَثْنىٌّ على الغيظ صدرُهُ خوافِقُهُ تَزْوِى (1) به ووجيبُهُ
وكيف يَنالُ العيبُ أطرافَ ماجدٍ محاسنُ أبناءِ الزمانِ عيوبُهُ
وقال : وهلْ فى الناس من هو فوقه؟ فقلتُ : نعم! إن كان فيهم ضريبُهُ
كريمٌ اذا ما ظلَّ يَقسِم مالَهُ فأنزرُهُ مستقسِما ما يُصيبُهُ
يحبُّ ثراءَ المال حبًّا لبذله وليس كَسوبَ المالِ إلا وَهوبُهُ
أطلتَ يدى بالنصر فى نَيلِ مطلبى فأصبح لى أقصاه وهو قريبُهُ
وأمكنتنى من ظَهر حظّى وعُرفِهِ فأسمحَ لى بعد الشِّماسِ رَكوبُهُ
وأغنيتنى عن كلِّ مرعًى أرودُه ونَجٍّ على تيهِ الطريق أجوبُهُ
وكم جَمَدَ الرزقُ البطىءُ على يدى فسلسلتَ من كفَّيك ماءً يُذيبُهُ
ولا خِلْفَ (2) إلا من عِصابِكَ (3) دَرُّهُ ولا جَفْرَ (4) إلا من نداك ذَنوبُهُ
اذا روَّعتْ سَرحِى من الدهر رَوْعَةٌ زأرتَ فلم يعسِلْ (5) من الخوف ذيبُهُ
فقد صار يحبونى الذى ما سألتُهُ ويخطبُ منّى المدحَ مَن لا أجيبُهُ
فلا يَغْبُ من نُعماك بدرٌ أضاءَ لى زمانى ولا نجمٌ هدانى ثُقوبُهُ

---

(1) تزوى به : تذهب به . (2) الخلف : الضرع . (3) العِصابُ : شدُّ فخذى الناقة بحبل لتدرّ ، ومنه : "مثلى لا يدرّ على العِصاب". (4) الجفر : البئر لم تُطوَ وهو مذكّر . (5) فلم يعسل : فلم يضطرب فى عَدْوه .

ولا تتغـــيَّرْ من وفائـــك عادةٌ ... يَرَى المجـــدُ فى أثنائهـا ما يعيبُهُ

ولا بَرِحتْ تطرو[1] اليـــك شـــواردٌ ... يَلـــين لها وعرُ الفـــلا وسُهو بُهُ

مُطبِّقَةٌ ما طبَّـق الأفقُ ، ســـيرُها ... بوصـــفك مسرى ليـلِها ودؤو بُهُ

من الـكَلِمِ السهـلِ المنيعِ مرامُهُ ... على النـاس والنَّزرِ الكثيرِ عجيبُـهُ

تَرقرَقَ حُسنا فامـــترَى كلُّ سامع ... به وهو مخـــلوبُ الفؤاد طـرو بُهُ

أُسربِلُ منه المهرجانَ مُفاضـــةً ... يُصانـــ بها عُريانُه وســـليبُهُ

ينـــو بان من ناديك أمنـــعَ جانبٍ ... وأنضَرَ رَبعٍ : غضُّـــهُ وقشيبُـــهُ[2]

مدى الدهر ما هبَّ النسيمُ لناشقٍ ... ودبَّ على وجـــه الصعيدِ دبيبُـــهُ

على شَرْطِ[3] عزٍّ لا تحـــولُ رسومُهُ ... وسَرحِ نعـــيمٍ لا تُراعُ سُـــرو بُهُ

* * *

وقال يمدح الوزيرَ عميدَ الدولة أبا سعد بن عبد الرحيم ، وأنفذها اليه وهو معتزِلُ النظرِ لهفوةٍ جرَتْ بينه و بين الأتراك آقتضت تغيُّبهُ ، و يُعرِّضُ بذكر الساعى به عند شاهانشاه جلالِ الدولة رحمه الله ، وذلك فى المهرجان الواقع فى شوّال من سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة

يا قلب من أين على فَـــترةٍ ... رُدَّ عليـــك الولَهُ العـــازبُ ؟

أبعـــدَ أن مات شبابُ الهوى ... شاورَك المحتنِـــكُ الشائبُ

و بعدَ خمسين قضَتْ ٠اقضتْ ... وفضـــلةٍ أغفلها الحـاسبُ

هبّتْ بأشواقك "نجـــديّةٌ" ... مطمِـــعةٌ ، أنت لهـا واجبُ ؟

ما أنت يا قلب وأهـــلَ الحمى ... و إنمـا هم أمسُـــكَ الذاهبُ

(١) تطرو : تأتى من مكان بعيد ، وفى الأصل "تطر" . (٢) غض وقشيب مرفوعان على أنهما بدل متطاوع والقطع فى البدل جائز كما فى النعت . (٣) كذا بالأصل ولعله "صَرح" .

لم تذكر الغائبَ من عهدهم ... إلا لأنْ ياكلَك الغائبُ
قد وعظَتْ واعظةٌ من حجا ... بوعظها ما زهِدَ الراغبُ
فارددْ على الريح أحاديثَها ... ففى صِباها ناقلٌ كاذبُ
جاءت وقد أفرقْتَ[1] تهدى الصَّبا ... لا سَلِمَ المجلوبُ والجالبُ
ودون "نجدٍ" وظباءِ الحمى ... أن يُقرَعَ المَنسِمُ والغاربُ
والفيلقُ الشهباءُ من "عامرٍ" ... والطاعنُ الغيرانُ والضاربُ
والشمسُ أدنى من "تميميَّةٍ" ... طالعُها من "رامةٍ" غاربُ
لو سَبقَتْ بالغدرِ فى قومها ... لمَا وَفَى فى قوسه "حاجبُ"[2]
مكنونةٌ بيضاءُ لم يَعْدُها ... فى البدو لونُ العرَبِ الشاحبُ
إن وُصفت تيَّمها وصفُها ... أو نُسبتْ أعجبها الناسبُ
فلا تَغُرَّنَّك نفَّاحةٌ ... منها ولا بارقةٌ خالبُ
يا راكبَ الأخطارِ تهوِى به ... انزلْ، كُفيتَ السيرَ يا راكبُ
مالَك ـ والراحةُ قد أمكنَتْ ـ ... تشقَى بما أنتَ له طالبُ !
قد آن أن يُعفَى الكايلُ المطَا ... وأن يُراحَ النَّصِبُ اللاغبُ
إنّ المقيمَ اليومَ فى غِبطةٍ ... يحسُدها السارحُ والساربُ
قد أربعَ الوادى "ببغداد" وآبـ ... ـتلَّ الثرى واتّسع الجانبُ
أظلَّها من سُحُبِ أيدى بنى ... "عبدالرحيم" الهاطلُ الماضبُ[3]
ورجَعَتْ طالعةً شمسُهم ... فيها وعاد الكوكبُ الثاقبُ
الى "عميد الدولة" آسترجع الـ ... ـمنابرُ أنساً وأوَى الهاربُ

(١) أفرقت : بان الشيب فى مفرقك . (٢) حاجب : هو حاجب آبن زرارة وقد تقدمت الإشارة اليه فى صحيفة (٥٩) . (٣) الماضب : الماطر ، وفى الأصل "القاضب" .

عَمَّ وسَوَّى عادلا جُــودهُ حتى آستوى المحرومُ والكاسبُ
طَبَّقَ فى التـــدبير أغراضَـهُ سهما فسهـــما رأيُه الصائبُ
وأدب الأيّامَ بالحـلم، والـ ـجهـلُ على أخلاقها غالبُ
والمُلكُ سَرحٌ نام رُعيانُه وهبَّ يطغَى ذئبُـــهُ السارب
كانت جحيما ترتمى بالأذى، فى جانبيهـا الشررُ اللاهبُ
فأَخمـــدَتْ هيبتُهُ كلَّ ما هبَّ عليها المُوقِــدُ الحاطبُ
صَبَّ عليهـا الدَّمَ لمّـا غدتْ بالمـاءِ لا يُطفئُها الساكـبُ
فهامـــةٌ ساقطـــةٌ فوقهـــا حَصْدًا وجنبٌ حولها واجبُ
عشواءُ خطبٍ لم يكن ينجـلى حتى يؤوبَ القـــمرُ الغـائبُ
يا "شرَفَ الدين" تمدَّحْ بها فالعُجبُ فى أمثالهـا واجبُ
ما زال تنـــكيلُك بالمجـرِم الـ ـمُصرِّ حتى خافــك التـائبُ
صَـــدْعٌ من الدنيـا تداركتَهُ لولاك ماكان له شاعبُ
جاذبه النـــاسُ يرومـــونَهُ دهرا فـلم يعــلَقْ به جاذبُ
لا العاجـــز الوانى تأتَّى له منهـــم ولا المجتهـــدُ الدائبُ
سَلَلتَ بالعـادة فى جسـمه رأيًا هو الصَّمصامةُ القاضبُ
قـــد ظهَرتْ رايةُ أيّامكم وطبَّـق الأرضَ بهـا الجانبُ
وجَمـعَ الألسنَ تفضـيلُكم فآصـــطلحَ المـادحُ والثالبُ
لا يَصلحُ الأمرُ على غـيركم لا عارض منـــه ولا راتبُ
ولا تـــدرُّ المـالَ أخـــلافهُ وغـــيرُ أيديكم له حالبُ
وزارة مجلسُـــها منصِبٌ له آصـــطفاك الله والناصبُ
أنتَ لهـا ـ فاشدد يمينا بها ـ الأخُ وآبنُ العمِّ والصـاحبُ

فإن تعزّلتَ وفارقتَها ... أو نابَ فى تدبيرها نائبُ
كان فِراقًا لك تسديدُهُ ... وللا عادى سهمُهُ الخائبُ
بَعُدتَ فانحصّ الذى رِشتَهُ ... وآنقبضَ السائمُ والساربُ
فاعطِفْ على الدنيا وما قد جَرَى ... به عليه القدرُ اللازِبُ
فالليثُ لا يغمِز فى زأره ... وإن ألحّ النابح الواثبُ
فى جِلْده ذمّى وفى عظمه ... مُظَفَّرٌ[1] فى عِزّكم خالبُ[2]
مَشَى بها الماشى الى حتفه ... يا بؤسَ ما أعقبَهُ العاقبُ
يا باسطا من كفّه مُزنةً ... يَبسِمُ منها البلدُ القاطبُ
ومَن حَمَى الأرضَ فما فوقَها ... للخوف مسلوبٌ ولا سالبُ
والمصطفى المحبوب من ماله ... يَخبِطُ فيه العائثُ الناهب
أغنيتنى عن كلّ غَرّارةٍ ... سحابُها المصعِقُ والحاصبُ
وكلّ مبذولِ الحمى بابُهُ ... واللؤمُ عن أمواله حاجبُ
لا يخلُقُ الخَجْلَةَ فى وجهه ... لا مادحٌ أثنَى ولا عائبُ
وصُنتَ وجهى بعد ما شفّنى ... من مائه المنزَفُ والناضبُ
وخَلَطْتَنِى منك نُعمى بها ... شَجّرنِى[3] فى بيتك الناسبُ
وحُطْتَنِى أمنًا وقد ثارَ لى ... بالشرّ صِلُّ الرملةِ الواقبُ
كلبٌ أتى الليثَ فأغراه بى ... وقال وهو الفاجرُ الكاذبُ
وغْدٌ دعىّ ليس من شكله ... ما هو كاسٍ باسمه كاسبُ
أعداه من مِهنةِ آبائِه ... عِرقٌ الى اللؤم به ضاربُ

(١) مظفَّر: غارزٌ أظافره . (٢) الخالب : الجارح بمخلبه . (٣) شجرنى : جعلنى من شجرتكم أى من ذوى قرباكم .

ولم يكن لو أنه كاتبٌ ... يُراعُ منه الشاعرُ الكاتبُ

وعند شعرى — لو هجا مثلَه — ... لعرضه القاصمُ[1] والقاصبُ[2]

فابقَ لأن تُرغِمَ لى أنفَهُ ... أنفٌ لعمرى أجدعٌ تاربُ

(٥٧) والبس من الدولة فضفاضةً ... يسحبُ من أذيالها الساحبُ

واقسِمْ ليوم المهرجان الحيا ... وفدًا، فنعمَ الوافدُ الآئبُ

يومٌ لآبائك فى حفظه ... عهدٌ يُراعَى حقُّهُ الواجبُ

وأصبحْ بفخرٍ طيرُه أيْمنٌ ... وفى عداك البارح[3] الناعبُ

ما غرَّدتْ ورقاءُ أو دافعتْ ... فتخاءُ[4] عن أفراخها خاضبُ[5]

واسمعْ اذا شُدَّت لها حَبوتى ... أفصحَ ما فاهَ به خاطبُ

مرصوعةً باسمك من خيرِ ما ... لاثَ على مَفرِقه عاصبُ

عندك منها غَرِدٌ مطربٌ ... وعند من عاديتَه نادبُ

من معدِن الجِدّ ولكن تُرى ... رقّتُها أنّى بها لاعبُ

لا ربُّ "غُمْدانَ"[6] وعَى مثلَها ... سمعًا ولا مَن دارُه "مأربُ"[7]

وامضِ مع العادةِ فى مَهرها ... على طريقٍ نهجُهُ لاحبُ

فما تطيبُ الأرضُ موهوبةً ... عندى لولا أنك الواهبُ

---

(١) القاصم : الكاسر . (٢) القاصب : القاطع . (٣) البارح من الطير : ما يمرّ الى المياسر وهو الذى يتشاءم به . (٤) الفتخاء : العقاب اللينة الجناح . (٥) خاضب : محمرّة الأظفار . (٦) غُمْدان : قصر باليمن بناه "يَشْرُحُ" بأربعة وجوه أحمر وأبيض وأصفر وأخضر . (٧) يشير الى سبأ بن يشجب بن يعرب الذى بنى قصر مأرب .

***

وقال يمدحه ويهنئه بالمهرجان، وكتب بها اليه وهو مقيم بعُكْبَراء وقد شارف العَوْدَ الى النظر بالوزارة بعد آعتزاله منها مُدَيْدةً، وتقرر ذلك له، يتشوقه ويذكر الحالَ، وذلك فى سنة ستّ وعشرين وأربعمائة

عزفتُ فما أدري الفتى كيف يرغبُ ... وعفتُ فما أشكو القذى كيف يُشربُ

وروّضنى لليأسِ هجرُ مَطامعى ... فبُغض عندى الوفر وهو محبّبُ

رأيتُ الغنى ما ندَّ عنّى ففاتنى ... فكيف يَخاف الفَوْتَ من ليس يَطلُبُ

وأرضَى عن الأقدارِ كيف تصرَّفت ... وغيرىَ بالأقدارِ يَرضَى ويغضَبُ

أأشرِى بعِرضى رِفدَ قومٍ مَعوضةً ... وأُشعِرُ نفسى أنّ ذلك مكسَبُ؟

فلا جرَّ رزقٌ[1] غِبطةً وهو يُجتدَى ... ولا سدَّ مالٌ خَلَّةً[2] وهو يُوهبُ

هنيئًا لربِّ الرائحاتِ خلاصُهُ ... إذا ضافنى مما يعُقُّ[3] ويَحلبُ

ومِن قَودِها لى فى الصِّلاب ثنيّةٌ[4] ... وبزلاءَ[5] تعصِى فى القيادِ وتُصحِبُ[6]

تركتُ لمعطى النائلِ الغمرِ نَيلَهُ ... وإنى الى تَرْك البخيلِ لأقربُ

فلا المدحُ فى المُسنِي الجوادِ أكُدُّه ... ولا الجِبْزُ[7] المنّاعُ ذمّىَ يَرهَبُ

ويظلمنى المولَى وفى فِيَّ ناصرٌ ... وكفّى، فلا أشكو ولا أتعتّبُ

اذا ذهبتْ بى رغبةٌ عن تلاده ... طريقًا فما لى عنه بالودّ مذهبُ

له خِصبُهُ دونى ولى نَوْطةٌ[8] به ... وعَوْنٌ على أيامه وهو مُجدِبُ

---

(١) فى الأصل "رزقا". (٢) الخلة: الفقر. (٣) مما يعقّ: مما يذبحه.

(٤) الثنية: الناقة الطاعنة فى السادسة. (٥) البزلاء: الناقة الطاعنة فى التاسعة وليس بعد ذلك آسم لسن. (٦) تُصحِبُ: تنقاد ذليلة بعد صعوبة. (٧) المسنى الذى يجعل الجائزة سنية والجبز: البخيل الضيق الخلق. (٨) نوطة: تعلّق.

وللحبِّ منِّي — ما أمِنتُ خيانةً — مَحَــلَّةُ قلبٍ قلَّمــا يتقلَّبُ
أجرُّ الهوى — ما لان — فَضْلَةَ مِقوَدي ويَعسِــفُني حينــا فآبَى وأجذِبُ
وما كلَّمــا فارقتُ أشربُ دمعــتي ولا كلَّما غنَّى الحَمَــامُ أُطَرَّبُ
وكم أَلِفَتْــني ظبيــةٌ وهي قَــذَّةٌ فملتُ ولم أعطِفْ وقد عنَّ ربرب
أحبُّ الوفاءَ مُجِبــا ومغــزِّلا وأصحَبُــهُ فيما أجِــدُّ وألعبُ
وأعطِي يدي ما خِلتُني متفضــلا وأمنعها ما خلت أنِّيَ أرغبُ
فلو لقيتْ أيَّامَ دهرى خلائقى لكانت عــلى جَهْلاَتِهــا تتأدَّبُ
ولو أنهــا للسِّــلم جانحــةٌ معى لكانتْ على الشــحناء بى تتحبَّبُ
وكنتُ لهــا عُذرا الى كلِّ ماجدٍ يَرَى أنهــا فى حرب مثــلىَ تُذنبُ
ولكنَّها عَجماءُ، سِيَّانِ عندها شدًا جاملٌ(١) أو قال هُجْــرا مؤنِّبُ
تشُطُّ بأحبــابى الذيــن أودُّهم وتدنو بجــارٍ لا أُحبُّ فتَقصِبُ
ولو أنهــا تأوِى لصوتى لقرَّبتْ بعيــدا وشطَّت بالذيــن تُقرِّبُ
كواكبُ آمالى وأقمــارُ مَطلبِى نأتنى، وفى الأحبابِ بدرٌ وكوكب
تَطَلَّعُ حينا من بُروج سُــعودِها عــلىَّ ويطويهــا البعادُ فتغــربُ
اذا قلتُ: هذا العامُ حسبُ، وبعده الـ ـثَّواءُ، أتى فى الأمرِ ما ليس يُحسَبُ
فكم يَحمِلُ الثقلَ الضعيفُ وكم تَرَى يُقِلُّ وُسوقَ(٢) البعــد جنبٌ مندَّبُ(٣) !
وكم تَكتسِى فى ظلِّ قــومٍ أعزةٍ قوادمُ ريشِى ثم تعــرَى فتُسلَبُ !
ويأخذُ منِّى الحاضرون ببخلهم فواضــلَ ما يُعطى السماحُ المغيَّبُ !
أيدرى الوزيرُ مَن كُنِى عنه أو عُنِى؟ نعم هــو يدرى ما أُعَمِّى وأُعرِبُ

---

(١) الجامل: ذو الجَمَل ويريد به "الحادى". (٢) وسُوق جمع وسق وهو الحمل، وفى الأصل "وشوق". (٣) منــدَّب: مقرّح.

وإنى بحبلٍ غيرِ أطنابِ بيتِه ... على بيتِ شِعرٍ ناصحٍ لا أطنِّبُ

سِماتُ بنى "عبد الرحيم" سلائطٌ[(١)] ... على وجهِ أشعارِى تُنيرُ وتثقُبُ

لهم جُمَّتا فكرِى مُطيلا ومقصرا ... وصفوتُه صِرفًا وبالماءِ تُقطَبُ[(٢)]

فلو قلتُ : إنى فى مديحِ سواهُمُ ... صدقتُ ، لقال الشعرُ فى السرِّ : تكذبُ

هُمُ أمكنونى من ظهورِ مآرِبى ... فأركبُ منها ما أشاء وأجنبُ

ألمُّ بهم ما لا يُلمُّ بشاعبٍ ... وأرأبُ فيهم صدعَ ما ليس يُرأبُ

وأستعتب الأيامَ وهى مُصِرَّةٌ[(٣)] ... بهيبتهم حتى تفىءَ فتُعتِبُ

هُمُ رحِمِى والأقربون معقَّةٌ[(٤)] ... وفيهم أبِى البَرُّ الرؤوفُ ولا أبُ

ودولتهم — لا عُطِّلتْ — لِى مَواسِمٌ ... وأيامهم سُوقٌ بفضلِىَ تُجلبُ

ذُخِرتُ لهم كنزا مواريثَ قومهم ... فمن رامنى من غيرهم فهو يَغصِبُ

فلا أسمعتْ "ذُبيانُ" بعدى وبعدَهم ... بنى "منذرٍ" عذرا به العفوُ يُوجَبُ

ولا فرِحتْ أقيالُ آلِ "أميةٍ" ... بما سَيَّرتْ فيها "تميمٌ" "وتَغلِبُ"

أيا راكبَ العشواءِ يطرَحُ صدرَها ... خِطارا على الشقِّ الذى هو أتعبُ

ترى ظلَّها فى الشمس تحسَبُ أنه ... لأُخرى سواها لاحقًا أو ستَقرُبُ

تغارُ اذا ما أبصرتْ ظلَّ سُنبُكٍ ... على الأرض جَلَّى سابقا وهى تَعقُبُ

كأن بفجاجِ الأرضِ نَقْدًا[(٥)] لركضِها ... تُغيرُ عليه كيفَ شاءت وتَنهبُ

تَنُصُّ مقاضاتين[(٦)] للسير[(٧)] تلفظُ الـ ... ـمُحالَ وتُوعِى الحقَّ نصحًا فتوعبُ

وكالئةٍ ترعَى الشخوصَ كأنها ... أخو ليلةٍ — بات الربيئة[(٨)] — يرقُبُ

---

(١) سلائط جمع سليطة وهى الزيت أو الدهن ينار به . (٢) تقطب : تمزج . (٣) يقال : أصرّ الفرس بأذنه أى سوّاها ونصبها للاستماع . (٤) معقة : عقوق . (٥) فى الأصل "نقل" ولعله تحريف . (٦) فى الأصل : "مفاضاتين" . (٧) فى الأصل "للسر" . (٨) الربيئة : المتطلع يرقب العدو .

اذا ٱقتُضِيَتْ فى ذمّة النجم حاجةٌ فتلك لديهـا دعوةٌ لا تخيَّبُ
تحمّلْ سـلامى وٱحتقِبْ لِىَ حاجةً تُضىءُ لك المسرَى وطُرْقُك غَيْهبُ
الى "شرفِ الدين" ٱنتزِعْها إهابَها ودعْها عـلى نارِ السِّـياط تَلهّبُ
الى مَلِكٍ لا يسلُكُ النومُ جفنَـهُ وفى المُلْكِ صـدعٌ بالسهاد يُشَعَّبُ
ولا تبلُغ الأثقـالُ غايةَ جَهـدِهِ اذا ظلّت البُزْلُ المصاعيبُ تشغَبُ
تفحّصَ فى الآراءِ حتى أرينَـهُ ـعلى غيرِ فحصٍ ـ أىّ أمرَيْه أصوبُ
وأتعبَـه التـدبيرُ حـتى أراحه وقد تستريح النفسُ من حيث تتعبُ
فكن مُبلِغًا عـنّى، وحظُّك عنـدَه اذا أنت باسمى فُهتَ أهلٌ ومرحبُ
وقل ياعميدَ الدولةِ ٱعطِفْ وإن جَنتْ فـا زَلّةٌ إلا وعفـوُك أرحبُ
تَلافَ عصاها أن تُشَقَّ فإنهـا بسوءِ القضـايا تُلْتَحَى وتُشذَّبُ
وداركْ ذَماها[1] وهو بعـدُ، فربّما تخور القُـوَى أنْ ينفـعَ المتطبِّبُ
يقرِّبك الإقبـالُ حينا فتؤنِس الـ ـحياةَ ويُقصِيك الشقاءُ فتُعطِبُ
ومن أعجب الأشـياء تعليلُها بمَنْ تَرَى عجـزَه من حظِّه يتعجّبُ
فإن يبلغوا بالداء لا يحسمونه وعنـدهمُ منك الدواءُ المجـرَّبُ
اذا طُلِّقتْ منك الوزارةُ أصبحتْ مُجـذَّذةً[2] مـن حُسنها تُتسلَّبُ
تغوِّثُ[3] بالأسحـار تدعُو صَباحَها وتبكى زمانَ الوصـلِ منك وتَندُبُ
تَخالُ بهـا ربعا مُحيـلًا تساقطتْ تحاجلُ فيـه الشاحجاتُ[4] وتنعَبُ
بنيتَ بهـا بِكرَ الصِّبـا فَمَن الذى يُصـفِّى هواها وهى شمطاءُ ثيِّبُ
وأبرحُ مـن تعنيسهـا وهى أيِّمٌ[5] ـاذا غبتَ ـ من يُسمَى لها وهى تُخطَبُ

---

(١) يريد ذماءها وهو بقيّة النفس . (٢) مجذّذة : مقطّعة . (٣) تغوّث : تستغيث .
(٤) الشاحجات : الأغربة التى فى صوتها غِلَظ . (٥) الأيّم : التى ليس لها زوج .

وهذا أوانُ الشدِّ فانهضْ بحملِها ... وثِبْ واثقاً، إنّ العلاءَ توثُّبُ
فما كلُّ ما آستوضحتَ فيها هدايةٌ ... وليس ضلالاً كلُّ ما تتنكّبُ
قد آشتاقك المُلْكُ الذى أنت أنسهُ ... وأوحش صدرٌ منه وآرتاع موكبُ
وقد أعجفَ(١) الرُّوّادُ وآعتصروا الحيا ... من الصخر اذ أمست سماؤك تُحجَبُ
وقُصّ جَناحُ الشِّعرِ لا الطبعُ جاريا ... يَرِقُّ ولا مستولَدُ الفكر يُنْجِبُ
فنحن كأنّا لم نصِفْ مَلِكاً ولم ... نقم قطّ ما بين السِّماطين(٢) نخطُبُ

وكائنْ لنا من موقفٍ متشهِّرٍ ... لديك يطيبُ القولُ فيه ويعذُبُ
تميزُ به عُتْقَ(٣) القوافى وهُجْنَها(٤) ... وتعلمُ ماذا يُجتبَى ويُجنَّبُ
ووجهك بسّامٌ الى المدح مقبِلٌ ... عليه ووجهُ الدهرِ جَهْمٌ(٥) مقطِّبُ
وكم ثَمَّ من مسترزِقٍ حلَفتْ له ... لُهاك — وبَرَّتْ — أنه لا يُخيَّبُ
وعيشٍ يبيسٍ بالسماح بللتَهُ ... ووجهُك فيه من بنانك أرطَبُ
رعَى اللهُ منك البحرَ لم أروَ بعده ... بلَى ربّما أفعمتَ والبحرُ ينضُبُ
ومَطرَحَ آمالى الذى كلُّ ضيِّقٍ ... عليه فسيحٌ عنده لِىَ مَرغَبُ
ومالى اذا أعسرتُ من كلِّ وجهةٍ ... وجاهى الذى من بعضه المالَ أكسِبُ
تأجَّنُ(٦) غُدرانى وماؤك سَلسَلٌ ... وتخبُثُ أوطانى وتُربُك طيِّبُ
وَجُودُك لى سِيّان ما كنتَ حاضرا ... قريباً، وما ينأَى وما يتقرَّبُ
فلولا مضيضُ الشوقِ لم أشكُ غُصّةً ... ولا أجحفَ التَّردادُ بِى والتقلُّبُ
ولكنّك العينُ التى كلُّ غبطةٍ ... اذا هى لم تُوجَدْ عناءٌ معذِّبُ

---

(١) يقال : أعجف القوم : هزلت مواشيهم وصارت عجافا . (٢) السماط : الصفّ ، يقال : قام القوم حوله سِماطين أى صفّين . (٣) العُتْق جمع عتيق وهو النجيب من الخيل . (٤) الهجن جمع هجين وهو غير العتيق أو الذى ولدته برذونة من حصان عربىّ . (٥) الجهم : المكفهرّ الوجه . (٦) تأجن : تصير آجنة متغيرة طعم الماء ولونه .

فـلا حَوَّلتْ عـنى ظِلالَك خُطّـةٌ ... تَحُـلُّ ولا محـذورةٌ تُترَقَّبُ
وعشتَ لمثلى واحدا فى زمانه ... وللنـاسِ بعـدى يطلبون وتُطلَبُ
أجازى نداكَ الغَمرَ نَشرا[1] مخلَّدا ... كلانا مطيـلٌ فى معانيـه مُطنِبُ
بكلّ مطاعٍ أمرُها مستجيبةٍ ... لدعوتهـا الأسماعُ تُرجَى وتُرهَبُ
تولَّجُ[2] لا تخشَى تلوُّنَ آذنٍ، ... لهـا الخلواتُ والرواقُ المحجَّبُ
يُقَرُّ لها بالفضـلِ من لم تُقلْ[3] له ... ويُعظِمُها العيَّابُ والمتعصِّبُ
لهـا كلُّ صوتٍ، كلُّ راويه مُبلِغٌ ... فصيحٌ، ومَن غنَّى به فهو مُطرِبُ
تَصفَّتْ فقد كادت مع التبرِ تُقتَنَى ... ورقَّتْ فقد كادتْ مع المـاء تُشرَبُ
مصدَّقة فى المـدح أسرفَ أو غَلا ... ومأمونة ما تستـزيدُ وتَعتِبُ
تزورك، يوما فى نَديِّك تُجتَـلَى ... ويوما مع السُّفَّار تُقـرَا وتُكتَبُ
تسوقُ التهـانى خلفَها وأمامَها ... تُصعِّدُ فى الدنيـا بكم وتُصَـوِّبُ
تذكِّركم من حقِّها إن نسيتُمُ ... بمـا تَقسِمُ الأعيـادُ حظًّا وتُنصِبُ
تَرَفَّعُ عن تيـه المصيبِ وعُجبِـهِ ... ولكن بكم فخـرا تَتيـهُ وتَعجَبُ

* * *

وقال يمدحه ويهنئه بالمهرجان الواقع فى سنة سبع وعشرين وأربعمائة

سَلِ الركبَ إن أعطاك حاجتَك الرَّكْبُ ... مَنِ الكاعبُ الحسناءُ تمنعها "كعبُ"[4]؟
قضى أنهـا مغـلوبةٌ لِينُ عطفها ... وحصّنها ـ أن تُملَك ـ الأُسْدُ الغُلْبُ
حمَوْها وذبُّوا أن تُرامَ وما حَمَوا ... قلوبَ الهـوى من مقلتيها ولا ذَبُّوا
وهزّوا القنا الخطّار والبيضَ دونها، ... فمَن طالبٌ؟ والمانع الطعنُ والضربُ

(١) فى الأصل : بشرا .   (٢) تولّجُ : تدخل .   (٣) فى الأصل " يقل " .
(٤) كعب : اسم قبيلة .

يخافون صوتَ العار أن يُصبحوا بها … حديثا وأفواه المواسم تَستَبُّ

وما العارُ إلا أنّ بين بيوتهم … قلوبَ المحبين السلائبُ[(١)] والنَّهبُ

لئن أشحطوها أن تُزارَ فبيننا … مواثيقُ، بُعدُ الدار إن رُعِيتْ[(٢)] قربُ

وإن حُجبتْ والريح تَسفِرُ[(٣)] بيننا … بنجوى فؤادينا فما ضرَّت الحُجْبُ

وفى دارها "بالروضتين[(٤)]" لناظرٍ … شفائفُ[(٥)] ضوءِ البدرِ تكفُره[(٦)] السحب

ومنها ومن أترابها فى ثرى الحمى … عبائقُ تَهديها الصَّبا لِىَ والتربُ

وقفتُ وصحبى فى "اللّوى" فأملّهم … وقوفى حتّى قد وقفتُ ولا صحبُ

أُذاكرُهُ مَرآةَ يومِى بأهله … فيشكو الذى أشكو ويصبو كما أصبو

ولم أحسَب الأطلالَ تُخضعها النّوى … ولا أنّ جسم الربع يُنحِلُه الحبُّ

تحدّثْ بما أبصرتَ يا بارقَ الحمى … فإنك راوٍ لا يُظَنُّ بك الكِذبُ

وقلْ عن حشًى من حرّها وخفوقها … تعلّمتَ ما تنزو خِطارا وتشتبُّ

وعن بدَنٍ لم يبرح الشوقُ مُعرِيًا … وَشائظَهُ[(٧)] حتى آلتقى الجنبُ والجنبُ

فلو أنه فى جفنِ ظبيةِ حابلٍ … مكانَ القذى ما كان يَلفِظُه الهُدبُ

وهذا ضنا جسمى وقلبىَ عندها … فكيف به لو كان فى جسدى قلبُ

فُطرتُ على طينِ الوفاء ودينِه … فنفسى اليه بالغريزة تنصبُّ

فكم نائمٍ عنّى وثيرٍ مِهادُهُ … وجنبى له عن لين مَضجَعه ينبو

أصابرُ فيه الليلَ حتى أغيظَهُ … فتحسُدَ أجفانى على السهر الشهبُ

وأعجبُ ما حدَّثتُهُ أنّ ذمّةً … وفَتْ فارسٌ فيها وخاسَت[(٨)] بها العُرْبُ



---

(١) السلائب: كل ما أخذ قهرا. (٢) فى الأصل: دعيت. (٣) تسفر: تكون سفيرا. (٤) الروضتين: اسم موضع. (٥) الشفائف: الستائر يستشف ما وراءها. (٦) تكفره: تحجبه. (٧) وشائظ جمع وشيظة وهى قطعة عظم تكون فى العظم الصميم. (٨) يقال: خاس بالعهد أى أخلفه.

عذيرِى من الأيّام أوخمن مرتعى ... ورنّقن لى من حيثُ يُستعذبُ الشُّربُ

تُناوبُ قومًا غَضَّها وهشيمَها ... وكلُّ نصيبِى من معيشتها الجدبُ

أُحلِّى عليهم عفوَها[1] ودُرورَها ... فأرضَى بلا ذلٍّ بما كدّه العصبُ[2]

وأتركُها تَرْكَ المسالِمِ قادرا ... لأسلمَ منها وهى لى أبدا حربُ

وكم قد شكوتُ الدهرَ لو كان مُشْكِيا ... وعاتبتُ جَورَ الحظّ لو نفع العتبُ

بلى فى يدى — لا أكفُرُ اللهَ — جانبٌ ... من العزِّ لى فيه الوسيمةُ والرَّحبُ

ومنبعُ جُود لو قنعتُ كفى الغنى ... وبلَّ غليلى ماؤه العَلَلُ[3] السَّكْبُ

تعوّد جوِّى غيمَهُ ونسيمَهُ ... وأرضِىَ أن تزكو عليه وأن تربو

أقِلّنِى من التغرير يا طالبَ العلا ... ومن كدِّىَ الآمالَ تنهضُ أو تكبو

فلولا الندى العِدُّ "الرحيمىُّ" ما جرى ... الى أيكتى ماءٌ ولا آخضرَّ لى تربُ

هم الناس ناسى والزمانُ زمانُهم ... ربيعى وكسبى من رضاهم هو الكسبُ

تملَّحْتُ[4] فيهم وآلتحفتُ بريشهم ... فوكرى بهم حيث آستوى الماءُ والعشبُ

وحسبى غنًى أو سُودَدا أنّ بحرَهم ... وسيّدهم عند الملمات لى حَسْبُ

الى "شرَفِ الدين" آنتشطنا حبالَها ... تُعانِقُ[5] فى نفض الطريق وتختبُّ[6]

سلائلُ ماصفَّى "الغَضينُ وداحِسٌ"[7] ... وحازت كلابٌ رهنَها واَعتلت كلبُ

بناتُ الفلا والريحِ كل حسيرة ... اليها الرياحُ المستقيماتُ والنُّكْبُ

---

(١) العفو : اللبن أوّل مايحلب . (٢) العصب : أن تُعصب فخذا الناقة لتدرّ، وفى الأصل "العضب" . (٣) العلل . المتتابع، وأصله الشرب بعد الشرب تباعا . (٤) تملّحتُ : سمنتُ وفى الأصل : تلمّحتُ . (٥) تعانق : تسير العنَقَ وهو ضرب من السير . (٦) تختبّ : تسير الخبب . (٧) الغضين وداحس : اسما فرسين، يضرب بأحدهما المثل يقال : "هو أشأم من داحس" .

كَسِيرِ(١) العصا المقدودِ لو سُلكتْ بها … تُقوبُ الخروتِ(٢) لم يضق دونها ثَقْبُ

تُخَالُ عِنانًا فى العنان من الطَّوَى … وإن شُطِبتْ(٣) بالسوط قلتَ هى الشَّطبُ

تُحَطُّ اليه وهى قُلْبٌ(٤) من الطَّوَى … وتُركَبُ عنه وهى مُجفَرةٌ(٥) قُبُّ

الى مَلِكٍ لا يملِكُ الخوفُ صدرَه … خُفوقا ولا يغشَى على رأيه الخطبُ

ولا يطَّبيه(٦) التيهُ فى معجزاته … اذا هامةُ المفتون أسكرها العُجبُ

مهيبِ الرضا مستصفَحِ السخطِ بالغٍ … به القولُ ما لا يبلغ الباتر العضبُ

مُحيطٍ بآفاق الإصابة رأيُه … بديهًا ، ورأىُ الناسِ مختمرٌ غِبٌّ(٧)

اذا رَفعتْ للإذن سَجْفا(٨) رواقُه … فللأعين الإشراقُ والآنُفِ(٩) التربُ

مَقامٌ تُلاقِى عنده النِّعمُ السُّطا(١٠) … ويجتمع الرُّغْبُ المحبَّبُ والرُّعْبُ

اذا أَمَرتْهُ مُرَّةٌ من حفيظةٍ … تسوءُ، نهاه خُلْقه البارِدُ العذبُ

تصوَّرَ من حُسنٍ وحِلمٍ ونائلٍ … ففى الدَّستِ منه البدرُ والبحرُ والعضبُ(١١)

من القوم لم تُضرَبْ عليهم إتاوةٌ … ولم يَعتبِدْهم غيرَ خالقِهم ربٌّ

صدورُ قلوبٍ فى المجالسِ والوغَى … اذا رشَحوا فاضوا وإن قدَحوا شبُّوا

ومدَّ "عميدُ الدولة" العِرضَ راسخا … لحدَّثَ عن ضَربِ العلا الرجلُ الضَّرْبُ(١٢)

وما علمتْ أمُّ الكواكبِ(١٣) قبلَه … وقبلهمُ أن الهلالَ لها عَقْبُ

---

(١) السير : القِدَّة من الجلد ، ويقال فى مثل مولَّد : " ليس فى عصاه سير " يضرب لمن لا يقدر على ما يريده . (٢) الخروت جمع خُرت وهو ثقب الإبرة ويريد بها هنا الإبر نفسها . (٣) شطبت : خط فيها السوط بما يخلفه عليها من الأثر . (٤) قلب جمع قلباء : مقلوبة الشفاه . (٥) مجفرة : عظيمة الجنبين . (٦) لا يطبيه : لا يستميله . (٧) غبّ : متأنّى فيه . (٨) السجف : كل سترين مقرونين بينهما فرجة . (٩) الآنف جمع أنف وهو معلوم . (١٠) السطا جمع سطوة . (١١) العضب : السيف . (١٢) الضرب : الماضى النَّدْبُ الخفيفُ اللحم . (١٣) أم الكواكب : الشمس .

وأنَّ شروقَ الشمس عنهم سيثتنِى إلى مَلِكٍ فى صدره الشرقُ والغربُ
أرى المُلك بعــد المَيْل قامت قناتُه ولُوحِمَ منه بعد ما آنصدعَ الشَّعبُ
لك البُلجة البيضــاءُ إن مات بحرُه وفى يدك التفريجُ إن غَشِيَ الكربُ
وقد علِمتْ أمّ الوزارة أنهــا اذا غبتَ ثَكلَى قَصْرُها(١) الدمعُ والندبُ
وتُطمِعُ مخــدوعَ المنى فى نكاحِها مَطامع كدَّتهــا وأنت لهــا خِطْبُ(٢)
ودبُّوا لهــا تحت الظلام عقاربا ولو حسبوا وطء الأخامِص ما دبُّوا
ولمّــا رأَوا عنهــا آلتفاتَك عاجلوا وُثوبًا، وقِدْمًا طاح بالقَدَمِ الوثْبُ
رَقَيْتَ بفضــل الحلم شَوكَةَ لَسْبِهم فقــد ماتت الأفعَى وقد برأ اللَّسْبُ
هُمُ عقــروها إذ تعاطَوا فعُــذِّبوا ورأيُك فيهم "صالحٌ"(٣) وهُم السَّقْبُ(٤)



وراموا التى يَرضَى بها الخُرقُ وحدَهُ خِداعا وتأباها الحــزامةُ واللُّبُّ
ومن دونها أن يخطبَ الليثُ هُدنةً من الذئب أو يبكى من العطش الضبُّ
تُحدِّثُهم أحلامُهم أنَّ ظهــرَها رَكوبٌ ولكن يُكْذَبون اذا هَبُّوا
صِلُوها فمــا يشقَى من اليوم سعدُها عليكم ولا تَذْوَى(٥) وأنتم لهــا قطبُ
ولا برحتْ فيكم تَجُــرُّ عزيزةً سرابيــلَ لا يُخفِى ذلاذِلَها(٦) السَّحْبُ
ضَممتَ عزيبَ الملك بعد آنتشارِه وأفرشْــتَه أمنًا وقد ذُعِرَ السِّربُ
وما زلتَ بالتــدبير تَركبُ صــعبَه الى سهلِه حتى آستوى السهلُ والصعبُ
أَحَبَّك ودًّا مَن يخافُك طاعةً وأعجبُ شىءٍ خِيفــةٌ معَها حُبُّ
ولو نشَزتْ عنك القــلوبُ لردَّها لسانُك هذا الحلوُ أو وجهُك الرَّطْبُ

(١) قصرها : غايتها . (٢) خِطب : خاطب . (٣) صالح : اسم نبيّ من أنبياء الله صلوات الله عليهم . (٤) السقب : ولد الناقة . (٥) تذوى : تذبل . (٦) الذلاذل : أسافل القميص الطويل واحدتها : ذُلذُل، وقيل : أثواب تلبسُ فوق بعضها كل واحد منهـا أقصر ممـا تحته لتظهر كلها للناظرين .

فما مُقلةٌ إلا وأنتَ سوادُها ولا كبدٌ إلا وأنت لها خِلْبُ (١)

وأما القوافى فهى منذ رعيتَها بطائنُ وادٍ كلُّ أعوامِه خِصبُ

يكاثفها نبتا ويعذُب مَشْرَبا فلسّاتُها (٢) خَضْمٌ ورشفاتُها عَبُّ

صحائحَ مُلْسًا كالدِّهانِ وعهدُنا بها عند قومٍ وهى مُجفِلةٌ جُرْبُ

وكم بَكْرةٍ منها لمدحك قُدتُها فقرّت ومن أخلاقها الغَشْمُ والشَّغْبُ

تغاديك أيام التهانى بوفدها مكرّرةً لُبسًا وهنّ بها قُشْبُ

بشائرُ ملكٍ صدقُه فيكَ، لا يرى له رُكُنٌ ولا يقصّرُ له طُنُبُ (٣)

وأنّ يدَ اللهِ البسيطةَ جُنّةٌ تقيكم وأحزاب السعودِ لكم حزبُ

يزوركُمُ قلبى بها مثلَ منطقِ فلا الغِشُّ مَخشِىٌّ عليها ولا الخِبُّ (٤)

وأمدحُ مَن أعطاكُمُ مِن لسانِه وأرضاكُمُ مَن قلبُه بِكُمُ صبُّ

فلا تعدَموا منها عرائسَ عُطَّلا لها من أياديكم قلائدُ أو قُلْبُ (٥)

اذا مشتِ الأقران حولَ خريدةٍ فوَحدتُها فى الحسنِ ليس لها تِربُ

أجُدُّ بها والطبعُ يُجرِى خلالَها طُلاوةَ رَقراقٍ تُرِى أنها لِعْبُ

وغيرُكُمُ يرتاب بى إن مدحتُه لعرفانه ألّا يحلّ لها الغصبُ

فأرفعُه بالفعلِ لو كان فاعلا وقد خَفَضَتْهُ من نقيصتِه رُبُّ (٦)

يُساءُ كأنّى بالثناء أسبُّه لعمرُ أبى إنّ النفاقَ هو السبُّ

---

(١) الخِلب : حجاب الكبد . (٢) اللسة : أخذ الدابة النباتَ بجحفلتها . (٣) كذا بالأصل وفى النسخة المطبوعة .

* له ركنُ عزّ أو تقصّر له طنبُ *

(٤) الخبّ بفتح الخاء وكسرها : الخداع، وفى الأصل "الحب" وهو تحريف . (٥) القُلبُ : السوار . (٦) ربُّ لغةٌ فى ربَّ، والبيت مكتظٌّ بكثيرٍ من التورية النحويّة .

* * *

وقال فى سمكة

وكالرقمِ يحسَـــبه من قـــرا ويُعرَفُ ممَّنْ إذا مَن كُتبْ
من البَهْمِ لو طَلَب النطقَ ضلَّ وفى الأنبيـاءِ إذا ما طُلِبْ(١)
يبادر خيـلَ الوغى الدُّهمَ وال ـورادَ(٢) بشهبـاءَ(٣) تُجـلِى الشهبْ
بحيث تُرَى مخطفاتُ(٤) الحـديـ ـدِ يضعفن عن مرهَفات القَصَبْ(٥)
إذا ما تَرَدَّى(٦) نجـا سالمـا ويُقمَص(٧) إن قام أو إن وثبْ
يكون بدرعٍ فيلقَ وإنْ تسربلَ درعينِ لاقَى العطبْ(٨)

* * *

وقال فى سُمَارِيَة(٩)

وجاريةٍ فى مجـارى الحيـاةِ خلعت(١٠) عليهـا رداء الشبـابِ
وحَلَّيْتُها حِليـــةَ المشـــرفـ ـىّ فوق حمـائلهِ والقـرابِ

---

(١) يريد بالبَهْـم البهائم ، وسمّيت بذلك لمـا فى صوتها من الإبهام ، ويستوى فيها كلّ ذات أربع قوائم من دوابّ البر والمـاء . ويريد بقوله "وفى الأنبياء" سورة "الأنبياء" فى القرآن الكريم وما تضمّنته حكاية عن سيدنا "يونس" عليه السلام من قوله تعـالى : (وَذَا ٱلنُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً) الآية . (٢) الدهم : السود ، والوراد : الحمـر . (٣) "بشهباء" أى "بدرع بيضاء" وهى كناية عن إهاب النونـ لبياضه ولمعان ما عليـه من قشور تظهر كالنجوم لناظرها . (٤) مخطفات الحديد : لعـله يريد بمخطفات الحـديد الشصوص جمع شِصّ وهى حديدة عقفاء يصاد بها السمك [صنارة] . (٥) القصب : عروق الجناح وعظامها ، ويريد بها "الزعانف" وهى أجنحة السمك وغيرها مما يدافع بها عن نفسه . (٦) اذا ماتردّى : اذا ما سقط فى اللّجة وآتخذ سبيله فى البحر سربا . (٧) يقمص : يقتل رغم أنفه . (٨) يريد أن هذا الحوت يلق كل ما ينتابه بدرعه أى بإهابه لمتانته حتى اذا لبس درعين — كناية عن إهابه وعن الشبكة التى يحيطه الصيّاد بهـا — فانه يلاقى الموت والهلاك . (٩) سُمَارِيَة : نوع من السفن الصـغيرة تركب فى الأنهـر . (١٠) بالأصـل "جعلتُ" .

إذا غادةٌ منعتْ وطأَها ... تبطَّنتُ منها ذلولَ الركابِ

وخرَّقَ ما تحته ظهرُها ... كما تخرقُ الشمسُ ثوبَ السحاب

وأحمدُ من جسمها أنه ... كريمُ العظام لئيمُ الإهابِ (١)

* * *

وقال فى الدفاتر

وصفحةِ وجه من وجوهٍ عَلِقتُها ... أراعِى خدوشاً فوقها ونُدوبا

تَعرَّضُ لى والغانياتُ صوادفٌ ... فأذكُرُ أصداغاً لها وتَرِيبا

أكونُ حليماً تارةً ما اجتليتُها ... وَقُوراً وأحياناً أكون طَروبا

ويُعجِبنى منهنّ أنِّىَ لا أرى ... حبيباً لقلبى أو أراه قريبا

سَبَتْنى بألفاظِ الرجال وطابَ لى ... جَناها ولم تنطِقْ ولم أَرَ طيبا

فأودعتُها ما أودع اللهُ مهجتى ... جلابيبَ خيطت لا تُقِلُّ جيوبا



تُقصِّر عن أقدامِها ورءوسِها ... وتملأُ أصلابا لها وجُنوبا

إذا عُرِّيتْ منها وَقَتْها عيوبَها ... وإن أُلبِسَتها لم توارِ عيوبا

قافيـة التـاء

وقال وكتب بها الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم يمدحُه ويذكُر ظفرَه بعدوٍّ كان يناوئه ويهنّئه بمهرجان سنة إحدى عشرة وأربعمائة

ما أنكرتْ إلا البياضَ فصدّتِ ... وهى التى جَنَتِ المشيبَ هى التى

غرّاءُ يَشْعَفُ قلبَها فى نحرِها ... وجَبينِها ما ساءنى فى لِمّتى

لولا اختلافُ وأخذُهنّ بدِينه ... لم تكلَف البيضاءُ بالمُسودَّةِ

(١) إشارة الى بياضها وسواد جرمها .

أأنستِ حين سَريتِ فى ظَلمائها ... ونفرتِ أن طلعتْ عليـك أهلّتى ؟

ولقدعلمتِ ــ وعهدُ "رامةَ" عهدُنا ... فَتيين ــ أنّى لم أشِبْ من كَبرة

وإذا عددتِ سنِىَّ لم أكُ صاعدا ... عَددَ الأنابيب التى فى صَـــعدتى (١)

أَجنيتُهـا من خَـلَّةٍ فى مَفـرِق (٢) ... فتكونَ عنـــدكِ قادحا فى خُلّتى (٣) ؟

نَكِروا ــ فلا عَرَفوا ــ "برامةَ" وقفةً ... مَيـــلاءَ نادتهـا الديارُ فلبّتِ

وألامَ فيكِ وفيكِ شِبتُ على الصِّبا ... يا جَورَ لائمتى عليـــك ولِمّتى

وحننتُ نحـوكِ حَنَّـةً عربيّـةً ... عِيبت، وتُعذَرُ ناقةٌ إن حنَّتِ

ماذا على الغضبانِ؟ ما آسترفدتُه ... دمعا ولا آســتوقفتُه من وقفـتى

أبغى الشــفاءَ بذكره مِن مُسقِمى ... عجبـا لمن هـــو علّتى وتعلّتى !

يا هلْ لليلاتِ "بجَـمعٍ" عودةٌ ؟ ... أم هل الى وادى "مِنًى" من نظرةِ ؟

والحاصبات، وكلُّ موقعِ جمـرةٍ ... يَنبـذْنَها فى القلبِ مَوقِدُ جمـرةِ

ومِن المحــرَّم صيـــدُهنّ خليعةٌ ... طابت لهـا تلك الدماءُ وحلَّتِ

حكمتْ عليـك بقلبِ ليثٍ مُخدِرٍ ... ورنتْ اليـك بعـين ظبيٍ مُفلِتِ

ورأيتُ أمَّ الخشفِ تَنشُـد بيتَها ... أفأنتِ تلك سرقتِ عينَ الظبيـةِ !

نَشَطوا عن الركبِ الحبالَ فنفَّروا ... سكَناتِ أضـلاعى بأوّلِ نفـرةِ

رفعوا القبابَ، وكلُّ طالبِ فتنةٍ ... يرنو اليـكِ وأنتِ وحدكِ فتنتى

لا آســتوطأتْ منّى مكانَكِ خُلّةٌ (٤) ... كلُّ الفـؤاد نصيبُ ذاتِ الكِلّةِ (٥)

---

(١) الصعدة: القناة. (٢) الخَلَّة: الحاجة. (٣) الخُلّة: الصداقة. (٤) الخُلّة: الخليلة. (٥) الكِلّة: الستر الرقيق أو غشاء يُتَوقّى به من البعوض [ناموسيّة].

* * *

يامن يلوم على آجتماعى قاعدا ... والأرضُ واسعة الفُروجِ لنهضتى
ويَرَى الرجالَ وكلُّهم متكثِّرٌ ... بصحابةٍ فيلومنى فى وَحدتى
أُعذُرْ أخاك فما تهجَّر مُشمِسا ... حتى تقلَّص عنه ظلُّ الدَّوحةِ
كيف آعترافى بالصديق وكيف لى ... بالفرق بين محبتى من بِغضتى ؟
وقلوبُ أعدائى الذين أخافُهم ... مغلولةٌ لِىَ فى جسوم أحبَّتى
رقَصَ السرابُ فراقنى من راقصٍ ... كَشَرتْ مودّتُه وراءَ الضَّحكة
ورأيتُ فاغرةً ظننتُ كُشورَها ... طلبًا لتقبيلى فكان لنهستى[1]
وَلَدَ الزمانُ الغادرين فما أرى ... أمَّ الوفاء سوى المِقلِّ المُقلتِ[2]
وهُزِلتُ أن سَمِنَ اللئامُ وإنما ... ذلُّ المطامع حرَّ عِزَّةَ جَوْعتى
ولكلِّ جسمٍ فى النحول بليَّةٌ ... وبلاءُ جسمى من تفاوتِ همَّتى
أمَّا على كذبِ الظنون فإنها ... صدَقتْ أمانِى فى "الحسين" وبرَّتِ
المجدُ ألقحَ فى السماء سحابةً ... نَتَجتْ به مطرَ البلاد فعمَّتِ
أَروَى على يَبَس الشفاه وبيَّضتْ ... كفّاه باردةً سوادَ الحِرَّة[3]
متهلِّلا أعدَى بخُضرة جودِه ... جدبَ الرُّبَى من أرضها المغبَرَّةِ
"بالصاحب" آنفتقتْ لنا ريحُ الصَّبا ... خِصبا وغنى السَّاقُ[4] فوقَ الأيكةِ
كُفِلَتْ بأُولَى مجدِه أيامُهُ الـ ... أخرَى فأحيا كلَّ فضلٍ ميِّتِ
شَرفًا بنى "عبد الرحيم" فإنما ... تُجنَى الثمارُ بقدرِ طيبِ المَنبِتِ
لكُمُ قُدامَى المجدِ لكن زادكم ... هذا الجَناحُ تحلُّقا فى الذّروةِ
غدتِ الرياسةُ منكُمُ فى واحدٍ ... كَثُرتْ به الأعدادُ لمّا قلَّتِ



(١) النهس : النهش . (٢) المقلت : المرأة لا يعيش لها ولد . (٣) الحرّة : الحجارة السود . (٤) الساق : الحمام .

عَطَفتْ لكم يدُهُ وزَمّتْ آنُفـا ... شُمًّـا لغـير خشاشِـه ماذلّتِ
لمـا تقـلّدها وكانت ناشزًا ... ألقتْ عَصاها للمَقام وقَرّتِ
موسومة بكُمُ فمَن تَعلّقَ بهـا ... دعواهُ يَفضحهُ عِلاطُ[1] الوسمـةِ
نِيطتْ عُراها منه بابنِ نجيبـةٍ ... سهلِ الخُطَا تحتَ الخطوبِ الصعبةِ
يقظانَ يلتقِطُ الكرى من جفنِـه ... نظـرُ العواقبِ وآتقـاءُ العِـذرةِ[2]
لا يطمئنُّ على التـواكُلِ قلبُـهُ ... فيما رعى إن نامَ راعى الثّـلّةِ
تدجُو[3] الأمور وعنـده من رأيه ... شمس إذا ما جَنّ خطبٌ جلّتِ
ويُصيبُ مرتجـلًا بأوّل خَطْـرةٍ ... أغراضَ كلِّ مخمِّـرٍ ومُبيّتِ
تَدمَى بنـانُ النـادمين وسِـنُّهُ ... ملسـاءُ إثرَ ندامةٍ لم تُنكَتِ
ما ضمّ شمـلَ المُلكِ إلا رأيُهُ ... بعـد آنتشار شَعاعِه المتشتّتِ
حَسَرَ القذَى عن حوضِه وسقَى على ... طولِ الصدَى فشفَى بأوّلِ شربةِ
من بعد ما غمَزَ العِـدا فى عُودِه ... وآستضعفوا قَـدَمًا له لم تثبُتِ
ولربَّ بادئةٍ وكانت جـذوةً ... كُملتْ ضِراما "بالحسين" وتمّتِ
حاميتَ عنه بصـولةِ المتخمِّطِ[4] الـ ... ـعادى وهَـدْيِ المستكينِ المُخبِتِ[5]
وإذا عُرَى الحزمِ آلتمتْ علِقَ الفتى ... بمَدَى السريعِ على خُطَا المتثبِّتِ
إن الذينَ على مكانِك أجلبـوا ... ضربوا الطُّلى[6] بصـوارمٍ ماسُلّتِ
طلبوا السماءَ فلا هم آرتفعوا لهـا ... شُلُّ[7] الأكفِّ ولا السماءُ آنحطّتِ
وبودّ ذى القَدَمِ القطيعةِ ماشـيا ... لو أنّهـا سلِمتْ عليـه وزَلّتِ

(١) العلاط : سمة فى عرض عنق البعير، ومنه : لأعلُطنّك عَلْطَ البعير. (٢) العِذرةُ : اسم بمعنى المعذرة. (٣) تدجو : تُظلِمُ. (٤) المتخمّط : الشديد الغضب. (٥) المخبت : الخاشع المتواضع وفى القرآن الكريم (وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ). (٦) الطُّلى : الأعناق أو أصولها. (٧) شُلّ جمع أشل.

خانَ السُّرى رَكْبَ القِلاصِ[1] وسُلِّمتْ بُسُطَ الفلاةِ الى القُرومِ[2] الجِلَّةِ[3]

يَفديك مُرتابٌ بغلطةِ حظِّه سَرَقَ السيادةَ من خِلالِ الفَلتةِ

ما رُدَّ يوما عازبٌ من عقله إلا رأى الدنيا به قد جُنَّتِ

قُبِضتْ يداه وما يبالى سائلٌ بخِلتْ عليه يدُ آمرئٍ أو شَلَّتِ

وأرى الوزارةَ لا يُعاصِلُ[4] نابَها حاوٍ سواكَ على آختلافِ الرُّقيةِ

يرجوك ريِّضُها لمتنٍ مُزلِقٍ قد قُطِّرتْ[5] فُرسانُهُ فتردَّتِ

يشتاق ظهرُك صدرَ مجلسها وكم شكتِ الصدورُ من الظهورِ وضجَّتِ

وإذا آلتفتُّ الى الأمور رأيتُها مذخورةً لك من خِلالٍ تلقَّتِ

فألٌ متى يامنت سانحَ طيرهِ صدقَتْ عِيافتُها بأوّلِ زجرةِ

فهناك فآذكُرْ لى طريفَ بِشارتى بعلاك وآحفَظْ تالدًا من صحبتى

لو شافهَ الصُّمَّ الجلادَ محدِّثٌ عنكم بنى "عبد الرحيم" لأصغتِ

أو عُوِّضتْ بكم السماءُ وقد هوتْ أنوارها بَدَلَ النجومِ تسلَّتِ

الباذلون فلو تُصافحُ راحَكم ريحُ الصَّبا وهى الحيا لآستحيتِ

والقائلون بلاغةً فلو آحتبَتْ أمُّ الفصاحةِ بينكم لأَذَمَّتِ[6]

أَنِستْ بفاتحة الكتاب شِفاهُكم ورزقتمُ ظَفَرَ الكتابِ المُسكِتِ

(١) القلاص جمع قَلوص وهى الشابّة من الإبل . (٢) القروم جمع قَرْم وهو الفحل من الإبل وقيل : السيد العظيم على التشبيه بالفحل وقد آجتمع كلاهما فى قول المتنبي :

ولكنّا نداعب منك قَرْمًا * تراجعت القرومُ له حِقاقا

أى نمازح منك سيدا عظيما صارت فحول الرجال بالنسبة اليه كالنياق بالنسبة الى فحول الجمال ، وحقاق جمع حِقّ وهى الناقة التى سقطت أسنانها هرما . (٣) الجلّة جمع جليل . (٤) يعاصل : يعوّج . (٥) قُطِّرتْ : ألقيت على قُطرها . (٦) لأذمّت : لأعيت وتخلفت .

لكُم انحَنَى صَيَدى(١) وأعسلَ حنظلى ۞ للمجتنــــى وتولّدتْ حُوشِـيّتى(٢)

وسحِـــرتمونى(٣) منصــفين مودّةً ۞ ورِفادةً يومَىْ رَخاىَ وشـــدّتى

أَعشـــبتُمُ فَبطِنْتُ(٤) فى مَرعاكُمُ ۞ والدهرُ يقْنَعُ لى بفضـلِ الجِـرّةِ(٥)

أدعو وغابَ أبى وقَلَّ عشـيرتى ۞ فيكون نصرُكُمُ إجابةَ دعــوتى

ومتى تقيّــدُنى الليــالى عن مدًى ۞ قُــتم فاوســعتم اليهــا خطــوتى

(٦٤)

عجِبَ المــديحُ وقــد عَممتكُمُ به ۞ من رَجعــتى فيــه عَقيبَ أَليّتى

حَرَّمتُـــه زمنــا فكنتم وحدكم ۞ من بينِ مَنْ حَمــلَ الترابُ تحلّتى

هو جوهرٌ، ما كلُّ غائصــةٍ له ۞ بالفكر تَعــلمُ ما مكانُ الدُّرّةِ

ويَصــحُّ معناه ويســلَمَ لفظُــهُ ۞ ونظامُه، وهنـــاك باقى العـــلّةِ

كم خاطبٍ بأعزِّ ما تحوِى يدٌ ۞ عذراءَ منـــه وعِرضُـــهُ دونَ آبنتى

ولقـــد زففتُ لكم كَائنَ خِـــدرِهِ ۞ فــكرمتُمُ صِهرًا ووالِىَ عُـــذْرَةِ

من كلِّ راكبــةٍ بفضــلِ عَفافِها ۞ والحُسنِ عُنْــقَ العائبِ المتعنّتِ

عزّتْ فمــا عَثَرتْ بغــير معــوِّذٍ ۞ بِلَعًا(٦) ولا عَطَستْ بغــير مُشمِّتِ

أَمَــةٌ لكم بجـــزيل ما أوليتُمُ ۞ وتُصــانُ عنــدكُمُ صِيانَ الحُرّةِ

سلِمتْ على غَرَرِ الخلافِ، وِلادُها ۞ فى أُمّـــةٍ ووِدادُهـــا فى أُمّـــةِ

مَدّتْ الى "ساسانَ"(٧) ناشرَ عِرقِها ۞ وقضت لهـــا "عَدنانُ" بالعربيّةِ

يُصغى الحسودُ لهـــا فيشـــكرُ أُذنَهُ ۞ طـــربا ووَدَّ لغيظــه لو صُمّتِ

---

(١) الصَّيَدُ : رفع الرأس كبرا . (٢) الحوشيّة : وحشىّ الكلام وغريبه ويريد أنه صار مولّدا بعد حوشيته . (٣) سحِرتمونى : ملأتمونى، وفى الاصل "سحرتمونى" ولعله تحريف . (٤) بطِنت : عظم بطنى من الشبع . (٥) الجرّة : مايفيض به البعير فيأكله ثانية . (٦) لعا : كلمة تقال عند العثرة دعاء بالآنتعاش . (٧) ساسان : جدّ ملوك الأكاسرة الساسانية .

تَسرِى رفيقـةَ كلِّ يومٍ مُؤذنٍ   بسـعادةٍ فاذا ألمَّ ألمَّتِ
تَروِى لكم عن "ذى القرون"(١) حديثَهُ   قِدمًا ويحيِى نشرُها " ذا الرُّمَّةِ "(٢)
أحمدتُمُ ماضىَّ فى أمثالها   ولئن بقيتُ لتحمَدُنَّ بقيَّتى

* * *

وقال فى غرض له

رعى الله يوم البين ظبيا أذمَّ لى(٣)   بما أثَّر التوديعُ فى وجَناتِهِ
تعاطيتُ إلا النومَ بعد فِراقِهِ   كأنِّى عليه مُسقَمٌ بحياتِهِ
وصرتُ أذمُّ الدهرَ فى الليل ما دجَا   وعهدى به والليلُ من حسناتِهِ

* * *

وقال يرثى الصاحب بن عبد الرحيم و يتفجّع له

قِفَا نِضوَيكما(٤) " بالغَمْرِ " نسألْ   حَفِيًّا(٥) أينَ مثوَى المكرماتِ ؟
وأىُّ ثرًى كريم العرقِ سِيطَتْ(٦)   به رِمَمُ المعالى الدارسات ؟
وأينَ لذكرها تحتَ الغوادى   مَطارحُ أعظمٍ فيها رُفات ؟
وكيف تكوّرتْ بيَدِ المنايا الـ   ـغزالةُ(٧) مَدرَجًا للسافياتِ ؟
و إن أَصفَى(٨) مَزادُكما فَمُدَّا   بأذنبةٍ(٩) هُنالكَ مُترَعات
أناملُ " للحسين " غَبرنَ حينا   ضرائرَ للغيوث المُرزِمات(١٠)
ولُوذَا مُستَدِينَ بجنب طَودٍ   من المعروف عالى الهضبِ عاتى

---

(١) ذى القرون : الإسكندر . (٢) ذا الرمة : اسم شاعر . (٣) أذمّ لى : أخذ لى عليه الذمّة . (٤) النضو : المهزول من الإبل وغيرها . (٥) الحفىّ : العالم يتعلم الشىء باستقصاء وفى القرآن الكريم (يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا) . (٦) سيطت : خُلطت . (٧) الغزالة : الشمس . والسافيات : الرياح تحمل ترابا . (٨) أصفَى : خَلَا . (٩) أذنبة جمع ذنوب وهو الدلو . (١٠) المرزمات : المجلجلات بالرعد .

فـثَمَّ الجـارُ محمىُّ النّـواحِى ... وثَمَّ الرَّعىُ مكتهِلُ النباتِ
وثَمَّ الوجــهُ أبلجُ والمسـاعى الـ ... ـكرامُ وثَمَّ حاجاتُ العُـفاةِ
قِفَـا فتنادَيا فلعـلَّ صـوتًا ... سيرقو[1] أو يُصيخ الى الدُّعاةِ
وقولا : كيف يا حَنَش الرمالِ آخـ ... ـتُدِعتَ ولستَ من قَنَص الرُّقاةِ ؟
مَن الحاوى الذى انتزعتْ يداهُ ... نيوبَ العزِّ من تلك اللَّهاةِ ؟
لعمرُ العاطفين اليـك ليـلاً ... لنعمَ أخو العشايا الصالحاتِ
ونِعمَ عدو مالكَ كنت فيهم ... وخصبُ الجالباتِ الرابحاتِ
ومأوَى كلِّ مُطَّردٍ تُرامِى ... به الأخطارَ أيدى النائباتِ
لِمَنْ خيلٌ تُضمَّر للسرايا[2] ... وفُرسانٌ تُخمَّر للبَياتِ ؟
وأنـديةٌ وأروقـةٌ رِحابٌ ... تَضُمُّ بدائدَ الفضلِ الشتاتِ ؟
ومَنْ للمحكَماتِ من القوافى ... تطيرُ بهنَّ أجنحةُ الرُّواةِ ؟
ومَنْ لى يَزحَمُ الأيّامَ عنّى ... وقد هَجمتْ علىَّ مصمّماتِ ؟
ويجـذِبُ من يد الزمنِ المُعاصِى ... بأضباعِى[3] الى الزمنِ المُواتى ؟
ومَن ذا قائـلٌ : خذْ أو تحكَّمْ ؟ ... إذا أنا قلتُ : هَبْ ، أو قلتُ : هاتِ
وما أنا والعـزاء وقد تقضَّتْ ... حياةٌ تُستَمَدُّ بها حياتى
يُعنِّفُ فيك أنْ صُدِعَتْ ضلوعى ... خَلِىُّ القلبِ من تلك الهَناتِ
كأنّى فيك أبعثُ بالتأسّى ... على جزعى وأُغـرَى بالعظاتِ
رزئتُك أطولَ الرجلينِ باعا ... وأمضَى الصارمينْ على العُداةِ
وأوفَى من سِراج الأفق نوراً ... إذا الأيّام كانت داجياتِ

(١) سيرقو : سيصيح . (٢) السرايا جمع سَرِيَّة وهى قطعة من الجيش . (٣) أضباع : جمع ضبع وهو العضد .

كأنّى قبلَ يومِك لم أُفَزَّعْ … بصائحةِ العشىِّ ولا الغَداةِ
ولم تُطرَقْ بفاجعةٍ حَاظى … ولم تُقرَعْ بمَرْزِئَةٍ(١) صَفاتى
بكيتك فى العُناةِ لحينَ قالوا : … قُتِلتَ ، وددتُ أنّك فى العُناةِ(٢)
أصاب السيفُ منك غِرارَ(٣) سيفٍ … وحُطَّ بك الفُراتُ الى الفُراتِ
فلا زالت هى البُتْرُ(٤) النَّواتِى(٥) … سيوفٌ أسلمتك الى النَّواتى(٦)
ذوائبِ أسرتى وكرامِ صَحْبى … وإخوةِ شِدَّتى وبنى ثِقاتى
هوت "بالصاحب" القِرَطاتُ(٧) منّى … فَرُحْتُ بعاطلاتٍ مُصْلَماتِ(٨)
لقد خُولستُ وُسطَى العِقدِ منكم … به وخُدِعتُ عن أحرى القَناةِ
فيا مطلولُ ، بَلَّ ثراك صبحًا … صلاةُ الله تَتبعُها صلاتى
لقد واسيتنى فى العيش دهرا … فمالى لم أُواسِك فى المماتِ
عَسَى وبَلَى لنا لا بدّ يومٌ … سيَقضِى فيك ممطولَ التِّراتِ
فإن أَجزعْ فماضٍ كلُّ ماضٍ … وإن أصبرْ فآتٍ كلُّ آتِ

* * *

وقال وكتب بها الى الأستاذ أبى الحسن المختار بن عبد الله الذهبىّ الكاتب ، يذكُرُ سرورَه بمودّتِه من بين الإخوان ، وقد سأله ذلك

دعْها تكنْ كالسَّلْفِ(٩) من أخَواتِها … تَجرِى بها الدنيا على عاداتِها
ما هذه يا قلبُ أوّلُ عثرةٍ … قذَفتْ بك الأطماعُ فى لَهَواتِها
هى ماعلمتَ ، وإن ألِمتَ لفضلةٍ … من ثِقلِ وطأتِها وحدّ شَباتِها

(١) المرزئة : المصيبة . (٢) العناة جمع عان وهو الأسير . (٣) الغرار : الحدّ .
(٤) البُتْر : المقطوعة . (٥) النواتى : المائلة ضعفا . (٦) النّواتى : الملاحون .
(٧) القِرطات : القُرط ما يُعلّق بالأذن وجمعه قِرَطَة والقرطات جمع الجمع وفى الأصل "المرطات" .
(٨) مصلمات : مقطوعة الآذان . (٩) السَّلْف : المتقدم ، وسكّنت لامه للضرورة .

كم خطوةٍ لك فى المُنى إزليقةٍ (١) — لم تنتصرْ بلعًـا على عثراتِهـا

وذخيرةٍ طفقتْ يداك تضمُّها — والدهرُ خلفَك مولَعٌ بشَـتاتِها

ووثيقةٍ ألجأتَ ظهرَك مُسنَدًا — بغرورها فسقطتَ فى مَهواتِها

لو كنتَ عند نصيحتى لم ترتَبِق (٢) — بمشُـورةِ الآمالِ فى حَلَقاتِها

وهَوًى أطعتَ أميرَهُ فى لذّةٍ — متبوعةٍ لم تَنجُ من تَبِعاتِهـا

يبنى السفينَ اللامعاتِ سرابُها — ويُعَـدّ مخـدوعا ترابُ فلاتِها

وفتاةِ قـومٍ لا ينامُ مُغـيرُهم — رُمتَ اقتسارَهُمُ على خلَواتِهـا

شحذوا المُدَى لك دونها فركِبتَها — تغترُّ حتى طِرتَ فى شَـفَراتِها

وَيمينِ جارِيةٍ * سَلَكْتَ فى (٣) — مِسـباحِها وذَهَبْتَ فى آناتِها

ما كانَ قبلَكَ للحِفاظِ شريعـةٌ — فى دِينِها أبدًا ودِينٍ لِداتِها

نظرَتْ فكنتَ ضريبةً لحسامِها — ومشَتْ فكنتَ دَرِيئةً (٤) لقَناتِها

ومضيتَ تتبعُ وصلَها ولسانَها (٥) — والرشدُ عند صدودِها ووشاتِها

نَمْ، قد سهرتَ فدونَ يومِ وفائِها — — وهى التى جرَّبتَ — يومُ وفاتِها

واشكر لها كَشْفَ القِناعِ فإنها — غَدرتْ فكانَ الغدرُ من حسناتِها

واذكر مآربَ غيرَها واعجبْ لها — غصبتك آفتُهـا على لذّاتِهـا !

* * *

ومُلثَّمينَ على النِّفاق بأوجـهٍ — صُمٍّ يصيـحُ اللؤمُ من قَسَماتِها (٦)

---

(١) إزليقة : لم نعثر على هـذه الكلمة ولعله يريد بها "زلّاقة" . (٢) لم ترتبق : لم تُدخِلْ رأسك فى الربقة وهى عروة فى الحبل الذى يشدّ به البَهم وقد تقدّم . (٣) هكذا ورد بالأصل رسمًا وشكلا ولم نوفق الى صحة وزنه ولا الى اكتناه ألفاظه ومعناه . (٤) الدريئة : الحلقة يُتعلَّمُ الطعن عليها . (٥) لسانها أى المتكلم عنها ويريد به الواشى . (٦) القَسمات جمع قَسمة بفتح السين وكسرها : الوجه ، أو ما بين الوجنتين والأنف .

صبغوا الوفاءَ بياضَه بسوادِه والمكرماتِ هبوبَها بسُباتها
متراهنين على الدنيّةِ أحرزوا غاياتِها وتناهبوا حَلَباتِها
ورِثتْ نفوسُهمُ خبائثَ أصلِها لؤمًا وزادت دِقّةً من ذاتِها
أيدٍ تجفُّ على الربيع وألسنٌ سَرَقَ السرابُ الإفكَ من كلماتِها
يَصِفُ المودّةَ بِشرُها ووراءه بِشرُ الزجاجِ يشِفُّ عن نيّاتِها
دَسُّوا المَكايِدَ في مواعدَ حُلوةٍ كانت عقاربَ والكِذابُ حُماتُها (١)
خَلْقٌ إذا حدّثت عن أخلاقِها فكأنما كشّفت عن سَوْآتِها
لله آمالٌ أَرَقْتُ دماءَها فيهم فلم يتعلّقوا بدِيَاتِها
وكرائمٌ وليّتُ فَضّةَ عُذْرِها (٢) منهم سوى أكفائِها وكُفاتِها
غُرٌّ أهنتُ على اللئامِ كرامَها وأبحتُ أبناءَ العُقوقِ بناتِها
أهملتُها فيهم سُدًى مظلومةً تبكي أراجزُها على أبياتِها
يتناكرون حقوقَها من بعد ما عُلِطوا (٣) على أعراضهم بِسِماتِها
من كلّ مفتوحٍ اليها سمعُهُ مضمومةٍ كفّاه دون صِلاتِها
يَهوَى العُلا فاذا ارتقى لينالها ردّاهُ (٤) حبُّ الوفرِ من شُرُفاتِها
حيرانَ يتبعُ مِن أخيه ونجلِه ما يتبعُ الأصداءَ من أصواتِها
مَن عاذري منهم ومَن لحرارةٍ أشرجتُ (٥) أضلاعي على جمراتِها ؟
ولَخُطّةٍ خَسْفٍ عصبتُ بِعارِها رأسَ العلا وحطَطتُ من درجاتِها ؟
أنا ذاك جانيها فهل أنا آخذٌ غيري بها وهو الذي لم ياتِها (٦) ؟



---

(١) حُمَات جمع حُمَةٍ وهي إبرة العقرب تضربُ بها . (٢) العُذْر : البكارة . (٣) عُلطوا : وُسِمُوا . (٤) ردّاه : أسقطه . (٥) أشرجت : جمعت أشراجها والأشراج : العُرى .
(٦) ياتها : يأتها وقد سهّلت الهمزة .

يا حظُّ ما لك ؟ لا أقالك عثرةً جارى الحظوظِ وغافرُ زلّاتهـا
كم أشتكيك وأنت صِلُّ حَمَاطَةٍ (١) لا يطمعُ الحاوون فى حيّاتِها ؟
عيشٌ كَلَا عيشٍ ونفسٌ ما لها من مُتعةِ الدنيا سوى حسَراتها
وتودّ حين تودّ لو ما بُدّلتْ أحبابهَـا من جَورها بعُداتِهـا
ويزيدها جَلَدا وفـرطَ تجـلُّدٍ بين العدا الإشفاقُ من إشماتِها
إن كان عندك يا زمانُ بقيّـةٌ ممّـا يضامُ بها الكرام فهاتِهـا
صبرا على العوجاءِ من أقدارِها لا بدّ أن تجرى الى ميقاتها
ولعلّها بالسخط منك و بالرضا أن تستقيمَ طريقُها بحُداتِهـا
كم مثلها ضاقتْ فحَلّ (٢) ضِيقَها يومٌ ولم يُحسبْ جَلَا غَمَراتها
ولقد كنزتُ فهل علمتَ مكانهُ من صفوِ أيّامى ومن خيراتها ؟
خِلًّا تخلَّلَه ارتيادى واحـــدا صحّتْ به الدنيا عـلى عِلّاتهـا
غلِطتْ به أمُّ الزمان فأنجبتْ فيـه وخابت فى بنى عَلّاتهـا (٣)
لى منه كالئةُ العيون و بسطةُ الـ ـأيدى الثقاتِ اذا عدمتُ ثِقاتِها
وقـرابةُ الأخِ ، غيرَ أنّ مسافةً فى الودّ لم يبلغ أخى غاياتِهـا
مِن ما نمى حَرَمِ الإخاءِ ونافِضى طُرُقِ الوفاءِ فُمحرِزى قصَباتِها
والسالمين على تلوّنِ دهرِهم وتحوّلِ الأشياء عن حالاتِهـا
واذا الأكارعُ والزعانفُ عوّروا من خلّةٍ كانوا مكانَ سَراتِهـا
نبّهتُـهُ ومن العيون غضيضةٌ حولى وأخرَى كنتُ أختَ قَذاتِها

---

(١) الحماطة شجرة التين أو الجمّيز وعشبة خشنة المسّ . (٢) حلّ : فرج . (٣) بنو العَلّات : بنو أمّهاتٍ شتّى من رجل واحد ، واحدتها "عَلّة" وهى الضَّرّة .

فأثرتُ منه أبا الشبول(١) فمالت الـ(٢) ـأرماحُ تدعَسُه(٣) على غاباتها

ملآنَ من شرف السجيّة، نفسُه تحوى الفضائلَ عن جميع جهاتِها

منقادة للكرماتِ، وأنفسٌ تدَعُ العلا وتُقادُ فى شهواتِها

ما آختارت المختارَ لى إلا يدٌ وثقتْ لمُغرِسها بطيبِ جَناتِها

لله خائلةٌ رأيتُ ودادَها بدلالة التوفيقِ فى مِرآتِها

رَدَّ الزمانُ به شبيبةَ عيشتى بعد آشتعال الشَّيبِ فى شَعَراتِها

وتسوّمت غُرًّا محجَّلةً به أيامُ دهرٍ قد نكِرتُ شِياتِها

كم خَلَّةٍ داويتُها بدوائها منه ونعمَى كان من أَدَواتِها

وملمّةٍ وَلِىَ الزمانُ فُتوقَها منّى رقعتُ به وسيعَ هَناتِها

مِن حاملٍ صحُفَ الثناء أمانةً لا يستطيعُ النَّكثُ(٤) قرعَ صَفاتِها

شكرا كما ضحكتْ اليه مجودةٌ(٥) "بالحَزْنِ" باقى الطلِّ فى حَنَواتِها(٦)

يغدو فينقُلُ ثِقلَها بسكينةٍ فى سَمْتِها(٧) هَدْىٌ وفِى إخباتِها(٨)

طَبٌّ بعلمِ فُروضِها وقُروضِها حتى يؤدِّيَها على أوقاتِها

أبلغ "أبا الحسَن" التى ما بعدها مرمًى لغالبةِ المنى ورُماتِها

عنّى : مُغلغَلَةً تُسِرُّ حديثَها أمَّ الكواكبِ(٩) أو أعيرَ صِفاتِها

مِن منبعِ الحُلوِ الحلالِ اذا غدا مِلحُ القرائحِ ذاهبا بفُراتِها

لو نازل الرُّهنانَ(١٠) حطَّ قِنانَها(١١) فصبت اليه وحلَّ من عَزَماتِها

---

(١) الشبول جمع شبل وهو آبن الأسد . (٢) بالأصل "تمالت" وهو تحريف . (٣) تدعسه : تدفعه . (٤) فى الأصل : "النَّكُثُ" . (٥) مجودة : ممطورة . (٦) الحنوات جمع حنوة وهى العطفة . (٧) السمت : السير على الطريق بالظن . (٨) الإخبات : خروج القوم للخبت وهو المطمئن من الأرض . (٩) أمّ الكواكب : الشمس . (١٠) الرُّهنان : اسم موضع ولعله مشهور بقنان جباله . (١١) قِنان جمع قُنّة وهى قلّة الجبل .



يَجْزِيكَ عن كسبِ العلاءِ وحبِّهِ ... ما تَنطِقُ الخرساءُ بعدَ صُماتِها(١)
وتردُّ أعراضَ الكرامِ كأنّها ... يمنيّـــةٌ تختالُ فى حِبَراتِها(٢)
ثَمَنا لودِّك، إنْ يكن ثَمَنًا له ... بذلُ القوافى فيك مكنوناتِها
تسخو به لك من نَخيلةِ سرها ... نفسٌ تَرى بك ما تَرى بحياتِها

* * *

وقال وكتب بها الى أبى قَوامٍ ثابتِ بنِ علىّ بن مزيدٍ يتنجّزه وعدا وذلك فى رجب سنة تسع عشرة وأربعمائة

خصيماى من "ظمياءَ" واشٍ وشامتُ ... وحظّاى مظنونٌ لديها وفائتُ
وقلبى لها وحشيّةٌ ضلّ خشفُها ... تُطاولُ تَبغيهِ الرُّبا وتُلافتُ
مضت ليلةٌ تقتصُّه بعدَ ليلةٍ ... ويومٌ تداجيه الشخوصُ الثوابتُ
تناشدُ عنه النجمَ: أين طريقُهُ؟ ... تحارفُه طَورا وطَورا تسامتُ(٣)
ولا هو منها حيث يُجمَعُ شاردٌ ... ولا يُرتَجَى للعَودِ إن عاد فالتُ
سوى أنها مرّت بماءِ سُوَيقةٍ(٤) ... سُحَيرا(٥)، ورامٍ بالشريعةِ بائتُ
على يده للرزق أذلغُ(٦) أحرسٌ(٧) ... وضَلعاء(٨) فوها ساعةَ النزع صائتُ
يقوت شِعاثًا(٩) مقترين(١٠) بفضلها ... أطابت له أو جانبته المَقاوِتُ
فما رابها إلا دمٌ ونُوَيرةٌ(١١) ... ومنتقياتٌ(١٢) من عظامٍ رَفائتُ

(١) الصُّمات: لغة فى الصُّموت وهو السكوت. (٢) حبراتها بكسر الحاء وفتحها جمع حِبَرة: ضرب من برود اليمن. (٣) تسامت: تقابل وتوازى. (٤) سويقة تصغير ساقية. (٥) سحير تصغير سحر. (٦) الأذلغ: منشقق الشفتين و يريد به السهم، وفى الأصل "أذلع". (٧) الأحرس: القديم العادىّ الذى أتى عليه الحَرْسُ أى الدهر. (٨) الضلعاء: القوس المعوجّة. (٩) شعاثا: غُبْر الرءوس. (١٠) مقترين: معسرين. (١١) نويرة تصغير نار. (١٢) منتقيات: أُكِلَ نِقْيُها وهو مخّها.

فعادت تُماشي اليأسَ موضعَ ظلّه ... وللحَيْن ـ لو أغنى الحذارُ ـ مَواقتُ

وخبّرنى السُّــفّارُ أن قد تبدّلتْ ... فقلت : حديثٌ مضحِكٌ وهو كابتُ[1]

أسدَّ مكانى فى الهوى مَنْ تعوّضتْ ؟ ... مــدَّى وأبيهــا بيننا متفاوتُ !

أمِنْهـا خيالٌ والجُنـوبُ خوافقٌ ... بجانب "خَبْتٍ"[2] والجفونُ خوافتُ ؟

طوى الليلَ نجْمًا وهو يستثقلُ الخُطا ... بساهــلةِ الأردافِ ثم يعــانتُ[3]

فبتنا به فى ضَوعــةٍ وإنارةٍ ... وبانُ "اللّوى" خزيان والبدرُ باهتُ

نرى أنّ فأرَ[4] المسك تحتَ رحالنـا ... فتائــقُ من أردانه وفتائتُ

سل الخِيمَ[5] بالبيضاء من جانب الحمى : ... أتُجمَعُ أوطارى بكنّ الشــتائتُ ؟

وهل لطريدٍ ســلّه الدهر مُدرَكٌ ... فتُعقَلَ لى ليــلاتكنّ الفَـلائتُ ؟

اذ العيشُ حىٌّ والزمانُ مراهق ... فــتىٌّ وريحانُ البطالةِ نابتُ

تلوَّنَ رأسى صِبغَتين فميّتٌ ... وذو نبــةٍ أو لاحــقٌ متمـاوتُ

وأمست على أيدى الغوانى حبائلى ... وهنّ بأطــراف البنان بتائتُ[6]

وما الدهر إلا داءُ هــمٍّ مماطل ... مدى العيش أو خطبٌ هَجومٌ مُباغتُ

عذيرى من الإخوان لا أستشفُّ من ... قلوبهمُ مَنْ وامقٌ لى وماقتُ

خِفافا الى ما ساءنى فمصالتٌ[7] ... به أو مُداجٍ ، كيف لى لو يصالتُ ؟

جعلتُ الجفاءَ عُوذةً لىَ منهُــمُ ... وفى الناس أجساما قلوبٌ عَفارتُ

وعلّمنى نَبــذِى لهم وتوحُّدى ... بنفسِىَ أنّى فى التكثّر غالتُ[8]

(١) كابت : محزن . (٢) خَبْت : من قُرى "زبيد" باليمن . (٣) يعانت : يشقّ عليه .

(٤) الفأر : النافجة وهو وعاء المسك . (٥) الخيم : اسم جبل . (٦) بتائت : مقطوعة .

(٧) المصالت : المضارب بالسيف . (٨) الغالت : الذى يغلط فى الحساب وقيل : الغَلَتُ فى الحساب ، والغلط فى القول .

سل السارحَ المخدوعَ أعجف مالَه	جَفاءُ السُّمِىِّ[1] والسنونَ السوانتُ[2] ،
توغّل يرجـوها وتُخلفُ ظنّــه	مَنابـعُ أكدَى ماؤها ومَنابتُ :
الى أين ؟ وأين الغاضريّةُ[3] شاهـدٌ	يغــرُّك نجــمٌ أو يدلُّك خارتُ[4]
تلقّ الحيا من جَوِّه وارعَ روضَـهُ	تَدرّ العجافُ أو تعيش المَوائتُ
ألا إنما بدرُ السماءِ ابن شمسها	وبدرُ بنى "عوف" على الأرض ثابتُ[5]
فتًى، لا على الأعذارِ بالعهد ناكثٌ	ولا مَعَ فرط الجود للسنِّ ناكتُ[6]
يبيتُ خميصا جنبُــهُ و وسـادُه	وطارِقُهُ خِصبا كما شاء بائتُ
اذا الليلةُ الطُّولَى أمرّتْ وأيبستْ	فللضيف منه مُتمِرُ الليـلِ رابتُ[7]
تَرَى مالَهُ ما سلّه الجودُ لا التى	تناعَرُ[8] حولها الحداةُ المَصاوتُ
رخىُّ البنانِ فى النوائب كلّما	أضبَّ[9] على المالِ الحسيبُ[10] المباكتُ[11]
تَهادَى نساءُ الحىِّ وصفَ حنانه	وتأباه فى الروع الرجال المَصالتُ[12]
ترى الحلمَ مشـحونا وراء ردائه	اذا مرَّ ينزو الطائشُ المتهافتُ
فهل مبلغٌ عنى "خُزيمةَ" ما وعى	حصاها البديدُ أو رباها الثوابتُ ؟ :
وَفَى لكِ مجدا ما تَعُدِّين فى "أبى	قَوامٍ" اذا خان الفروعُ النوابتُ
ولدتِ وأولدتِ الكبيرَ، ومثلُه	قليـلٌ وأُمّاتُ الصقور مقالتُ[13]
سبقتَ فلم يعلَقْ غبارَك جامحٌ	وفتَّ فلم يملِكْ صِفاتِك ناعتُ



(١) السمىّ جمع سماء وهو المطر . (٢) السوانت : المجدبة . (٣) الغاضريّة نسبة الى "غاضرة" : قبيلة من أسد . (٤) الخارت : الدليل الحاذق الذى يهتدى الى أُخرات المفاوز وهى مضايقها وطرقها الخفيّة . (٥) ثابت : اسم ممدوحه . (٦) ناكت : قارع . (٧) الرابت الذى يضرب على جنب الصبىّ بيده لينام . (٨) تناعر : تصوّت . (٩) أضبَّ على المال : أخفاه وأمسكه . (١٠) الحسيب : الحاسب . (١١) المباكت : المستقبل غيره بما يكره . (١٢) المَصالت جمع مِصلت وهو الشجاع . (١٣) مقالت جمع مِقلات وهى التى تلد واحدا ثم لا تلد .

وجرَّبك الأعداءُ غمــزا وهِزَّةً فما خدَشتْ فى مَروتَيْك النواحتُ
فذاك صــديقٌ وجهُــهُ، وفؤاده مُعادٍ على دين المعالى مُعانتُ
يريك الرضا والغــلُّ حشو جفونِه وقــد تنطقُ العينان والفمُ ساكتُ
طَوى بغضةً فى جفنــه فهو باسمٌ وفى فيــه ليثٌ كاشرٌ لك هارتُ[1]
أهبتُ بشِعرى فأنبرت لك عيسُهُ بما حملتْ وهى الخُضوعُ الخَوابتُ
فعــادت بمــا أرعيتَها، ولِبَانُهــا[2] طَواعٍ[3] على لىّ الحبــالِ ضواغتُ[4]
ونادتك لُغواتُ[5] السؤال فأفصحت[6] يداك وأيدى المــانعــين صوامتُ
وأوسـعتنى مالًا أتى لم تُخَضْ له الـ ـدياجى ولم تُنفَضْ عليه السَّبارتُ[7]
وخُلُقًا كما شعشعتهــا ذهبيّــةً "ببابلَ" أهدتهــا اليك الحوانتُ
ولم تك ـ حاشا مجدِ نفسك ـ كامرئ تَصــامَمَ عنّى وهو للمدح ناصتُ
وقومٍ كأن الشِّــعر فيهــم بليّــةٌ أعرّتْ[8] وعافتها الأكفُّ الزوافتُ
فكن سامعا ما آمتدّ باعُك فى العلا وسُرَّ محبٌّ أو تخيَّبَ شــامتُ
ثناءً، فمُ الراوى عليــك مســلِّمٌ به ومصــلِّ الشكر باسمك قانتُ
تزورك منه فى أوانٍ فروضها قوافٍ لهــا عنــد الكرام مَواقتُ
يُفدْن الغنى أضــعافَ ما يستفدنَهُ وهن بقايا والعطايا فــوائتُ
أقول لأيّامى : دعى لىَ أو خذى فمــا أنتِ إلا المقبــلاتُ اللوافتُ
فلست أبالى مَن تزيَّل ركــبُهُ "وثابت" لى على المودة ثابتُ

---

(١) الهارت : واسع الشدق . (٢) لبان جمع لَبون وهى الغزيرة اللبن . (٣) طواع جمع طاعية وهى الطائعة . (٤) ضواغت جمع ضاغتة وهى التى تلوك بأسنانها ونواجذها ، وفى الأصل "طواعت" . (٥) لُغوات جمع لُغوة كغُرفة وهى اللغة . (٦) فى الأصل "فأصبحت" ولا معنى لها . (٧) السبارت جمع سُبروت وهو القفر لا نبات فيه . (٨) أعرّت أى جاءت بالعرّ وهو الجرب .

⁂

وقال وكتب بها الى تاج الدولة أبى المكارم بن مُكَرِّم بعد آنقطاعه عن مدحه وأنشده إياها فى عيد النحر

حماها بأطراف الرماح حُماتُها ... فلا حَفلُها منّا ولا خَلواتُها
وذبّب[1] عنها من "عُقَيلِ بن عامرٍ" ... أراقمُ لا تَحوى شَباها رُقاتُها
عشيرةُ مكلوءِ البيوتِ محصَّنٍ ... يَعِزُّ بنوها أن ترام بَناتُها
معودة طردَ العيوب غيوبُها ... اذا حفِظتْ عوراتِها أَسَلاتُها[2]
وحرَّم واليها الوُلوعَ بذكرها ... وإن عَتبت أخرى عليها سِماتُها
فهل مغمَزٌ فى جانبٍ من ورائه ... "سلامةٌ" يا قلبي وهذى حَصاتُها[3]؟
فكم فى بيوت "العامريّات" من هوًى ... يُناط كما نيطت بها خالفاتُها
ومثلُكَ أَسرى لا يُسام فداؤها ... هوانا وقتلَى[4] لا تُساق دياتُها
بلى لكَ منها فى الكرى إنْ وفَى الكرى ... وفى الريح حظٌّ إن جرت نفحاتُها
وليلٍ "بذى ضالٍ" قصيرٍ طويلُه ... على البُدْن، تَطوى دَرجَه ناجياتُها
ترى العيسَ فى أجوازه بقلوبها ... الى قصده ما لا ترى لحظاتُها
بها من حنينٍ تحته ما بركبها ... وإن نطقوا الشكوى وطال صُماتُها
اذا الريح قَرّت[5] فاستهزّت ضلوعَهم ... تصلَّوا[6] بما تُذكى لهم زفراتُها
سَرتْ بنشاوَى من مُعاقرة السُّرى ... وسائدُهم فوق الثرى رُكُباتُها
نضَوا ما نضَوا من ليلهم ثم هوَّموا ... غِرارا[7] وقد خاط العيونَ سِناتُها[8]

---

(١) ذبّب: دافع. (٢) أسلات جمع أسلة وهى مستدقّ اللسان. (٣) الحصاة: العشيرة القوية الكثيرة العدد. (٤) فى الأصل: "قلبي" وهو تحريف. (٥) قرت: بردت. (٦) تصلّوا: استدفأوا. (٧) الغرار: القليل من النوم. (٨) سنات جمع سِنَةٍ وهى فتور يتقدم النوم.

عــلى ساعةٍ جِنُّ الفــلاةِ ووحشُها تريها الشــخوصَ الزُّورَ عنا فلاتُهـا
تخطَّت الينا "الغَورَ فالعرضَ فالحمى"(١) وما ذاك مَمشاها ولا خُطُواتُها
فبتنا لهـا فى نعمةٍ شُــكِرتْ لهـا وما هى جَــدواها ولا أعطياتُها
عواطفُ دُنيَـا فى الكرى لو أردتُها عـلى مثلها يقظانَ عَزَّ ٱلتفاتُها
فــلم أرها وعنــد قومٍ أداتُها من العيش إلا وهْيَ عنـدى أداتُها
ســقى الله شرًّا دوحةً لى سَـيالُها(٢) وللنـاس مُلْقَى ظلِّهـا وجَناتُها(٣)
ولوداً، ولِى من حظِّها بطنُ حائلٍ(٤) ممنَّسَــةٍ شابت وشابَ لِداتُها
أغامز منهـا صخرةً "إرميَّــةً"(٥) تفُــلُّ النيوبَ وهى جَلْدٌ صَـفاتُها
وكيف تسـامُ النَّصْــفَ أمٌّ تلوَّنت مَعارِفُها إن حُوشيتْ مُنكَراتُها
تُرِى الوكَلَ المغـمورَ كُحْلَ لحاظِها وكلُّ أخى الهــمِّ البعيــد قَذاتُها
هوت برءوس الناسِ سُفْلًا وحلَّقتْ بأذنابهـا مجنــوبةً طائراتُها
فعنـدك منهـا أن ترى ببُغَاثِها(٦) كواسبَ جوٍّ حُصَّ(٧) فيه بُزاتُها(٨)
ركبتُ من الأيامِ ظهــرَ ملوَّنٍ صبائغَــهُ(٩)، والخيــلُ شتَّى شِياتُها
وقلَّبتهـا يوما فيــوما مجــرِّبا فــلا سوءُها يَبــقَى ولا حسناتُها
سأحملهـا حــتَّى تخِفَّ وُسُــوقُها وأحلُمَ حــتى ترعوِى جَهَــلاتُها
لعــلَّ مميتَ الحــظِّ يُحييه آنفًا فإنَّ الحظوظَ موتُهـا وحياتُها
فلا يؤيِسَــنْكَ صـدُّها من وصالهـا ولا مَطلُها من أن تَصحَّ عِداتُها
ألم تر مُلكَ "المكرَميِّين" نارُهُ خبت غَلَطا ثم ٱعتلتْ وَقَــداتُها

(١) الحمى وماقبله أسماء مواضع . (٢) السيال : نباتٌ له شوك . (٣) الجناة : كل ما يجنى كالجنى . (٤) الحائل : العقيم، والممنّسة : التى طال مكثها ولم تتزوج . (٥) إرميّة نسبة الى إرم . (٦) البغاث جمع بغاثة : شرار الطير . (٧) حصّ : قصّ . (٨) بزاة جمع باز . (٩) فى الأصل "صبائعه" .

هفا الدهرُ فيهـــم مستغرًّا بغـــيره ... فخاضـــوا وشاكـتْ رِجلَه عثراتُهـــا

بغَى، نقلَ ما أُعطُوا ســفاهًا ولم تكن ... هضابُ "شَرَوْرَى"(١) زائلا راسياتُها

هم السحبُ ملء الأفقِ والدهرُ تحتها ... جُفاءٌ اذا سالتْ به سائلاتُهـــا

علا السيلُ حتى "الصينُ" يُفعَمُ بحرُها ... فيطغَى وفى "بغدادَ" يجـرى فُراتُهـــا

حمى "ناصرُ الدين" العلا بعد من مضى ... فضُمَّتْ قَواصـــيها ولُمَّ شَـــتاتُهـــا

وأضحى "بتاج الدولة" العــزُّ مفـرِقا ... لهـــا، تتلظَّى فوقـــه خَرَزاتُهـــا

وإن فروجا سدَّها مثـــلُ سعيه ... لضيِّقةٌ أن تُرتَجى خَطَفَاتُهـــا

رعاها أبو الأشـــبالِ حتى دنا بهـــا ... لهـــا من شميمِ سَرحِها حسراتُهـــا

أخــو عزماتٍ لا يُراع صـــديقُها ... — كما لم ينم — ولا تنام عُداتُهـــا

كـريمُ المحيَّـا رطبـــةٌ قَسَماتُهُ ... اذا ما الليوثُ آستجهمتْ عابساتُهـــا

على الصدرِ منـــه هيبةٌ تملأُ الحشـــا ... ممـــرَّرةٌ، أخـــلاقـه مُحلياتُهـــا

ومن رأيه فى الحربِ عَضبٌ وذابلٌ ... وما الحـــرب إلا ســيفُها وقَناتُهـــا

كـريمٌ فما الأحسابُ إلا آقتناؤها ... لديه ولا الأموالُ إلا هِباتُهـــا

اذا آعترضَتْهُ هِزَّة الجـــود ساكنا ... نزت بالنـــدَى فى كـفّه نَزَواتُهـــا

أفاد النـــدَى فـلم تزل برياضـــه ... رياحُ العـــلا أو صَوَّحت شَجراتُهـــا

من القوم فضُّوا عُذرة الأرض سادةً ... وشابت وهـــم أربابُهـــا وولاتُهـــا

فمن حلمهـــم أركانُهـــا وجبالُهـــا ... ومن جودهـــم أمواهُها ونباتُهـــا

وليسوا كمن جُنَّ الزمانُ برفعـــه ... وجاءت به من دولةٍ فَلَتاتُهـــا

ولا كذبا طارت به الريح طـــيرةً ... فاقعصه أن طاطاتْ عاصفاتُهـــا

تقيَّلتُهـــم والنفس يَكرُمُ أصلُها ... على عِرقِها السارِى فتكرُمُ ذاتُهـــا

(١) شرورى : اسم جبل .

بك ٱهــتزَّ فــرعاها وأينعَ ظلُّها ... وطاب جَنَاها وٱنتهت بَرَكاتُها
جمعتَ لهَـا شُذَّانَ[١] كلِّ فضيلة ... تعـزّ على من رامها مفرَداتُها
فمن كان من قومٍ سَفًا[٢] فى أديمهم ... وزِعنفــةً[٣] تُزْرَى فأنتَ سَراتُها[٤]
لئن عَركتْ فى جنب طودك نبوةٌ ... من الدهر لا تُمحَى بعــذرٍ هَناتُها
وهزَّ العِـدا من حسنِ صبرِك صعدةٌ ... فقــد عَلِموا بالهزِّ كيفَ ثباتُها
وما كنتَ إلا الشمسَ، لِيثَتْ جَهَامةٌ ... عــلى خدِّها ثم ٱنجلت غاشياتُها
تنصَّــل منها الملكُ لمّا تبيَّنتْ ... لعينيــه أُخْــراها ومعتقِباتُها
وأبصرها شنعاءَ يبــقَ حــديثُها ... ذميما ولا تبــقَ له عائداتُها
فردّك ردَّ السيفِ فى الغِمدِ لم تُعِب ... مَضَاربُهُ إن ثُلِّمتْ شَــفَراتُها
فكيف يَليقُ الحسنُ أوجُهَ دولةٍ ... اذا عــدِمتْ تيجانَها خَرَزاتُها
رعى الله نفسـا لا الغِـنى زادها عُلًا ... ولا فقــرُها حُطَّتْ له درجاتُها
معظَّمةٌ فى حــدِّها وســنانها ... وسلطانُها لا ما حوت مَلَكاتُها
اذا قزعتْ[٥] يوما من الدهرِ نكبةٌ ... اليها، عَسَتْ[٦] فــلم تُسِــغْها لهاتُها
وأنت الذى تُعْطى ـ وعامُك أشهبٌ ـ ... عطاءَ رجالٍ خُضِّرتْ ســنواتُها
مع الجــود أنَّى مِلتَ غــيرمصرِّفٍ ... يمينَــك إلا حيثُ شاءت عُفاتُها
أقلنى أقلنى جفــوةً ما ٱعتمدتُها ... وهجــرةَ أعوامٍ خلَتْ ما ٱبتدَاتُها[٧]
وسعياً بطيئا عن مقامى من العلا ... لديك إذا الأقــدام فازت سُعاتُها
فما كان إلا الحظُّ منكم حُرمتُـهُ ... ودنيــا كثيرٌ بالغِــنى فلتاتُها
تريــد بنفسى كلَّ ما لا تــريده ... وتمنعــها ما تقتضى شــهواتُها



(١) الشذّان : ما تفرّق . (٢) السفا : الشعر الخفيف على الأديم وفى الأصل "شغى" .
(٣) الزعنفة : طرف الأديم كاليدين والرجلين . (٤) السراة : الظهر . (٥) قزعت : أسرعت .
(٦) عست : اشتدّت وصلبت . (٧) يريد ما ٱبتدأتها .

وإنّى لكم ذاك الذى لا حبالُه ... تَرِثُّ ولا يُخشَى عليه آنبتاتُها[1]
مقيمٌ على نعمائكم حافظٌ لها ... مُضِبٌّ[2] على ما أوجبت حُرُماتُها
يُنقِّلُ قوما قربُهم وبعادُهم ... ونفسىَ لا تهفو بها مُبْدِلاتُها
تحنُّ الى أيّامكم فى ذراكُمُ ... وتحفزها من عهدكم مُذكِراتُها
وعندى لكم ــ إن أسخطتكم سوالفى ــ ... عوائدُ ، تُرضِى مجدَكم آنفاتُها
تسيرُ على عاداتِها بصفاتِكم ... طوالعَ تمشى بالعلا مُثقَلاتُها
نوازلَ فى عرضِ الفلا وصواعدًا ... تُرَدُّ على رَوْحاتِها غُدُواتُها
تُخالُ هواديها بنشرِ علائكم ... بُرودَ "زُبَيدٍ"[3] نُشِّرتْ حِبَراتُها
يَقُصُّ بها تحت الظلام سميرُها ... وتَرجُزُكم وجهَ النهارِ حُداتُها
تَطرَّبُها الأسماعُ فيكم كأنما ... عزيفُ الملاهى ما تقولُ رواتُها
كأنَّ الأولى دارتْ عليهم بيوتُها ... بنو نشوةٍ دارت عليهم سُقاتُها
مبشِّرة أيامَكم باتصالها ... تُرِى الحسنَ قبلَ أن تُرَى أخرياتُها
خوالد ما لبَّى الحجيجُ وطوَّفوا ... وعَجَّتْ بسفحَىْ مَكّةٍ عَرفاتُها
وما عقروها واجباتٍ جُنوبُها ... تَفَجَّر من لَبّاتِها فاجراتُها
تزوركم الأعياد مجلوَّةً بها ... تحلَّى بما صاغت لكم عاطِلاتُها
اذا لَعَنَتْ قوما لئاما فإنما ... على ذكركم تسليمُها وصَلاتُها

⁂

وقال يمدح الوزير زعيم الدين الحسن فى المهرجان

أهفو لِعُلوىِّ الرياح اذا جرَتْ ... وأظنُّ "رامةَ" كلَّ دارٍ أقفرتْ
ويشوقُنى روضُ الحمى متنفِّسا ... يَصِفُ الترائبَ والبروقَ اذا جرَتْ

(١) الأنبتات : الأنقطاع . (٢) المضبّ : الحريص . (٣) زبيد : اسم موضع .

متعلّلاتٍ بعــدَ طارقــةِ النــوَى ... أو أبرأت داءَ الجــوى أو علّتْ

يا دِينَ[(١)] قلبٍ من ليالى "حاجرٍ" ... مَكَرَتْ به فقضتْ عليــهِ وآنقضَتْ

ومَضــاجِعٍ "بالنّعْفِ" بات يعــدُّها ... غُنما وأصــبح ودُّه لــو لم يبِتْ

ومليحةٍ لو أنصفتْ عينُ المها ... فى الحسن ماثنَتِ الصليفَ[(٢)] ولا رنتْ

بيضــاءَ من كِلَلِ الخــدور وربّمــا ... ذُكرتِ بداوةُ قــومِها فتسهّمتْ

أخذَتْ وأعطتْ من ضياء الشمس ما آحـ ... ـتكمت بِجُمَعتِ الجمــالَ ووفّــرَتْ

وكأنمــا وَلِيَتْ خَطائــطَ وجهِها ... يدُها بجاءتْ فى الكمالِ كما آشتهتْ

ملكــت على باناتِ "جَوٍّ"[(٣)] أمرَها ... فلها الإمارةُ ما آســتقامتْ وآنثنَتْ

فاذا أرادتْ بالقضــيبِ مَســاءةً ... وتنقّــمَتْ جُرما عليــه تأوّدتْ

سنحتْ لنــا دون الغــدير فمــا سَقَى ... صفوُ الغــدير وعذبُه مَنْ أعطشَتْ

ورَمتْ فــلَولا أنهــا ثُعَليّــةٌ[(٤)] ... قُلنــا : رأت ثُعَــلًا رَمى فتعلّمتْ

غَدَرتْ فــلولا أنّهــا نَذرتْ دمى ... لم تعرِف النّــذر الذى فيــه وفَتْ

وعلى "النقا" والعيسُ تَخْفِــرُ فى النقا ... أخفافُها من ثِقــلِ ما قد حُمّلَتْ

حلَفتْ على قتــلى فلمّــا أن رأت ... بدَماىَ باقيــةَ الرِّماقِ تأوّلتْ

أبشر فانــك فى الحيــاةِ مخــلَّدٌ ... يا من رأى يومَ "القليبِ" ولم يَمُتْ

وتشرّفَتْ[(٥)] لتشبَّ جمــرةَ صــدرِه ... بنتُ الأراكِ[(٦)]، وهل تُشَبُّ وما آنطفتْ؟

وُرقاء ذكّرها الحــداةُ هوًى لهــا ... طــارت ألائفُهــا[(٧)] به فتذكّرتْ

هتفتْ على خضراءَ، كيف ترنّمتْ ... من فوقِها مالت بهــا فترنّحتْ

---

(١) الدين الداء، ومنه * يادينَ قلبِكَ من سلمى وقد دينا * (٢) الصليف : عرض العنق .
(٣) جو : اسم لناحية اليمامة . (٤) ثعلية نسبة الى ثعل وهو أبو قبيلة مشهورة بالرمى .
(٥) آرتفعت فوق الشرف وهو الجبل . (٦) يريد ببنت الأراك "الحمامة" . (٧) الالائف : الألّاف .

لو كان ينجو من علاقاتِ الهـوى ... شيءٌ لضُعْف أو لمَرحمةٍ نَجتْ
ولقـد طربتُ كما حزنتُ لصوتِهـا ... فشككتُ هل غنَّت بشجوٍ أو بكتْ
قف يا أخا الملهوف وقفةَ مُرسَلٍ ... حمـل الأمانةَ هَضـبةً أو أُدِّيَتْ
وآجهَـرْ بصـوتك للتى لو خاطبتْ ... فى السرّ أوعالَ القِنانِ لأسمعتْ
وقـل التحيـةَ والسـلامَ وحاجةً ... من بعدِ أن خابت وإن هى أُنجِحتْ
يا أختَ "سـعدٍ" فيم بات معـذَّبا ... قلـبى عليكِ كأنما عينى جَنَتْ؟
رُدِّى الفـؤادَ علىَّ فهـو وديعـةٌ ... مضـمونةٌ مغرومةٌ إن ضُيِّعتْ
إن كان ظنُّكِ بالخيانةِ والقِلَى ... أن يشمَتَ اللاحِى عليك فقد شَمِتْ
وعميّـةِ الأوضاحِ خرساءِ الصـدَى(١) ... عَشِيَتْ على ضوءِ الصباحِ وأظلمتْ
مَرِدَتْ على عينِ الدليـلِ ورأيِهِ ... فتخالُه فيها أضـلَّ بما خَرَتْ(٢)
تتغايرُ البَـوْغاءُ(٣) تحتَ شميمِـهِ ... فيها ويُنكَرُ صَـوتُهُ والمُلتَفَتْ
مركوبةٍ، جَوْبُ المهارى جـوَّها ... غَرَرُ المقامرِ فيـه أخْسَتْ أوزَكَتْ(٤)
واذا الركابُ آستيأستْ فى جَهلها ... كيف النجاءُ توكّلتْ وآستسلمَتْ
داوستُها أبغى العَـلاءَ بهمّةٍ ... لو شاورت أمَّ الشـقيق لمّا سَمتْ
تفلى على الكرماء تنفضُ منهُـمُ ... طرقَ المَطالبِ أسهلتْ أو أحزنَتْ
ووراءها ــ لولا المطامعُ منهُـمُ ــ ... قُرَباءُ لو قنعتْ بهـم ما أبعـدتْ
نبّهْ بنى "عبـدِ الرحيم" ولا تُبَـلْ ... معهم عيونَ الدهرِ كيف آستيقَظتْ
وآسـتفتهم فى المجـدِ تسألْ أنفسا ... لَقِنتْ على جهـل الورى وتفهَّمتْ
خَبُثَ الترابُ وما عليـه، وماؤها ... شرفٌ فطابت وحـدَها وتطهَّـرتْ

---

(١) يريد بهذا الوصف "الصحراء".   (٢) يقال: خرت الأرض أى عرفها ولم تخف عليه طرقها.   (٣) البوغاء: ما يثور من الغبار.   (٤) أخست أو زكت: لعبت بالفرد أو بالزوج.

فكأن زاكى عِرقها لم يُسقَ من ... ماءِ الزمانِ وفى ثراه ما نبتْ

قومٌ اذا حذر التناكرُ لُثْمَهُمْ (١) ... وجلا الصِّفاحُ أكفَّهم فتحسَّرتْ (٢)

كفرتْ وجوهُهُم البدورَ وآمنتْ ... لأكفِّهم أيدى السحابِ فكَفَّرتْ

شفعوا العلاء تليدَه بطريفه ... فتقدمت علياؤهم وتأخَّرتْ

ولدتهم الأرضُ التى قد أجمعتْ ... فى الأكثرين فأكيستْ (٣) وتجبَّتْ

جاءت بهم وهى الوَلودُ كأنّهم ... غُرباءُ جاءوا فى العقامِ أو القَلَتْ

متواردين على العَلاء كأنّهم ... ضربوا له ميقاتَ يومٍ لم يُمَتْ

راضوا الأمورَ، فتيهم كسنّهم ... سَوْمَ الكعوبِ تلاحقتْ فتنظَّمتْ

شَرَعوا الى ثُغَرِ الخطوب ذوابلا ... لولا صنيعةُ نفسها ما فُضِّلَتْ

جُوفًا (٤) ترى الصمَّ الصعابَ وراءها ... فى الحرب تقفو ما حذَتْ أو مَثَّلَتْ

كتبوا على شهب الطروس لنا كما ... طَعنوا على الخيلِ الوِرادِ أو الكُمُتْ (٥)

والجالسُ القوالُ منهم آخذٌ ... منها بأنفاس الشجاع المنصلِتْ

خذ من حديثهمُ حديثَ قديمهم ... واعجب لأطراف العلا كيف آلتقتْ

واسأل "زعيم الدين" عما خلفه ... من مجدهم فهو الشهادة والثَّبَتْ (٦)

قمرٌ هو المرآة عن أحسابهم ... مهما رأت مما يقابلها حكتْ

أدّى فروضَهمُ وسَنَّ نوافلا ... فى المجد تمت الفروضَ وكمّلتْ

فضحَ السوابقَ مالكٌ أشواطَه ... جارَى الرياحَ فخُلَّ عنه وقُيِّدَتْ

وتقرّطت أيامُه بيتيمةٍ ... منه صفَتْ للناظرين وأشرقتْ

---

(١) لثم جمع لثام . (٢) تحسرت : تعرت . (٣) أكيست : ولدت أولادا كَيْسَى أى طرفاء فطنين جمع "كيِّس" . (٤) جوفا جمع جوفاء . (٥) الكمت جمع كُمَيت وهو الفرس فى لونه كُمتة أى حمرةٌ مشوبة بسواد . (٦) الثَّبَتُ : الحُجّة .

لم يدرِ جهــدُ الغائصين وكيــدُهم ... من أىّ أصداف البحار آستُخرِجتْ
قــد جوّلوا فيهــا الظنونَ وأكثروا ... بالخوض لمــا آستُغرِبتْ وآستُعظِمتْ
قالوا : من البحر المحيط تصعّدتْ ... لا ! بــل من الفلَكِ المحيط تنزّلتْ
بيضاء ملء يد المــنى ملمــومة، ... مَلَكَ المنَى وحوَى الغنى مَن أُعطِيتْ
يا جامعَ الحسناتِ بعــد شــذوذها ... مِزَقًا[1] وموجدَها أوانَ تعــذّرتْ
ومقطِّــر الأقران عن صَهَواتِ ما ... رُبطتْ من الرأى الأصيل وضُمِّرتْ
كم واثقٍ منهــم بعِصــمةِ رأيه ... وحسابِهِ من هفــوةٍ أو من غلَتْ
ضايقتَــه حــتى أقــرَّ بعجــزه ... لمــا وضعتَ له يديك على النُّكَتْ[2]
ومُنطِّقٍ ظنَّ البــلاغةَ آيــةً ... نُصبتْ له علَمــا وشخصا صُوِّرتْ
قال الكثيرَ موسِّــعا لهَــواتِهِ ... عُجْبــا فلمّــا قلتَ واحدةً سكتْ !
حَسِب الفصاحةَ فى التشادقِ وحدَه ... ما كلُّ ما وُصِف الأُسودُ به الهَرَتْ[3]
وأرى الوزارةَ مــذ حَملتَ لواءَها ... نُصِرت على فشــل الولاة وظُفِّرَتْ
ساندت فيهــا ما عليك صــلاحُهُ ... وفسادُه إن أصلِحتْ أو أُفسِــدتْ



ثنَّى أخــوك أخاك فيهــا مُسهِما ... وبُعِثتَ ثالثَهــا الذى بك عُزِّزتْ
أنــتم فوارسُها المــذاودُ دونهــا ... إن حوربت وملوكُها إن ســولمتْ
وظهــوركم لصــدورها مخلوقةٌ، ... مظلومةٌ إن ضويقت أو زوحمتْ
نُصبتْ لكم وتمهّــدتْ فــتى طــرا ... من غيركم طارٍ[4] نَبَتْ وآســتوحشتْ
هى مِلكُكم فــتى آســتُعيرت منكمُ ... لتجمّلٍ وأردتمــوها آســتُرجِعتْ

(١) مزق جمع مِزقة وهى القطعة من الثوب . (٢) النكت جمع نُكتة وهى المسئلة الدقيقة اخرجتْ بدقّة نظر و إمعان فكر . (٣) الهرت : آتساع الشدقين . (٤) طارٍ : يريد "طارئ" .

أبنـاء نِسبتِها وأبعُـلُ[1] عُـذْرِها[2]   وإذا عَدَتكم أعزبت وتأيَّمتْ

تَفدِى "أبا الحسنِ" الترابَ وطئته   قِمَمٌ هوت من تحتِ رِجلك إذ علت

ومحدِّثٍ بك فى الوساوس نفسَـه،   نفسٌ لعمرك ضَلَّةٌ ما سَوَّلتْ

لو ثاقلوك به وألقِى "يَذبُلٌ"[3]   معـه لكانت قِسمةً ما عُدِلتْ

أغنيتنى بك عن سواك فلم أُبَلْ   فُتِحت أنامـلُ معشرٍ أو أُقفِلتْ

وسُقيتُ أعذبَ شربتيك فما أرى   بأسا ببارقـةٍ همَتْ أو أخلبتْ

وصفوتَ لى بالودّ، والصهباءُ لم   تَشُبِ العقولَ بطعمها حتى صفتْ

أنكرتُ ودَّ أخى وعهـدَ أحبّـتى   وكريمُ عهـدك طينـةٌ ما أخلقتْ

فـتى طَلبتُ من الزمان سواك أو   شَرْواك[4] فاشهدْ أنَّ ذاك من العَنَتْ

ولـتُرضِينَّك ما سمعتَ نواهضٌ   بالشـكر لم تَخَفِ اللُّغوبَ ولا ونَتْ

يقضِـين ما أُسلفن من أيدى غِـنًى   وَسِعتْ حقوقَ المقرضين وأفضلتْ

يَغنَى بها العرضُ الفـقيرُ وإن رأت   عِرضـا غنيًّـا زيَّـدته وأثلَتْ

ريحـانة ما آستُنشِقت أرواحُهـا   وسـلافة تُصحِى اذا ما أسـكرتْ

تقضى على الألبـاب أين خلاصها   من شَوبها ما آستُحظيت أو أُلغِيتْ

ضجَّتْ منابرُها بدعـوتها لكـم   فلو آدعت بكم النبـوَّةَ صُـدِّقَتْ

إن صاحبتْ يوما اليكم عاطلا   حلَّتْـه أو تَفِـلَ[5] النواحى عَطَّرتْ

والمهـرجان وكلّ يومٍ عادكم   فى لطفه ممـا كستْ أو زَخرفتْ

فتمـلَّهـا وتمـلَّه مَتـلوّةً   ومُقابَلًا ما كرّ أو ما أُنشِـدتْ

حتى ترى الأجداثَ تنفضُ أهلَها   والشمسَ فى خضرائها قد كُوِّرتْ

---

(١) أبعل جمع بَعْل وهو الزوج . (٢) عُذْر جمع عَذراء، وهى البكر . (٣) يذبل : اسم جبل .
(٤) الشروى : المِثل . (٥) التَّفِلُ : المنتن الريح ، وفى الأصل "تقل" وهو تحريف .

* * *

قافيـــة الجـــيم

بعـــد خلو حـــرف الثـاء

وقال وكتب بها الى الأســتاذ أبى منصور بن ماسرجيس، وقد ورد من سفرةٍ كان أَبعدَ وأطال أمدَها وآتفق إنفاذُه إيّاها اليه فى المهرجان الواقع فى جمادى الأولى من سنة تسع وأربعمائة

لِمن الحُمولُ سلكن "فَلْجا"[1]	يَطلُعنــــهُ بخًّـا ففـــجّا ؟
يخبطنَ بالأيدى الطري	ـقَ فمـا يكدن يجدن نَهجا
ســـودٌ بمـا صبغ الحجـ	ـيرُ جلودَهن الحمــرَ وَهجـا
من كلّ حاملةِ الهـلا	لِ[2] بنَى عليهـا البينُ بُرجا
بيتا يســـير وفيـــه قلـ	ـك فهو جسمك خيل حِدْجا[3]
لك من وراء سجـوفه	ـــ ما أوسعَتْها الريحُ فَرْجا ـــ
رمحٌ ونصـــــلٌ لا كما	سمَّـــوهما هَيَـفا[4] وغُنْجا[5]
كالبَيْض لم تلج السما	ءُ كِنَّهنَّ فلُحنَ بُلْـجا
لمـا أيِسنَ من الظلا	م رَفعنَ لى فنظـرنَ سُرْجا
وعلى الطليعـــة فاردٌ[6]	كالرئم خافَ فـرام مَلْجا
خالستُ قُبلتَـه الوشـا	ةَ كما آدغمت الحرفَ دَمْجا
ففتحتُ عن غُرٍّ[7] تمـ	ـجُّ المســـكَ والصهبـاءَ مجّا

---

(١) فلج : اسم بلد . (٢) الهلال : ما آستقوس من البعير عند ضمره . (٣) الحدج : مركب من مراكب النساء كالهودج . (٤) الهيف : ضمور البطن ورقة الخاصرة . (٥) الغنج : الدلال . (٦) الفارد : المتفرّد . (٧) غرّ : بيض .

(٧٣)

لو لم تكن مخلوقةً	للرشف لم يُخلقْ فَلَجا
ومؤاخذٍ أن حرت يو	م وداعه والبينُ يَفْجا (١)
لو كان خاصمنى بعيـ	ـشى وحده كان الأحجّا
وبسيطةٍ دون العلا	ءِ نفضتها نشرا ودَرْجا
كلّفتُ حاجاتى بها	مَرِحا يرى التغرير أحجى
وأخٍ صفوتُ كما صفا	ومزجتُ لمّا شاء مزجا
رمتُ التمام لودّه	وأراد إجهاضا وخَدْجا (٢)
أمعى هزيلا ثم أنـ	ـت علىّ إن أُعطيتَ نَفْجا ؟ (٣)
ومفارقٍ لى "كابن عيسى" غَمَّ أيامى وأدجى	
راودتُ قلبى عن نوا	ه فكلّما لاطفتُ لجّا
وحَملتُها كالداء أشـ	ـرُجُ فوقه الأضلاعَ شَرْجا
متنظّرا هذا الإيا	بَ لعُرّها كيًّا ونُضْجا
فإن آنتصرتُ بقربه	فلقد صبرتُ وكنتُ مُلْجا (٤)
أو عُدنَ أيامى الحسا	نُ به فقد أسلفن سُمْجا (٥)
يابن الوزارة أثبتتْ	فى بيته وتدا أشجّا (٦)
أبلَى وأخلقَ قومُه	أثوابها فوُرِثْنَ نُهْجا (٧)
يتنقلون على مرا	كبها فما يضعون سَرْجا
ومشت أمورٌ بعدهم	بتعاشرٍ فمشين عُرْجا

(١) يريد "يفجأ" أى يباغت . (٢) الخدج : إلقاء ولد الدابة قبل أيام تمامه .
(٣) النفج : فخر الإنسان بما ليس عنده . (٤) يريد "مُلجأ" . (٥) سمجا : قباحا .
(٦) الأشج : المشجوج الرأس . (٧) نُهجا : بالية .

من آل "ما سرجيس" محـ ... ـسودُ العــلا يُخشَى ويُرجَى

متقيِّــلٌ فى المجــد سُنَّـ ... ـةَ مغرِمِيــن به أَبَجّا (١)

جارِين ســدَّ الجوِّ شَــو ... طَهُمُ وشــقَّ الأرض رَجَّا

فصــلُ الخطــابةِ ناطقٌ ... ما قال إلا كانــ فَلْجا (٢)

مســتردفا يــدَه وأخـ ... ـرسَ عجَّ فى القرطاس عجَّا

كالرمح أُرهِفَ صــدرُهُ ... وكعوبُه نَصْــلا وزُجّا (٣)

هــذا يمــجُّ بما يَخُـ ... ـطُّ دمًا وذاك يَخُــدُّ دَرَجا (٤)

مَلَكَ السماحُ يديــه، يَمـ ... ـرُجُ فيهما العافيــن مَرْجا (٥)

مغــرًى بأثقال النــوا ... ل يخالهــا دَيْنًــا وخَرْجا

ســوّغتنى ودًّا غــبر ... تُ بِرَنْقِهِ غَصَّانَ أَشْجَى (٦) (٧)

وسحــرتنى بخــلائقٍ ... كُنَّ العيونــ فكنّ دُعْجا

فلتطرقنّــك ما بكــر ... ن غواديا وسريــن دُلْجا

زُهرٌ كثابتــة النجو ... م سوائرٌ يَهدِجن هَدْجا (٨)

موســومةٌ بك أنك الـ ... ـمقصود فيهنّ المُرجَّى

ما أُنشــدتْ خِلتَ البرو ... دَ عُرِضن تَفْــويفا ونَسجا

وســواك يسمعها فيحـ ... ـزن سمعُهُ من حيث يُشْجَى (٩)

يــرتاب منهــا بالثنا ... ء كأنه بالمــدح يُهجَى

---

(١) أجَّ : ركب اللجّة . (٢) الفلج : الآستظهار على الخصم ومنه المثــل « من يأت الحَكَم وحده يفلُج» . (٣) الزجّ : الحديدة التى فى أسفل الرمح . (٤) الدرج : التزام المحجّة فى الكلام . (٥) يقال : مرج الدابّة : أرسلها ترعى فى المرج ومرج بمعنى خلط أيضا . (٦) الرنق : غير الصافى . (٧) أشجى : أغصّ . (٨) يهدجن : يمشين فى آرتعاش . (٩) يشجى : يطرب .

خادعتُــه فأضــرَّ بى غِشى، وكان الصدقُ أنجَى
فتملَّهــا ما راح ســر حُ أو رأيتَ البيتَ مُجَّــا

* * *

قافيــــة الحاء

وقال يهنِّئ أبا منصور يَزْدَانْفادار(١) بالنيروز

أشوقا ومَن تهوَى خلِّ الجوانحِ ؟ لك اللهُ مِن وافى الأمانةِ ناصحِ!
فما كلّ عهــدٍ بالسليمِ على النوى ولا كلّ ثاوٍ حافظٌ عهــدَ نازحِ
حبيبُك من خلَّفتَ بين ضلوعه — وسرتَ — فؤادا لا يلين لكاشحِ
لمَن منزلٌ أنكرتَه فعرفتَــه وقــد راح أهــلوه بطيبِ الروائحِ
خليلىَّ — والواشون حولى عصابةٌ فمِن مُسرفٍ فى لومــه ومُسامحِ —
أجِلْ فى جناب الركب طرفَك هل ترى أسى بارحا أو طائرا غيرَ بارحِ؟
وخلفَ الستور الرُّقْمِ(٢) من كان بينُــهُ — على طولِ ما سترتُ حبِّىَ — فاضحى
وهبتُ له عينى وقلبى وإنمــا لعــزّته هانت علىَّ جوارحى
أفى كل دارٍ صاحبٌ أصلحتْ له الر عايةُ قلبى وهــو لى غير صالحِ؟
وخاطبُ شكرٍ يُرخِص البخلُ مهرَهُ عليــه فيُمسى وهــو ألأمُ ناكحِ
أهزُّ بعتبى منــه طودا كأننى أريد لأكسو العَيرَ(٣) جلدةَ سابحِ(٤)
اذا ما عليــل البخل لم يَبرِ داءَه مخافــةُ هاجٍ لم يُثبْ قــولَ مادحِ
بلى! فى فتًى من أسرتى إن شكرتها منائحُ تُعطيــه حلالا مــدائحى



(١) كلمة فارسية معناها : القاصد وجه الله . (٢) الرقم : التى بها خطوط من قولهم : رقم الثوب أى خططه ومنــه الأرقم وهو الثعبان لخطوط فيــه سوداء و بيضاء . (٣) العير : الحمار . (٤) السابح : الفرس .

هنيئا لكم يا طالبي سيبِ كفِّه ... أبيحت قَليبا فليفـــز دلوُ ماتِح
يُخـــيِّمُ غادٍ للســـؤال ورائحٌ ... بساحـــةِ غادٍ للسماحـــةِ رائحِ
صباحُك ــ والنيروز يجلوه فانعمن ــ ... رأى خيرَ مصبوحٍ، رأى خيرَ صابحِ
هو الجَذْع[1] فاستقبل به بَكرَ[2] عامه ... وإن كان مما كرّ فى سنّ قارحِ[3]
اذا وجه يومٍ غيره كان عابسا ... تبسّم عن ساعاتِ أبلجَ واضحِ
وعش بين جَدٍّ للخطوب محاربٍ ... حرىٍّ وجدٍّ للســـعود مُصالحِ
سليما على الأيام طـــرًّا، طِوالُهـا ... رقاقُ العشـايا صالحاتُ المفاتحِ

* * *

وكان بينه وبين أبى الحسين أحمد بن عمر النَّهْرَوانىّ ــ وهو من الآحاد المعروفين المعدودين فى البغداديّين ــ مودةٌ ترتفع عن حدّ القرابة، ومجانسةٌ ترفع المنافسة، وتسقط المحاسدة، وفضائلُ تستوفيه الأفراح. وكان أبو الحسين أخلَّ بعادَته فى مكاتبته، ورأى كتبه عند جماعةٍ من إخوانه، فشقّ ذلك عليه، وآتفق أنه عَقَد لنفسه عَقدَ نكاحٍ بالنَّهروان، فكتب اليه يعاتبه فى الجفاء ويهنّئه بالعَقد

لهـا بعد خطوٍ لات حين مَراحِ ... قضاءٌ بوصـــلٍ غـــدوةً برواحِ
وهل هى إلا رقـــدةٌ فاسمحا بهـا ... وحســبكما أن توقَظـا لسماحِ
وإلا فســـيرُ الريح أسرعُ طِيّـــةً ... وكم هبَّ لى شـوقٌ هبوبَ رياحِ
أقولُ لهـا ــ والنَّهروانُ طريقُها ــ : ... هُنـاكَ آسنحى لا زلتِ طيرَ نجاحِ
ألمّى بهـا فى السّحب ثم تحفَّـــلى[4] ... فسُـــحّي تحيّـاتى بأنضرِ ساحِ

(١) الجَذَع : الجديد وهو من البهائم : ما قبل الثنىّ وسكّن الذال للضرورة . (٢) البكر : الفتىّ من الإبل . (٣) القارح من البهائم : الذى آنتهى سنه . (٤) تحفّلى : تجمّعى .

وقولي : سلامٌ " يابن رَوحٍ " تظنُّه — صبيبةَ طلٍّ في صُبابةِ[1] راحِ
شكوتُ فيالَلشوقِ أين تصبُّرى — ونمتُ فيا لَليلِ أين صباحى!
وغرَّك إسماحى فسرَّك أن ترى — اذا عنَّف المقتادُ كيف جِماحى
رعى الله ظبيا سارحا لِيَ رعتُه — بنفْرةِ قلبٍ للعُقوقِ مُباحِ
وتوهَبُ للعذر الصُّراح مودّتى — لديك وبعض العُذر غير صُراحِ
رسائلُ تعدونى وكُتْبٌ تجوزنى ، — صداى على ماءٍ يُذادُ قَراحِ[2]!
تلوح لعينى كلّما مرّ خاطف — بناحيةٍ منها بكت بنواحى
بمن ــ ليتَ شعرى وهي ليتُ تعجُّبٍ ــ — يُردُّ شبابى إن حملتُ سلاحى
أبِن لِيَ هل جاذبتَنى فى مودّةٍ — فعيّرتنى يا صاحِ عَيرة صاحِ
وهل رمتَ أسبابَ السماء لبغيةٍ — فحلَّقتَ إلا طائرا بجناحى
سقى الله نفسى كيف يَكْرُمُ عهدُها — على نفرٍ ممن أحبّ شِحاحِ
أروم انتصارا منك ثم يردُّنى — هوًى لم تدنّسه ملامةُ لاحى
فأغمِدُ فى الودّ الحِدادِ[3] صوارمى — وأكسِرُ فى الحبّ السِّداد رماحى
فلا تنكرنْ هذى العوائدَ إنما — لسانِىَ سكرانٌ وقلبِىَ صاحى
ولا تُلزمنِّى فى العتاب بقيّةً — فسادُك فيها فاتَكٌ بصلاحى
ولما أتانى ما أقرَّ جوارحى[4] — وأبرأَ من تلك الهَنات جِراحى
خلطتُ التهانى بالتشاكى مُرجّيًا — بموضعِ جِدّى أن يكون مزاحى
وبعدُ ! فيالله أيّةَ فرحةٍ — تخبّرنى عن أىّ فوزِ قِداحِ[5]!



(١) الصبابة : البقيّة . (٢) القراح : العذب الصافى . (٣) الحداد : ذو الحدّة .
(٤) جوارح جمع جارحة وهى العضو . (٥) القداح جمع قِدْح وهو سهم الميسر .

اذا كانت الجوزاءُ للمشـــترِى حُلّىً ... وكان قِباحٌ[1] غيرُها لقباحِ

فما اتفق السعدانِ حتى تكافآ ... أعزُّ بطونٍ في أعزّ بِطاحِ[2]

ولو قيل : غيرُ الشمس سيقت هديّةً ... الى البـدر لم أفـرح له بنِكاحِ

فأنتم بنـو مالٍ على الدهرِ هالكٍ ... وقاءٌ لأعراضٍ عليـه صِحاحِ

شـبابٌ مراجيحٌ[3] تفرّعتِ النُّهى[4] ... بهم عن شيوخٍ في النـدىّ مِلاحِ

تعقّبْ غدًا يُمنا وسـعدا بها " أبا الـ ... ـحسين " وسـعيا مؤذنا بنجاحِ

كأنك بالأشـبال حولك ربّضا[5] ... ليـومِ رُواءٍ[6] أو ليـومِ كفاحِ

صَباحا صَباحا ! كلُّ يومٍ بشارةٌ ... الى سبعةٍ مثـلِ البـدورِ صِباحِ

⁂

وقال وأنشدها أبا القاسم بن مَمّا في يوم المهرجان

ما كان سهما غار بل ظبيٌ سنحْ ... إن لم يكن قتلَ الفؤادَ فقـد جرحْ

جلبَ الجمالَ يريد أنفسَنا به ... ثمنا فتاجرناه فيـه كما اقترحْ

أرِجتْ جِنانَ " السفح " فيه بنافضٍ ... رُدنيْه عن عَرفِ الجِنان اذا نفحْ

عَرَقُ المجاسـدِ[7] فاض ماءُ شـبابه ... والوردُ أطيب منـه ريحا ما رشحْ

في جيـده الكافورِ سبحةُ عنبرٍ ... ما كان أغفلني وليس عن السُّبَحْ

وأمّا ومِشـيتِهِ — توقّـرَ تارةً ... صلَفا وأحيانا يُجَنُّ من المَرَحْ —

ومَواعـدٍ لىَ في خلال وعيـده ... مَزجتْ بدمع صبابتى دمعَ القدَحْ،

لأشاطرنَّ هواه جسـمى إن وفَى ... ولأبخلنّ على العواذل إن سمحْ

---

(١) بطون جمع بطن وهو دون القبيلة . (٢) بطاح جمع بطحاء وهى المسيل الواسع فيه دقاق الحصباء . (٣) المراجيح : الحكماء . (٤) النهى جمع نُهية وهى العقل . (٥) ربّضا : جثّما . (٦) الرواء : حسن المنظر . (٧) المجاسد جمع مجسَد وهو القميص يلى البدن .

راحت تعنّف فى الصِّبا : ما آن أن ... يثنيك عن أَشَر الثنّى نَهىُ القَرح[(١)] [(٢)]

والخمسُ والعشرون تعذرُ فاسدا ... لو ناهزتْه الأربعون وما صلحْ

منّاك ظنُّك بى غرورا أننى ... أصحو، وفى الظنّ المحالُ المطَّرَحْ

كالليث والغمرُ آستغرّ بشغره ... فدنا اليه فاسئلى عمّا كلحْ[(٣)]

"والصاحبِ" آلتمس الغمامُ تشبّها ... بيديه، لا جَرَمِ آنظرى كيف آفتضحْ

جاراهما ويكاد يغرق فيهما ... بالجود إلا أنه فيه سَبَحْ

للعزّ ما منعَ "الحسينُ" فلم تَنَل ... كفُّ الزمان، وللمكارم ما منحْ

إن هَمَّ أبصر غايتيه بحزمه ... كالطَّرف يُدرِك نورُه أنّى طَرَحْ

أو جَدَّ فى خطبٍ كفاه ووجهُه ... متبسّمٌ، فيقول حاسدُه : مزِح[(٤)]

كم نعمةٍ لم تُلهِهِ عن عصمةٍ ... وجمادِ عامٍ لم يعُقْهُ أن آنفسحْ[(٥)]

ومدامةٍ عذراءَ بات نديمَها ... وبغارةٍ شعواءَ يومئذٍ صبحْ

رفقا بجُرَّبهُ وقل فى ناره ... إن أُضرِمتْ وقد آشتواك بما لفحْ

وآهتزّ كلكلُه نكنت سحيقة ... بددا[(٦)] فأين يكون[(٧)] ركنك إن نَطحْ :

بى أنت، ضجَّ السيفُ حتى إنه ... لوكان يومَ يُسلُّ ذا صوتٍ لَبَحْ

وشكا جوادُك فى الضوامرِ بُشَّه ... لمّا آستراحت وهو تحتك لم يُرَحْ

طِرفٌ تعوّد أنه لو طارد ال ... ريحَ الشَّمالَ عليه فارسُه بَطحْ[(٨)]

وأغرّ يُسرِجُ ـ يومَ يُسرَجُ ـ وجهُهُ[(٩)] ... زُهْرَ الكواكبِ قام فيها أو سرحْ

---

(١) الاشر : البطر . (٢) يريد بالثنى شرخ شبابه وبالقرح كبره . (٣) كلح، يقال : كلح وجهه : تكشر فى عبوس . (٤) فى الأصل : "مرح" وهو تحريف ويعينها قوله فى أوّل البيت "جدّ" . (٥) فى الأصل " إن انسفح " وهو تحريف . (٦) بددا : متفرقة . (٧) هذه الكلمة فى الأصل غير موجودة وقد رجّحناها ليستقيم المعنى ويتّزن الشطر . (٨) يريد بقوله "بطح" : ألقى الريح على وجهها وتقدّمها . (٩) يسرج : يضىء .

ومؤدّب الأعضـاءِ لا يهفــو بـه ... جنباه، ما حسّ(١) الغـلامُ وما مسحْ

فســواه ما خلع اللجامَ ومدَّ طغ ... يانا وما منـع الركابَ وما رمَحْ

ولك المقـامُ زأرتَ فيـه، والقنـا ... أجَمٌ(٢)، فهان على عرينـك من نبحْ

والرأىُ أعجـزه الصوابُ فلم يُشِرْ ... فيــه سواك ولو أشار لمـا نصحْ

أمؤاخذى كرما عـلىَّ قضيتُهُ ... إن ضاق عنه لسانُ شكرى أو رزح(٣)

غَفْـرًا متى قصَّرتُ عنــك فإننى ... بالمــدح أولَى لو بلغتُــك بالمِدَحْ



هــذا ولم تَخفُـرك(٤) قدرةُ خاطرى ... ما جاءه عفــوا وما فيــه كدحْ

كم نومةٍ للعاشقين وهبتُها ... ليـلا أراقب ديكه حتى صــدحْ

والليــلة البهماءُ تُولِد فكرتى ... غرّاءَ يحســدها الصباحُ اذا وضحْ

ولأنتَ باستحسانهـا أنطقتــنى ... وشرحتَ بالإكرام صدرى فانشرحْ

ونســيتَ ما أعطيتَنيه وفيهــمُ ... ـ حاشا سماحك ـ مَنْ اذا أعطى لَمَحْ

فلغــيرك المتسهِّلُ المبذولُ فى آسـ ... ـترخاصـه ولك الغــرائبُ والمُلَحْ

⁂

وقال وكتب بها الى الأستاذ أبى طالب بن أيّوب فى عيد الأضحى

لمَن الحُمول بجوّ "ضاحى"(٥) ... من باكرٍ غَلَسًا(٦) وضـاحى

مِثـــل الأَداحِى(٧) تحتهـا ... أمثـالُ أُمَّاتِ(٨) الأداحى

يحملن أقمـارا حَمَا ... نَ السـقمَ فى مُقَلٍ صحاحِ

من دون أطراف الحـديـ ... ـث لهنّ أطـرافُ الرماحِ

(١) يقال : حسّ الدابة : نفض التراب عنها بالمِحسَّة وهى آلة ينفض بها الغبار . (٢) الأجم جمع أجمة وهى الشـجر الكثير الملتفّ . (٣) رزح : أعيا . (٤) لم تخفرك : لم توقِفك . (٥) ضاحى : اسم موضع . (٦) الغلس : ظلمة آخر الليـل . (٧) الأداحى جمع أدحيّة وهى بيض النعام فى الرمل . (٨) أمّات جمع أمّ .

مَن مخــبرى عن رائحـ	ـين نكِرتُ بعدهُمُ مراحى ؟
هيهـات لو صـدق الدليـ	ـلُ سألتُ ليلى عن صباحى
والنجــمُ يحمــل كأسها	منهـا الحبابُ بغــير راح
حَظَرَ الكرى مَنْ لا يُطا	ع ســواه فى حَظْر المباح
راضٍ اذا ســفك الدما	ءَ بمـا تقــلَّد من جُناح
كَثُرَ المــلاحُ وما له	مِثْــلٌ بإقــرار المِلاح
بأبى ثنــاياه لقــد	غولطتُ عنهـا بالأقاحى
غَلَطَ المُقـايِس بابن "أيـ	ـوبَ" السحابةَ فى السماح
"ومحمَّدٌ" أزكى نسيـ	ـمَ ثرًى وأندَى بطنَ راح
وأعمّ حين يخصّ جو	دُ الغيث ساحا بعد ساح
طالت به عينٌ الى الـ	ـعليـاء واســعةُ الطماح
ويــدٌ تقلَّبُ أنمــلا	تِ مكارمٍ سُــبِطٍ سِجاح (١) (٢)
لم تدرِ أنّ اللهَ خا	لقُ هذه الأيدى الشــحاح
من معشرٍ يتــذمّمو	ن المـال ليس بمســتباح
لا يُطعَمون مع العشـ	ـىّ حــلاوةَ النَّعمِ المُــراح
فاذا تزاحمت الــوفــو	د على بيوتهــم الفِســاح
يَسَرُوا (٣) فكان لمن يفو	ز بضيفه فــوزُ القِــداح
فى عِرضهم سَرَفُ القِصا	صِ (٤) وما لهم هَــدرُ الجراح

(١) سبط : من قولهم فلان سبط البنان أى كريم وهو من باب الكناية نقيض قولهم : جعد الكف كناية عن البخل . (٢) سجاح : لينة سهله . (٣) يسروا : لعبوا بالقــداح .
(٤) السرف : الإفراط ومجاوزة الحدّ فى القصاص ، وفى الأصل هكذا رسما وشكلا "شَوْفُ العصاصِ".

فاذا آنتضَوا زُبَرَ الصحا ئف ثلّموا زُبَر الصِّفاح
واذا قِيامةُ سؤددٍ كذَبتك فى الصُّوَر القِباح
بلَجوا على ضوء الصَّبا ح ببهجة الغُرر الصِّباح
لبّيك عدةَ ما آكتسبـ تُ وقد دعوتُك من صلاح
وضمنتنى والدهرُ مجـ تمعُ الصروف على آطراحى
واذا شهرتُ عليه سيـ فا عاد يُدمينى جِراحى
قد كنتُ مقترِحا لِجَا ء بك الزمانُ على آقتراحى
لا توسعنِّى من نوا لك فوق ما يَسعُ آمتداحى
دعنى أطيرُ بشكره ما دام يحملنى جَناحى
فى كلّ شاردةٍ مبا عِدةِ الغدوِّ مع الرواحِ
بِكرٍ وَلودٍ من بنا تِ الناتجات بلا لقاحِ
أحبُوك منها كلَّ عيـ د بالخريدةِ[1] والرَّداح[2]
تصف اللطائمُ[3] طيبَها من طيبك الشرف الصُّراحِ
ما كُسِّرت رُجُمُ الجما رِ وسُوِّقت بُدُنُ الأضاحى

* * *

وقال يرثى الرئيس أبا الحسن بن محمد بن الحسن الهُمَانىّ الكاتب، وكان بقيّة الأعيان فى صنوف الفضل، وواحد الزمان فى كمال الأدب، وممن أوجب عليه حقوقا فى المودة، وآتخذ عنده حرمات من التفقّد والمراعاة، وتوفّى فى رجب سنة ثمان وأربعمائة، ودفن فى مدينة المنصور

---

(١) الخريدة : العذراء . (٢) الرداح : المرأة الثقيلة الأوراك، وثقل الأوراك من صفات الحسن فى النساء . (٣) اللطائم جمع لطيمة وهى نافجة المسك أو المسك نفسه أو العير التى تحمل الطيب .

أُغَشّ بآمالى كأنّىَ أُنصحُ ... وأبقى لأشقَى بالبقاء وأفرحُ
وأصبو الى وجهٍ من الدهر مسفرٍ ... ضحوكٍ، ووجهى فى الخمار مكلّحُ
ويعجبنى إملاء يومٍ وليلةٍ ... وما الموتُ إلا غابقٌ أو مصبّحُ
مَطلتُ بدَينى والغريمُ مصمّمٌ ... وأحسنتُ ظنّى والمسىءُ مصرّحُ
تُدَمِّى المنايا الناسَ حولى وإنما ... دمى ذاك فى أثوابهم يتنضّحُ
وأسلو اذا أبصرتُ جِلدىَ أملسا ... وما صحّةٌ فى الجلدِ والقلبُ يُجرَحُ!
اذا مرَّ يستقرى مَن الهالكُ الردَى ... يميّلُ فى أبنائه ويرجّحُ
تطامنتُ أرجو ان أفوتَ لحاظه ... فأخفَى وعينُ الموت "زرقاءُ" تلمحُ
وقد غرّنى ليلُ الشباب فأين بى ... أضلّ وفجرُ الشيب عُريانُ مصبحُ؟
وأقرب شىء من قضيبٍ جُفوفُه[1] ... اذا الورقاتُ الخُضرُ ظلّتْ تَصوّحُ
نتيّمَ بالعُمرِ الجِذاعُ[2] وخانهم ... فما لىَ أرجو ودّه حين أَنزحُ
وقد كان قدّامى مدًى منه يُرتجَى ... هو اليومَ مُلقًى من ورائىَ يُطرَحُ
حسوتُ بمُرِّ الدهر حبّا لحلوه ... فطورا يُصفّى لى وطورا يُصبّحُ
اذا برّنى فى صاحبٍ بزَّ صاحبا، ... أغنّى بشعرى تارةً وأنوّحُ
أبيحُ الترابَ أوجها كان مُسخِطى ... على الشمس منها الساهمُ[3] المتلوّحُ[4]
وأحثو بكفّى أو أشقُّ حفيرةً ... يُهال على قلبى ثراها ويُضرَحُ
ترى الحق مطروفا وتعشى لواحظٌ ... يراقصها هذا السرابُ الملوّحُ
يودُّ الفتى أن البسيطةَ دارُهُ ... وما فوقها مالٌ عليه يروّحُ
وسيعةُ بطنٍ جلَّ ما هو محُرِزٌ ... ومطرحُ جنبٍ جَهدَ ما يَتفسّحُ

---

(١) الجفوف : اليبس . (٢) الجذاع جمع جَذَع وهو الشاب الحدث . (٣) الساهم : الذى تغيّر لونه و بدنه مع هزال . (٤) المتلوح : الذى تغيّر لون وجهه .

تبايعنـا الدنيـا مُنًى بنفوســنا فتوكسُ غَبنا والمُبايع مُصلِحُ

فلا نحن من فــرط الخسارةِ نرعوى ولا هى ترضى فــرطَ ما هى تَربحُ

فمـا لكِ يا دنيـا وأنتِ بطينــةٌ ونحن خِمـاصٌ تبخلين ونسـمحُ!

ألا طرقتْ لا يملأ الليلُ صــدرَها ولا تتحاشى صارخا حين تَصْبحُ

مغلغِــلةٌ لا طودَ يعصمُ ما ٱرتقت ولا موئلٌ من حيث تهبِــطُ أبطحُ(١)

وَصولًا الى البيت الذى تستضيفه ولا مُوقَــدٌ يُورِى ولا كلبَ ينبحُ

لها من قِرًى ما ٱستصلحتْ وتخيَّرتْ حشـايا(٢) تُوَطَّى أو صــفايا(٣) تُذَبَّحُ

أصابت صريحَ المجد من حيث ينتمِى وغضّت لحاظَ الفضل من حيث تطمحُ

وحلّت فحكّت بَرْكَها(٤) من "محمدٍ" بجانب ركنٍ لم يكن قبلُ يُنطَحُ

قويم على عرك الخطوب، فما له وقــد زحمتــه زحمــةٌ يتطوّحُ!

سلا مُقعِصَ الأقران : من أىّ طعنةٍ تَقَطَّر عن ظَهـر الكفاية يُطرَحُ؟

وقاطِعَ مَثْنـاةِ الحبال حــرانُهُ : بأىّ زمامٍ قِيــدَ يعنــو ويُسمِحُ؟

ومَن هُزَّ من بين الوسائد طودُه وفى دســته "ثهلانُ"(٥) لا يتزحزحُ!

وقولا وإن لم يخــرق التربَ صـائحٌ اليه ولم يفهم صـدَى الأرض موضِحُ:

"أبا حسنٍ" أمّا الرجاءُ فخـائب وأما الرجا فيما نمـاك فمنجِحُ

حملتُ الرزايا جازعا ثمّ صـابرا، على ذاك حسنُ الصبر بعــدك يقبحُ

وواصلتُ من أحببتُ ثم فقــدتُه فمـا نازلٌ إلا وفقــدُك أبرحُ

ذكرتُك إذ غَصّ النــدىُّ فلم يُشِرْ نَصيــحٌ ولم ينطق لسانٌ مُفَصِّحُ

---

(١) الأبطح : المسيل الواسع فيه دقاق الحصى كالبطحاء . (٢) حشايا جمع حشيّة وهى الفراش المحشو . (٣) الصفايا جمع صفيّة وهى الناقة الغزيرة اللبن المصطفاة . (٤) البَرْك : الصــدر . (٥) ثهلان : اسم جبل .

(٧٨)

ولا أضمرتْ صدقاً مَعاقدُ حبوةٍ ... جثا بفخارٍ ربُّها يتبجّحُ
وقد غاض بحرٌ كان فكرك مدّه ... وأُرتج بابٌ كان فى فيك يُفتَحُ
وقد جاء نجمٌ من جُمادى بليلةٍ ... بَليلٍ يريك الطولُ أن ليس تُصبحُ
يسائلُ عن اطناب بيتك ضيفُها ... روائدَ خطفِ البرقِ فيما تُلوِّحُ
تعيَّفَ[1] طيرا بارحاتٍ يَسِرنَه[2] ... بفقدك قد كانت ميامينَ تَسنحُ
فبات صعيدُ الأرضِ والريحُ زادُهُ ... شقياً بما يَسافُ أو يتنفَّحُ
بليلةِ بؤسٍ فات مُعتامَها القِرَى ... كما فاتها منك المصلّى المسبِّحُ
وللأمر كنتَ الليثَ إما حفظتَهُ ... تَعاوَتْ تعاطاه ثعالبُ تَضبحُ[3]
رُعِى بعدك الشقُّ الذى كنت حامياً ... له وعتا الخَرقُ الذى كنت تَنصحُ[4]
وخُلِّىَ للعجز التنافسُ واستوى ... على الجهل سَرحٌ سائمٌ ومُسرَّحُ
وقام رجالٌ كان فضلُك مقعِداً ... لهم فتراءوا للعلا وترشَّحوا
بلا عائبٍ تُزرِى على سيئاتهم ... محاسنُه، والنقصُ بالفضل يُفضَحُ
ائن حَرَصوا فيما عَمَرت تعافُه ... فرُبَّتَ ساعٍ للدنيّة يكدحُ
تمالَوا على ما كنتَ تأباه أوحداً ... ومَنُّوا بما استضعفتَه وتمدَّحوا
وما ازدحموا أن القذى بعدك انجلَى ... عن الماء لكن يشربون وتقمحُ[5]
فداكَ — وهل حىٌّ فداءٌ لميّتٍ — ؟ ... قصيرُ الخطا يكبو بما كنتَ تجمحُ
تعجَّبَ لمّا ساد من حظّ نفسه، ... وقد يُدرِك الجَدُّ الدنىَّ فيُفلِحُ
ولمّا رأيتَ الدهرَ ضاقت ضلوعُه ... بحملك وهى للئام تَفَسَّحُ
أنفتَ من الدنيا الذليلةِ عارفا ... اذا عيشةٌ ضامتك فالموت أروحُ

(١) تعيّف : زجر . (٢) يسرنه : جئن من جهة اليسار . (٣) تضبح : تصوت .
(٤) تنصح : تخيط . (٥) تقمح : ترفع رأسك كرها للماء .

وذكّرنيــــك الودُّ أحليتَ طعمه وأصفيتَ فهو الآنـــ يَقذَى ويَملَحُ
ضَربتُ عن الإخوان صفحا مؤملا بأن الردى لى عنـــك وخَدَك يصفحُ
وأغنيتنى ودًّا ورفـــدا بحاجــــةٍ مِنـــ اليـــوم ما أرتادُ أو أتمنَّحُ
أعلّل نفسى عنـــك لو أنـــ مُسقَما يُفيق بنوعٍ من جوًى أو يُصَبَّحُ[1]
وأرقعُ أيّامى أروم صـــــلاحَها وقد فسد العيشُ الذى كنت تُصلِحُ
سألتُ بك الأيّام أرجـــو مسرّةً فلما أَبت إلا الـــتى هى أترحُ
ضحكتُ الى ناعيـــك أحسب أنه ـ وقد جَدَّ ـ إكبارا ليومك يمـــزحُ
عفا ربعُ أنسى منك ضيقا، وما عفا بساحـــةِ قلبى مـــنزلٌ لك أفيحُ
به ساكنٌ من طيبِ عهـدك عامرٌ يُريح عَزيبَ الحُزن من حيث يَسرحُ
اذا ذبَلَت فيـــه على الصـــبر جمرةٌ خمودا ورَى زندٌ من الذّكر يَقـــدَحُ
وذاك اللسانُ الرَّطبُ لا زال فى فمى هو اليومَ يرثِى، مثـــلَه أمسِ يَمدحُ
يقول وإنـــ لم يُغنِ عنك وإنمـــا مــــلأتَ إناءً نعمـــةً فهـــو يرشَحُ
ولو رُدَّ قبلى الموتُ بالشّـــعر أو مضى شَبا لَسِنٍ أو عاش فى الدهر مُفصِحُ
نجا لا نُذا بالعـــزّ فى غـــير قومـــه ـ وقد سبق الناسَ ـ الغريبُ المقرَّحُ[2]
ومســـتنزلُ "النعمان"[3] عن سطواته بمـــا يَنتـــقِى مِنـــ عِذرةٍ[4] وينقّحُ
و"عُروةُ"[5] لم يُصغِ الردى لنسيبه ولم يَعطَ فى "قَيسٍ"[6] مناه "الملوَّحُ"[7]
وغيرُ "غيلانـــ"[8] المهارى بعَنسِـــه[9] فلم تُنجه من عَدوة الموتِ "صيدحُ"[10]

(١) يصبَّح: يُسقَى الصبوح. (٢) يشـــير الى آمرئ القيس وكان يقال له: ذو القروح لأن قيصر ألبسه قيصا مسموما فتقرّح جسمه ومات غريبا "بأنقرة" وفى ذلك يقول

أجارتنا إنا غريبان ههنا وكلّ غريب للغريب نسيب

(٣) يشير الى النابغة الذبيانىّ حين هجا النعمان بن المنذر ثم عاد اليه معتذرا. (٤) العِذرة: المعذرة. (٥) عروة بن حزام هو أحد العشاق الذين قتلهم العشق. (٦) اسم مجنون ليلى. (٧) اسم أبي مجنون ليلى. (٨) غيـــلان: اسم ذى الرمّة الشاعر. (٩) العنس: النـــاقة القويـــة. (١٠) صيدح: اسم لناقة ذى الرمّة.

ولكنه شَـرْطُ الوفاء وغَمّـهُ ... على الصـدر بٱستخراجها أتروَّحُ
ذممتُ فؤادى فيك والحـزنُ محرقٌ ... وعاتبتُ جفنَ العين والدمعُ مُقرِحُ
وما عجبٌ للدمع أن ذَلَّ عـزُّه ... فما جَـمّ إلا أنه لك يُـنزحُ
وأقسمُ ما جازاك قلبٌ بمـا طوَى ... غليـلا ولا قـولٌ يطولُ فنشرحُ
ولا كان فى حكم الوثيقة أن أرى ... عليـك الثرى كَلّا وجسمِىَ رَيِّحُ
وما أنا إلا قاعدٌ عن فضـيلةٍ ... اذا قمتُ فيهـا مائـلا أتـرنّحُ
سقاك ـ وإن كان الثرى بك غانيا ... عن السـحب ـ غادٍ بالحيا متروِّحُ
حَمولٌ لمـاء المزن تطفو لصوبه (١) ... فـواغرُ أفواهِ الجـواءِ فتطفَحُ
اذا خار ضعفا أو تراخى حَـدتْ به ... مَواقِرُ (٢) من نوءِ السماكين دُلَّحُ (٣)
يُحفّـلُ طـردُ الريح فيهـا كأنها ... سـفينٌ جَوارٍ أو مَراسـيلُ (٤) جُنّحُ
شجـاعٌ كأنتَ أو جـوادٌ بمـائه ... فإن عاقه ضنٌّ فعينىَ تَسـفَحُ
ليعـلمَ قـبرٌ بالمـدينـة أننى ... من الغيثِ أَوْفَى أو من الغيثِ أَسمَحُ

***

وقال وكتب بها الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم فى المهرجان يهنّئه به (٧٩)

أمرتُكمُ أمرى "بنَعمانَ" ناصحـا ... وقلتُ : ٱحبسوها تلحقِ الحىَّ رائحا
فـاريتمونى تَخبُرون ٱجتهـادَها ... فأبتم بلا حاجٍ وأُبنَ طلائحـا (٥)
وقد صدَقتنى فى الصَّبا عن مكانهـم ... أخابـيرُ (٦) أرواحٍ سبتنى نـوافحـا
كأن الثرى من طيبها فَتَّ فوقه ... مجيزون من "دارينَ" (٧) فأرا فوائحـا

(١) فى الأصل "حوك" . (٢) مواقر : مثقلات . (٣) دلّح جمع دالح وهو السحاب الكثير الماء . (٤) مراسيل جمع مرسال وهى الناقة السهلة السـير . (٥) الطلائح جمع طليحة وهى الناقة التى أعياها السـير . (٦) خبر جمعه أخبار وجمع الجمع "أخابير" . (٧) دارين : فُرضة بالبحرين يُجلب اليها المسكُ من الهند .

لقاءٌ على "نَعمانَ" كانَ غنيمةً وهيهات يدنو بعد أن فات نازحا

حَمَى دونه حَرُّ "السماوة" ظَهـرَها وعبَّس وجهاً ناجرٌ (١) فيه كالحا

الى الحول حتى يشربَ القيظُ ماءهم "بنجدٍ" وإما يسلخون البوارحا (٢)

لعلّك فى إرسالِيَ الدمعَ لائمٌ وقد عطَفَ الناسُ المطىَّ جوانحا

نعم ، قد تجرّعتُ الدموعَ عليهمُ عِذابا وأقرحتُ الجفونَ الصحائحا

وما قلتُ : غاضت بالبكاء ركيّةٌ من العين إلا أَرسلَ الشوقُ ماتحا (٣)

فهل ظبيةٌ "بالغور" يَجزِى وفاؤها هوًى لم يُطِعْ فيها على النأى كاشحا؟

اذا آعترضتْه من سلوٍّ معوضةٌ مَحاسنُ فى أخرى رآها مَقابحا

ومن أين يَنسَى من يَرَى الغصنَ مائلا مثالَكِ والظبيَ المروَّعَ سانحا !

أرى عينه عينيك و"الغورُ" بيننا فأَدمَى ، لقد أبعدتَ يا سهمُ جارحا !

يعنِّفُ فى حُبِّ البداوة فارغٌ من الوجد لم يَقْرِ الغرامَ الجوانحا

فياليتَ لى من دار قومى وأسرتى جوارَكِ رواحًا عليك وصابحا

ومن تُرَّهاتِ (٤) الريف أرضا قطنتُها من الجدب فيها يأكلون النواضحا (٥)

اذا ما شربتُ الوصلَ عَذبا مرقرقا بها لم أعَفْ أن أشرب الماء مالحا

دعُونى "ونعمانَ الأراك" أروده يجاوبُ صوتى طيرُه المتناوحا

عسى سارحٌ من دار "ميّةَ" يامنٌ يُقيِّضُ لى عن شائمٍ طار بارحا

سقَى ما سقَتْ خدّى الدموعُ الحيا الغضا بواكرَ من جَمّاته وروائحا

فكم ليلةٍ فيه نضوتُ حميدةٍ وألبستُ يوما بُرقُعَ العيش صالحا

(١) يقال "لصفر" ناجر : وهو الشهر الواقع فى صميم الحر ، وفى الاصل "ناجز" (٢) البوارح جمع بارح وهى الريح الشديدة الباردة . (٣) الماتح : الذى يستق وهو على رأس البئر . (٤) الترّهات : الطرق الصغار تتشعب عن الجادّة واحدتها تُرّهة . (٥) النواضح : الإبل التى يُستقَ عليها ، واحدها ناضح .

وهمٍّ ترى القلبَ الرحيبَ وراءه | من الضيق لهفا يستعيبُ المَراوحا[1]
تلطَّفتُه[2] حتى وجدتُ مَفارجا | لصدرِىَ من غُمّاته ومَسارحا
وبحرٍ من الآل الغَرور محرَّمٍ | ركبتُ له من سير "لاحقٍ"[3] سابحا
الى حاجةٍ فى طُرْقها الجِدُّ كلُّه | فأدركتُها جذلانَ أُحسَبُ مازحا
ومضطغِنٍ[4] أن قدَّمتنى زوائدٌ | من الفضل أخفَتْه وقد كان واضحا
يعيِّرنى الحِدْثانَ وهو أعزُّ لى | كفى جَذَعا أن فاتَكَ الشوطَ قارحا
وهل ضائرى شيئا ـ اذا جئتُ آخرا ـ | تأخُّرُ ميلادى وقد جئتُ فاصحا
وهَرَّ فلم يُطرَدْ فعضَّ سفاهةً؛ | وعقرُكَ لى أنى حقَرتُك نابحا
وزَنتُ بحلمى جهلَه لا أجيبه | فلله مِنّا مَن تمكَّن راجحا
وعجماءَ من وحش القوافى خدَعْتُها | ولم تُعطِ قبلى جِلدَها قطُّ ماسحا
خطبتُ اليها عُذرَها فتحلّلتْ | وكانت حراما لا تلامس ناكحا
وعادتُها فى المدح ألا أذيلها | ولكنَّ قوما يكرمون المدائحا
تمنّى بنى "عبد الرحيم" ومجدَهم | رجالُ أمانٍ لم يقعن نجائحا
وريموا، فما حَطَّ الثريّا لباعه | فتًى ظنَّها كفًّا فمدَّ مُصافحا
كرامٌ مضوا بالجود إلا صُبابةً | أعاروا نداها الماطلاتِ السوافحا
لهم من تليد العزّ ما يدّعونه | اذا خِفْتَ فى دعوى الحسيبِ القوادحا
اذا نَشَروا الأغصانَ من شجراتهم | على ناسبٍ عُدُّوا الملوك الجحاجحا
تواصَوا فطابوا فى الحياة وأُكرِموا | نفوسا وطابوا ميّتين ضرائحا

---

(١) المراوح : المفاوز تخترقها الرياح واحدتها مَروحة . (٢) تلطفته : ترفقت فيه .
(٣) لاحق : اسم فرس معروف عند العرب . (٤) المضطغن : الحاقد .

وأخفى "الحسينُ" خطفَهم[1] بشُعاعِه كما أخفت الشمسُ النجوم اللوائحا

فتًى لا يريد المجــدَ إلا لنفســه ولا المـالَ إلا قسمةً ومَنائحا

ينـازع أزْماتِ السنينـ بأعلٍ جوابرَ للأحوال تُسـمَّى جوارحا

أنامل من يُسرٍ اذا ما أدارها على مغلَقاتِ الرزق كنَّ مَفاتحا



أقام على وجه الطـريق بوجهـه مجيرَ النهـار عاقرَ الليـل ذابحا

بحيث السـماح لا يخيِّبُ سائلا وحدُّ الصفاح لا يخيِّبن صائحا

اذا عجـزتْ يوما مواعظُ صفحه عن الأمر ولَّاه القنـا والصفائحا[2]

ويأبى فيأتى مَشـرعَ[3] الدمِ واردا حريصا ويأتى مشرعَ المـاء قامحا[4]

يصيب بأطراف العـوالى مُحاربا عِداه، وأطـرافِ الكلام مُصالحا

اذا هزَّ رمحا طاعنا خِيـلَ كاتبـا سَدادا، وطِرسًا كاتبـا خِيلَ رامحا[5]

أقـول لأيّامى وهنـ عواثر بحظّى: لَعًا، قد أدرك الذنبُ صالحا

اذا "الصاحبَ" آستبقيته لى ورهطَهُ فمُرّى بقـومٍ طائراتٍ طوائحا

أذمّوا على الآمال لى وتعاقـدوا على رَقْع خَلّاتى أكفًّا نواصحا

غَبرتُ زمانا أمنع النـاسَ مِقـوَدى حَرونا الى غير المطـامع طامحا

أَعِزُّ فلا ألقَ آبنَ مالٍ مؤمِّـلا لمـالٍ ولا يلقـانِىَ الدهرَ مادحا

مع النـاس حُرًّا خاطرى، غير أنهم بأخلاقهـم يستعبدون القرائحا

وما كنتُ فى طرد الخطوب بُيمنهـم بأوّلِ داجٍ يستضىء المصابحا

بك آعتدلتْ حُوشيّةٌ من تصعّبى وراخيتَ من أنسى فأصبحَ سارحا

صحِبتُك لم يَمسخ عِذارى ســوادَه وها أنا قد غطّى ســوادى المسائحا[6]

(١) يريد خطفهم الأبصار بضوئهم . (٢) الصفائح جمع صفيحة وهى السيف العريض . (٣) المشرع : المورد . (٤) القامح الذى يرفع رأسه عن الماء كرها له وقد تقدّم . (٥) الرامح : ذو الرمح . (٦) المسائح جمع مسيحة وهى شعر جانبى الرأس .

وسدّيتَ[1] عندى نعمةً ليس ناهضا ... ثنائى بها ما لم أجدك مُسامحا
فكن سامعا فى كلّ نادى مسرّةٍ ... شواردَ فى الدنيا ولسن بوارحا
حواملَ أعباءِ الثناء خفائفا ... صعِدن المضابَ أو هبَطن الأباطحا
يَرى المفصِحُ المفتونُ عُجْبا بشِعرِه ... لها ناقصا ما سَرّه منه رازحا
اذا قمتُ أتلوها اقشعرَّ كأننى ... تلوتُ مَزاميرا بها ومَسابحا
تزورك ، لا زالت تزور بشائرا ... يسوق التهانى وفدُها والمَفارحا
يضُمُّ الزمانُ شملَ عزِّك نظمَها ... ويطرحُ مَن عادَى علاك المَطارحا

* * *

وقال وكتب بها الى الأستاذ الرئيس أبى منصور بن ماسرجيس يهنّئه بالمهرجان الواقع فى سنة إحدى عشرة وأربعمائة ، ويعتذر له ويعرِّض بذكر قومٍ يحسدونه على الشعر ويغتابونه

أيا ليلَ "جوٍّ" مَنْ بشيرُك بالصبحِ؟ ... وهل مِن مَقيلٍ بعدُ فى ظُلَل الطَّلحِ؟[1]
وماؤكم استشفيتُ "زمزمَ" بعده ... فما بَرَدَتْ لُوحى[2] ولا رفَدتْ جُرحى
سَرقتُ على سؤرِ[3] البخيلة نهلةً ... بها لم أكن أدرى أنُسكرأم تُصحى؟
قضت ساعةً "بالجوّ" أن ليس عائدا ... بها الدهرُ فى يومٍ بخيلٍ ولا سَمحِ
فما لكَ منها غيرُ لفتةِ ذاكرٍ ... اذا قلتُ : بَلّتْ ، أوقدتْ لوعةَ البَرْحِ[4]
أيا صاحِ ، — والماشى بخير موفَّقٌ — ... ترنَّمْ "بلَيلَى" إن مررتَ على "السفحِ"
وقامِرْ بعينِى فى الخليط مخاطرا ... عست نظرةٌ منها يفوز بها قِدحى
وسلْ ظبيةَ الوادى : أأنتِ أم التى ... حكتكِ على قلبى بلحظتها تَنحى؟

---

(١) سدّيت بمعنى أسديت . ● (١) الطلح : شجر عظام من العضاه واحدتها طلحة .
(٢) اللُّوح : العطش . (٣) السؤر : الحوض . (٤) البرح : شدة الأذى والمشقة .

رَمتْ بجَنَت وآستصفحتْ ،هي عامدٌ ... ألا أين جُرم العامدين من الصفح!

وليـــلٍ لبســناه بقـــربك ناعمٍ ... بطائنَ ما بين القـلائد والوُشح (١)

ويُضحى ويُمسى ضوءُ وجهك بيننا ... سراجا، وضوءُ البدر يُمسى ولا يُضحى

ولمـا آســـتوى قسمُ الملاحةِ فيكما ... تكلّمتِ حتى بان فضلُك بالمِلْح (٢)

تذمُّ آطراحى وُدَّ قــومٍ ومدحَهم ... وما مسَّها حملى الهـــوانَ ولا طرحى

تعاوت على سَرح القريض تقصُّـــهُ ... ذئابٌ لها من عجزها نَقَـــدُ (٣) السَّرح

تَجانَفُ عن حُلوِ الكلام وصفوِه ... اذا ولِعت جهــلا وتكرعُ فى المِلح (٤)

اذا كان للتقبيل والشمّ أصبحت ... تماضغه ما بين أنيابهـا القُلْح (٥)

ترى كلَّ علج (٦) يحسبُ المجــدَ جَفنةً (٧) ... تُراوَحُ أو قَعْبـا (٨) يخمَّـــرُ للصَّبح

اذا رشَحت من بَهْـــره (٩) وآنتفاخه ... أياطـــلُه (١٠) ظنَّ الفصاحةَ فى الرشح

اذا معجزاتُ الشـــعر عارضن فهمَه ... حَلبنَ بكيئا (١١) لا تدرُّ على المسح

لكـلِّ غريبٍ نادرٍ فى فـــؤاده ... وأحقادِه فعــلُ النكاية فى القَـــرْح

اذا الغيظُ أو جهــلُ الفضـــيلة عاقه ... عن المـــدح فى شىء تجمّـــلَ بالقَدح

وكم دون حُرّ القولِ من جنح ليلةٍ ... اذا أظلمتْ لم يورِ فيها سوى قَدحى

وقافيــــةٍ باتت تحــارب ربَّهــا ... فنازلتُهـا شيئا فألقت يدَ الصـــلح

وصلتُ اليهـا والأنابيبُ حولهـا ... تَكسَّرُ لمّـا كنتُ عاليـةَ الرمح

اذا شئتَ أن تبلو آمرأ أين فضــلُهُ ... من النقصِ فاسمع منه إطرائ أوجَرحى

(٨١)

(١) الوشح جمع وشاح وهو معروف . (٢) الملح : الحُسن . (٣) النَّقَد : صغار الغنم .
(٤) الملح غير العذب . (٥) القُلح : جمع قلحاء وهى السنّ التى يعلوها صفرة أو خضرة .
(٦) العلج : الرجل الضخم من كفّار العجم . (٧) الجفنة : أوسع القصاع . (٨) القعب : القدح الضخم ، والصبح : شرب الصبوح . (٩) البهر : انقطاع النَّفَس من الإعياء . (١٠) الأياطل جمع أيطل وهو الخاصرة . (١١) البكىء : الناقة أو الشاة التى قلّ لبنها .

وكم ملكٍ لو قد سمحتُ أريتُه ... بوجهِ قريضى طلعـةَ النصر والفتح

اذا ما ترامت عالياتُ المنى به ... بعيـدا تمنّى موضعَ النجم أو مدحى

وخِلٍّ أتى من جانب اللين عاطفا ... فياسره عُودى ولانَ له كَشحى

وفـرتُ له قِسما كفاه وزادَه ... فمالَ به الإسفافُ فى طلب الرِّبح

وساومَ غيرى المدحَ يُرخص عِرضَهُ ... فلم يُغننى بخلى عليـه ولا شُحّى

فأصبحتُ كالبيضاء ضرّت فغاظها ... بسـوداءَ والعجزاءِ غارت من الرُّسْحِ[1]

ولكنّ "ماسرجيسَ" من لا تردُّه ... عن الجِدِّ حنّاتُ الطباعِ الى المزح

ولا تُقتضَى ممطولةُ الحقّ عنـده ... ولا يُكسَبُ الإنصاف بالكدّ والكدح

اذا نال بيضـاتِ الأنوقِ ميسّرا ... له وَكرُها لم تَسبِه بَيضةُ الأُدحى

كريمُ الوفاء أملسُ العـرض طاهرٌ ... اذا دَنَسُ الأعراضِ عـوجلَ بالرَّضح[2]

تضيقُ صـدورٌ بالخطوب وصـدرُه ... الى فُرُجاتٍ من خلائقـه فُسْحِ

يُشير بصغرى قِرلتيه فيكتفى ... بها، وذُبابُ[3] السيف يَقطعُ بالنفح[4]

غزيرٌ اذا استملى البـلاغةَ فكرُه ... سقى بقليبٍ لا يغـورُ بالنزح

تدبّرَ من بيت الوزارة باحةً ... له السبق فيها، والجِـذاعَ من القُرْح

اذا زلِقتْ يوما بأقـدامِ معشرٍ ... فمالت مشى فيها قويما على الصَّرح

أُخذتم بأحقادٍ قـديمٍ وَقُـودُها ... عليكم ونارُ الضِّغن تُحرِق باللفح

وغاظت[5] علاكم حاسـديكم فنفّرتْ ... فُتـوقَ كُبودٍ لا تُعالَجُ بالنَّضح

وجوهٌ اليكم ضاحكاتٌ وتحتهـا ... دخائلُ نيّاتٍ معبّسةٍ كُلْح

ودِدتُكَ لم أذخر هـواكَ نصيحةً ... أروح بهـا ملءَ الفـؤادِ كما أُضحى

(١) الرسح جمع رسحاء وهى القليلة لحم العجز . (٢) الرضح : القليل من العطيّة . (٣) ذباب السيف : طرفه . (٤) النفح : الضرب الخفيف . (٥) فى الأصل "وغاضت" .

حببُتَكَ من سَلمى وأغدو بشفرةٍ … على عُنُقِ مَن أبغضتُ مِن منطقِ أُنحى
وكم من فتاةٍ قد منحتُك رقَّها … على العزِّ لم أمنن عليك بها مَنحى
لها بين يوم المهرجان مواقفٌ … لديك وبين الصوم عندك والفِصْح
اذا آختمرتْ أخرى حياءً من القُبح … أدلّت بحسنٍ فهى تبرُزُ سافرا
اذا المنشدُ الراوى بها قام خِلتَه … يناوبُ ترجيعَ الحمامة بالسَّجح[1]
وإن أبطأتْ عاما عليك سماؤها … فعندك سَلْفٌ من مَرازمِها[2] الدُّلْح[3]
ولا ذنبَ لى إن أعقمتنى عوائقٌ … من الدهر يوما أن يُقصِّر بى لَقحى

* * *

وقال وكتب بها الى ربيب النعمة أبى المعمّر بن الموفّق على بن إسماعيل فى النيروز الواقع فى سنة أربع عشرة وأربعمائة

مَن عَذيرى يومَ شرقىّ الحِمى … من هوًى جدَّ بقلبٍ مَزَحا ؟
نظرةٌ عادت فعادت حسرةً … قتلَ الرامى بها مَن جَرَحا
قلن ــ يستطردن بى عينَ "النقا" ــ : … رجلٌ جُنَّ وقد كان صحا
لا تعدْ ــ إن عُدتَ حيًّا بعدها ــ … طارحا عينيك فينا مَطرَحا
قد تذوّقتُ الهوى من قبلها … وأرى مُعذِبَهُ قد أملحا
سل طريق العيس من "وادى الغضا" … كيف أغسقتَ[4] لنا رَأْدَ الضحى ؟
ألشيءٍ غير ما جيراننا … نفضوا "نجدا" وحلّوا "الأبطحا" ؟
يا نسيم الصبح من "كاظمةٍ" … شدّ ما هِجت الجوى والبُرَحا[5]
الصَّبا ــ إن كان لا بدّ الصَّبا ــ … إنها كانت لقلبى أرْوَحا

(١) السجح : السجع . (٢) مرازم جمع مُرزِمة وهى السحابة الشديدة صوت الرعد . (٣) الدلح جمع دالح وهو : السحاب الكثير الماء . (٤) "أغسقت : اشتدت ظلمتك و فى الأصل "أعسفت" . (٥) البُرَحاء : شدة الأذى والمشقة ومنه "برحاء الشوق" .



يا نداماى "بسلْع" هل أرى	ذلك المَغْبقَ والمصطَبَحا ؟
أذكرونا ذكرَنا عهدكُمُ (١)	ربَّ ذكرَى قرَّبتْ مَن نَزَحا
وآذكروا صبًّا اذا غنَّى بكم	شرِبَ الدمعَ وعاف القَدَحا
رجَع العاذلُ عنى آيسا	من فؤادى فيكُمُ أن يُفلِحا
لو درَى — لا حَمَلتْ ناجيةٌ	رحلَهُ — فيمن لحانى ما لَحَا
قد شربتُ الصبرَ عنكم مُكرَها	وتبعتُ السقم فيكم مُسمِحا
وعرفتُ الهمَّ من بعدكُمُ	فكأنّى ما عرفتُ الفرحا
ما لسارى اللهوِ فى ليل الصِّبا	ضَلَّ فى بجرٍ برأسى وضَحَا ؟
ما سمعنا بالسُّرى مِن قبله	بابن ليلٍ ساءه أن يُصبِحا
طارقٌ زارَ وما أنذرنا	مُرغِيا بَكرا ولا مُستنبِحا
صَوَّحتْ ريحانةُ العيشِ به	فَمَن الراعى نباتا صَوَّحا (٢)
أنكرتْ تبديلَ أحوالى، ومَن	صحِب الدنيا على ما آقترَحا ؟
شدَّ ما مَنَّى غرورا نفسَه	تاجرُ الآدابِ فى أن يربَحا
أبدا تُبصِرُ حظًّا ناقصا	حيثما تُبصِرُ فضلا رجَحا
والمنَى والظنُّ بابٌ أبدا	تُغلَق الأيدى اذا ما فُتِحا
قد خَبَرتُ الناسَ خُبرِى شِيَمِى	بخلاء وتسمَّوا سُمَحا
وتولَّجتُ على أخلاقهم	داخلا بين عَصاها واللِّحا
وبعثتُ الماءَ من صُمّ الصَّفا	قبلَ أن أبعثَ ظنًّا مُنجِحا
يشتهون المالَ أن يبقَى لهم	فلماذا يشتهون المِدَحا ؟

(١) هكذا بالأصل والرواية المشهورة * أُذكرونا مثل ذكرانا لكم * (٢) صَوَّحَ النبتُ كتصوّح : يبِس .

يُفصِح اللحّانُ بالجــودِ وهُمْ ... فرطَ بخــلٍ يُعجمون الفُصَحا
جَرَّتِ الحسنى غلاما ماجــدا ... لم يطِع فى الجــود إلا النُّصَّــحا
طَوَّلوا فى حَلبــةِ المجــدِ له ... فمضى يَتبــعُ رأسا جَمَحا
مُنتجبًا من "آل إسماعيل" لم ... يَروِ فى الأخــلاقِ إلا المُلَحا
كيفما طارتْ عِيافاتُ النــدَى ... حَوْلَه طِرنَ يمينا سُنُحا
لا يبـالى أىَّ زندٍ أَصــلدتْ ... مَن أتى راحتَــه مقتــدِحا
كلّمـا ضاقت يــدُ الغيثِ بمـا ... ملَكتْ جاودها مُنفَــسِحا
لربيب النعمــةِ آجتابَ الدجَى ... خابطٌ يُنضِى قِــلاصا طُلَّحا
حَمَّــلَ الهمَّ وقــد أثقــلَه ... جَــلْدَةَ العظمِ أُمُــونا[(١)] سُرُحا[(٢)]
تُوسِعُ البيـــداءَ ظهــرا خاشعا ... فى يدِ السـير ورأسا مَرِحا
لا تبـالى ما قضت حاجتَهـا ... ما دَمِى من خُفِّها أو قَرِحا
حَمَلَتْ أوعيــةَ الشــكرِ له ... وآنثنت تحمِــلُ منــه المِنَحا
أحرز الفضــلَ طريفـا تالدا ... والمعــالى خاتِمـا مُفتتِــحا
وجرى يقتصُّ مِن آياته ... أثَرَ المجــدِ طــريقا وَضَحـا
نسبٌ كيف ترامت نحــوه ... أعينُ الفخر أصابت مَسرحا
أملسُ الصفحةِ لم تعــلَق به ... غمــزةٌ من قادحٍ ما قــدَحا
عَــوَّد البــدرَ وقــد قابله ... غُرّةً بات بهـا مسـتصبِحا
ورآه البحــرُ أوفَى جمَّــةً ... منــه بالنـائل لمّــا طفَحا
وتسامت أعينُ الشِّــعر الى ... أن يكونَ السـامعَ الممتــدَحا
لم تجِــد أبكارُهُ أو عُــونُهُ ... عنك فى خُطَّابهـا مُمتَــدَحا

(١) الأمون : الناقة القوية . (٢) السرح : السريعة المشى السهلة السير .

غير حُرّاتٍ أراها مُهمَلا ... حقُّها(١) عندكُمُ مُطَّرَحا
كم ترى أن يصبِر الشعرُ على ... أن تُهينوا مثلَها أو يَصفَحا ؟
أنتم آستنزلتُمُ عنها يدى ... بعد ما عزّ بها أن أسمَحا
ورغبتم فى علا أنسابها ... وكرامٍ من ذويها صُلَحا
وأرى مطلكُمُ فى مهرها ... دام، والمهرُ على مَن نكَحا
وثِقَ الشعرُ بكم وآتصلتْ ... غفلةٌ تُخجِلُه فافتضَحا
فآعذروه إن أتى مُقتضِيا ... فلقد أنظرَكم ما صَلَحا
ومضى حَولٌ على حَولٍ ولم ... يُنتِج الوعدِ الذى قد أُلقِحا
أذكروه مثلَ ما يذكركم ... مُحسِنا وآستقبِحوا ما آستَقبَحا
وآعلموا أنّ قَلِيبَ الشكرِ إن ... هو لم يُمدَدْ برِفدٍ نَزَحا
وآصحبوا أيّامَكم وآستخدموا ... فى المعالى هُجْنَهَا والصُّرَحا
بين نيروزٍ وعيدٍ أمسيا ... رائدَىْ إقبالكم أو اصبحا
تَكمَهُ(٢) الأحداثُ عنكم إن رأى ... طرفُها غيرَكُمُ أو لمحَا



* * *

وقال وكتب بها الى أبى القاسم بن ماكولا، وقد آجتمع معه ببغداد فأنس به، ثم شخص الى البطيحة(٣) متقلدا إيّاها يتشوّقه ويمدحه ويصف السفينة

مَن الغادى تَحُطُّ به وتعلو ... نجائبُ من أزمّتِها الرياحُ ؟
جوافلُ، تحسَبُ الظِّلمانُ(٤) منها ... أضاء لوجهِ قانصِها الصَّباحُ

---

(١) فى الأصل "حقا" وهو تحريف. (٢) تكمه: تعمى. (٣) البطيحة: أرض واسعة بين واسط والبصرة. (٤) الظلمان جمع ظليم وهو الذكر من النعام.

فـــرّتْ كـلُّ شائلةٍ[1] زَفوفٍ[2] · لها من غيرها اليـــدُ والجَناحُ
مُلملَمـــةٍ لها ظَهــرٌ مصونٌ · وبطنٌ تحت راكبها مُتَاحُ
ترى ســوطَ الشَّمال يَشُلّ[3] منهـا · طـــرائدَ لا يُكَفُّ لهـا جِماحُ
تُراوح رِجلُ سائقهـا يديه · ولا التعريس منـــه ولا البَراحُ
تعبُّ المـاءَ بين قذٍ وصافٍ · اذا ما عافت الإبلُ القِماحُ
لعلّك ترتمى بك أو سيقضى · الى المجـــد الغـــدوُّ أو الرواحُ
فصُلْ ــ وخلوتَ من ولهى ووجدى ــ · وقل ــ ولك السلامة والفلاحُ ــ
لمقتدحين فى كبدى ــ وساروا ــ · لـــواعجَ ما لقاطنهـــا بَراح :
أَظنّـــا أنكـــم بتمٍ وأبقَى ؟ · لَبعضُ الظنِّ إثمٌ أو جُنـاحُ
ويَحسَبُ بدرُ "عِجلٍ[4]" أنَّ ليلِي · له من بعـــدِ غيبته صباحُ !
وأنّى بعــده بمُنّى ولحـــظٍ ، · ينازعنى الى جـــذلٍ طِماحُ !
إذن ففركتُ بعلَ المجـدِ منـــه · وبتُّ من العـــلاء ولا نِكاحُ
بمَن ولِمَن أريدُ القلبَ عنكم · ليذهلَ وهو عنـــدكُمُ يُراحُ ؟
ومَن بدلٌ وهل عِوضٌ وظهرى · بكم يَعـــرَى وعزِّى يُستبـاحُ ؟
حَملتُ فراقَكم أو قيلَ : جَـــلْدٌ · وخلفَ حشاى أسنمةٌ طِـــلاحُ
وكيف تغيضُ لى نزواتُ دمعى · وتحت الدمع أجفانٌ قِراحُ !
فهل فيكم على العُـــدَواء[5] آسٍ؟ · فإنّ البينَ فى كبدى جِراحُ
ألا عَطفا عـلى عيشٍ فسادٍ · يكـون له بقربكُمُ صـــلاحُ
وحُرٌّ قيَّـــدَته لكـــم طليقا · من النـــاس المكارمُ والسماحُ

---

(١) الشائلة التى ترفع ذنبها . (٢) الزفوف : السريعة العدو . (٣) يشلّ : يطرد
(٤) عجل : اسم قبيلة . (٥) العدواء : البعد .

وقادته لكم خِلّاً صريحا ... حبائلُ مدَّها المجدُ الصُّراحُ
وأخلاقٌ سقته فأسكرتْهُ ، ... وبعض خلائقِ الكرماءِ راحُ
نَكصتُ وقد أحالَ عليَّ قِرنٌ ... له سيفانِ : شوقٌ وآرتياحُ
كأنَّ دمِي الحرامَ على يديه ... بُعيدَ البينِ مالُكمُ المباحُ
فَمن يكُ في النوى بطلا فإنّي ... أنا المقتولُ والبينُ السلاحُ
فُجعتُ بقربكم والعهدُ طِفلٌ ... وساعةُ وصلنا بِكرٌ رَدَاحُ
وما شبِعت برؤيتكم لحاظٌ ... سواغبُ لى ولا بَرَدَ آلتياحُ
وحتى بعدَ أملسَ لم تَعَلَّقْ ... له بذيول طِيبِ الوصلِ راحُ
فراقٌ سابقَ اللقيا وعطفٌ ... من الأيام زاحمه آطراحُ
ونُهزةُ نهلةٍ لم تَحْلُ حتّى ... تأجّن ماؤها الشبِمُ[1] القَراحُ
كأنَّ الدهرَ قامرني عليها ... معالجةً فخانتنى القِداحُ
لئن قَصُرت مساعيها وضاقت ... ففى الأشواقِ طولٌ وآنفساحُ
فإن كَسرتْ عصا جَلَدِى عصاها ... فما لى برجعتها صِحاحُ
وقد يلد السرورُ على عقامٍ ... ويحيا بعد ما مات المِراحُ
لعلّك — يابنَ أكرمهم يمينا ... وأقدمِهم اذا كُرِهَ الكفاحُ
وأوسعِهم قِرًى وأعمَّ قدرا ... اذا ما الكلبُ أعجزه النُّباحُ —
بقربك أن ستُخبِرُ أو سيُقضَى ... لهذا الخرقِ رقعٌ وآنتصاحُ
فترجعَ لى ليالٍ صالحاتٌ ... بكم فاتت وأيّامٌ مِلاحُ
ويَنبُتُ تحت ظلّكمُ لحالى ... جَناحٌ حَصَّه القدَرُ المتاحُ
عَلِقتكُمُ هوًى ومُنًى فما لى ... على الأيّام غيركمُ آقتراحُ

(١) الشبم القراح : البارد الصافى .

وبعتُ بكم بنى دهرى ودهرى — فعدت وملء حِضْنَىَّ الرياحُ
أقول — وقد تعــرّم[1] جُرح حالى — وسُـــدَّ على مَطالِعِىَ السَّــراحُ[2]
وكاشــفنى وكانــ مجاملا لى — عَبوسُ الوجه من زمـــنى وَقاحُ
وقد مَنعتْ غضارتَهــا وجفّتْ — على أخلاقها الآيدى الشِّحاحُ — :
غدًا يا نفس فآنتظــرى أناســا — هُمُ فَــرَجٌ لصـــدرِك وآنشراحُ
ستطلُعُ من "بنى عيسى" عليكِ الـ — ـأكُفُّ البيضُ والغُرُرُ الصِّــباحُ
ثوَى بغـــنَى ثراك غـــدًا براحٍ — يُطَلُّ بهــا جُــدوبُكِ أو يُراحُ
ولا تَتســغَّبى أســـفا ويأســا — فعنـــد مَغالـــق الأمر آنفتاحُ
سيُنهِضُ ســـقطتى منهــم غلامٌ — عزائمــه الأزمَّـــةُ والصـــفاحُ
كريمٌ جاره حـــرمٌ منيعٌ — عـــلى الأيّام أو حَىٌّ لَقَـاحُ[3]
كأنَّ الفضـــلَ فى ناديه صَونًا — فتـاةُ الحىّ تمنعهــا الـــرماحُ
هو آبتــدأ النــدَى لم أحتســبه — وأورَى لى ولم يكن آقتـــداحُ
ودَرَّتْ راحتــاه ولم تُعصَّبْ — وكم من مُــزنةٍ لا تســتماحُ
وظنّى أنــ سيشفعُها بأخرى — يســابقُ ســعيَه فيهــا النجاحُ
تقُوم بهــا على مَيَــدٍ[4] قنــاتى — وتُلحَمُ من خصاصــتِىَ الجِــراحُ
وتُنتَجُ مـنــ كرائم رأيـــه لى — بجــانبِ جاهـــه فيهــا لِقَاحُ[5]
وعنـــدى فى الجـــزاء مسوَّماتٌ — لهــا بالشكر مَغــدًى أو مَراحُ
حُلَى الأعراضِ تَضحك فى تَريبٍ — لهــا عِقـــدٌ وفى صدرٍ وِشــاحُ
لهــا الغرضان من معنًى دقيــقٍ — تقُـــوم بنصــــره كلِمٌ فِصــاحُ

---

(١) تَزَعَّ ما عليــه من لحم . (٢) السراح : التسريح . (٣) لقاح : لا يدينون للملوك ولم يصبهم فى الجاهلية سباءٌ . (٤) الميد : الميل . (٥) اللقاح : الإبل واحدتها "لَقُوح" .

أبوها "فارسٌ" وكأنّ قومي ... بها "عدنانُ" أو دارى "البِطاحُ"

وأفضلُ ما جَزَيت أخًا بودٍّ ... وإحسانٍ ثناءٌ وآمتداحُ

* * *

وقال وكتب بها الى المهذّب أبي منصور بن المزرّع يمتدحه ويهنّئه بإملاكه[1] وإعراسه[2]، ذهابا مع مودّة واحدةٍ بينهما، ترتفع مع حقوقها المنافسة وتجب المساعفةُ، وكان قد قدِم من سفرةٍ طويلة

قُلْ للزمان: صُلْحا ... قد عاد ليلِي صُبحا

جادَ فزار قمرٌ ... كان النوى وشَحَا

يلبَس جِنحا من دجى الـ ... ـليل وينضو جِنحا

فَردَّ ريحًا ناشقا ... "كاظمةً والسَّفحا"

كأنّ فأرَ[3] تاجرٍ ... أنحَى عليها ذبحا

يبعثُ منها بُرْدُه ... مع النسيم نَفحا

غلَّس شوقا وأصا ... ب فُرصةً فأضحَى

طال به الليلُ نعيـ ... ـما والنهارُ سَبْحا

يا لَسَقامِ آملٍ ... بَرِا[4] به وصَحَّا

ورشفةٍ كانت على ... نارِ حشاى نَضْحا

رشَّ الغليلَ بَرْدُها ... وبلَّ ذاك البَرْحا

كانت سِبارَ[5] كبدى ... وكان شوقِي جُرحا

سل ظبيةَ الوادى تَدُ ... سُّ بانَهُ والطَّلحا،

---

(١) الإملاك: التزوج. (٢) بالأصل "تعريسه" وهو تحريف، والإعراس بناء المرء على أهله وهو الذى يريده الشاعر كما تدل على ذلك أبيات القصيدة. (٣) الفأر: نافجة المسك وقد تقدّم. (٤) يريد "برأ" وقد سُهِّلت همزتها، وفى الأصل "برأيه". (٥) السبار: ما يسبر به الجرح.

لهـا "بنعمانَ" طَلًا[(١)] تَـاوِى عليـه الكَشْحا :

أأنتِ أم "ظمياءُ" زُر ت لاغبين طُلْحا ؟

تَوسَّـدوا مَنـاسمـا ورُكُباتٍ قُـرْحا

أم جئتِنـا بسِـحرِها تلفّتـا ولحَـا ؟

قاربتِهـا مـلاحة وفَضَحتْكِ مِـلْحا

يا آبنـةَ أمّ البـدريا[(٢)] أختَ نجـومِ البَطحا

إسـاءةً ومَـللا[(٣)] أزدْ أسًى وصـفحا

لحَـا عليـك حاسـدٌ وحيثُ رُدَّ لحَّـا

حُبُّـكِ حَرْقٌ لا أرى له المـلامَ نَضْـحا

فالعـذلُ غِشٌّ لى ولو مات العـذولُ نُصْـحا

أنكَرتِ آبتسامَ أيّـ امى وكنَّ كُلْحا

وأبصرتْ جِـدّى غدا فكاهـةً ومَـزحا

وما أحسّتْ أنّ ربـ عَ الهـمِّ قـد أمحَّـا[(٤)]

وأعذبَ الشّربُ الذى كانَ الأُجَاجَ المِلْحا

أضحت خُطا البين الـ ىِّ باللقـاء تُمـحَى

وعاد "بالمهـذَّب" الـ دهرُ البخيـلُ سَمْـحا

أهلا — وقد مات الحيا حـتى أمات السَّرحا

وكَشَرتْ دُرْدًا سـنو نَ أربَـعُ وقُلْـحا

وعاد ضرعُ النـاب[(٥)] من تحت العصابِ قَرْحا[(٦)] —

---

(١) الطلا : ولد الظبى . (٢) فى الأصل "الغدر" . (٣) يريد "زيدى إساءة ومللا" .

(٤) أمحّ : عفا . (٥) الناب : الناقة المسنّة . (٦) القرح : الجرب الشديد .

بغــرَّةٍ تزيــدُ فى	ليــلِ الجـدوب قَدْحا
وبِيَــدٍ يُعــدى ندا	ها الحَجِــزينَ الرَّشحا (١)
إن قَطَــرَتْ فوابــلا	أو هَطَلَتْ فســـحَّا
ميمــونةٍ ما مســحَتْ	بساطَ أرضٍ مَســحا ،
إلّا كستْ غــدائرا	هـامَ رباهـا الجُلْحا (٢)
لا تعجبوا إن أصفرتْ	ومُــوِّلَ الأشِـــحَّا
هـل يَسـمنُ العُود يُشَـظَّى (٣)	أبــدا ويُلْــحَى (٤)
لو أنهــا بحــرٌ لأفْــنَتْهــا الحقــوقُ نَزْحا	
ومرحبًـا بهـنَّ أخـلاقا	رِطـابا سُمْــحا (٥)
اذا الســجايا فَــتَرتْ	عدنَ نشاوى مرْحا
أبلجُ زكّاه النــدَى	فمـا يخـاف جَــرْحا
جهِــدتَ يا عائبَــهُ	فهـل وجــدتَ قَدْحا ؟
تنــحَّ عن مكـانه	من العـلا! تنحَّـا
يا بن "علىٍّ" فُتُّم الـأشــراطَ جُذْعا قُــرْحا	
عــلوتم النـاسَ ترا	با والنجــومَ سَــطحا
لم تدَّعــوا رِبابــةً	للمجــد تحــوى قَدْحا ،
إلا لكـم فــورتُهـا (٦)	منحا بهـا وســنحا
طينــةُ بيتٍ أرضُــه	فــوق السماء تُــدحَى

(١) الحزين : جمع لحَز وهو البخيل . (٢) الجلح جمع جلحاء وهى التى انحسر شـعر رأسها
(٣) يشظّى : يشقّق . (٤) يُلحىْ : يُقشر . (٥) سمحا : كريمة . (٦) الفوره : سَراة الجبل ومتنه وهو هنا مجاز .

ودوحـــةٌ أفـــرط فيـ ـها من أطال السَّـــرحا[1]
بِثُمُــرِكم[2] حامـــلةٌ ولم تُهجَّنْ لَقَــحا
جُمـــلةُ مجـــدٍ كنـــتمُ تفصيـلَها والشَّــرحا
كلُّ غـــلامٍ كافـــرٍ[3] تحت اللثامِ الصُّــبحا
يَفــرَعُ من شَـــطاطِهِ[4] قبـــلَ الركوبِ الرُّمحا
يرمى بعينيـــه طُمو حا فى العـــلا وطرحا
كما تَفـــعَّى[5] أرقـــمٌ[6] بالرمـــل يُذكِى اللمحا
اذا أحسَّ نبـــأةً[7] كشَّ[8] لهـــا وفحَّا[9]
علِقتُـكم تحت شنـــو فِ الدهرِ بُلجا[10] قُــرحا[11]
وبعتُ من بعتُ بـكم فعَبَّ بحـرى[12] رِبحا
زوّجتُ آمالى بـكم فـــوَلَدتْ لى النُّجحا
لـــولا هَنَاتٌ كالشّرا رِ يلتمعن لَفـــحا
وغفـــلةٌ تُحـرِق فى وجـــهِ الجمالِ القُبحا
وحاجـــةٌ تحفِـــزنى يُضرَبُ عنهـا صـــفحا
وكم غضبتُ ثم عـــد تُ أستميح الصُّـــلحا
وشـــفَعتْ نفسى لـكم لخال عتـــبي مـــدحا

---

(١) السرح جمع سرحة وهى الشجرة العظيمة ، وفى الأصل "الشرحا" وهو تحريف . (٢) جمع الثَّمَر ثمار وجمع الجمع ثُمُر ككتب وسكّنت الميم للضرورة . (٣) كافر : ساتر وفى الأصل "مكفر" .
(٤) يفرع : يطول و يعــلو، وفى الأصــل " يقرع " ، والشــطاط : حسن القوام واعتــداله .
(٥) تفعّى : تنكّر . (٦) الأرقم : الثعبان . (٧) النبأة : الصوت الخفىّ . (٨) كشّ : صات من جلده لا من فيه . (٩) فحّ : صات من فيه . (١٠) بلجا جمع أبلج وهو المشرق الوجه ذو الكرم والمعروف . (١١) قرحا جمع أقرح وهو الأغر . (١٢) فى الأصل "نحرى" .

يا بدرُ، هذى الشمسُ مهـ ـداةٌ اليــكَ نِكحا
ففـز بهـا وقل لهـا : نصـرا بكـم وفتحا
مَلكتَ "بِلقيسَ"(١) بهـا وما نَقلتَ الصَّـرحا
أقــررتَها عَينـا وأعـ ـينُ الأعادى قَـرْحى
وآجتــلِ نجمـا مشرقا(٢) منهـا وصُـبحا صُبحا
وآذخــرْ ثنـائى لبنيـ ـك كيمياء صَحّا
أنظـم منـه لهُـمُ قـلائدا ووُشحـا
يَخطِــر فيهـا الحَضَـ ـرِىُّ بـدويًّا قُحّا
يتـلون منـه ما تلَو ن خطبـاء فُصْـحا
ما أرقص الأيكَ الحمـا مُ طـربا وسَجحـا
وما جرى الصـومُ وجا ء الفطرُ يحـدو الأضحى

* * *

وقال وكتب بها الى الشريف الأجلّ الذكىّ ذى النباهتين أبى على عمر بن محمد السَّابُسِىّ، وقد كاتبـه دفعات آبتدائيا، وكتب يخطب فيها وده ويمدحه، ويسأله نسج الحال والمودّة بينه، وأنفذها الى الكوفة فى رجب سنة تسع عشرة وأربعمائة

سَلْ فى الغضا ــ وصَبا الأصائلِ تنفحُ ــ : هل ريحُ "طيبةَ" فى الذى يُستروَحُ ؟
وهل النوى ــ وقضاؤها متردِّدٌ ــ تركتْ "برامةَ" بانةً تــترنَّحُ ؟
أم شقَّ ليلَ "الغورِ" عن أقمـارِهِ بعـدى يدٌ تمطو(٣) وطرف يطمحُ ؟

(١) بلقيس : اسم الملكة التى تزوجها سـيدنا سليمان عليه السلام وسيرة نقل عرشها جاء بها القرآن الكريم فى سورة النمل . (٢) هذه الكلمة ليست بالأصل وقد رجحناها لاتزان الشطر و إتمام معناه .
(٣) تمطو : تمـدُّ .

أهلُ "القباب" — ومن بهم لمصفَّدٍ ... بالبعد أتلع "بالعراق" وأبطحوا —
جعلوا "اللّوى" وعدَ اللقاء فقرّبوا ... ورمتْ "تهامةُ" دونهم فتزحزحوا
ووراءهم "عينُ الغوير" وهامةٌ ... رعناءُ (١) من "أجإٍ" (٢) ورحبٌ صحصح (٣)
وسيالُ (٤) "طيٍّ" فى رءوس صعادِها ... والخيلُ تزبُنُ (٥) فى الحديد وترمحُ
فمن المطالبُ والغريمُ "ببابلٍ" ... والدَّينُ يحجبه "الأراكُ" و"توضِحُ" (٦) ؟



يا موردى "ماءَ النخيل" هناكمُ ... أن تعذبوا وشروبُ "دِجلةَ" تملحُ
هل فى القضيّةِ عندكم من نَهْلةٍ ... تَرْوَى بها هذى القلوبُ اللُّوَّحُ ؟
تَرِدُ الغرائبُ آنساتٍ بينكم ... وأسيركم يَجِدُ الفراتَ فيقمَحُ
لا سكرةُ البلوى "ببابلَ" بعدكم ... تصحو ولا ليلُ البلابلِ يُصبِحُ
كم سهمِ رامٍ عندكم أهدفتُه ... قلبى ولكن تقتلون ويجرحُ
وتمأّحت لى ظبيةٌ "غوريّةٌ" ... سنحتْ وظبيتكم "بنجدٍ" أملحُ
إمّا تدتْ عنكم "بَسيطةُ عامرٍ" ... "فطَرَاةُ شَيبةَ" (٧) بالمَناسم يُرضَحُ (٨)
"والجُرّتان" وزندُ تاجرَ فيهما ... إمّا يَشُبُّ لظًى وإما يَقدحُ
فلكمْ على "الزوراءِ" من متعلّقٍ ... بشكيمتى شعَفا ورأسى يجمحُ
وكريمةِ الأبوينِ أطرُقُ بيتَها ... والليلُ بابن سمائه متوضّحُ
وعلىّ من ثوبَىْ هواى وعفّتى ... شوقٌ يُبَلُّ وخلوةٌ لا تَقبُحُ
ومحجّبِ الأبوابِ فى رَيْعانه ... أضحت مَغالقُه لشعرى تُفتحُ
تتراحم الآمالُ حولَ بساطه ... عِظَمًا ولى منه المكانُ الأفيحُ

---

(١) رعناء : شاهقة . (٢) أجأ : اسم جبل . (٣) الصحصح : ما استوى من الأرض .
(٤) السيال : شجر ذو شوك ، والصعاد جمع صعدة وهى القناة . (٥) تزبن : تدفع . (٦) توضح وما قبلها أسماء مواضع . (٧) طراة شيبة : اسم جبل . (٨) يقال : رضح الحصى : كسره

رفضَ الكلامَ الوغــدَ يعلم أنه يُهجَى — سوى فِقَري — بما هو يُمدَحُ
ومشى يجُــرُّ قــلائدى متخايِلا فيهـا يُقــلَّد دُرَّهـا ويُوشَّحُ
وعلى "السَّدير" و"حيرة النعمان"[1] لى من خاطبٍ لو أنّ ودّى يُنكَحُ
وفتًى ، ذؤابةُ "هاشــم" آباؤه دينًا و بيتاه "مِنًى" و"الأبطحُ"
رضَــعَ النبوّةَ وآرتبَى فى حجرهـا جَذَعا على طول الإمامة يَقْــرَحُ
ورمَى بطَرفيْــه السماءَ فلم يفت طَرفيْه من فَلَك "المجرّة" مَطرَحُ
"عَمرُو العُلا" أدّته عن "عَمرِو العلا" أمٌّ متممــةٌ وفحــلٌ مُلقِــحُ
شرفٌ الى "الزّهراء" مَسرَى عرقِه وعلى "الوصىّ" فروعُــه تترشّحُ
تتهـابطُ الأمـــلاكُ بيْن بيوته وتطــير وهى بهَــدْيه تَستنجِحُ
يا راكــبَ الوجناءِ، ينقل رحلَهُ عنــقٌ لهـا ذُلُلٌ وذيلٌ مِلوحُ[2]
تمضى عزوفا لا تُعَــرّج ببوّها يُلقى السقائط[3] بالفــلاةِ و يَطــرَحُ
و إذا أراهـا الخِمسُ ماءَ عشــيّة عدَّته قانعــةً لآخرَ يُصــبِحُ
بلِّغ كأنك مُفصحا "غيلانُ" وآن ـتفض الطريقَ كأن عنسك "صيدحُ"
"الكوفة البيضاءَ" : أنَّ "بجوّها" قمـرا تُغــاظ به البــدورُ وتُفضَحُ
عَرِّجْ وقُل "لأبى علىٍّ" ما لنـا أذُنيْــهِ : حيّتك الغــوادى الرُّوّحُ
وسقتك كفُّك فهى أغزرُ ديمــةً ما قَلَّصتْ عنــك السحابُ الدُّلَّحُ
وآزداد مجــدُك بَسطةً و إنارةً وعلوَّ جَدّك والجــدودُ تُطــوَّحُ
فتَّ الصــفاتِ فلجاجَ المثنى بمـا تولِى وأعجــمَ فى علاك المفصِحُ
فالبــدرُ تمٌّ وأنت أكملُ صــورةً والبحرُ عمٌ وأنت منــه أسمَــحُ

(١) بالأصل "جيرة" . (٢) ملوح : كثير الإلاحة . (٣) السقائط جمع سُقاطة وهي ما سقط من الشيء .

والخادرُ[١] الحامِي حِمى أشبالِهِ ... لك عن وليجةِ غابِه يتزحزحُ
تركتْ سيادتَها العشيرةُ رغبـةً ... لك فى اقتبالك وهى بُزْلٌ قُـرَّحُ
ورأتْ زئيرَك دونهـا فتأخرت ... وثعالبُ الأعداءِ فيهـا تضْـبَحُ
جمّعتَ أُلفـةَ عزّها ، وعَزيبُهـا ... بقنا العـدا طردا يُشَـلُّ ويُسرحُ
وشفَتْ سيوفُك من بنى أعمامهـا ... داءً تَضيقُ به الصـدورُ وتَبرحُ
دَينٌ شكوت الى الحسامِ مِطـالَهُ ... فقضاه، والسيفُ المشاوَرُ أنصحُ
دِمَنٌ على القُـربى تزيدُ عداوةً ... لخروقُهـا ما بينكم لا تُنْصَـحُ
حسدوا تقـدُّمَ فضلكم لحقودُهم ... لا تنطفِى وفسادُهـم لا يَصلحُ
زحموك أمسِ فعاركوا ملمومةً ... صمّـاءَ يُوقِصُ[٢] ركنُها مَن ينطحُ
فسقيتهم كأسا مُجاجتُها الردى ... شربوا على كرهٍ لهـا ما يُجـدَحُ[٣]
يا جامعَ الحسنـاتِ وهى بدائدٌ ... ومُرِبَ روضِ الفضل وهو مُصوِّحُ
كفٌّ تخفُّ مع الرياح سماحـةً ... ومهابةٌ تزن الجبـالَ وترجَحُ
قد جاءت الغـرر الغرائبُ طُلَّعا ... كالشهب تَثقُبُ فى الدجى وتلوِّحُ
ثمَرٌ بغرسِك قد حلتْ مَجْنـاتُهُ ... ونتائجٌ من بحـر فكرك تُلْقَحُ
فنطقن والأشعار خُرْسٌ عنـدنا ... ونجون سبقا والقـوافى طُلَّحُ
فكأنّ روضَ الحَزْنِ تنشره الصَّبا ... ما ظَلْتُ من قرطاسها أتصفّحُ
فسوادُها من ناظـرى ما يّمحى ... وسَـدادُها من خاطرى ما يَبرحُ
ألّفتُهـا من جوهرٍ فى النفس لا ... يَفنَى ومعدنِ فكرةٍ لا يُنْزَحُ
نظمتْ لِىَ الحُسنَ المبرِّز والهـدَى ... فكأنى بنشـيدهنّ أسبّحُ
وأمَا وذَرعِك فى العـلاء فإنه ... قَسَمٌ لبـاعِ الصـدقِ فيـه مَسرَحُ ،



(١) الخادر : الأسد . (٢) يوقص : يقال أوقص عنقه أى دقها . (٣) يجدح : يخلط .

ما خلتُ صدقَ القول شخصا ماثلا يُهدَى وأن الرفد سِحرٌ يُمنحُ
جاريتُها متحذِّرا من سبقها والبرقُ يكبو عن مداى ويُكبحُ
ومتى أقوم مكافئا بجزائها ونداك مفترَعٌ بها مستفتَحُ
كرمٌ تطلّع من شريف خلائق أصفَى من المزن العِذابِ وأسجحُ
لم أرمِه بسهام تقديرٍ ولم أطرح له الآمالَ فيما أطرحُ
فلترضينَّك — إن قبلتَ — معوضةً مما أصونُ "بحائلٍ" تتنفَّحُ
سيّارةٌ فى الخافقين فذكرُها ذِكرُ الغمائم بالكرِ متروِّحُ
تجزى الرجالَ بصدقهم فصديقُها فى غِبطةٍ وعدوُّها لا يفرحُ
مجنوبةٌ لك لا تزال جِباهُهَا أبدا على السَّبق المبرِّح تُمسَحُ
فامددْ لها رسَنَ الرجاء فإنها بالودِّ تُشْكَمُ[1] والكرامةِ تُشبحُ[2]
مهما تُعرِّضُ للرجالِ بدِينِها فمديحُها لك بالغلوّ يُصرِّحُ

* * *

وقال وكتب بها الى زعيم الملك أبى الحسن بن عبد الرحيم يهنّئه بالمهرجان ويشكر مراعاته

أتكتُمُ يومَ "بانةَ" أم تبوحُ ؟ وأجدرُ لو تبوحُ فتستريحُ !
حملتَ البينَ جَلْدا والمطايا بَوازِلُها بما حَمَلَتْ طُلوحُ
وقمتَ وموقفُ التوديع قلبٌ يطير به الجوى وحشًا تَطيحُ
تَلاوذُ[3] حيثُ لا كبدٌ تلظَّى بَعتبةٍ ولا جفنٌ قريحُ
فهل لك غير هذا القلبِ تحيا به أو غير هذى الروح روحُ ؟
لعمرُ أبى النوى لو كانَ موتا جَنَتْ لك فهو موتٌ لا يريحُ

(١) تشكم : يُسَدُّ فوها بالشكيمة . (٢) تشبح : تُقيَّد . (٣) تلاوذ : تلوذ .

يفـارِقُ عاشــقٌ ويمـوتُ حىٌّ … وخيرُهمـا الذى ضَمِنَ الضريحُ
وقال العاذلون : البعدُ مُسْلٍ … فما لجواك ضاعفــه النزوحُ !
وفى الأظعانِ طالعــةٌ " أُشَيًّا " … أبو لونين مَنّاعٌ منــوحُ
ســلافةُ ريقـه بَسْــلٌ حرامٌ … ووردةُ خـدّه مما يُبيــحُ
اذا كتمتْه خالفــةٌ(١) وخِــدرٌ … وشَى بمكانه المســكُ النضيحُ
أسارقه مُسارَقةً ودون الـ … خلاطِ به الأسِــنّةُ والصفيحُ
ولم أرَ صادقَ العينين قبــلى … أضــلَّ فـدلَّه شــمٌّ وريحُ
أيا عجبا يُهَيِّـئُ فى ســلاحى … ــ وقد حطم القنَا ــ طرفٌ طموحُ
ويمنصنى على " إضم " ــ وقدما … قنصتُ أســودَها ــ رشأٌ سَنيحُ
رمَى كبدى وراح وفى يديه … نُضوح دمى، فقيل : هو الجريحُ
وأرســلَ لى مع العُــوّاد طيفا … يُرِى كرما وصاحبُــهُ شحيــحُ
إذا كَرَبَ(٢) الرمىُّ يُبِــلُّ(٣) شيئا … ألمَّ فدمّيَتْ تلك القُــروحُ
فقال : كم القنوطُ وأنت تحيـا … وكم تأتى الغنىَّ وتســتميحُ ؟
شكوتَ، ومَن أرى رجلٌ صحيحٌ ! … فقلتُ له : وهل يشكو الصحيحُ ؟
فما لك يا خيالُ ــ خلاكَ ذمٌّ ــ … أتاحك لى على النأى المتيــحُ !
فكيف وبيننا خيطا " زَرودٍ " … قَرُبتُ عليــكَ، والبلد الفسيحُ !
أعزمٌ من " زعيم الملك " تَسرى … به أم من ندَى يده تَميــحُ ؟
حملتَ اذًا على ملكٍ كــريم … الى رحلى يعـودُ بك " المسيحُ "
وجئتَ بنائلٍ لا البحرُ منــه … بمنتصِــفٍ ولا الغيثُ السَّفوحُ
حَمَى اللهُ ابنَ منجبــةٍ حمانى … وقد شُــلَّت على الراعى السُّروحُ

---

(١) الخالفة : عمود من أعمدة البيت فى مؤخره. (٢) كرب : قرب. (٣) يُبِلّ : يشفى.

(٨٨)

وسـدَّ بجوده خَـلاَّتِ حالى ... وقد ضعفتْ على الخَرْقِ النُّصوحُ
تكفَّلَ من بنى الدنيا بحاجى ... تَتَـوجُّ فى عقائمها لَقـوحُ
تفـرّغ لى وقد شُـغِلَ المُواسى ... وخالصنى وقد غُشَّ الصـريحُ
وقام بنصرِ سـؤُدُده فسارتْ ... مَطالعُـهُ وأنجمُهـم جُنوحُ
حَلَتْ مِدَحِى لقـومٍ لم يَهشّـوا ... وغنّاه فاطـربه المـديحُ
كأنَّ الشعرَ لم يُفصِحْ لحيٍّ ... سواه وكأنهـم لَحَنٌ[1] فصيحُ
جـوادٌ فى تقلُّبِ حالتيـه ... فلا سَـعةٌ تَبِينُ ولا رُزوحُ
اذا قامت له فى الجـود سـوقٌ ... فكلُّ مُتاجرٍ فيها رَبيـحُ
تمرّن فى السيادة منه ماضٍ ... عـلى غُـلَوائه لا يسـتريحُ
جَرَى متـدفقا فى حلبتَيْها ... كما يتـدَفَّق الطِّرفُ السَّـبوحُ
وجمّـع مُلكُ "آل بويه" منه ... على ما شتَّت "الكافى" النصيحُ
يقلِّبُ منـه أنبـوبا ضعيفا ... تَدِينُ[2] له الصـفائحُ والسريحُ
وكانَ الفارسَ القلمىَّ يُبـلى ... بحيث يُعـرِّدُ[3] البطلُ المُشـيحُ
وَرَى بضيائه — والليلُ داجٍ — ... خُفوقَ النورِ ، منبلجٌ وَضـوحُ
أضـلَّ الناسَ فى طرق المعالى ... سبيلًا بين عينيـه يلوحُ
وضمَّ الحبـلَ مُحْلَولًى مَريرًا ... أخو طُعمين منتقمٌ صفوحُ
فيـوم الأمنِ وَرّادٌ شروبٌ ... ويوم الغبنِ عيّـافٌ قَمـوحُ
"أبا حسنٍ" عدوّك من تَرامَى ... به الرَّجوانُ[4] والقـدَرُ الجَموحُ
الى متمـرِّد المهوَى عميـقٍ ... فتطـرحه مَهالِكهُ الطَّـروحُ

---

(١) اللحن : الفطن . (٢) السريح من الخيل : العُرْىُ . (٣) يعرّد : يفرّ ويهرب .
(٤) الرجوان مثنّى رجا وهو ناحية البئر ويقال : "رُمىَ به الرَجَوان" من باب الاستهزاء كأنه رُمىَ به رجوا بئر .

تفـــرّسَ فى الغزالةِ[1] وهو أعشى ... ليقـدَحَ فى محاسنها القَـدوحُ
ينـاطحُ صخـرةً بأجَمَّ[2] خاوٍ ... أيا سَرْعانَ ما حُطِمَ النطيحُ
بحقك ما أبحتك من فؤادى ... مضـايقَ لم ينلهـا مسـتميحُ
أصـارك وهى خافيـةٌ اليهـا ... ودادُك لى ونائلُك السـجيحُ[3]
فإن أخرستَ ريبَ الدهرِ عنّى ... بعونك والنـوائبُ بى تَصيحُ ،
ولم تَبْعَلْكَ[4] بى مـترادفاتٌ ... من الحاجاتِ تغـدو أو تروحُ ،
وغـيرك حامَ آمالى عِطاشا ... عليـه وما يُبَـلُّ لهنّ لُـوحُ[5] ،
تزاورَ جانبا عن وجه فضلى ... فضاع عليـه كَوكَبِيَ الصبيحُ ،
جفانى لا يَعُـدُّ علىَّ ذنبـا ... بأعـذارٍ وليس لهـا وضوحُ ،
أعاتبُـه لأنقـلَه ويعيـا ... بنقلِ "يَلَملَمَ" اليومُ المُـريحُ ،
وكم أغضيتَ إبقـاءً على ما ... أتى وسـترتَ لو خَفِىَ القبيحُ ،
فلا تعـدَمك أنتَ مكـرراتٌ ... على الآفاق تقطُنُ أو تَسيحُ
لهـا أَرَجٌ بنشرك كلّ يومٍ ... على الأعراض ضَوعتُه تفـوحُ
تَصاعَدُ فى الجبـالِ بلا مَراقٍ ... ويَقـذِفُ فى البحار بهـا السَّبوحُ
تمرُّ عليـكَ أيّامُ التهـانى ... ومنهنّ المبـارَكُ والنجيحُ
بجيـدِ المهرجان وكان عُطْلا ... قلائدُ من حلاها أو وُشـوحُ
بشائرُ أنّ عمركَ فى المعـالى ... يَمُـدُّ مُضاعِفا ما عَدَّ "نوحُ"

---

(١) الغزالة : الشمس . (٢) الأجم : الكبش لا قرن له . (٣) السجيح : الغزير .
(٤) يقال : بعل بأمره : بَرِمَ فلم يدر ما يصنع . (٥) اللوح : العطش .

***

وقال وكتب بها الى ناصر الدولة أبى القاسم بن مكرم، وأنفذها الى عمان على يد صاحبه وذلك فى سنة أربع وعشرين وأربعمائة

لمن صاغياتٌ (١) فى الحبالِ طلائحُ ... تسيلُ على "نعمانَ" منها الأباطحُ

تخابط أيديها الطريقَ كأنها ... مَوائرُ فى بحر الفلاة سوابحُ

دجا ليلُها وهى السهام تقامُصا ... فلم ينصرم إلا وهنّ طَرائحُ

كأنّ الوجى (٢) سرٌّ تخاف انتشارَه ... فمنها مُرِمٌّ (٣) بالتشاكى وبائحُ

حَملْنَ شموسا فى الحُدوج غواربا ... وليلُ السُّرى منهنّ أبلجُ واضحُ

ينوء بها أن القدودَ خفائفٌ ... ويُظلِعها أن المتونَ رواجحُ



وفيهنّ منصورُ السهام مسلَّطٌ ... لعينيه أن تَدوَى (٤) القلوبُ الصحائحُ

يطير جُبَارا (٥) ما أراقت لحاظُه ... اذا وُفِّيتْ حكمَ القصاصِ الجرائحُ

رمانى ونسكُ الحجّ بينى وبينه ... ولم يدر أنّ الصيد فى الحجّ قادحُ

طرحْتُ "بجَمْعٍ" نظرةً ساء كسبُها ... وتبعثُ شرًّا للعيون المَطارحُ

فإن سترَتْ تلك الثلاثُ على "مِنًى" ... هواى فيومُ النَّفرِ لا شكّ فاضحُ

بكيتُ ولامَ العاذلاتُ فلم تفِضْ ... على رُقيةِ العذلِ الدموعُ السوافحُ

ولم أرَ مثلَ العينِ تُشفَى بدائها ... ولا كالعذول يُحتوَى وهو ناصحُ

أمنكِ ابنةَ الأعراب طيفٌ تبرّعتْ ... به هَبّةُ التغويرِ والليلُ جانحُ؟

طوى "الرملَ" حتى ضاق بينى وبينه الـ ... ـعناقُ وما بينى وبينكِ فاسحُ

فباتَ على ما ترهبينَ ركوبَه ... هجُوما وفيما تمنعين يسامحُ

---

(١) الصاغيات : المائلات . (٢) الوجى : الحفا . (٣) المرمّ : الساكت .

(٤) تدوَى : تمرض . (٥) جُبارا : هدرا .

رعَى اللهُ قلبـا ما أبرَّ بمن جفا وأثبتَ عهـدًا والعهـودُ طوائحُ
وأوسـعَ ذرعا بالوفاء وصـونِه اذا ضاق ما تُطوَى عليـه الجوانحُ
عذيرىَ من دهرى كأنى أريده على الودّ سَلمـا وهو قِرنٌ مكافحُ
وصحبـةِ خوّانينَ، بائعُهم وإن تكثّر منهـم بالتوحُّـد رابحُ
أخوهم أخـو الذئب الخبيثِ يَدلُّه على الدمِ ما تُملِي عليـه الروائحُ
وأيدٍ سِـباطٍ[1] وهى بالمنع جَعـدةٌ[2] تلاطمنى منهـا اللواتى أصافحُ
يضيء على أبصارهم ضوءُ كوكبى وموضعُه من مطالِـع الفضـل لائحُ
قعدتُ مع الحرمانِ بينَ ظهورهم وطائرُ حظّى لو تعيَّفتُ سانحُ
لقد كان لى عن "بابلٍ" وجُدوبها مذاهبُ يتـلوها الغِنى ومَنادحُ
تركتُ عبابَ البحـر والبحرُ مُعرِضٌ وأمّلتُ ما تَسقى الرَّكايا النـوازحُ
ولو نهضتْ بى وثبـةُ الجَدّ زاحمتْ على المـاء هذى الآبيـاتُ القـوامحُ
إذًا لسقاها "ناصرُ الدين" ما آستقتْ كُبودٌ حِرارٌ أو شِـفاهٌ مَلاوحُ
وقد كانت "الزوراءُ" دارَ إقامةٍ ومَنعَمةٍ فيهـا المنَى والمَفـارحُ
زمانَ العُـلا محفـوظةٌ فى عِراصها ثِقـالٌ وميزانُ الفضـائلِ راجحُ
فقـد حُوِّلتْ تلك المحاسنُ، وآنتهتْ الى غيرها فى الأرض تلك المَنـائحُ
وأضحتْ "عمانُ" للمكارمِ رُحلةً[3] تُراحُ عليهـا المتعَبـاتُ الروازحُ
بهـا المُلكُ طَلْقٌ والمغانى غَنيَّـةُ الـ ـرُّبا ومسـاعى الطالبين مَنـاجحُ
يضوع ثراهـا بالنـدى فتخالهـا رياضـا وكانت قبـلُ وهى ضرائحُ
يدبّرها سَـبطُ اليدينِ، بنـانُه لمقفَل أرزاق العبـاد مَفاتحُ

(١) سباط: كريمة لينة . (٢) جعدة: شحيحة جامدة . (٣) الرُّحلة بالضم: المكان يقصده الراحل .

صفا جوُّها بعـد الكدور بعدله ... وطابت حسـاياها(١) الحباتُ(٢) المَـوالحُ

فمـا غـيرها فوق البسيطة للعـلا ... مقـرٌّ، عـلى أن البلاد فسائحُ

ولا مَلِكٌ إلا وفضـلهُ ربهـا ... عليـه اذا عُـدَّ الملوكُ الجَحاجحُ

بهمّة محيي الأمـة آجتمعت لهـا الـ ... ـبدائدُ وآنقادت اليهـا الجوامحُ

بأروعَ، وسمُ الملكِ فـوق جبينـه ... ـ اذا آرتابت الأبصارُ ـ أبلجُ واضحُ

اذا نُسِبَ الأملاكُ لم يَخش خجلةَ الـ ... ـدعاوى ولم تدخل عليـه القوادحُ

من النَفـر الغـرّ الذيـن بأسهم ... ونعمائهـم تُلقَى الخطوبُ الفوادحُ

اذا ما دجت عشواءُ أمرٍ فأمرُهـم ... ونيرُهُـم شـهبٌ لهـا ومصابحُ

لهـم قصباتُ السبق فى كلّ دولة ... هـم السرُّ(٣) منهـا والعتاقُ الصرائحُ

ينالون أقصى ما آبتغوه بأذرع ... مَخاصِرُها(٤) صُمُّ القنا والصـفائحُ

أصولُ عـلًا منصورةٌ بفـروعها ... اذا غاب مُمسٍ منهـمُ هبَّ صابحُ

و رَبَّ "يمينُ الدولة" المجدَ بعـدهم ... كما ربّت الروضَ الغيـوثُ السوافحُ

جرى جريَهـم ثم آستتمّ بسبقه(٥) ... وكم وقفتْ دون الجِـذاعِ القوارحُ

همـامٌ مع الإصرار مُصطلِمٌ(٦) لمن ... عدَى ومع الإقـرار بالذنب صافحُ

تسـنَّم أعوادَ السـرير محجَّبٌ ... لواحظُه شرقا وغـربا طـوارحُ

تُراصِدُ مَجرَى الأرضِ رجْعاتُ طَرفه ... كما ركـبَ المَـرباةَ أزرقُ(٧) لامحُ

ألا أيّهـا الغادى ليحملَ حاجتى ... لعلّك إن بُلِّغتَ بالنُّجح رائحُ

أعد فى مقـرّ العـزّ عنى تحيّـةً ... يُذكِّى النسـيمَ طيبُها المتفاوحُ



(١) الحسايا جمع حَسِيَّة وهى كل ما يُحتسَى وفى الأصل "حشاياها" وهو تحريف. (٢) فى الأصل "الجنات" وهو تحريف أيضا. (٣) السِّر : اللُّبّ : (٤) المخاصر جمع مِخصرة وهى ما يأخذه الملك بيده يشير به اذا خاطب. (٥) فى الأصل "بسيفه" وهو تحريف. (٦) مصطلم : مستأصل. (٧) الأزرق اللامح : البازى.

وقل : عبدُك المشتاقُ لا عهدُه عفا ... ولا وجدُه — إن نُقِّلَ الوجدُ — نازحُ
ومن لم يُخيِّبْ قطّ عالى ظنونه ... لديك ولم تُخْدِجْ[1] مناه اللواقحُ
وأغنيتَه عمّن سواك فلم يَبُلْ ... جفا مانعٌ أو بَرّ بالرفد مانحُ
قَليبٌ، قريبٌ لى "ببغدادَ" ماؤها ... ومنبعُها شحطَ النوى متنازحُ
لها كلّ عامٍ من سماحك ناهزٌ[2] ... ومن عهدك الوافى رِشاءٌ وماتحُ
اذا ما آستدرَّ الشكرُ سَلسالَ صَوبِها ... وجاءك عنى تمتريها المدائحُ
أتتنى وبطنُ البحر ظهرُ مطيّها ... فروّتْ غليلى والسفينُ النواضحُ
وما زادها التنقيصُ إلا غَزارةً ... وإلا صفاءً طولَ ما أنا نازحُ
تبُلُّ ثرى أرضى وجسمِيَ وادعٌ ... وتُثمرُ لِأبنِى وهو ساعٍ مُكادحُ
كلانا سُقِى من عفوِها وزُلالها ... وإن حبستنى عُقْلتى[3] وهو بارحُ
فللهِ مولًى منك ما لِىَ عنده ... ومَتجَرُ من يُدلِى بجاهِىَ رابحُ
وها هو قد كرّت اليك رجاءَهُ ... سوائرُ حاجٍ طيرُهنَّ سوانحُ
فأمرَك — زاد اللهُ أمرَك بسطةً — ... بما عوّدَت تلك السجايا السحائحُ
أَعنْ جهدَه وآعرف له خوضَ زاخرٍ ... يهزُّ الضلوعَ موجُه المتناطحُ
ولم أستزدْ نُعماك إلا ضرورةً ... وقد تُستزادُ المزنُ وهى دوالحُ
بما ثقّلَتْ ظهرى الخطوبُ وضاعفتْ ... تكاليفَ عيشى وآنتحتنى الجوائحُ
وما بُثَّ من زُغبٍ حَوالَىَّ كالقطا ... تَنَزّى الشِّرارِ أعجلتها المَقادحُ
أمسِّح منهم كلَّ عِطفٍ أسفتُ إذ ... أتانى وقد بُيِّضنَ منّى المَسائحُ
نجوتُ على عصرِ الشبيبةِ منهُمُ ... وأرهقنى المقدارُ إذ أنا قارحُ

---

(١) يقال : أخدجت الدابة : جاءت بولد ناقص الخَلْق . (٢) الناهز : الذى يضرب بالدلو فى البئر لتمتلئ . (٣) العُقلة : ما يُعقَل به كالقيد أو العِقال ، وفى الأصل " غَفلَتى " .

فدتك ملوكٌ ذكرُ مجدِك بينهم مثالبُ في أعراضهم وجرائحُ
اذا لُعِنوا صَلَّتْ عليك محافلٌ صفاتُك قرآنٌ لها ومَسابحُ[1]
حَمَوا مالهم أن تُنتحَى بنقيصة عقائلُه والساريات السرائحُ
ومالُكَ في الآفاق شتَّى موزَّعٌ، كرائمُهُ والباقياتُ الصوالحُ
سهرتَ ونام الناسُ عمّا رأيتَه كأنك للعلياء وحدَك طامحُ
وجاريتَ سيبَ البحرِ ثم فضَلْتَه وهل يستوى البحرانِ عذبٌ ومالحُ؟
أعرنِيَ سمعا لم تزل مطربًا له اذا ما تغنَّته القوافى الفصائحُ
وأصغِ لها عذراءَ لولاك لم تُجِب خطيبا ولم يظفَر بها الدهرَ ناكحُ
من الباهراتِ لم تُحدِّثْ بمثلها الـ نفوسُ ولم توصَل اليها القرائحُ
ظهرتُ بها وحدى على حين فترةٍ من الشِّعر، برهانى بها اليومَ لائحُ
ومِن شرفِ الأشعار أنك سامعٌ ومن شرف الإحسان أنِّيَ مادحُ
ومَن لِيَ لو أنى مَثَلْتُ مُشافِها أفاوِضُها أسماعَكم وأطارحُ
وأن ينهضَ[2] الجَدُّ العَثورُ بهجرةٍ تُعالَجُ أشواق بها والتَّبارِحُ
ويا ليتها ريح الشَّمال تهبُّ لى، فتُطلِعَنى منها عليك البوارحُ
وكيف مَطارى والخطوب تحُصُّنى وأخذِىَ شَوطى والليالى كوابحُ
وقد كان جُبن القلب يُقعِدُ عنكُمُ فقد ساعدَتْه بالنكولِ الجوارحُ
وأقسمتِ الستّونَ ما نخروقها اذا آتسعتْ فى جِلدة المرءِ ناصحُ[3]
وإنى على أنسى بأهلى وموطنى لأَعلمُ أنَّ العيشَ عندك صالحُ

---

(١) فى الأصل "مسايح" وهو تحريف. (٢) فى الأصل "وإن نهض". (٣) الناصح: الخياط.

❖

قافيـــة الدال

بعـــد خلو حرف الخـاء

وقال يهنئ نقيب النقباء أبا القاسم بن ممّا بخلَع وحُملان[1] أُخرجَتْ اليه من الحضرة ويصف العُودَ والجامَ والخِلَعَ

٩١

أُرِى طَـرفَها أنّ الخضابين واحـدٌ ... ولكنّه ما بَهْــرجَ[2] الشيبَ ناقدُ

ضَــلالةُ حُبٍّ غادرتنى مزوّرا ... عِـذارِى وإِنى لو أفقتُ لَراشـــدُ

يقولون: عُمْرُ الشيبِ أطولُ بالفتى، ... وما سرّنى أنى مع الشَّـــيبِ خالدُ

أَماضٍ فمُـــدّارٌ زمانٌ أباحـنى ... حريمَ الهـــوى أم حافظٌ لِى فعائدُ؟

ودارَينِ من عالى "الصَّراةِ" سقتهما الـ ... ـبوارقُ رِبعِيٌّ[3] الهوى والرواعـــدُ

ألفتُهما والعيشُ أبيضُ ضـاحكٌ ... بربعهـــما والظلُّ أخضرُ باردُ

وندمانُ صَبْحِى صاحبٌ متسمّحٌ ... معى، وضجيعُ الليـل إلْفٌ مُساعدُ

وأخرسُ[4]، ممّا سنّت "الفرسُ" ناطقٌ ... يُهِبُّ رياحا رَوحُه وهـــو راكدُ

على صدره بالطُّول سبعٌ ضعائفٌ ... تدبِّرها بالعَــرضِ سَبعٌ شـــدائدُ

وخمسٌ سكونٌ تحت خمسٍ حَوارِكٍ ... تَمُـــدُّ ثلاثًا يمتطيهنّ واحـــدُ

يشرِّدُ من حلم الفـــتى وهو حازمٌ ... فيرجعُ عنــه فاســقا وهو عابدُ

وقَوراءُ[5]، ماءُ الكرم أحمـــرُ ذائبٌ ... عليهـا وماء التـبر أصـــفرُ جامدُ

---

(١) الحُملان: ما يُحمَلُ عليه من الدوابّ فى الهِبَة خاصّة. (٢) بهرج: زيّف.

(٣) الربعىّ: ما نتج فى أيام الربيع وهو هنا مجاز. (٤) يكنى عن العود ويصفه.

(٥) القوراء: الواسعة، ويريد بها الكأس.

تُمثّل "بَهْرامَ الكواكبِ"(١) قائماً بها حيثُ "بَهرامُ الأكاسر" قاعدُ
أميرانِ، يُخفِي قائمَ السيفِ قابضٌ عليه، ويُبدى دُرّةَ التاج عاقدُ
تَبينُ وحبّاتُ المزاج نوازلٌ وتَخفَى وحبّات الحَبابِ صواعدُ
مَصالحُ عيشٍ والفتى من خلالها اذا لاحظ الأعقابَ فهى مَفاسدُ
ودنيا، لسانُ الذمّ فيها محكَّمٌ ولكنها عند "الحسين" محامدُ
اليكم بنى الحاجاتِ إنّى رائدٌ لِيُحبَسَ جارٍ أو لِيَبرُكَ واخدُ
أبٌ بِكُمُ بَرٌّ وأنتم مَعقّةٌ أخٌ لكُمُ دِنيًا وأنتم أباعِدُ
حبيبٌ اليه ما غنمتم كأنه اذا جادَ مرفودٌ بما هو رافدُ
أناةٌ(٢) ومن تحت القطوبِ تبسُّمٌ أوانًا وفى عقب الأناةِ مكايدُ
محاسنُ لا ينفكّ ينشُرُ حامدٌ لها بعضَ ما يَطوِى على الغلّ حاسدُ
ولما جلاك الملكُ فى ثوب جسمه تراءت على قدر العروس المَجاسدُ
أثبتُ بها عذراء ما آفتضَّ مثلَها سوى ربِّها، ما كلُّ عذراءَ ناهدُ
"بهائيّة" تُعزَى لأ شرفِ نسبةٍ لتيأسَ منها كلُّ نفسٍ تراودُ
لها أرَجٌ للعزّ باقٍ وإنها على عزّ من تُهدَى اليه لَشاهدُ
على منكِب الفخر آستقرّت ولم تكن تُلاقيك(٣) لو لم تدرِ أنّك ماجدُ
أبانَ بها ما عنده لك، إنما تُحلَّى لإكرام السيوف المَغامدُ
فزاد "بهاءَ الدولةِ" اللهُ بسطةً على أىّ عِلقٍ(٤) منك أضحى يزايدُ
لئن كان سيفا مرهَفَ الحدّ إنه لَيَعلمُ عِلمَ الحقّ أنك ساعدُ
أتانِىَ ليلا — قرَّ عينا — مبشِّرى فأيقظنى وَهْنًا وإنى لَراقدُ

---

(١) بهرام الكواكب: المرّيخ، قال حبيب بن أوس:

له كبرياءُ المشترى وسعودُهُ * وسَورةُ بَهرامٍ وظَرفُ عُطاردِ

(٢) فى الأصل "أتاك". (٣) فى الأصل "تلقّيك". (٤) العلق: الشىء النفيس.

وقمتُ، فكفٌّ[1] يشكر الدهرَ كاتبٌ ... ثناك، وخـدٌّ يشكر اللهَ ساجـــدُ
وناديتُ فانثالتْ معانٍ كأنّ ما ... تنظِّمه منهـا القـوافى فَــرائدُ
وتَنقَدْن لى ما سِرنَ ظهـرَ مدائحى ... اليك وهنَّ عن سواك حوائدُ
وما كنّ مع طول القيام صــواديا ... ليَسْرَحنَ إلا حيث تصـفو المواردُ
ولست كمن يُعطِى الأسـامِى نوالَهُ ... اذا جاد تقليـــدا وتُلْغَى القصـائدُ
وما الشِّــعرُ إلا ما أقامت بيوتُه ... وسارت فأضحى[2] قاطنا وهو شـاردُ
وما هو إلا فى رقابٍ — اذا فشـا ... به الحفظُ — أغلالٌ وأخرى قلائدُ

* * *

وقال يمدحه و ينتجّزه وعدا طال مطله به

أقامتْ على قلبى كفيلا من العهدِ ... يذكّرنى بالقـــربِ فى دولة البعـدِ
فقولا لواشيها — وإن كان صادقا — : ... وفائى لها أحظَى ولو غدرتْ عندى
خليـلىَّ، ما للرّيح هبّت مريضـــةً ... هل آجتدتِ البُخَّالَ أم حَمَلتْ وجدى؟
ضمنتُ من الداءين ما لا تُقِـــلُّه ... على طرحها الشمُّ الهضابُ من الصَّلدِ
حنينٌ، ولكن مَن لِشملِى بجامعٍ؟ ... ومدُّ يدٍ، لكن مَنِ الرَّجُلُ المُجــدِى؟
فلا حُبَّ بل لاحظَّ نالك حظُّـــه[3] ... قد آشترك الأحبابُ والحظ فى الصدِّ
وسمَّى زمانى طولَ صبرى تجـــلُّدا ... عدمتك، ما أبقيتَ بعـدِىَ للجَـــلْدِ؟
كما ذمَّ مَنْ قبـــلى ذممتُك عالمـا ... بأنك موقوفٌ على الذمِّ مِن بعـــدِى
ولكن تجاوَزْ لى بصَرفك ماجدا ... اليــه اذا جارتْ صروفُك أَستعدى
اذا ”الصاحبَ“ آستنجدتُه فوجدتُه ... فَرُغْنِىَ فيمن غيره شئتَ بالفقدِ

(١) كفّ مؤنثة وتذكيرها هنا يراد به العضو .
(٢) رجحنا هذه الكلمة لسقوطها فى الأصل .
(٣) الحظ الأولى بمعنى الجد والثانية بمعنى النصيب .

وإن مرّ فى الأحباب عيشٌ بغيره ... فحسبى بعلم الله فى ذاك والحمدِ

وما أعرفُ الممدوحَ لم يجزِنى به ... اذا قلتُ خيرا ، إنّ ذلك بالضدِّ

أحقُّهمُ عندى بما قمتُ مثنيا ... أعدِّده مَنْ فات إحسانُه عَدِّى

فإن تكن الأيّام أجدبن مرتعى ... لديه وكدّرن الزلالة من وِردى

أقولُ لآمالى — وأخشى قنوطَها — ... ركوبُكِ ظهرَ الصبر أدنَى الى الرشدِ

تُطار فلولا وجهُ سعدِك لم يكن ... سِراجُك فى الظلماء نجمَ "بنى سعدِ"

"أبا القاسم" آمنحنى سمعتَ آستماعةً ... وقِفْ بى من آستبطاء حظّى على حدِّ

سخوتُ بشعرى قبلَ مدحك لاقيا ... بِسَبطِ(١) كلامى كلَّ ذى نائلٍ جعدِ

اذا قلتُ : أين الجودُ؟ أنشد بخله : ... محا الدهرُ ربعًا "بالمشقّرِ(٢)" من "هِندِ"

تعابُ لديه الشمسُ بالنور حُجّةً ... على منعه ، والماءُ فى القيظ من بَرْدِ

وفاضت — وهم يُبْس — بحارُك بينهم ... فياليت شعرى ما لجودك ما يُعدى!

وقد كان لى فى الشعر عندك دولةٌ ... ولكن قليلٌ مكثُها دولةُ الوَرْدِ

أظلُّ وما فى عاشقيك محقِّقٌ ... سواى ، أقاسى الهجرَ من بينهم وحدى

فلِمْ أنت راضٍ لى وللمجد وقفةً ... تَزاحَمَ دمع اليأس فيها على خدِّى

وما غيرُ تأميلى بديْن قضاؤه ... فكم أتقاضاه وأنحتُ من جلدى

عسى يقف الإنجاز بى عند غايةٍ ... تريح فلى حولٌ أُجَرُّ على الوعدِ

تساويفُ وفّاها المِطالُ حدودَه ... فعجِّل لها الإنجازَ أو جَبهةَ الرَّدِّ

---

(١) السبط نقيض الجعد وقد تقدم تفسيره ، وفى الأصل "بسيط" . (٢) المشقّر : اسم موضع .

***

وأنفذ اليه الكافى الأوحد ما جرت به عادته من رسومه ، فكتب اليه يمدحه ، ويذكُر تنزُّهه عن النظر فى الوزارة بالرَّىّ ، وآعتزاله إياها ترفعا عن نزول الحال فيها الى أحد أتباعه ، وما بان من عجز الداخل فيها بعده

اذا صاحَ وفدُ السُّحبِ بالريح أو حَدَا ... وراح بهـا ملأَى ثِقالا أو آغتـدى
فكان وما باراه من عَبَرَاتنـا ... نصيبَ "محـلٍّ" بالجنـابِ " تأبَّدا (1)
وما كنتُ لولاه ـ ولو تربت يدى ـ ... لأَحمـلَ فى تُربِ لمـاطِرِهِ يدا
خليلىَّ ، هذى دارُ "لميـاء" فاحبسا ... معى وآعجبا إنْ لم تُميـلا فتَسعدا
نعاتب فيها الدهرَ ، لا ! كيف عتبُهُ ؟ ... وأخلاقُه إخلاقُ ما كان جَدَّدا
سلاها ـــ سـقاها ما يُعيـد زمانَهـا ... وعيشا بهـا ما كان أحلى وأرغدا ـــ :
عهِـدْنا لديكِ الليــلَ يُقطَعُ أبيضا ... فلِمْ صار فيك الفجرُ يَطلُعُ أَسـودا ؟
فأيـن الظبـاء العامراتك بالظُّبى ... ثِنًى وفُـرادى ، غافلاتٍ وشُرَّدا ؟
وليــلُ آختلاط لو تغاضَى صباحُهُ ... لمـا مازت الأيدى القِنـاعَ من الرِّدا
أبعدَ جلاءِ العيـنِ فيك من القذَى ... أرى أثَرا أنَّى تلفتُّ مُرْمِـدا ؟
لعمرُ الجـوى فى رُفقتى بكِ إنه ... يخامر قَرحانَ الحشا ما تعـوَّدا
وقلتُ: صَدًى ، قالوا: الفراتُ الذى ترى ... وهيهات ! غيرَ المـاء ، ما نُقِع الصدَى
مضى الناسُ ممّن كان يعتـدُّه الفتى ... وما أكثرَ الباقيـن إن هو عـدَّدا
وكان بكائى أننى لا أرى الأخَ الـ ... ـودودَ ، فمَن لى أن أرى المتـودِّدا !
أمنعطفٌ قلبُ الزمانِ بعاطشٍ ... يرى الأرضَ بحرا لا يرى فيه موردا ؟
تحمَّل شرقياً مع الركـب شـوقُهُ ... وقد غار شـوقُ العاشقيـن وأنجدا

(١) تأبد : أقفر ولزمته الوحوش .



له بين أثناء الجبال وأهلها ... مزارٌ حبيبٌ دونه طُرُقٌ عِدَا
وما بِيَ إلا أن أرى البدرَ ناطقا ... " وثهلانَ " شخصا جالسا متوسِّدا
وليثَ الشرى تحت السُّرادق مُلبِدا ... وبحرَ الندى فوق الأسرَّة مُزبِدا
وأن أدركَ العلياءَ شخصا مصوَّرا ... هناك وألقى العزَّ جسما مجسَّدا
ومن بَلَّغَتْهُ " الأوحدَ الكافِيَ " المنَى ... تغزَّلَ مكتفيًا وفاخر أوحدا
لذاك آشتياقى ، ليس أن جازنى له[1] ... على البعد إحسانٌ ولا فاتنى نَدَى
مواهبُهُ سارت لحالى كثيفةً ... وشعرِىَ مطلوبا وذكرِى مشيَّدا
فمن نعمةٍ خضراءَ تسبق نعمةً ... له ، ويدٍ بيضاءَ لاحقةٍ يدا
فتى لم أجد لى غيره فأقول : ما ... أعمّ عطاءً من فلانٍ وأجودا
أنالَ وفى الأيام لينٌ وأيبستْ ... فلم ينتقص ذاك النوالَ المعوَّدا
اذا بلغ الزُّوَّارُ بابَك أُلقيتْ ... رحالُ ذليلٍ عزَّ أو حائرٍ هَدَى
وقلَّ من الآرابِ[2] قُلٌّ[3] ضَمِنْتَهُ ... وقد جاز فى الآفاق نَهبا مطرَّدا
تُغلَّقُ أبوابُ الملوكِ أمامَهُ ... ويرعَى لديها الجهلُ وهى لَقًى سُدَى
تدافعُهُ آدابُها وأكفُّها ... مدافعةَ السّرح البعيرَ المعبَّدا[4]
كما شاءها كانت ببعدك دولةٌ ... جفوتَ ، فقد صارت كما شاءها العِدا
فمركبها بعد السكينة نافرٌ ... ومركبها صعبٌ وكان ممهَّدا
عَدَا الدهرُ فيها إذ نأيت بصرفه ... وكان آحتشاما منك يمشى مقيَّدا
فإن يك ضَرَّتْ[5] هجرةً بعثَ " أحمدٍ " ... فقد حطَّ هجرُ " الرَّىِّ " رتبةَ " أحمدا "
تعزَّلَ عنها والمقاليدُ عنده ... ووازرها والكَدُّ فيمن تقلَّدا

(١) فى الأصل "حازنى" . (٢) الآراب جمع أرب وفى الأصل "الآداب" . (٣) القُلّ الذي لا أحد له . (٤) المعبّد : البعير المهنوء بالقطران لجربه . (٥) فى الأصل " ضرب " .

أيخشى "ابن إبراهيمَ" فَوتَ وِزارةٍ ... وقد حازها سقفَ السماء وأبعــدا
ولما بدت للعــين وَقْصــاءَ[1] جهمــةً ... وكانت تريك البــدرَ والظبيَ أجيــدا
معنَّســة أفنيتَ[2] عمـــرَ شــبابها ... فلم يبقَ إلا الشيبُ فيهـا أو الردى
نهضتَ على الإحسان فيهـا ولم تقم ... وعيشِـــك إلا وهى تُزعِجُ مَقْـــعَدا
تزوجتَهـا أيّامَ تُنكَحُ لـــذّةً ... وَسرّحتَ إذ كان النكاحُ تمـــرُّدا
وخلّفتَهـا قاعا يغـــرُّ سرابُهـا ... يَدَىْ[3] حافرٍ لم يُسْقَ منهـا سوى الكُدَا[4]
قليـــلِ اطلاعٍ فى العواقب لو درى ... مشَـــقَّةَ ما فى مَصـــدرٍ ما توردا
تَلبّسهَـا جهـــلا بأنك لم تكن ... لتــنزِعَها لو كنتَ تنزِعُ ســؤددا
تحـــدّثنى عنـــك الأمانى حكايةً ... بما أنا لاقٍ منك كالصوتِ والصدَى
وكم زائرٍ منّـا حملتَ اقـــتراحَه ... مضى ساحبـا رِجْلا وآب مقـــوَّدا
ومثـــلىَ لو دونى أتاك بنفســـه ... ذُنابَى[5] وولَّى عنـــك رأسا مســوَّدا
عسى عزمةٌ أشوتْ فثَنّتْ كاتبـا ... يقرطسُ أحيـانا فأمثُـلُ منشــدا
وقائلةٍ : هـــل يدركُ الحظُّ قاعدًا ؟ ... فقلتُ لها : هل يقطعُ السيفُ مغمَدا !
سيلقَ بهـا "الكافى" عهودا وثيقةً ... لقــد زادها الإســـلامُ حقًّا وأكّدا
رضيتُ ـ وإن جدّ[6] الجدوبُ ـ تعفُّفا ... وعيشـا مع الوجه المصون مبــدَّدا
ومَيـــلا بنفسى عن لقـاء معاشرٍ ... أحتّهــم[7] صخـرا وأعصِرُ جلمـــدا
أرادوا بِبُخـــلٍ أن يُذَمّوا فيُعـرَفوا ... خمولا ، كما أعطيتَ أنت لتُحمَدا
أعالج نفسـا منهـــمُ مقشــعِرّةً ... وأنفـا اذا شَمّـوا المـذلةَ أصيــدا

(١) الوقصاء : قصيرة العنق ، وفى الأصل "وقضاء" وهو تحريف . (٢) فى الاصل "معبّسة أفيك" وهو تحريف . (٣) فى الأصل "بذى" وهو تحريف . (٤) يقال : أكدى الحافر اذا حفر فبلغ الكدا وهى الصخور فلا يمكنه أن يحفر . (٥) الذُّنابى : الذَّنَب . (٦) بالأصل "جرّ" . (٧) حتّ : فرك وقشر .

هو المنقذي من شِرْك قومي و باعثي | على الرشد أن أُصفي دواى "محمدا"(١)
وتاركُ بيتِ النار(٢) يبكى شرارُهُ | علىَّ دمًا أن صار بيتىَ مسجدا
عليك بها وَصَّالةً رحِمَ الندى | اذا اشتمل الشعرُ العقوقَ أو ارتدى
هجرنا لها اللفظَ المقلقلَ قربُهُ | الى السمع والمعنى العوانَ المردَّدا
يُخالُ بها الراوى اذا قام منشدا | بما ملك الإطراب قام مغرِّدا
لكم "آلَ ابراهيم" تُهدى مدائحا | وذمًّا الى أعدائكم وتهدُّدا
اذا عزَّ مُلكٌ أن يدوم لمالكٍ | وطال على ذى نعمة أن يُخلَّدا
فلا تعدَم الدنيا الوَساعُ مدبِّرا | يقوم بها منكم ولا الناسُ سيّدا

* * *

وكتب الى الصاحب أبى القاسم يهنّئه بعيد الفطر

أنت على حالتيك محمودُ | إن كان بخلٌ لديك أو جودُ
يشقَى ويرضى بك الفؤادُ كما الـ | ـطَّرفُ اذا ما رآك مسعودُ
يا غُصنًا دهرُه الربيعُ فما | يفترقُ الماءُ فيه والعودُ



فات بك الحسنُ أن تُحَدَّ وللـ | ـبدر بما انحطّ عنك تحديدُ
قم حدّث الليلَ عن أواخره | إن مَقامَ الصبوح مشهودُ
يا ظبيُ ، لو بتَّ فيه عدتَ وقد | عنَّ ظباءٌ "ببابلٍ" غيدُ
أما ترى الفِطرَ صائحا : نورِزُوا | حَلَّ حرامٌ وانحلَّ معقودُ
والبدر يدعو بحاجبٍ حاجبٍ | للعيد : بشرى هنالك العيدُ
فاسبق بها الشمسَ أختَها(٣) لهبا | بقاؤها فى الزمان تخليدُ
صان اليهوديُّ خِدرَها أن يُفَضَّ الختمُ أو تؤخذَ المقاليدُ

(١) يريد النبي صلى الله عليه وسلم . (٢) بيت النار : معبد المجوس . (٣) يكنى عن الخمر .

عَدَّ رجالا من قومه، لَهُـــمُ ... فى فضلها عنـــده أسانيـــدُ
سنَّ له اللهـــوُ أن يعظِّمَها ... فهى له فى الدنان معبـــودُ
حمــراءُ، ما فازت الأكفُّ به ... من لونها فى الخـــدود مردودُ
من فيم إبريقها الى شَفة الـ ... ـكأس عمودُ الصباح ممـــدودُ
دينٌ من اللهو أنت عن باب إبـ ... ـليسَ متى حُدتَ عنـه مطرودُ
تغنَّم اليـــومَ من سرورك والـ ... ـساعةَ، إن الزمان معـــدودُ
ما دام يدعونك الفـتى مَرَحا ... والغصنُ فينانُ والصِّـــبا رُودُ[1]
غدا بياضٌ، يا قاتـــل الله ما ... تنشقّ عنـه من بيضك السودُ
لا تجمعُ الشَّـيبَ والسرورَ يدٌ ... ولا يـتمُّ الـــثراءُ والجـــودُ
لا أخلَقَ المـالَ غيرُ متلفـــه ... إن الغـــنيَّ البخيـــلَ مكدودُ
يا راكـبا لم تُلِحْهُ هاجـــرةٌ ... ولا ترامت بشخصـه البيـــدُ،
ولم تَقُـــدْ حظَّـــه مخاطَرةٌ ... تُنضَى اليهـا المهـــريَّةُ القُـــودُ،
بين مناه و بينـــه غرضُ الـ ... ـرامى ســـدادٌ منـــه وتعضيدُ،[2]
قل لابن "عبدالرحيم": عشتَ فما ... يعـــدَمُ فضـــلٌ وأنت موجودُ
ملّكك المجـــدَ أنّ بابَك مفـ ... ـتوحٌ وبابَ الأرزاقِ مســـدودُ
يزدحم الناس فيـــه راجين را ... ضين، وحوضُ الكريم مورودُ
وأن عافيك ــ والمكلَّفُ مشـ ... ـنوءٌ ــ مُرادٌ لديـــك مودودُ
لا هـو فى الذلّ بالسـؤال ولا ... بالمنّ فيما مننتَ مكدودُ
يختلفُ النـــاس من كرامتـــه ... عنـــدك مَنْ قاصـــدٌ ومقصودُ

---

(١) رود أصلها رؤد وقد سهلت الهمزة وهو الغصن أرطبع ما يكون وأرخصـــه وهو هنا من المجاز .

(٢) التعضيد : ذهاب السهم شمالا و يمينا .

والبشرُ حتى يقالَ : بارقةٌ ... والحلمُ حتى يقالَ : جلمودُ
يُلبِسك المدحُ كلَّ ضافيةٍ ... لها بطول الإخلاق تجديدُ
دُرُّ المعالي فيها بوصفك منـ ... ـظومٌ ووشيُ الألفاظِ منضودُ
تَخْبُرُ منه ما أنت ناقده ... وأكثر الإنتقادِ تقليدُ
والشعر ما لم توجدك آيتُهُ ... — إلا القوافي والوزنَ — مفقودُ
يتعبُ فيه الموفَّرون له ... وهو مع المُمْهِلين موءود
بَقِيتَ منه لزائراتك بالـ ... ـشتاءِ غيدا أكفاؤها الصِّيدُ
كلّ فتاةٍ تَحْدُوُها يومَ تبـ ... ـغي الحظَّ إمَّا أتتك مجدودُ
صديقُها أنتَ ، والحسود بها ... وبي على القرب منك مفؤودُ (١)
في وجهه البشر حين يسمعها ... خوفا وفي قلبه الأخاديدُ
يَطرَبُ منها للشيء يُحزِنهُ ... وأسمُ بكاءِ الحَمامِ تغريدُ
لا آجتاز عيدٌ إلا عليك وإن ... أَجَزْتَ أن تُمطَلَ المواعيدُ

* * *

وقال وكتب اليه أيضا يهنئه بعيد الفطر سنة تسع وتسعين وثلثمائة

اذا لم يُرْعَ عندكم الودادُ ... فسيّانِ القرابةُ والبعادُ
عهودٌ يومَ " رامةَ " دارساتٌ ... كما يتناوب الطلَلَ العهادُ
وأيمان تضيعُ بها المعاني ... وتحفظها الأناملُ والعِدادُ (٢)
تطيرُ مع الخيانة كلَّ جنبٍ ... وحبّاتُ القلوبِ بها تصادُ
أمعترِضٌ صدودُك " أمَّ سعدٍ " ... ببعض الشرِّ ، أم خُلُقٌ وعادُ (٣) ؟

(١) في الأصل " ولي " .
(٢) العداد : العد .
(٣) عاد جمع عادة .

وعـــذلٌ فيـك أوجعَ نازلٌ بى … أنا الملسوعُ والعـذلُ العِـداد[1]
وعبتِ وليس غيرُ الشيب شيئا … أُذادُ له بعيبٍ أو أُكادُ
وما منّى البيـاضُ فتجرِمينى … به ذنبـا ولا منـكِ الســوادُ
بأيمنِ ملتـقَى المـاءين دارٌ … لمـرتادِ الهـوى فيهـا مَرادُ
وقفتُ ، ومسعِدون معى عليها ، … ألا يا دارُ ما فعلتْ " سعادُ " ؟
أقول لهـم أُعلّل فيكِ شوقى : … وشـيكا ينقـعُ الظمأَ الثّمـادُ[2]
خذوا من يومكم لغـدٍ نصيبا … من الأطلالِ ، إنّ اليومَ زادُ
توقَّ الحبَّ تأمنْ كلَّ بغضٍ … فَـداؤك من دوائك مسـتفادُ
يخـوفنى مَكايدَه زمانى … صَـغارَكَ[3] لا أُحسُّ ولا أُكادُ
وقـدرتُه اذا لم يُعطِ بخـلٌ … وغايتـه اذا أعطى نَفادُ
فقـل ابنيه : لستُ إذًا أحاكم ، … بعـادٌ بيننا أبـدا بعـادُ
أعان الله مسـكينا رجاكم … فإن رجاءَ مثلِكُم جهـادُ
رضـينا من قبائلكم ببيتٍ … عمـادُ المكرماتِ له عمـادُ
بنى " عبدِ الرحيم " وكلُّ فخـر … يفـوت فبأسم نسبتهم يُفـادُ
أعِـدْ ذكرَ التحيّـة فى أناسٍ … اذا بدءوا[4] اليـك يدًا أعادوا
وقِم وآخطب بحمدك فى ربوعٍ … وفـودُ المجـد عنهـا لا تُذادُ
ومبتسمين يُورى الملكُ منهـم … جباها ، كلُّ واضحـةٍ زنادُ
رأَوا حفظَ النفوسِ اذا آستميحوا … ـ وقد بخل الحيا ـ بخلا ، فجادوا

---

(١) العداد : اهتياج وجع اللديغ ، و يقال عداد اللديغ سبعة أيام ، و يقال له مادام فيها : هو فى عداده . (٢) الثماد : الماء القليل . (٣) صغارك أى هات ضيمك ومذلتك فإنى لا أحس . (٤) فى الأصل " أبدوا " .

فِـدًى للحسـنين فـتًى عُلاهم ... وناشرُها وقـد درَسـوا وبادوا [1]

دعىٌّ فى السماح وليس منـه ... متى آعترف الندى بك "يا زِيادُ" [2] ؟

دعِ العليـاءَ يَسـحَبْها عريقٌ ... بياضُـك يومَ نسبته سـوادُ

يطـولُ ركابَه إن قام فيهـا ... ويقصُر عن مقـلَّده النجادُ [3]

أيا "آبن علىّ" آعتقلتك منّى ... يدٌ لم تـدرِ قبلك ما العَتـادُ

عركتُ يدَ الخطوبِ وفىَّ ضعفٌ ... فَلِنَّ وهنَّ أعبـاءٌ شِـدادُ

لذلك تُسـتزاد الشـمسُ نورا ... وحُبُّـك الذى لا يُسـتزادُ

وحظُّك من جَـنَى فكرى ثنـاءٌ ... يطول، وطُولُه فيـك آقتصـادُ

اذا الشىءُ المعـادُ أمـلَّ سمعا ... تَـكرَّر وهـو طِيبًا يُسـتعادُ

فما خُطِبَتْ بأبلـغَ منـه خاءٌ ... ولا نُطِقَتْ بأفصحَ منه ضـادُ [4]

ألا لا تذكُرُ الدنيـا بخـيرٍ ... فـتًى إلا وأنتَ به المـرادُ

اذا حاز آمرؤ تأبيـدَ نجـلٍ ... أمدَّك من "أبى سـعد" مِدادُ

شبيهُك، والعلا منهـا آكتساب ... ومنها — وهو أفضلها — وِلادُ

وكنتَ البـدرَ تمَّ فزِيدَ نجمـا ... كما أوفَى بغُـرّته الجـوادُ

فعِشْ وآذخرْه للعافين كهفا ... وخـيرُ ذخيرةِ الجسم الفـؤادُ

***

وكتب اليه أيضا يهنّئه بعيد الفطر ويتقاضاه حاجةً

أبِالغور تشـتاقُ تلك النجودا؟ ... رمَيتَ بقلبـك مَرمًى بعيـدا

وَفَيتَ فكيف رأيتَ الوفاءَ ... يُذِلّ العزيزَ ويُضوِى الجليـدا [5]

---

(١) يرى المتمعن أنه آنتقل بجفاة مع النعمية الى عرض آخر ولعله تهكّمٌ . (٢) يشير الى تهكمه الى زياد بن أبيه لأنه مجهول الأب . (٣) النجاد : حمائل السيف . (٤) فى الأصل "صاد".

(٥) يضوى : يُضعِف .

أفى كلّ دارٍ تمــرُّ العهــودُ   عليك ولم تنس منهـا العهــودا ؟

فــؤادٌ أسِــيرٌ ولا يفتــدى   وجفنٌ قتيـلُ البكا ليس يُودَى(١)

ســـهرنا "ببابــلَ" للنـائمي   ن عمّـا نقاءى "بنجدٍ" رقــودا

من العربيّـات شمسٌ تعــودُ   بأحرارِ "فارسَ" مثلى عبيــدا

اذا قــومُها آفتخـــروا بالوفا   ءِ والجود ظَلَّتْ ترى البخلَ جودا

ولو أنهـــم يحفظون الجوا   رَ ردّوا علىّ فــؤادا طــريدا

نعم جَمَـــعَ الله يا من هَـــوِيتُ   وصَدٌّ، عليك الهوى والصــدودا

رنَتْ عينُـــه ورأت مَقتَــلى   ففــوّقهـا ورمانى ســـديدا

قـــلوبُ الغــوانى حديدٌ يقــالُ   وقلبـــك نارٌ تذيبُ الحـــديدا

سأجرى مع النـاس فى شوطهم   فَعـالا بغيضـا وقـــولا وديدا

أُغَرّ بِبِشْـــرِ أخى فى اللقـا   ءِ لو تبـعَ الغيثُ تلك الرعــودا

ويُعجبنى المـاء فى وجهـــه   وفى قلبـــه الغِـــلُّ يُذكِى وَقودا

مُرِيبون أوســعُهم حجّـــةً   وعذرا معى مَن يكون الحســـودا

وَحَادِ(٢) فلستَ ترى المســـتري   حَ فى الناس من لاتراه الوحيدا

وحازت سجايا آبن "عبد الرحيم"   ثنـاءً كسؤدُده لن يَبيـــدا

ومدحا اذا مات مجـــدُ الرجا   ل أعطى الذى سار فيـــه الخلودا

تَمهّدَ من "فارسٍ" ذِروةً   تُحَطُّ "المجـــرّة" عنهـا صعودا

مكانةَ لا تســـتفزُّ العيـــو   بُ فخـــرا ولا يغمِزُ اللؤمُ عودا

تَشـابَهَ عِـــرقٌ وأغصـانُهُ   كما بدئَ المجدُ فيهـــم أُعيــدا

فعُـــدَّ الكوا كبَ منهـــم بنينَ   وعُدَّ الأهاضيبَ منهـــم جدودا

(٩٦)

---

(١) يودَى : تُدفَع دِيتُه .   (٢) وَحادِ : كن وحيدا .

سَــعَدتُ بحبّــك لو أننى لحظّىَ منــك رُزقتُ الســعودا
إلامَ تواني يُميتُ الــوفاءَ وعنــدى ضمــانٌ يَحُــلُّ العقودا ؟
ونقصُ اهتمامٍ أَرَى مُكرَهًا لجــودك من أجله مســتزيدا
أَمَا آن للعــادة المرتضــا ةِ من رحبِ صدرِك لى أن تعودا ؟
ولو لم يكن ماءُ وجهى يذوبُ بها ثمنــا لم يَرُعْنى جمــودا
أمانيَ صــدرنَ بطانًا وعدنَ خمائصَ ممّــا رَعَيْن الوعــودا
الى الله محتَســبا(١) عنــده بعثتُ هــوًى مات فيكم شهيدا
على ذاك ما قصُرتْ دولة فطاولْ زمانَك بيضًــا وسُــودا
ولا تبرحنَّ بشــعرى عليك عرائسُ يُجْلَيْنَ هِيفًــا وغِيــدا
تَخَــالُ اليمــانىَّ حاكَ البرودَ اذا أنا قصَّــدت منهــا القصيدا
ولى كلَّ عيــدٍ بهــا وقفةٌ أناشــدُ عطفَك فيهــا نشيدا
تهانيَ يغَصُّ التقاضى بها، فهــل أنا لا أتقاضاك عيــدا ؟

* * *

وكتب الى الأستاذ الجليل أبى طالب بن أيّوب يهنئه بعيد الفطر

أنا اليــومَ ممّــا تعهدين بعيــدُ تُريديــن منى والعَــلاءُ يريدُ
طوَى رَسَنى عن قبضة الحبّ خالعا قُواه ، وقدِمًا كنتُ حيث يقودُ
هوًى — وليالى اللهو بيضٌ — وهبتُهُ اليهــا ، وأيّام الكريهة ســودُ
وهِيفٌ رقاقٌ موضعِ الهَيْفِ(٢) فُتْنَنى وهنَّ جســومٌ حلوةٌ وقــدودُ
دعينى وخُلْقًا من سِنىَّ استفدته عزيزا فمعــدودُ السنين مفيــدُ

(١) فى الأصــل " مستحسبا " .

(٢) الهيف : ضمور البطن ورقة الخاصرة وهو أهيف وهى هيفاء ، وجمعهما هِيفٌ .

ولا تحسبيني صِبْغَ لونين في الهوى أتوبُ وتبـدو فرصـةٌ فأعودُ
ولا كامنا في الحيّ أنظـرُ سِربَهُ على خدعة الأشراكِ كيف أصيدُ
وحَصَّ غرابي يا آبنـة القومِ أجدلٌ (١) بصـيرٌ بأوكار الشبابِ صَيودُ
أراكِ ترَيني ناقصـا ونقيصـتي ليـالٍ وأيامٌ عـلىّ تزيـدُ
لكلّ جـديدٍ باعترافِكِ لذّةٌ فمـا لكِ عفتِ الشيبَ وهو جـديدُ
تأخّرتِ بالصمصامِ وهو مصمّم وخالفتِ رأىَ الرمح وهو سـديدُ
متى ضنّتِ (٢) الدنيـا علىّ فأبصرت لسانيَ فيهـا بالسـؤالِ يجـودُ
اذا كنتَ حرّا فاجتنبْ شهواتِهـا فإن بنيهـا للزمانِ عبيـدُ
وبِنْ في عيون النـاس منهـم مباعدا اذا آشتبهوا وآسـلم وأنت وحيـدُ
وقل بلسان الحـظّ، إن خطيبَهُ بليغٌ ومَن أعيا عليـه بليـدُ:
اذا شئت أن تلقَ الأنام معظّما فلا تلقَهم إلا وأنت سـعيدُ
ورُبَّ نجيبٍ "كآبن أيّوب" واحدٍ تراه مع الحـالاتِ حيث تريدُ
صديقٍ، وما يُغني صديقُك لم يُطِقْ ثقيـلا ولم يقرُب عليه بعيـدُ؟
أعُدُّ سجـايا الأكرمين وتنقضي وأمُّ سجـاياه الكرامِ ولودُ
اذا قمتُ أتلوهنّ، قالت لِيَ العُلا: أَعِد، والحديثُ المستحبُّ يعـودُ
وصدّق وصفي — والمحبُّ بمعـرِضٍ من الريْب — آياتٌ عليـه شهودُ
يدٌ في النـدى ماءٌ، وقلب اذا آلتوتْ عليـه حبـالُ المشكلات حـديدُ
ومخضوبة الأطرافِ لم تُصبِ عاشقا عميـدا، وكم أودَى بهن عميـدُ
قواطع أوصالِ البـلاد سـوائر وما ثار عن أخفافهنّ صـعيدُ
اذا نارُ حربٍ أُضرمتْ أو مكيدةٌ فهنّ لهـا وما آحـترقن وَقـودُ

(١) الأجدل : الصقر . (٢) فى الأصل "مضى" .

وعلّمه أن يصنع المجدَ مَنبِتٌ ... عريقٌ وبيتٌ فى السماء قعيدُ

وحامون بالرأى الجميع حِماهُمُ ... ووَفْرُهُمُ عند الحقوق شريدُ

مطاعيمُ أرواحِ الشتاء(١)، اذا طغت ... سواجرُ(٢) فى أبياتهم وركودُ

قيامٌ الى أضيافهم وعليهمُ ... ولكنّهم عند الملوك قُعودُ

سخا بهمُ أنّ السخاء شجاعةٌ ... وشجّعهم أنّ الشجاعةَ جودُ

وُقيتُ من الحسّاد فيك فكلّ من ... يَرَى ودّك الباقى علىَّ حسودُ

يودّون ما أصفيتنى من مودّةٍ ... وما أَصطفِى من شكرها وأُجيدُ

لبعضهِمُ من بعضهم متخلَّصٌ ... وتأبَى غلولٌ بينهم وحقودُ

وعذراء مما آستنجبَ الفكرُ وآرتضَى ... معقَّلة فى الخِدرِ وهى شرودُ

نجومُ سجاياك الصِّباحُ اذا سرت ... قلائدُ فى أعناقها وعقودُ

اذا يومُ عيدٍ زفّها قام ناصبا ... لتجهيزِ أُخرى مثلِها لك عيدُ

لها بعدما يفنَى الزمانُ وأهلُه ... بقاءٌ على أحسابكم وخلودُ

✦ ✦ ✦

وقال يمدح العمدة ذا النباهتين آبن الصاحب ذى السياستين أبى محمد بن مكرم ويهنئه، وقد خلع عليه خلعةً مشرقةَ الجمال والجلال، وأضيف الى ألقابه عزّ الجيوش ويصف الخِلَعَ والحُملان

إمّا تقومونَ كذا أو فآقصدوا ... ما كلّ من رام السماءَ يَصعدُ

نامَ على الهُونِ الذليلُ ودرَى ... جفنُ العزيز لِمَ بات يَسهَدُ

(١) يشير بذلك الى الذين يقال لهم : مطاعيم الريح فى العرب ، زعم آبن الأعرابىّ : أنهم أربعة أحدهم عمّ أبى محجن الثّقفىّ ولم يسمّ الباقين ، وقال أبو الندى : هم كنانة بن عبد ياليل الثقفى عمّ أبى محجن ، ولبيد ابن ربيعة وأبوه كانوا اذا هبت الصبا أطعموا الناس وخصوا الصبا لأنها لا تهب إلا فى جدب ، وفى المثل "أقرَى من مطاعيم الريح" . (٢) السواجر السيول تملأ كل شىء .

أخفُّكم سعيا الى ســـودَدِه أحقُّكم بأنْ يقالَ : ســيِّدُ
عن تعبٍ أورِدَ ساقٌ أوّلا ومَســـحَتْ غرّةَ سَبّاقٍ يدُ
لو شرُفَ الإنسـان وهو وادعٌ(١) لقطعَ الصمصامُ وهـــو مغمَدُ
هيهات أبصرتَ العـلاءَ وعشَوا عنـــه فضـــلُّوا سُبلَه وتَجِـــدُ
يا عمـــدةَ الملكِ وأىُّ شرفٍ طالَ ولم ترفعـــه منكم عَمَـــدُ ؟
لله هـــذا اليومُ يوما أنجـــز الـ ـدهـــرُ به ما كانَ فيه يَعِـــدُ
لما طَلعتَ البدرَ من ثَنِيّـــةٍ تُجـــلَى بهـا عينٌ وعَينٌ تَرمَدُ
من شَفَقِ الشمسِ يُسَدَّى ثوبُهـا وتُلحَمُ(٢) الجـــوزاءَ أو تُعَـــمَّدُ
دقَّ وجلَّ فهـو إنْ لامستَهُ سَبْطٌ وإنْ مارسته مُجعَّـــدُ
متـــوَّجا عمـامـــةً وإنمـا عمـامةُ الفـارس تاجٌ يُعقدُ
ممتطيا أتلـــعَ(٣) لـو حبســـتَهُ تحتـــك قيل : فَدَنٌ(٤) مُشيَّدُ
مناقـــلا بأربعٍ كأنمـا يلاطم الجليـــدَ منهـا جَلْمَـــدُ
وقَّـــرها خوفُك فهـــو مطلَقٌ ينقلُهـا كأنّه مقيَّـــدُ
خَفَّ بطبعِ عِتقِـــه وآده(٥) ثِقـــلُ الحُـــلَى فمشـــيُه تأوُّدُ(٦)
مقـــلَّدا مهنّـــدا ما ضمَّـــه قبلَك إلا خافـــه مقـــلَّدُ
أبيضُ(٧) لا يعطيك عهدا مثـــلُه اذا أخـــوك حالَ عمّـا تَعهَدُ
اذا ادّرعتَ فى الدجى فقَبَسٌ وإن توسّـــدتَ الثرى فعضُـــدُ
ما اعتدتَ كسبَ العزِّ إلا مَعَهُ ، والمـــرء مَشّـــاءٌ وما يُعَـــوَّدُ

---

(١) الوادع : الساكن المستقر، وفى الأصـل " دارع " . (٢) فى الأصـل " يحلم " .
(٣) الأتلع : الطويل الجيد، ويريد به الفرس . (٤) الفدن : القصر العظيم . (٥) آده : أثقله . (٦) التأوّد : الانحناء والانعطاف . (٧) الأبيض : السيف .



ما زال "فخر المُلك" فى أمثالها يرشُـدُ فى آرائه ويسعدُ
فكيف لا وأنت من فؤاده عزًّا وعينيه المكانُ الأسودُ
ولو ركبتُ أرحلا لكان لى فيك بُراقٌ بالمنى مزوَّدُ (١)
أنت الذى جمعتنى من معشرٍ شملُ العلاء بينهم مبدَّدُ
كأننى آخذُ ما أُعطيهُمُ من مِدَحى اذا نطقتُ أُنشِدُ
أبحتَنِى مجدَك إذ أرحتنى ممّن أذمُّ منهمُ وأحمَدُ

* * *

وكتب الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم فى عيد الفطر

ليتك لمّا لم تكن مُسعِدا أو مصلحا لم تكن المفسدا
كنتُ كثيرا بك فيما يَرَى ظنّى، فكثَّرتَ عديدَ العدا
وشى وقد قدَّمتَهُ رائدا، لا تبعث الظلمة مسترشدا
يسومنى الغدرَ بعهد "اللّوى" ما حقُّ من يغدرُ أن يَعهَدا
غيرى أبو الألوان فى حبّه يشكو الهوى اليومَ ويسلو غدا
أصبو الى "طَيْبةَ" من "بابلٍ" ما أقربَ الشوقَ وما أبعدا
يا فارسَ "الغيداء" يبغى "مِنًى" بلِّغْ — بلغتَ الرشأَ الأغيدا — :
يا حبذا الذكرى وإن أسهرتْ بعدك والدمعُ وإن أرمَدا
لا تأخذِ النَّفرَ بتفريقنا فربّما عاد لنا موعِدا
"بالغور" دارٌ و"بنجدٍ" هوًى يا لهفَ من غار لمن أنجدا
ما كان سَلمى يوم فارقتكم يا "سَلْمَ" منّى حاملا أجلدا
سجيّةٌ فى الصبر عوّدتُها قلبى والقلبُ وما عُوّدا

---

(١) فى الأصل "ومزيد" ولعله تحريف .

لم تُدنِني الأيامُ من عدلها قطّ فألقى الجَورَ مستبعَدا
وإنما يُنكِرُ مِن عَيشِهِ أنكدَهُ مَنْ عَرَفَ الأرغدا
حوادثٌ أعجبُ من كرِّها أن أتشكّاها وأن أُحسَدا
ليتَ بني الدنيا التي لا تَرَى لي نسبا منها ولا مَولدا
كفَتْهم عنِّيَ أو ليتَهُم كانوا جميعا "للحسين" الفدى
للقمرِ الفردِ وهل مالكٌ في الأفقِ غيرُ البدرِ أن يُفردا
لا يَحسَبُ الطيِّبَ مِن ماله ما لم يكن معترضا للجَدا
وكان أغنَى حسبا عندهمُ من لم يزل أفقرَ منهم يدا
والأبيض الرأيِ اذا ما شكا خابطُ ليلٍ رَايَهُ الأسوَدا
وفارس القَولةِ لم يَستقمْ في ظهرها الفارسُ إلا ارتدى[1]
وسالك الخطبِ وقد أظلمتْ مَحجَّةٌ بالنجم لا تُهتَدَى
ما شِيمَ منكم صارمٌ مغمَدٌ إلا وأمضى منه ما جُرِّدا[2]
ولا قَضَى اللهُ على سيِّدٍ قضاءَهُ إلا آجتبَى سيِّدا
إن بدأوا تَمّ أو نَقصُوا أنعمَ أو حطُّوا عُلًا شيَّدا
كأنه أُرضِعَ ثدىَ النُّهى أو شاب من حُنكتِه أمردا
لا عاقَ أنوارَك يا بدرَهُمْ ما يَنقُصُ البدرَ اذا زُيِّدا
ولا أغبَّتكم[3] على عادِها — ما أفطر الصائمُ أو عيَّدا —
بواكرٌ من مِدَحى تقتفِى في صونها آثارَكم في الندى

---

(١) ارتدى : تقلّد سيفه ولعل معناه أنه يقصى بقوله ما يقضيه غيره بسيفه ؛ أو لعله محرف عن

وفارس الجولةِ لم يستقمْ في ظهرها الفارسُ إلا ردَى

ومعنى ردى : سقط . (٢) في الأصل "فيه" . (٣) أغبتكم : تركتكم .

تجلو علـــى الألبـاب أحسـابَكُمْ بواديًا فى حَلْيِهـا عُــوَّدا
تبـقَ على الدهر وِسـاعَ الخُطا فى جَوْبِها الأرضَ طِوالَ المدى
يزيدهـا تـــرديدُهـا جِـــدَّةً ويُخْـلِقُ القــولُ اذا رُدِّدا

* * *

ولما وصلت القصيدة العينيّـة الى أبى الحسن محمد بن الحسن الهُمَانى ، تفقّده بهديّة جميلة زائدة على قدر عمله وتمكّنه ، وكتب اليه كتابا منصـفا يستوفى معانىَ الاعتذار والتشوق ، فأخر الجوابَ عنه الى أن ألحقه بهذه القصيدة ، واتفق نفوذُها الى الكوفة فى آخر شهر رمضان يهنئه بالعيد

لا تَلمَسُ الشمسَ يدُ فما يَرُدُّ الحسَــدُ ؟
ما لمُــريدِ حسنِها إلا الأسى والكمَدُ
يَفْــنَى نزولا ولهـا عـلاؤهـا والخُــلُدُ
أرى نفوسا ضَــلّةً تَنشُــدُ ما لا تَجِــدُ
تحسَب بالكسب العلا ءَ والعـــلاءُ مُــولَدُ
أفضَـحُها مفنّــدُ لو سـدّ غيظا فَنَــدُ
وكلّ قلبٍ قُــرحة يشِفُّ عنــه الجسدُ
أبـــرُدُهُ بعَـــذَلى لو أن نارا تَــبْرُدُ
هيهات من دوائهـا ودا ؤها " محمّــدُ "
فات عــلى أطماعِــهِ حمى العيون الفــرقدُ
شَــوَّقهـا لحـاقَــهُ جَهلُ الحظوظِ المسعِدُ
ونِعَـــمٌ نابتــةٌ[1] مــع الربيع جُــدُدُ

(١) فى الأصل " نابه " .

حـــدَّثَهـا أضغاثَهـا[1]   هذا السرابُ المُوقَـدُ

والصبحُ فى تكذيبهـا   إن بلغوه الموعــدُ

يا حاسـدى "محمّدٍ"   لا تطلبوه وٱحسُـدوا

شريعـةٌ مـوروذةٌ   لو أصـدَرتْ مَنْ يَرِدُ

منتكُمُ جـدودُكـم   أَنَّ السبيلَ جِدَدُ[2]

تنكّبوا فإنمـا   على الطريق الأسـدُ

أغيـدُ لا يُنجِى الرقا   بَ من يديه الجَيَدُ[3]

أوفَى عـلى مَرقَبِـه   لكفّه ما يرصُــدُ

أزبُّ[4] ما مِن قِـرّةٍ[5]   خِيطت عليـه اللِّبَدُ[6]

اذا غـدا لسفَرٍ   أقســمَ لا يُـزَوِّدُ

النـاجياتُ عنـده   وذيّـةٌ[7] ونَقَـدُ

قد قلتُ لمّـا أجمعوا   وأنت عنهـم مفردُ

تخبِـطُ عشواؤهُمُ :   ما فعــل المُقَـوِّدُ[8] ؟

البــدرُ فى أمثالهـا   حنادسـا يُفتقَــدُ

ضاع بياضُ ناركـم   والليلُ بعــدُ أسْودُ

أكرمُكم أحقُّـكم   بأن يقالَ : سـيِّدُ.

دلَّ عــلى آياتِه   فما لنـا نُقَــلِّدُ

---

(١) الأضغاث جمع ضِغْث وهو ما ٱختلط من الخبر والأمر فلا تعرف حقيقته .   (٢) الجَدَد : الأرض المليئة المستوية .   (٣) الجَيَـد : طول الجيد وحسنه .   (٤) الأزبّ : الكثير الشعر على وجهه .   (٥) القِرّة : البرد .   (٦) اللبد جمع لِبـدة وهى كل شـعر أو صوف متلبّد .   (٧) الوذيّة : الحقيرة .   (٨) المقوِّد : الذى يقود الدابّة .

وناقصَ الشِّكةِ(١) مضـ ـعوفَ الحشا مُعوَّدُ(٢)

صمِّ القنا الصِّلابِ من خَوَرِهِ تَقَصَّدُ(٣)

يطولها شوارعا وهو لَقًى موسَّدُ

إذ الكمالُ كلُّه فى جسدٍ يجدَّدُ

ما تلِدِ الأرضُ كذا والأرضُ بعدُ تَلِدُ

قل لبنى الآرابِ(٤) تُجـ ـفَى والمنى تُشرَّدُ

والحاج يُلقَى دونهـ ـنّ الحِزُّ المُزيَّدُ(٥):

الكوفةَ الكوفةَ يا مغْوِرُ يا منجِدُ

ما الناس إلا رجلٌ والأرض إلا بلدُ

مَن راكبٌ مُربِعةً(٦) تمَّ عليها العددُ؟

موضوعةَ الرحلِ تُدَ ـ ـسّ حَكْمُها(٧) وتَرِدُ

يَمُدُّ قيدَ الرمحِ ظِـ ـلّا قَصرُها المشيَّدُ

تحمله مُخِفَّةً ولو علاها " أُحُدُ "

تَخُدّ فى الصخر ملا ـ ـطِمٌ(٨) عليها تَخِدُ

عَجْلَى اذا ما الساق صا ـ ـدت ما تُثيرُ العَضُدُ

لم يدر لحظٌ ضابطٌ ما رجلُها وما اليدُ

بلِّغ — بلغتَ راشدا تسرى، ويحدو مُرشدُ —:

---

(١) الشكة : السلاح . (٢) المعوّد : المسن من قولهم عوّد البعير أى صار عَوْدا .

(٣) تقصد : تكسر قصدا أى قطعا . (٤) فى الأصل " الآداب " . (٥) الحز المزيد : البخيل الذى يزيّد ماله أى يُنميه . (٦) المربعة : من ذوات الخفّ التى دخلت فى السنة السابعة .

(٧) الحكم وضع الحَكَمَة فى فم الدابّة وهى ما أحاط بحنكى الدابّة من لجامها وفيها العذاران . (٨) ملاطم، جمع مَلطم وهو الخد وفى الأصل " ملاطيم " .

شـــوقا يقُضُّ[1] نَبلُهُ الـ ـأضـــلاعَ وهى زَرَدُ
دام عـــلى حصاة قلـ ـبى ويذوب الجلمـدُ
أفنى الوَقـودُ كبـدى فهـــل يُحسّ المُوقِـدُ
كم يُسعِد الصبرُ تُرَى ؟ بعـــدك خان المسعِدُ
على مَن الفضلُ — وقد فارقتَـــه — يعتمِدُ ؟
يا طولَ ذمّى للنوى ، هــل من لقاءٍ يُحمَــدُ ؟
متى ؟ فقد طال المدى ، لكلِّ شىء أمـــدُ
يا باعثَ النعمى التى آياتُهـا لا تُجحَـــدُ
لو كُتِمتْ تطلّعتْ من حسن حالى تَشهدُ
كانت سَـــدادَ رخلةٍ أصيب فيها المقصِـدُ
رمّمتَ منهـا ثُلَمـاً[2] ما خلتُهـا تُســدَدُ
علّك من مطلٍ بالـ شكر عليهـا تَجـدُ
ما كان تقصيرا ، فهـل يقتصـر المجتهـدُ ؟
لكنّهـا عارفـةٌ من الثناء أزيـدُ
أفســدنى إفراطُها ، بعضُ العطاء يُفسِــدُ
والجود ما أسرفَ والـ إمســاك فيــه أجودُ
والآن رثّتْ مُسْكةٌ[3] فاسمـع لهـا أجـدِّدُ
تأتيك بشرى ما تسو د أبـــدا وتسـعَدُ
وما تصوم مُرضِـــياً بقـاك أو تُعيّـــدُ

(١) يقضّ : يدقّ ، وفى الأصلى "يفضّ" . (٢) الثلم جمع ثُلمة وهى فُرجة المكسور والمهدوم .
(٣) المُسكة : ما يُتمسّك به .

سنينَ لا يضبطهنّ في الحساب عَددُ
إن عاقني دهرٌ أقومُ أبدا ويُقعِدُ
عن المثول اليوم ما بين يديك أُنشِدُ
فربّما قمتُ غدًا، إنّ أخا اليومِ غدُ

* * *

(١٠٠)

قال وقد رثى الشريف الرضيّ رضوان الله عليه بالقصيدة الميميّة، وشقّت على جماعةٍ ممّن كان يحسدُ الرضيَّ بالفضل في حياته أن يُرثَى بمثلها في وفاته، ونسبه قومٌ الى السرف فيما آدعى له ولنفسه من اللحاق به وشدّة الأنس معه، حبّا لأن تضاف بعضُ المحاسن اليهم، وطعنوا في غرضه من الإقرار بالتوحيد، وتكلّموا في ذلك، وكان فيهم مَن رثاه بما ظاهرُه التأسّي، وباطنه الشماتة، بشعرٍ لا يسرّ سامعا، ولا يملك فَهِما، فأسِفَ لمكان قصوره عمّا كان يجب أن يقدر على قوله، وعمل هذه القصيدةَ يرثيه، ويلوّح بذكرهم، ويزيد في غيظهم

أقريشُ، لا لفمِ أراكِ ولا يدِ فتواكلي، غاض الندى وخلا النّدى[1]
خواستِ، فآلتفتي بأوقصَ[2]، وآسئلي من برِّ ظهرِكِ، وآنظري من أرمدِ[3]
وهيَ الذُّحولَ[4] فلستِ رائدَ حاجةٍ تُقضَى بمطرورٍ[5] ولا بمهنّدِ
خلّاكِ ذو الحسبين أنقاضًا[6] متى تُجذَبْ على حبل المذلّة تَنقَدِ
قَمَرُ الدُّنا أضحت سماؤكِ بعده أرضًا تداسُ بحائرٍ وبمهتدى
فاذا تشادقت الخصومُ فلجلجي واذا تصادمت الكماةُ فعرّدى

(١) يقال تواكل القوم : آتكل بعضهم على بعض، والنديّ : النادى . (٢) الأوقص : العنق القصير . (٣) الأرمد : الذى به رمد . (٤) الذحول جمع ذحل وهو الثأر أو العداوة والحقد . (٥) المطرور : المحدّد ويريد به سنان الرمح . (٦) الأنقاض جمع نِقْض وهو المهزول من السير ناقة كان أو جملا .

يا ناشدَ الحسناتِ طوِّف فاليـا (١) عنهـا وعاد كأنه لم ينشُـد
اهبِط الى "مُضرٍ" فسلْ "حمراءَها": مَن صاح "بالبطحاء": يانارُ اخمدى ؟
بكَر النعىُّ فقال: أردِىَ خيرُها، إن كان يصدُقُ "فالرضىُّ" هو الردِى (٢)
عادت أراكةُ "هاشم" من بعده خَوَرا لفأس الحاطبِ المتوقِّدِ
فُجعتْ بمعجزِ آيةٍ مشهودةٍ ولربَّ آياتٍ لها لم تُشهَدِ
كانت اذا هى فى الإمامةِ نوزعتْ ثم ادّعت بك حقَّها لم تُجحَدِ
رضِىَ الموافقُ والمخالفُ رغبةً بك واقتدى الغاوى برأى المرشِدِ
ما أحرزت قصباتِها وتراهنتْ إلا ظهرتَ بفضلةٍ من سؤدُدِ
تَبِعتكَ عاقدةً عليك أمورَها وعُرَى تميمك (٣) بعدُ لمّا تُعقَدِ
ورآكَ طفلا شِيبُها وكهولُها فتزحزحوا لك عن مكان السيِّدِ
أنفقتَ عمرَك ضائعا فى حفظها وعققت عيشَك فى صلاح المفسدِ
كالدار للسارى الهدايةُ والقِرَى من ضوئها ودخانُها للُموقِدِ
مَن راكبٌ يسع الهمومَ فؤادُهُ وتُناط منه بقارحٍ متعوِّدِ؟
ألف التطوّح (٤) فهو ما هدّدته يفرى فيافى البيد غيرَ مهدَّدِ
يطوى المياهَ على الظما وكأنه عنها يَضِلّ، وإنّه لَمُهتدى
صُلبُ الحصاة يثورُ (٥) غير مودّعٍ عن أهله ويسير غير مزوَّدِ
عُدلتْ جَوِيّتُه (٦) على ابن مفازةٍ مستقرِبٍ أَمَّ (٧) الطريق الأبعدِ
يجرى على أثَرِ الدِّرابِ (٨) كأنه يمشى على صَرحٍ بهن ممرَّدِ (٩)

(١) فاليا: باحثا. (٢) الرّدِى: الهالك. (٣) التميم: جمع تميمة وهى خرزات تنظم فى السير ثم يعقد فى عنق الصبى اتقاءً من العين. (٤) فى الأصل "التطرح". (٥) فى الأصل "ينور". (٦) الجوية: الأرض غير الموافقة. (٧) الأمم: القرب. (٨) الدراب جمع دَرْب وهو المضيق فى الجبل وفى الأصل: "الضراب". (٩) الممرّد: المطوّل المملّس.

يغشى الوهادَ بمثلها من مَهبِطٍ ... ورُبَا الهضابِ بمثلها من مَصعَدِ
قَرِّبْ، قُربتَ من التلاع فإنها ... "أمّ المناسك" مثلُها لم يُقصَدِ
دأبًا به حتى تُريحَ "بيثربٍ" ... فتنيخَه نِقْضًا(١) بباب المسجدِ
وآحثُ التراب على شحوبك حاسرا ... وآنزِلْ فعزِّ "محمّدا" "بمحمّدِ"
وقل : آنطوى حتّى كأنك لم تلدْ ... منه الهدى وكأنّه لم يولَدِ
نزلت بأمّتك المضاعة فى آبناك الـ ... ـمفقودِ بنتُ العنقفيرِ المُؤيِدِ(٢)
طرقته تأخذُ ما آصطفته ولا تَرِى(٣) ... مكرا وتقتُلُ من نَحتْه ولا تَدِى
نشكو اليك وَقودَ جاحِمِها وإن ... كانت تخصّك بالمُلِظِّ(٤) المكمِدِ
بكت السماءُ له ووَدّت أنها ... فقدت غزالتَها ولمّا يُفقدِ
والأرضُ وآبن الحاجِ سُدّتْ سُبْلُهُ ... والمجدُ ضيم فما له من مُنجِدِ
وبَكاك يومُك إذ جرتْ أخبارُهُ ... تَرَحا وسُمِّىَ بالعبوس الأنكدِ
صبغتْ وفاتُك فيه أبيضَ فجره ... يا لَلعيون من الصباح الأسودِ
إن تُمسِ بعد تزاحمِ الغاشين مهـ ... ـجورا بمَطرحَةِ الغريبِ المُفرَدِ
فالدهرُ ألأمُ ما علمتَ وأهلُه ... من أن تروحَ عشيرَهم أو تغتدى
ولئن غُمِزت من الزمان بلِيِّنٍ ... عن غَجْمِ مثلِكَ أو عُضِضت بأدردِ
فالسيفُ يأخذُ حُكمَهُ من مِغفرٍ(٥) ... وطُلًى(٦) ويأخذُ منه سِنُّ المِبرَدِ
لو كان يعقِلُ لم تنلْك له يدٌ ... لكن أصابك منه مجنونُ اليدِ
قد كان لى بطريفِ مجدِك سلوةٌ ... عن سالفٍ من مجدِ قومك مُتلَدِ

(١) النِّقض : المهزول من السير ناقة كان أو جملا . (٢) العنقفير المؤيد : الداهية الشديدة .
(٣) ولا ترى : ولا تظهر نارها أى أنها تطرق فى الظلام . (٤) الملظّ : الملازم ، ويريد به الحزن .
(٥) المغفر : خوذة من الزرد توق الرأس . (٦) الطلى : الأعناق .

فكأنكم — ومدًى بعيدٌ بينكم — يومَ آفتقدتُكَ زُلتمُ عن مَوعِـــد
يا مشكلا أمَّ الفضـائلِ[1] مـوروثا يُتمًـا بنـاتِ[2] القاطناتِ الشُّــرُدِ[3]
خلقتهنَّ بمـا رضينك ناظما ما بيـن كلِّ مُرَجَّزٍ ومُقَصَّـدِ
فُتِحتْ بهنّ ـ وقد عدمتُكَ ناقدا ـ أفـواهُ زائفـــةِ[4] اللُّهى لم تُنقَـدِ
ورُثيتَ حتّى لو فَرقتَ مميِّزا راثيك مـن هاجيك لم تَستَبعِدِ
غادرتنى فيهـم بمـا أبغضتهُ أدعو البيوعَ الى متـاعٍ مُكسَدِ
أشكو آنفـراد الواحدِ السارى بلا أنسٍ و إن أحرزتُ سَبقَ الأوحدِ
واذا حفِظتُك باكيا ومؤبِّنـا عابوا عليك تفجُّعى وتـلدُّدى[5]
أحسنتُ فيك فساءهم تقصـيرُهم ، ذَنْبُ المصيبِ الى المغـيرِ المُعضِدِ[6]
كانوا الصديقَ رددتَهم لى حُسَّدًا صلَّى الإلهُ على مكثِّرِ حُسَّدى
يغـترُّ فيك الشامتون وإنه يومٌ هُمُ رهنٌ عليـه الى غـدِ
وسيسبرونى كيف قطعُ مُجـرَّدى إن كان حَزَّ ولم يُعمِّقْ مُغمَدى
وتُثـير[7] عارمـةُ الرياح سحائبى من مُبرِقٍ فى فضلِ وصفك مُرعِدِ
فتقتْ بذكرِك فأرها فتفاوحت نعما تأرَّجُ لى بطِيب المـولدِ
تزداد طولا ما آسـترحت فإننى أرثيك بعـدُ وحُرقتى لم تَـبرُدِ
ماء الأسى متصبِّبٌ[8] لى لم يَغِضْ فى صحن خدٍّ بالبكاء مُخَـدَّدِ
لو قـد رأيتَ مع الدموع جدوبَهُ ـ فرطَ الزفيرِ ـ عجبتَ للراوى الصَّدِى

---

(١) أمّ الفضائل : العلم . (٢) يشير الى قصائد المرثىّ التى نظمها . (٣) فى الأصل "التنود" . (٤) فى الأصل "رائنة" . (٥) التلدد : التحير . (٦) المغير المعضد : السهم يذهب فى الغور شمالا و يمينا . (٧) فى الأصل "تُسير" وفى القرآن الكريم "هو الذى يُرسل الرياح فتُثير سحابا" . (٨) فى الأصل "متسبب" .

لا غـيَّرتك جَنائبٌ[1] تحت البـلى وكساك طِيبُ البيت طيبَ المَلحدِ
وقَرُبتَ، لا تبعُـدْ، و إن علالةٌ للنفس زورا قَوْلتى لا تبعُـدِ

* * *

وكتب الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم يهنّئه بالنيروز و بعيد الفطر الذى آتفق معه، و بسلامته، وكان ورد قادما، ويذكر رسم خلعة شتوية أخّرها عنه

حاشاك من عاريّةٍ تُرَدُّ ابيضّ ذاك الشَّعَرُ المسودُّ
أشرفَ بازىٌّ على غرابه حتى ذوَى الغصنُ ولان الجَعْدُ
أتعبنى بخاضبٍ مُصـدَّدٍ لو كان من هُجـومه يُصَـدُّ
وثالمٍ بلقطـه ثنيَّـةً معروفةً من يومها تُسَـدُّ
يصبغ سـوداءَ ودون أخذه بيضـاءُ تَخفَى تارة وتَبـدو
أَخلقَ جاهى فى ذوات الخُمْرِ[2] مذ لِيثَ[3] خمـارٌ لِيَ مُسـتَجَدُّ
قلنَ[4] ــ وقد عتبتُ فى وثائق نقضنها[5] ــ : ما غادةٌ وعهدُ
نافَى بك الشيبُ بِطالاتِ الصِّبا الليـلُ هزلٌ والنهـارُ جِدُّ
فقلتُ : نصلٌ لا يُذَمُّ عِتقُهُ، قلنَ : فأينَ الماءُ والفِرِندُ ؟
كانَ قناةً فغـدا حنيَّةً ظهرُك، ما القضيبُ إلا القَدُّ
سائل "بنى سعدٍ"، وأىّ مأثمٍ لم يتقلّدْ منك ظلمـا "سعدُ" ؟
أهندُ قالت : ملّنى، وحلفتْ؟ تحلّلى حالفـةً يا "هنـدُ"
أمْنُك بين أضلعى جنايةٌ أعجبْ بهـا نارا خباها[6] زَنْدُ !

(١) جنائب جمع جنوب وهى ريح تقابل الشمال . (٢) الخمر جمع خمار وهو مثل النقاب .
(٣) ليث : لُفَّ . (٤) فى الأصل "قلتْ" . (٥) فى الأصل "نقضتَها" .
(٦) خباها لغةٌ فى خبأها .

وعدُكِ لِمْ أُخْلِفَ[1] يومَ "بابلٍ"؟ بل كان سحرا وآسمُـــهُ لِى وعدُ
خصرُكِ ضعفا واللســانُ مَلَقًا دقًّا عليك أنْ يصحَّ عَقدُ
ضاع الهوى ضياعَ من يحفَظُه ومات مع أهـــل الوفاء الودُّ
أُنجُ ربيحَ العِرضِ وآقعدْ حَجرةً[2] منفردا، إنَّ الحسامَ فردُ
كم مســـتريحٍ فى ظلالِ نعمةٍ وأنت فى تأميـــله تَكُدُّ
طالك بالمـال ولو أريتَـــهُ صَـــونا رآك مَعَهُ تُعَـــدُّ
ملكتُ نفسى مذ هجرتُ طمعى اليأسُ حُرٌّ والرجاءُ عبـــدُ
ولو علمتُ رغبـــةً تسوق لى نفعا لخَفتُ أنْ يَضُرَّ الزهدُ
جرَّبتُ أخـــلاقَ الرجال فإذا بسَمحِها مع السؤال نَكْدُ
ورمتُ أيديهـــم بكلِّ رُقيـــةٍ تلين والأيدى معى تَشْـتَدُّ
لم يُعينى فضـــلُ أداريهم به وإنمـا أعيا علىّ الجَـــدُّ
ما كان مَن شَعْشَعَ لى سرابَهُ غَرَّ فَمِى وقلتُ : ماءٌ عِـــدُّ
فى الناس مَنْ معروفُهُ فى عُنُقٍ غُلٌّ ، وفيهـــم مَن جَداه عِقدُ
مثلُ "الحسينِ" إن طلبتُ غايةً فاتت، وهل مِثْـــلٌ له أو نِدٌّ ؟
فات الرجالَ أن ينالوا مجـــدَه مشمِّرٌ للمجـــدِ مســـتعِدُّ
غَلَّسَ فى إثرِ العـــلا وأشمسوا بجَـاء قبـــلا والنجومُ بَعـــدُ
ومن بنى " عبد الرحيم " قمرٌ كلُّ لياليه تمـامٌ ســـعدُ
ما نطفةُ المزنِ صفَت طاهرةً أطيبُ ممّا ضمَّ منـــه البُرْدُ
لابِنْهُ لا تُلفِ القضيبَ عاسيًا[3] وآصعُبْ يزاحمْك ثقيلا "أُحُدُ"

---

(١) فى الأصل "خالف" . (٢) حَجرة : ناحية . (٣) عاسيا : يابسا .

من المحامين على أحسابهم — بمالهم، فالفقرُ فيهم مجدُ
لا يتمنّون على حظوظهم — أن يَجِدُوا دنيا اذا لم يُجدُوا
سخوا ولم تَبْنِ عليهم "طيِّئٌ" — وفصُحوا ولم تلدهم "نَجْدُ"
كانوا الخيارَ وفَرَعْتَ زائدا، — والنارُ تعلو وأبوها الزَّندُ !
يا مؤنسي بقربه سلْ وحشتي — بعدَك : ما جرّ عليَّ البُعدُ !
أكلَّ يومٍ للفراق فيكمُ — تعمُّدٌ(1) يسوءنى أو قصدُ ؟
ما بين أن يَحبُرَنى(2) لقاؤكم — حتى النوى فنعمةٌ وجُهدُ
وكيف لا وأنتمُ فى نُوَبى — يدٌ وظَهرٌ وفمٌ وعَضْدُ
ريشُ جَناحى بكمُ مُضاعَفٌ — وحبلُ باعِى منكمُ ممتَدٌّ
كم تحملون كُلَفِى ثقيلةً — كأنّ حَملى ليس منه بُدُّ
مبتسمين والثرى معبّسٌ — بيضَ الوجوهِ والخطوبُ رُبْدُ
قد فَضَلَتْنِى سَرَفا ألطافُكم — فحسبكم ! لكلِّ شىءٍ حَدُّ
أبقُوا علىّ إنما إبقاؤكم — ذُخرٌ ليومِ حاجتى مُعَدُّ
شِيبُكمُ والنُّصَفاءُ منكُمُ — والغُرُّ من شبابكم والمُرْدُ
فى نجوةٍ أيدى الخطوب دونها — بُتْرٌ(3) وأجفانُ الليالى رُمْدُ
أراك فيها كلَّ يومٍ لابسا — ثوبا من النَّعماء يستجدُّ
يزورك الشِّعرُ به فى مَعرَضٍ — منشِدهُ يُحسبُ طِيبًا يشدو
وربما أذكرُ، ما أنساكَ من — رسمى اتفاقٌ ساءنى لا عَمْدُ
سيفُكَ فى الأعداء لِمْ خلّفتَهُ — مجرَّدًا ليس عليه غِمدُ ؟

(1) فى الأصل "تعمُّه". (2) يُبْرِجع — (٢) يحبرنى : يسرنى، وفى الأصل "يجبرنى". (3) بتر جمع بتراء أى مقطوعة، وفى الأصل "تروا".

وكيف طِبتَ أن يُرى فريسةً نفسًا وأيامُ الشتاء أسْدُ
يحتثِمُ النيروزُ من إطلاله[1] والمهرجانُ يقتضيكَ بعدُ

* * *

واتفقتْ للأستاذ الجليل أبى طالب محمد بن أيوبَ سَفرةٌ الى سُرَّ مَنْ رَأَى وما يجاورها من البلاد لهفوةٍ لحقت الجَنَبَةَ[2] التى يتعلّق بها، ومات أخوه وهو غائبٌ، ولحقته قُصودٌ من الزمان شُغِلَ عن التوجّع له فيها فكتب اليه

(١٠٣)

خليلُكَ مَن صفا لك فى البعادِ وجارُك مَن أدمّ على الودادِ
وحظُّك من صديقك أن تراه عدوًّا فى هواك لمن تعادى
وربَّ أخٍ قَصِىّ العِرق فيه سلوٌّ عن أخيك من الوِلادِ
فلا تغرُرْك ألسنةٌ رطابٌ بطائنهنّ أكبادٌ صَوادى
وعِش إمَّا قرينَ أخٍ وفىّ أمينِ الغيب أو عيشَ الوحادِ
فإنى بعدَ تجريبى لأمرى أنستُ ولا أغشُّك بانفرادى
تريدُ خلائقُ الأيّام مَكرا لتُغضِبنى[3] على خُلقٍ وعادى
وتغمزنى الخطوبُ تظنُّ أنى ألِينُ على عرائكها الشِّدادِ
وما «شهلانُ» تشرف قُنَّتاه بأحملَ للنوائب من فؤادى
تغرَّبُ فى تقلُّبها الليالى علىّ بكلّ طارقةٍ نآدِ[4]
اذا قلتُ: اكتفت منى وكفّتْ نزتْ بالداء ثائرة العِدادِ
رعَى سِمَنُ الحوادثِ فى هُزالى كأنّ صلاحَهن على فسادى
فيوما فى الذخيرة من صديقٍ ويوما فى الذخيرة من تِلادى

---

(١) الإطلال: إهدار الدم. (٢) الجنبة: الناحية. (٣) فى الأصل: «لتعصينى».

(٤) النآد: الداهية.

يذمُّ النـــومَ دون الحرص قومٌ وقلتُ لرقدتى عنـه : حَمَـادِ[1]
وما كان الغِنَى إلا يسـيرا لو آنّ الرزقَ يبعثــه آجتهادى
وضاحكةٍ الى شَــعرٍ غريبٍ شُكمتُ به فأسلس من قيادى
تَعُــدُّ سِنِىَّ تَعجَبُ من بيـاضى وأعجبُ منه ـ لوعلمتْ ـ سوادى !
أمانٍ كلَّ يـومٍ فى آنتقاصٍ يساوقُهنَّ همٌّ فى آزديادِ
وفُرقـــةُ صاحبٍ قَلِقِ المطايا به قَلَقُ المـدامع والوسادِ
تُخفِّضُ بعــدَه الأيامُ صـوتى على لَسَنِى[2] وتَخفِضُ من عمـادى
وتُخمِدُ عن ضيوف الأنس نارى وكنتُ بقـربه وارى الزنادِ
أقيمُ ولم أقمْ عنـه لِمَسْلٍ ويرحَــلُ لم يَسِرْ منّى بزادِ
كأنّا إذ خُلقنـا للتصـافى خُلقنـا للقطيعــة والبعـادِ
أرى قلبي يطيش اذا المطـايا الى الرابين يأسرهنَّ حادى
ولم أحسب "دُجَيلا"[3] من مياهى ولا أنّ "المَطيرةَ"[4] من بلادى
ولا أنى أبيت دعاى يحـدو الى "تكريتَ"[5] سارية الغوادى
ومن صُـعَداء أنفاسى شِرار تمـرُّ مع الجَنوب بهـا تنادى :
أأحبـابى أثار البينَ بينى وبينكُمُ مساخَطةُ الأعادى
سقت أخلاقُكم[6] عهـدى لديكم فهنَّ به أبرُّ من العِهـادِ
ورُدَّ علىَّ عنــدكُمُ زمانٌ تَجـودُ الروضِ مشكورُ المَرادِ
أصابت طيبَ عيشى فيـه عينى فقـد جازيتُها هجـرَ الرقادِ

---

(١) يقال حَمَاد له كقَطَام بمعنى حمدًا له وشكرًا . (٢) اللَّسَنُ : الفصاحة . (٣) دجيل : اسم نهير . (٤) المطيرة : اسم قرية من نواحى سامراء وكانت من متنزهات بغداد وسامراء . (٥) تكريت : اسم موضع . (٦) فى الأصل "أخلاقكم".

فلا تحسب ــ وظنُّك فىَّ خيرا ــ بقاىَ ــ وأنت ناءٍ ــ من مُرادى
ولا أنّى يسُرُّ ســوادَ عينى بما عُوِّضتُ من هــذا السوادِ
وكـيف وما تَلَفُّ المجـدَ دارٌ نأتك، ولا يَضُمُّ الفضـلَ نادى
فإن أصبرْ ــ ولم أصبر رُجوعا الى جَـلدٍ ولم أحمل بآدٍ[1] ــ ،
فقــد تُحنَى الضلوعُ على سَقامٍ وقد تُغضَى الجفونُ على سهادِ
وكنتُ ، وبيننا إن طال مِيلٌ و إما عرضُ "دجلة" وهى وادى ،
اذا راوحتُ دارَك لجَّ شـوقى فلم يُقنِعه إلا أن أُغادى
فكيف وبينـا للأرض فَرْجٌ يماطِل طُـولُه عَنَقَ[2] الجيادِ !
ومعترِضُ " الجزيرة " والخوافى من " القاطول[3] " تلمع والبوادى
وُفودٌ من مطايا الماءِ[4] سـودٌ ، روادفُها تطول على الهـوادى
اذا كُنّ الليـالى مقمـراتٍ فراكبُهنّ يخبِـطُ فى الدَّآدى[5]
لهنَّ من الرياح الهُـوجِ حادٍ ومن خُلُجِ[6] المياه العوجِ هادى
اذا قمصت على الأمواج خِيلتْ على الأحشاء تقمِصُ أو فؤادى
فهل لى أن أراك وأن ترانى وهل من عُدَّتى هى أو عَتادى ؟
سأنتظر الزمانَ لهـا ويـوما يطيل يدَ الصديق على المعادى
ظمئنا بعـدكم أسفا وشـوقا كما جِيـدتْ[7] بكم يُبْسُ البلادِ
لعل "محمدا" ذكَرتْه نُعمَى ترانى ناسيا فيـه اعتقادى

(١) الآد : القوة ، وفى الأصل " بآدٍ " . (٢) العنق : ضرب من ضروب السير .
(٣) القاطول : اسم نهر مقطوع من دجلة حفره هارون الرشيد و بنى على فوهته قصرا وسماه " أبا الجند " لكثرة ما كان يسقى من الأرضين وجعله لأرزاق جنده . (٤) مطايا الماء : السفن .
(٥) الدآدى جمع دأدأة وهى آخر ليال الشهر المظلمة وقد تقدمت . (٦) خلج جمع خليج .
(٧) جيدت : أصابها مطر جَوْدٌ .

وعـل الله يجبرُ بالتـداني كسيرةَ قانطٍ ، حَسْبُ التمادى
وأقربُ ما رجوتُ الأمرَ فيه على الله اعتمادُك واعتمادى
فلا تعدَم ـ ولا يعدَمْك ـ خلّا متى ما تعْـدُهُ عنك العـوادى
يَزُرْك كرائمـا متكفّلاتٍ بجمع الأُنس قيـل له : بَدادِ (١)
نواحبَ (٢) فى التعـازى والتشاكى حبائبَ للتهـانى والتبـادى
طوالعَ فى سـوادِ الهم بيضـا طلوعَ المكرماتِ أو الأيادى
اذا جرّتْ ذلاذلَهـا " بجـو" تضوّع حاضرٌ منـه وبادى
لهـا فعلُ الدروع عليك صونا وفى الأعداء أفعـالُ الصِّعادِ
ربَتْ يا "آلَ أيوبٍ" وأَثَّتْ (٣) رُباىَ بكم على السَّنَةِ الجمـادِ
فهـل رجلٌ يدُلُّ اذا عَدِمتم على رجلٍ وفىّ أو جـوادِ
ومَن أخذَ المحاسنَ عن سـواكم كمن أخذَ المناسبَ عن "زيادِ"

* * *

وكتب الى الأستاذ الجليـل أبى سعد محمـد بن الصاحب الأجلّ أبى القاسم ابن عبد الرحيم يهنّئه فى النيروز وهى أول ما عمل فيه

سلمتِ ـ وماالديارُ بسالمـاتٍ ـ على عنَت البـلى يا دارَ "هندِ"
ولا برِحتْ مفوّفةُ الغـوادى تُصيب رباكِ من خَطَإٍ وعمـدِ
بموقظـةِ الثرى والتربُ هادٍ (٤) ومُجـديةِ الحيا والعـامُ مُكدى
على أنى متى مطـرَتْكِ عينى ففضلُ كما سقاكِ الغيثُ بعدى
أميـلُ اليكِ يجـذبنى فـؤادى وغيرُكِ ـ ما استقام السيرُ ـ قصدى

---

(١) بدادِ كقطام بمعنى تبدَّدْ . (٢) فى الأصل "نوائب" . (٣) أثّت : كثر نباتها والتفّ .
(٤) يريد " هادئ " بمعنى ساكن .

وأُشفق أنْ تبـدِّلك المطايا بوطأتهـا كأنَّ ثرائك خـدّى
أرى بك ما أراه فمستعيرٌ حشاى وواجدٌ بالبين وجـدى
وليتك إذ نحلتِ نحولَ جسمى بقيتِ على النحول بقاءَ عهـدى
وما أهلوك يومَ خلوتِ منهـم بأوّلِ غـدرةٍ للدهر عنـدى
سـلى الأيام ما فعلت بأنسى وعيش لى على "البيضاء" رغدِ ،
وفى الأحداج عن رشإٍ حبيبٍ على لونيـه من صلةٍ وصدِّ
يماطلُ ثم يُنجِـزُ كلَّ دَيْنٍ ولم ينجز "بذى العلمين" وعدى
تبسّم "بالبراق" وصاب غيث فلو مُلِكَ الفـداءُ لكنتُ أفدى ،
ثـناياه وفاه ولا أغالى بمـا فى المزن من برقٍ وبَرْدِ
ألَا مَن عائدٌ بيـاض يومٍ لعينى بين "أحناء" و"صمدٍ" ؟
وعينٍ "بالطُّوَيلع" بارزاتٍ على قسَماتِهِنّ حياءُ "نجـدِ" ؟
نظرنَ ـ فما غزالتُه؟ ـ بلحظٍ ومِسْنَ ـ فما أراكتُه ؟ ـ بقدِّ
وبلهـاء الصِّبا تبغى سِقاطى اذا حلّتهـا هزلتْ بجـدّى
تَعدُّ سنىَّ تعجَبُ من وقارى ولم يجـتزْ مراحَ العمـر عَدِّى
فمـا للشَّيْب شـدَّ علىّ ركضا فطوّح بى ولم أبلغ أشُـدِّى !

* * *

يعـيّرنى ولم أره شآنى[1] ، تنبـه حظُّه بخمـولِ جَـدّى
وودَّ على غضـارة[2] حُلّتيـهِ مكانَ الرقع من أسمـال بُردى
وما ورقُ الغـنى المفوضُ عنّى بعُمرٍ من حُسام المجـدِ غِمـدى
حملتُ ـ وليس عن جَلَدٍ بقلبى ـ حُمولَةَ واسع الجنبين جَـلْدِ

(١) شآنى : سبقنى . (٢) الغضارة : النضارة ، وفى الأصل " غضاضة " .

تبادهني النـوائب مستغرّا ... فأدفعها بعـزمة مسـتعدّ
يزلُّ الخوفُ عن سكنات قلبي ... زليلَ الماءِ عن صفحاتِ جلدي
دعِ الدنيا تَزِفُّ على بنيها ... وتُجلِبْ بالجفاء عليّ وحدي
وفِرْ(١) أموالَهم تنمـو وتزكو ... فليس كنوزُها ثمنا لحمدي
اعل حـوائل الآمال فيهم ... نُطَرِّقُ من " أبى سعدٍ " بسعدِ
فتى عَقدتْ تمائمُه فطيما ... على أُكرومةٍ ووفاءِ عَقدِ
وربَّتـه على خُلُق المعالى ... غرائزُ من أبٍ عالٍ وجَدِّ
فما مجّت له أُذُنٌ سؤالا ... ولا سمحتْ له شَفَةٌ بردِّ
اذا اخضرّت بنانُ أبٍ كريم ... فصبغتُها الى الأبناء تُعدى
تطاولَ للكمال فلم يفُتْـهُ ... على قُربِ الولاد مكانُ بُعدِ
وتمَّ فعلَّق الأبصارَ بدرا ... ولم يَعلَقْ له شَعرٌ بخـدِّ
رآه أبوه — وابن الليث شبل — ... لسَدَّةِ ثُغرةٍ وهو ابن مَهـدِ
فقال لحاسديه : شقيتُمُ بى ... وهـذا ابنى به تَشقَوْنَ بعدى
جَرَى ولداتِه فمضى وكدُّوا ... لو انّ الريحَ مُدرَكةٌ بكدِّ
اذا سبروه عن عوصاءَ أدلَى ... بها فنجَا على غَرَرِ التحدّى
دَعُوا دَرَجَ الفضائل مزلِقاتٍ ... لماضٍ بالفضائلِ مستبِدِّ
وما حسدُ النجومِ على المعالى ... ـولو ذابَ الحصا حسدا ـ بمُجدى
" أبا سعدٍ " ولو عثروا بعيبٍ ... مشوا فيه بحقٍّ أو تعدّى
وقد تسرى العيوبُ على التصافى ... فكيفَ بها على حَنَقٍ وحِقدِ
ولكن فتّهم فنجوتَ منهم ... نجاءَ اللحن بالخصمِ الألدِّ

(١٠٥)

(١) فر : صن أو كثِّر .

ومَلَّكَكَ الفخارُ فلم تنازَع بقُـلٍّ فى النـدى ولا بحَشْـدِ
أبٌ لك يُلجِمُ العلياءَ طولا وخالٌ فى عِراصِ المجـد يُسدِى
ولم يعدِلْ أبا لك "يَعرُبيًّا" زميلٌ مثلُ خالك فى "مَعَـدِّ"
جزيتُك عن وفائك لى ثناءً يودّ أخى مكانَك فيـه عنـدى
ولولا الودُّ عزَّ عليك مدحى ولولا الفضـلُ عزَّ عليك ودّى
بنى "عبد الرحيم" بكم تعالت يدى وورى على الظلمـاء زَندى
وإن أودَى "بنيسابور"[(١)] قومى فجَـدُّكُمُ من الأملاك جدِّى
وأصدقُ ما محضتُ القومَ مدحى اذا ما كان مجـدُ القوم مجـدى
تُفاعِينى[(٢)] لتُردِيَنى الليالى فأذكرُكم فتنهسُنى بدُرْدِ
وأزحَمُ فيكُمُ نكباتِ دهرى بعصبةِ "غالبٍ" وبنى "الأشدِّ"
لذلك، ماحبوتكُمُ صفايا ذخائرُ خيرُ ما أحبو وأُهدى
طوالعُ من حجابِ القلب، عفوى بهنَّ يُبَـذُّ غايةَ كلِّ جُهـدِ
تجوبُ الأرض تقطعُ كلَّ يوم مدَى عامين للسارى المُجِدِّ
يَرِينَ[(٣)] ـ وبعدُ لم يُوَرِينَ ـ حسنا كأنّ سطورَهن وُشـوعُ بُرْدِ
اذا رَوَّت رجالَكُمُ كهولا سأرنَ[(٤)] لصبيةٍ منكم ومُردِ
ولولا كم لما ظفرت بكفء يَسُرُّ ولا سعت قدما لرشـدِ
ولكن زفّها الأحرارُ منكم فما أشقيت حرّتَها بعبـدِ
فَضَلتم سؤددا وفضَلتُ قولا فكلٌّ فى مداه بغير نِدِّ
بكم خُتم النـدَى وبِىَ القوافى بقيتم وحدكم وبقيتُ وحدى

(١) فى الأصل "بنوسابور". (٢) تفاعينى: تداهمنى كالأفعى. (٣) يرين: يضئن من ورى الزند يرى. (٤) سأرن: أبقين من السؤر وهو البقية من الماء.

***

وكتب الى أبى الحسين أحمد بن عبد الله ، الكاتب وهو أحد الرؤساء المشهورين ، وقد آنحدر الى واسط مستدعًى للنظر ، يتشوق أيامَ آجتماعه ، ويستوحشُ لبعده ، ويذكُرما يرجوه له من آستقامة الأمر ، ويهنّئه بعيد الفطر سنة آثنتى عشرة وأربعمائة

تَعُودُ ليالينا عُوَّدا	على العهد من «بُرقَتَىْ ثَهمَدا» ؟
وهل خبرُ الطيفِ من بعدهم	اذا طاب يصدُقُك الموعِدا ؟
وياصاحبِي ، أين وجهُ الصباح؟	وأين غدٌ ؟ صِفْ لعينى غدا
أسدُّوا مَسارحَ ليل «العرا	ق» أم صبغوا بحره أسودا
وخلفَ الضلوعِ زفيرٌ أبَى	وقد بَرَدَ الليلُ أن يبردا
خليلَىَّ ، لى حاجةٌ ما أخفُّ	«برامةَ» لو حَملتُ مُسعِدا
أريدُ لِتُكتَمَ وآبن الأرا	ك يفضحُها كلّما غرّدا
و«بالرمل» سارقةُ المقلتين	تَكحُل أجفانُها المِروَدا
اذا هُصِرتْ هَصرتْ بانةً	وإن سئلتْ سئلتْ جَلمدا
أُحبّ وإن أخصبَ الحاضرون	ببادية الرمل أن أخلُدا
وأهوى الظباءَ لأمّ البنين	بما تُشبهُ الرشأَ الأغيدا
وعينًا يرِدنَ لصابِ[1] «الغوير»	بأنقعَ من مائه للصدَى
فليت ــ وشَيبِي بحامِ[2] العذارِ ــ	زمانَ «الغضا» عاد لى أمردا
ويا قلبُ قبلَك ضلَّ القلو	بُ لوكنت أملك أن تَنشَدا



(١) لصاب جمع لِصْب وهو مضيق الوادى ، ويقال : «أعذب من ماء اللصاب» . (٢) حام آبن نوح وهو أبو السودان وذكرُهُ هنا كناية عن السواد .

أرى كبدى قُسِمتْ شُقّتين مع الشوق غَوْرٌ أو أنجدا
" فبالنَّعف " ضائعةٌ شُعْبَةٌ وأخرى " بمَيسانَ " ما أبعدا !
وما خلتُ لى " واسطا " عُقْلَةً[1] تعلّمُ نومىَ أن يشردا
ولا أننى أستشمّ الجَنوبَ أطيبَ ريحِىَ أو بَرَّدا
وأطرحُ منحدرا ناظرى لها أبتغى رفدَها المُصعِدا
وأحمَدُ من نشرها أنه اذا هبَّ مثّل لى " أحمدا "
ولا كنتُ قبلَكِ فى حاجةٍ لتحمِلَ عُنْقى لريح يدا
أسائلَ " دجلةَ " تجرى به محايدةً موجَها المُزبِدا ،
صُهابيّةُ اللون قاريّةٌ تخالف صبغتُها المولدا
تَحِنّ وما سمعتْ فى الظلا م غيرَ غناء النَّواتى[2] حُدا
لها رَسَنٌ فى يمين الشّمال اذا ضلّ قائفُ[3] أرض هَدَى
تحمّلْ — سلمتَ على المهلكاتِ وساقَ لك اللهُ أن ترشُدا — ،
رسائلَ عنّى تُقيم الجُموحَ وتستعطف العُنُقَ الأصيدا
أجيرانَنا أمسِ جار الفرا قُ بينى وبينكُمُ واعتدى
جفا المضجعَ السَّبْطَ جنبى لكم محافظةً ونفَى المَرقَدا
وأوحشتُمُ ربعَ أُنسى فعاد يهدّم بانيه ما شيّدا
وفاجأنى بينُكُمْ بغتةً ولم أكُ للبين مستعددا
ففى جسدى — ليس فى جُبّتى — نوافذُ ما سلّ أو سدّدا
تمنتك عينى وقلبى يراك بشوقِى — حاشاك أن تفقدا —

(١) فى الأصل " عقله " . (٢) النواتىّ جمع نوتىّ وهو الملّاح . (٣) القائف : الذى يعرف الأثر .

كأنّىَ سُرعةَ ما فُتّنى ... عدمتُك من قبلِ أن تُوجَدا

لئن نازعتْنى يدُ الملك فيك ... فلم أستطع بدفاعٍ يدا،

لحظٌّ عساه – وإن ساءنى – ... يكون بما سرّنى أعوَدا

دعوك لتعدِلَ مَيْلَ الزمانِ ... ويُصلحَ رأيُك ما أفسدا

يسومون كفَّك سَبْرَ الجراح ... وقد أخذَتْ فى العظام المُدَى

سيُبصر مستقرِبا من دعا ... ك موضعَ تفريطِه مُبعَدا

ويعلم كيف آنجفالُ[1] الخطوب ... اذا سُلَّ منك الذى أُغمِدا

وإن كان منكِبُه منجبا ... درى أىَّ صَمصامةٍ قُلِّدا

وقبلك لو أثلثَ الفرقدين ... خابطُ عشوائهم ما آهتدى

ولما رأوك أمام الرعيل ... ألقوا الى عُنُقك المِقوَدا

وأدنَوا لحمل المهمّات منـ ... ـك بَزلاءَ[2] عجْلِزَةً[3] جلْعَدا[4]

اذا ثقُلَ الحِملُ قامت به ... وإن ظَلعتْ نهضَتْ أجلدا

تكون لراكبها – ما آستقا ... م دون خِطار الفيافى – فِدَى

وتُضحِى على الخِمْس لا تستريـ ... ـبُ عَجرفَةً أن تَرى الموردا

تُطيعُ اللسانَ فإن عوسرتْ ... أثاروا بها الأسَدَ الُملبِدا

اذا ما الفتى لم تَجِدْ نفسُه ... بهمّتها فى العلا مَصعَدا،

سوى غلَطِ الحظّ أو أن يُعَدَّ ... فى قومه نَسَبا قُعدُدا[5]،

فلله أنت آبنُ نفسٍ سمتْ ... لغايتها قبلَ أن تُولَدا

اذا خُيِّرَ آختار إحدَى آثنتيـ ... ـن إمّا العَلاء وإما الرّدى

(١٠٧)

---

(١) الأنجفال : الهروب بسرعة . (٢) البزلاء : الناقة المسنة . (٣) العجلزة : الناقة الشديدة . (٤) الجلعد من الإبل : الصُّلب الشديد . (٥) القعدد : البعيد الآباء من الجد الأعلى .

كأنى أراك وقــد زاحمــوا | بك الشمسَ إذ عزلوا الفَــرقدا
وخاطوا[1] النجومَ قميصا عليـك | ولاثوا السحابَ مكانَ الرِّدا
وصانوك عن خرقٍ فى الحلى | فلوًّا طلىُ خيلك المَســجدا
وان أخلَق الدهرُ ألقابَهــم | بما كثر منهــا وما ردّدا ،
رضُــوا بآختيارِىَ أن أَصــطفى | لك اللّقَبَ الصــادقَ المُفــرَدا
فكنَّيتُ نفسَك : أمَّ العــلاء | وسمّيتُ كفّك : قطرَ النَّدى
وهل سمعوا فى آختلاف اللغات | بلجَّــة بحــرٍ تُســمَّى يدا !
مُنًى فيــك بأّتْ يدى منــدُ شِمْـ | ـتُ عارضَــها المُــبرقَ المُرعِــدا
فَــتمَّ فــراغُ عهودى فقـــد | أمِنتُك من قبــلِ أن تَمهَدا
فــلا ترمينَّ بحــقّ ورا | ء ظهــرِ النسيئة مُلقًى سُــدى
ولا يَشــغلَنَّكَ عِزُّ الــوُلا | ة عن حُرُماتى وبعــدُ المَدَى
فليس الوفىُّ المُراعى القــريبَ | ولكنَّه من رعَى الأبعـــدا
تحلَّيتُ طَعمةَ عيشى المــريـ | ـر يــومَ لقيتُك مســترغِدا
وأيقنتُ أن زمانى يصيـ | ـر عبــدِىَ مذ صرتَ لى سيِّدا
وأَصبح من كان يقوَى علَّى | وغايتُه فىَّ أن يَحسُــدا
وقد كنتُ أصعبَ من أن أصا | دَ رأسا وأعوزَ أن أُوجَــدا
اذا آستام ودِّىَ أو مدحتى | فــتًى رام أخنسَ[2] مســتطرِدا
يفالتُ قطْعــا حبــالَ القنيصِ | يَرَى كلَّ موطنــه مَشــرَدا
فآنســتنى بمــديح الرجال | وذلّلتَــنى لقبــول الجَــدا

---

(١) فى الأصــل "وحاطوا". (٢) الأخنس : الأسد، وفى الأصل "أخيس".

ولو راض خلقَك لؤمَ الزمان لعلّمه المجدَ والسؤددا
فما أمكنَ القولُ فاسمع أُزِرْك قوافيَ بادئةً عُوَّدا
قواضيَ حقَّ الندَى والودا دِ مثنًى تؤمك أو موْحَدا
اذا أكلَ الدهرُ أعواضَها(١) من المال عمَّرها سرمدا
لو آسطاع سامعُ أبياتها اذا قام راوٍ بها منشدا،
لصيَّر أبياتَها سُبحةً ومثَّلَ قِرطاسَها مَسجدا
مهنئةً أبدا من علاك بما استأنفَ الحظُّ أو جدَّدا
وبالصوم والعيدِ حتى تكون آخرَ من صام أوعيَّدا
وحتى تُرَى واحدا باقيا كما كنتَ فى دهرنا أوحدا

* * *

وكتب الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم، وهو مقيم بواسط فى النيروز، يجزيه على عادة الإتحاف ويتشوّقه، وقد آتفق ذلك فى عشر عيد النحر

أخْلقَ الدهرُ لِمّتى وأجدّا شعَراتٍ أرينَنى الأمرَ جِدّا
لم يزلْ بى واشى الليالى الى سمـ(٢)ـع معير الشباب حتى آستردّا
صبغةٌ كانت الحياةَ فما أفـ ـرُقُ أودَى دهرى بها أو أردَى
يا بياضَ المشيب يغْنِى بآيا مك ليلا نضوتَه مسوَدّا
يا لها سرحةً تَصاوَحُ تَتْو مًا(٣) وعهدى بها تَفاوَحُ رَندا
لم أقل قبلها لسوداءَ: عطفًا وآقترابا، ولا لبيضاءَ: بُعدا
عدّتِ الأربعون سنّى تمامى وهى حلّت عُراىَ عَقدا فعقدا

---

(١) أعواض جمع عِوَض وهو الخلف والبدل. (٢) فى الأصل "لى". (٣) التتوم واحدته تتومة وهى شجرة يضرب لون ورقها الى السواد.

بَانَ نَقصِى بأنْ كمُلتُ وأحسـ ـت بضُعفى لمَّا بلغتُ الأشُـدّا
رجعتْ عنّىَ العيونُ كما تر جِعُ عن حاجب الغزالة رُمْدا
ليت بيتا "بالخَيْف" أمسِ آستضفنا ه قرانًا ولو غراما ووَجْدا
وسقاةً على القليب آحتسابا عوّضونا اللّمى شِفاءً وبَرْدا

(١٠٨)

راح صحبى بفوزة الحجِّ يحدو ن، وعَنسى باسم البخيلة تُحدَى
ولحاظى مقيَّداتٌ "بسلعٍ" فكأنّى أضللتُ فيه المَجْدَا
ربَّ ليلٍ بين "المُحصَّب" و"الخَيْـ ـف" لبسناه للخلاعة بُرْدا
وخيامٍ بسفح "أُحْدٍ" على الأقـ ـمار تُبْنَى، فحيِّ يا رب "أُحْدَا"
لا عدا الرَّوْحُ فى "تِهامةَ" أنفا سًا اذا آستُروِحتْ تمنَّيتُ "نجدا"
وأعانَ الرقادُ حَيْرةَ طرفٍ لم يجِدْ فى الطّلاب يقظانَ رُشْدا
نمتُ أرجو "هندا" فكلَّ مثالٍ خَيَّلَتْ لِى الأحلامُ إلّا "هندا"
عَجَبا لى ولآبتغائى مَودّا تِ ليالٍ طباعُها لِىَ أعدَا[١]
نطقتْ فى نفوسها وتعفّفـ ـتُ، فما وُدُّ من يرَى بك صدّا
أجلبتْ[٢] جِلدتى عريكةُ دهرى فرمَى بى وقام أملسَ جِلْدا
كلَّ يومٍ أقولُ : ذمًّا لعيشى فاذا فاتنى غدًا قلتُ : حَمْدا
زفراتٌ على الزمانِ اذا آستبـ ـردتُ منها تنفُّسا زدن وَقْدا
يا لحَظِّى الأعمى أما يتلاقَى قائدا يبتغِى الثوابَ فيهْدَى!
يا زمانَ النفاقِ ما لك زاد اللهُ بينى وبين أهلك بُعدا
مَن عذيرى من صحبة الناس ما أخـ ـفَرَها ذمّةً وأخبثَ عهدا
كم أخٍ حائمٍ معى واصلٍ لى فاذا خَفَّفتْ به الحالُ صدّا

---

(١) يريد أعداء . (٢) أجلبت : تركت عليها جُلبَة وهى القشرة التى تعلو الجرح .

وصـــديقٍ سَبْطٍ وأيّامـــه وُسْـ طَى فلمّـا انتهتْ تقلّصَ جَعْـدا

ليتـه غـيرَ منصِـفٍ لِيَ إسـما دا عـلى الدهرِ منصفٌ لِيَ وُدّا

واذا لم تَجِـدْ من الصبرِ بُدًّا فتعـزَّلْ وَجِدْ من النـاس بُدّا

يدفع اللهُ لى ويَحمى عن " الصا حِبِ " فَـردا كما وَفَى لِيَ فـردا

أَجِنَتْ(١) أوجـهُ الرجالِ فما أنـ كَرْتُ من بِشر وجهِه العـذبِ وِرْدا

كيفما خالَفتْ عِطاشُ أمانيـ ـنا اليـه كان النميرَ العِـدّا(٢)

مَلَكَ الجـودُ أمرَه فحـديث الـ ـمال عن راحتيه : أعطَى وأجدَى

زد بحاجا اذا سألتَ وإلحا حا عليـه يزِدْك صـبرا ورِفْدا

لا تَرَى — والمياهُ تُعطِى وتُكدِى — حافـرًا قطّ فى ثـراه أكدَى(٣)

كلما عرّضَتْ له رغبـةُ الدنـ ـيا توانى عنهـا عَفافا وزُهـدا

كثَّرَ النـاسُ مالَهـا ، واقتناها سِيَرا تَشرف الحـديثَ وحَمْـدا

لحقتْـه بغـاية المجـد نفسٌ لم تحـدَّد فضـلا فتبلغ حـدّا

عـدّت الفقر فى المكارم مُلكا وفنـاءَ الأيّام فى العـزّ خُـلدا

وأبٌ حَـطَّ فى السماء ولو شا ء تخطّى مكانَهـا وتعـدّى

من بهـاليلَ أنبتوا ريشة الأر ضِ وربُّوا عِظامَهـا والجِـلْدا

أرضعتْهـا أيديهـمُ دِرَّة الخصـ ـبِ فـروّت تِلاعَها والوُهْـدا

بين " جَمٍّ "(٤) منهمُ و " سابور "(٥) أقيا لٌ(٦) يعـدّون مَـولد الدهرِ عَـدّا

لهـمُ حاضرُ الممالك إن فا خـر قومٌ منهـا بقَفرٍ ومَبـدَى(٧)

---

(١) أجنت : صارت آجنة أى متكدرة متغيرة . (٢) النمير العد : الزاكى الكثير .

(٣) أكدى من قولهم : أكدى الحافر أى بلغ الكدا وهى الأرض الصلبة وقد تقدم . (٤) جَم : اسم أحد ملوك الطبقة الأولى من الفرس وتاريخه من أعجب التواريخ وفى الأصل "خم" . (٥) سابور : اسم أحد الأكاسرة . (٦) أقيال جمع قيل وهو الملك من ملوك حمير . (٧) المبدى : البادية .

أخـــذوا عُذرةَ الزمانِ وسدُّوا فُرَجَ الغِيـــلِ يقنصون الأُسْدا (١)
ســـيَرُ العـــدلِ فى مآثرهـم تُر وَى وحسنُ التـــدبيرِ عنهم يؤدَّى
واذا آغبرّت السنونَ وأبدَى شَـــعثُ الأرض وجهَها المُـــربَدَّا
طـــردوا الأَزْلَ (٢) بالـــثراء وقامـــوا أثرَ المحـــلِ يخلُفون الأَنْدا (٣)
تُوِّجوا مُضغةً، وساد كهولَ الـ نـــاس أبناؤهـــم شـــبابا ومُردا
عـــدَّد الدهرُ ســـيّدًا سيّدًا منـ ـهم وعدَّ "الحسينَ" جَدًّا بِجَدًّا
حَبَسَ النـــاسَ أن يُجاروك فى السؤ دُدِ تعريجُهم وسَـــيْرُك قَصـــدا
ووقَى المُلكَ زَلّةَ الرأى أن صر تَ بتـــدبيرِ أمرِهِ مســـتبِدّا
لك يومٌ عنـــه مِراسٌ مع الحـــر بِ يردُّ الســـوابقَ الشُّعْرَ (٤) جُرْدا
تركبُ الدهرَ فيـــه ظَهْرا الى النصـ ـر وتستصحبُ اللياليَ جُنـــدا
وجـــدالٌ يوما تَرَى منك فيـــه فِقَـــرُ الوافـــدين خَصْما أَلدّا
كلّ عَوصـــاءَ يسبِق الكَلِمُ الهـــدّ ارُ فى شـــوطها الجـــوادَ النَّهْـــدا (٥)
أنا ذاك الحـــرُّ الذى صـــيَّرتْه لك أخلاقُـــك الســـواحرُ عبـــدا
مُعلَقٌ من هواك كفّى بحبـــلٍ لم يـــزده البعادُ إلا عَقْـــدا
ملَكَ الشـــوقُ أمرَ قلبي عليـــه مذ غـــدا البينُ بيننا ممتـــدّا
أشتكى البعـــدَ وهـــو ظلمٌ ولـــولا لذّةُ القـــربِ ما أَلِمتُ البُعـــدا
ليت من يحملُ الضعيفَ على الأخـ ـطارِ ألـــقَى رَحـــلى اليـــك وأدَّى
فـــتروت عيـــنى ولو ساعـــةً منـ ـك، فإنى من بعدها لا أَصْـــدَى
وعـــلى النأيِ فالقـــوافى تحيّـــا تُك منّى تسرى مَراحا ومَغْـــدَى



(١) الغيل: عرين الاسد. (٢) الأزل: الضيق والقحط. (٣) يريد الأنداء جمع ندى.
(٤) الشعر جمع أشعر وهو ضد الأجرد. (٥) النهد: الفرس الحسن.

كلّ عذراء تفضَح الشمسَ فى الصبـ ـح وتَسورِى فى فحمة الليـل زَندا
لم تُدنَّس باللمس جسما ولم تَصـ ـبُغْ لها غَضّـةُ اللواحظِ خدّا
أَرِجاتُ الأعطافِ مُهـدًى جَناها لك يُهـدى الى الربيع الوَرْدا
فتلقَّ السـلامَ والشوقَ منهـا ذاك يُشكَى وذا يطيبُ فيُهـدَى
وٱخْبُ جيـدَ النيروز منها بطوقيـ ـن وفصِّـل لليلة العيـدِ عِقْـدا
وتسـلَّمْ مـن الحوادث ما كـ ـرّ علـى عَقْبـه الزمانُ وردّا
ما أبالى اذا وجـدتُك مَنْ تَفـ ـقِدُ عينى — لا أبصرتْ لك فَقدَا —

* * *

وكتب الى ربيب النعمة أبى المعمّر بن الموفّق يهنّئه بعيد الفطر

اذا قُطمتْ قَـرارةُ كلِّ وادى فدَرَّتْ «باللوى» حلَمُ[1] الغوادى
ومرّت تهتـدى بالريح فيـه مطايا الغيثِ مثقَـلةَ الهوادى
فَفُتِّحتِ الرُّبا خـدّا وسُـدَّت بشكر المزن أفـواهُ الوهـادِ
أناديــه وتَنشُـدُه المغـانى ولكن لا حياةَ لمن تُنـادى
وما أرَبِى الى سُقيا ربـوعٍ لهـا من مقلتى سارٍ وغادى
حملتُ يدَ السـحاب الجَوْنِ[2] فيهـا واسـتُ معوّدا حمـلَ الأيادى
ولو بكت السماءُ لهـا وجفـنى تيقَّنَتِ البخيلَ من الجـوادِ
ضَممتُ «بمَسْقَطِ العَلَمينْ» صحبى وقد صـاح الكَلالُ بهم : بَدادِ
على أرَجِ الـثرى لمـا ضَـللنـا تضوَّعَ منـه فى الأنفاس هادى

---

(١) حلم جمع حلمة وهى الثؤلول فى وسط الثدى يُمتصّ منه الحليب وهى هنا مجاز. (٢) الجون: الأسود.

وقد سـقط السُّرى والنجم هاوٍ عيون الركـب فى حـطّ الرقادِ (١)

نَدامَى صـبوةٍ دارتْ عليهـم بأيدى العيس أكوابُ السهادِ

اذا شربوا السُّرى آقترحوا عليـه صـفيرَ حمـامةٍ وغِنـاءَ حادِى

ولمـا عزَّ ماءُ الرَّكب فيهـم وقفتُ أُحـلُّ من عينى مَزادى

تحوم وقـد تقلّصتِ الأداوَى (٢) عـلى أجفانِىَ الأبلُ الصوادى

أجدَّك هل ترى بذيول "سلمى" نَضـارةَ حاضرٍ وخيـامَ بادِى ؟

خرقن لكلّ عيـنٍ فى سواد الـ ـخدورِ خَصاصـةً (٣) مثـلَ السوادِ

وما أتبعتُ ظُعْنَ الحىِّ طـرفى لأغنمَ نظـرةً فتكـونَ زادى

ولكنّى بعثتُ بلحظ عيـنى وراءَ الركب يسألُ عن فـؤادى

وفى نُوّامِ هـذا الليـل شمسٌ وَقَى سهرى لهـا وجَفَا وسـادى

اذا ذُكرتْ نزتْ كبـدى اليهـا هبوبَ الداء نُبِّـهَ بالعِـدادِ

عجِبتُ يَضيمنى زمـنى وأرضَى ويحصُـدنى ولم أبلغْ حَصـادى

وتُفِـقُ مسرفاتٍ من شـبابى لياليهِ الصعـابُ بلا آقتصـادِ

وعهـدى بالتشـابُهِ والتنافِى يجرّان التصـادقَ والتَّعادى

فمـا بالُ الليـالى وهى سُـودٌ يُزالُ بهـا البياضُ من السـوادِ (٤)

توقَّ النـاس إن الداءَ يُعـدى وإن قـرُبوا فحظُّك فى البِعـادِ

---

(١) هكذا بالأصل ولعله

وقد سَمَطَ السُّرَى والنجم هاوٍ عيونَ الركب فى خيط الرقادِ

وسَمَطَ بمعنى علَّقَ ، وهذا يقرب من قوله فى قصيدة أخرى

والحىّ إمّا خالفٌ أو حاضرٌ خيطُ الكرى فى جفنه قد آنعقدْ

(٢) الأداوَى جمع إداوة وهى وعاء صـغير من جلد يُتّخذ للماء ، وفى الأصـل " الأوادى " .

(٣) الخصاصة : كلّ خرق فى باب أو برقع أو نحوه . (٤) يشير بذلك الى الشيب .

ولا يغــــرّنْك ذو مَلَقٍ يغطّى أذاه وجمـــرُهُ تحتَ الرَّمادِ
كِلا أخــويك ذو رَحِــمٍ ولكن أخوكَ أخوكَ فى النُّوبِ الشِّدادِ
عذيرىَ من صــديقِ الوجهِ يَحْنِى أضالِعَـــه عـــلى قَلْبٍ مُضادِى (١)
لوى يَدَه عـــلى حَبْـــلٍ لعُنْقِى وقال : آضمُمْ يديك على ودادى
تمنَّى — وهو يَنْقُصُنى — تمامى، وأينَ الزِّبْرِقانُ (٢) من الدآدى ؟
ومجتمعين يرتفـــدون عيبى فلا يَزِنُ آجتماعُهُـــم آنفــرادى
اذا آنتسبوا لفضـــلٍ لم يزيدوا على نسبِ "آبن حرب" من "زِيادِ"
أُلامُ على عُزوفِ النفسِ ظلمــا وما لومى عـــلى خُلُـقى وعادى
ويخـدعنى البخيــلُ يريــد ذمّى وهــل عنـد الهشيمة من مَرادِ
كفانى "آلُ إسماعيلَ" إنى بلغتُ بهـم من الدنيـا مُرادى
وأنّ "محمدا" دارَى نفــارى فلانَ له وأسلسَ من قيــادى
رقَى خُلُقِى بأخــلاقٍ كــرامٍ ألانت من عرائكه الشِّـدادِ
وكنتُ أذمُّ شرَّ النــاس قِـــدْما وعيبَهُـــمُ فصـحّ على آنتقـادى
وكم خابطتُ عشـــواءَ الأمانى وكاذَبنى على الظنّ آرتيـادى
فلمّــا أن سللتُ على الديابجى "ربيبَ النعمة" آستذكَى زِنادى
وأنبضَ من يديه لى غديرا وقـــد أعيـا فى مَصِّ الثِّمـادِ
جلا لى غُرَّةً رَوِيتْ جمــالا أُسَرُّ بها ووجهُ البـــدرِ صـادى
تفــاديهـا السماءُ بنـــيِّرَيْهـا فتَعـــرِفُ حظَّهـا فيما تُفـادى

(١) فى الأصل "مصاد" . (٢) الزبرقان : القمر ليلة تمامه ، والدآدى من تفسيرها .

من الوافين أحلاما وصبرا … اذا الحُلَّى هفت " بحلومِ عادِ "[1]

بني البيض الخفافِ توارثوها … مع الأحساب والخيلِ الورادِ

تَضاحَكُ فى أكفّهم العطايا … وتكلحُ عنهُمُ يوم الجلادِ

مطاعيمٌ اذا النكباءُ قَرَّت … وجَبَّ القحطُ أسنمةَ البلادِ

لهم أيدٍ اذا سُئلوا سِباطٌ[2] … موَصَّلةٌ بأسيافٍ جِعادِ

اذا كلَّت من الضَّرب المواضى … أعانوها بأفئدةٍ حِدادِ

طوَوا سلفَ الفخارِ فلم تُوَصَّمْ … طوارِفُهم بمعروفِ التلادِ

اذا الأحسابُ طأطأتِ استشاطوا … على متمرّد الشرُفاتِ عادى

يَعُدُّ المجدُ واحدَهم بألفٍ … من النجباء فى قِيَمِ البلادِ

اذا وَلدوا فتًى سعت المعالى … تَباشَرُ بينها بالإزديادِ

نموك أغرَّ من ملكٍ أغرٍّ … جوادا بالكرائم من جوادِ

أخا طَعمينِ : حُلْوُك للموالى … بلا منٍّ ، ومُرُّك للمعادى

اذا لم يختضِبْ لك غربُ سيفٍ … دما خضَّبتَ سيفا بالمِدادِ

فأنتَ اذا ركبتَ شهابُ حربٍ … وأنت اذا جلست شهابُ نادى

اذا رجع الحسيبُ الى نجارٍ … قديمٍ أو حديثٍ مستفادِ

لحسبك " بالموفّق " من نجارٍ … وبيتِ " الباهليّةِ " من عَتادِ

ومن يُسنِدْ الى طرفيك مجدا … يَبِتْ من جانبيه فى مِهادِ

فداؤك داثرُ الأبياتِ يأوى … الى وقصاءَ لاطئةِ العمادِ[3]

---

(١) حلوم عاد : يريد بها " أحلام عاد " والعرب تضرب المثل بها لما تتصوّره من عظم خَلقها وتزعم أن أحلامها على مقادير أجسامها .

(٢) تقدّم تفسيرها وفى الأصل " بساط " .

(٣) اللاطئة : اللاصقة بالأرض .

يتـوبُ اذا هفا غَلَطا بجـودٍ ولم يتُب اتقاءً للمَعـادِ

اذا جاراك فى مِضمارِ فضـلٍ عَدَتْه عن اللحاق بك العـوادى

اليـك سَرَتْ مطامعُنا فعادت مَواقـرَ من ندًى لك مستعادِ

يَخِـذْنَ فصائلاً[1] فيـدعنَ وَشْمًا لأرجُلِهنّ فى الصُّمِّ الصِّـلادِ

يقـادحْنَ الحَصَى شَررا كأنّا حذونَاها مَناسمَ من زِنادِ

حَمَلن اليـك من تحف القـوافى غرائبَ من مثانٍ أو وُحادِ

هـدايا تفخر الأسمـاعُ فيهـا على الأبصـار أيّامَ التهادى

مخلَّصـةً من الكلم المعنّى بطول الكرِّ والمعنى المُعادِ

نوافثَ فى عقود السـحر تُمنَى فصاحتُهـا الى رمـلِ العِقـادِ[2]

تمنَّى — وهى تُنْظَمُ فيك — أن لو تكونُ ترائبـا مهجُ الأعادى

تُخالُ العربُ عجزا عن مـداها نبيطَ العُـربِ لم تنطِقْ بضـادِ

لأيّام البشـائر والتهـانى بهـا نشرُ الروائح والغـوادى

يجـرِّرُ ذيلَهـا يومٌ شريفٌ فيجعلهـا على عيـدٍ مُعـادِ

شواهـدَ أن جدّك فى ارتقاء الـ سعود وأنّ عمـرَك فى امتـدادِ

كفاها منك عفوُك فى العطاء الـ جزيل وقد وفَتْ لك باجتهادى

فكيف خلَطْتَنى بســواى فيما أنلتَ وأنت تَشْـهدُ باتحـادى !

تمـادَى بى جفاؤك ثم جاءت مواصَـلةٌ أعقُّ من التمـادى

ألم تك لى من الذَّهَب المصـفَّى يدٌ بيضـاءُ تُشرِقُ فى الأيادى

(١١١)

(١) الفصيل : ولد الناقة اذا فصل عن أمه وأنثاه فصيلة وجمعها فصائل ، وفى الأصل "فضائل" ومعنى البيت : أن مطامعه تسير الى الممدوح وهى فصائل صغيرة حتى اذا عادت من عنده مثقلات بالندى أثرت أخفافها فى الجلاميد لشدة وطئها شأن المثقل بالأحمال . (٢) العقاد جمع عَقَد كجبل وجبال وهو الرمل المتعقد المتراكم ويريد به البادية لأنها مهد الفصاحة .

منوّهــةٌ اذا آنتشرتْ بذكرِى ولائقــةٌ بمجــدِك وآعتقـادى
رضـائى أن تهـزّك ريحُ شـوقٍ الى قربِى ويوحشـك آفتقادى
اذا مالم يكن نيــلا شريفـا فحسبِى من صِـلاتك بالودادِ

✧

وكتب الى الأستاذ الجليل أبى طالب بن أيّوب يهنّئه بالنيروز

نبهتُهُ فقــام مشبــوحَ العضُــدْ أغلبُ[1] لو سِــيمَ[2] الهوانَ ما رقَـدْ
فى يده مــذروبةٌ مَــزيدةٌ ودِرعُــه سابغــةٌ من اللِّبَــدْ
اذا غــدا لم يحتشِمْ هاجرةً وإن سرَى لم يخش من ليلٍ بَرَدْ
إن همّ لم يُحبَسْ على مَشْــورةٍ[3] وإن غَــدَا لسـفرٍ لم يستعِدْ
لكلّ باغى قنَصٍ طــريدةٌ تنفُــر منــه وله كلُّ الطَّــرَدْ
هبَّ بلبِّيك وقــد دعــوته مكتفيا بقــوله : الى الأَبَدْ
وخيرُ من ساندَ ظهـرى أسَــدٌ أو رجلٌ فى صــدره قلبُ أسـدْ
وقال : فى لَهَـاةِ أىّ خطــرٍ تقــذِفُ بى وعَرِضٍ ما أىِّ بلدْ ؟
وما الذى رابك؟ قلتُ : حاجةٌ فى أفُقِ المجـدِ، فقام فصَــعِدْ
يسـبِقنى ســعيا لمــا أريده حتى لقــد أدرك بى ما لم أُرِدْ
فــرديْن إلّا صــارمين آعتنقــا وضامرينْ وردَا أينَ قَــدَدْ[4]
تُضـمِرُ أحشاءُ الدياجى والفــلا منّى ومنــه جسدين بجســدْ
كأنّ إثرينــا اذا ما أصــبحا على الثرى مسحبُ رمحٍ أو مَسَدْ
حــتى بلغتُ مسرحَ العــزّ به بأوّل الشــوط وأقرب الأمــدْ

---

(١) الأغلب : الأسد . (٢) فى الأصل " شم " . (٣) المَشْوَرة والمشُورة : الأمم من أشار عليه بكذا . (٤) قدد : اسم ماء والمشهور آستعماله " قُدَيْد " مصغرا .

ورُبَّ عزمٍ قبلها ركبتُه ... ففتُّ أن أُظلَمَ أو أن أُضطهَدْ
وغارةٍ من الكلامِ شنَّها ... على اللئامِ كلُّ معنًى مطَّرِدْ
شهدتُها مغامرًا وكنت بال ... ـحضّ عليها غائبا كمن شهِدْ
ولذةٍ صرفتُ وجهي كرَما ... عنها وفيها رغبةٌ لمن زهَدْ
لم يعتلقني بأثامٍ(١) حبلُها ... ولم ينلني عارُها ولم يَكَدْ
وحَلَّةٍ طرقتُ من أبياتها ... أمنعَها بابا وأعلاها عَمَدْ
والحيّ إما خالفٌ أو حاضرٌ ... خَيْطُ الكرى بجفنِه قد آنعقَدْ
وليس إلا بالنُّباح حَرَسٌ ... لهم وإلا مقلة النارِ رَصَدْ
فبتُّ أَستقرِى الحديثَ وحدَه ... وغيرُه لولا العفافُ لى مُعَدّْ
ودون إرهابِيَ حدٌّ صارمٌ ... عانقتُه ومِقوَلٌ منه أحدّْ
وكم "بذاتِ الرمل" من نافرةٍ ... بغيرِ أشراك الشبابِ لم تُصَدْ
أحسنُ من بذلِ هواها منعها ... ومن وصالِ الغانياتِ ما تَصُدّْ
نومِيَ محفوظٌ اذا ما زرتُها ... وموضعي إن غبتُ عنه مفتقَدْ
يُعجِبُ قلبي مطلُها لطول ما ... يكُرُّ بى المطلُ اليها ويَرُدّْ
لله أحبابٌ وفيتُ لهمُ ... بما آستحقُّوا من أسًى ومن كمَدْ
لم يَكفِهم شِقوةُ عينى بعدهم ... حتى آستعانوا بالدموع والسَّهَدْ
مضوا بجُمّات الحياة مَعَهُم ... وعوَّلوا بشفَقى على الثَّمَدْ
صحبتُ قوما بعدهم، حبالُهم ... سحيلةُ(٢) الفتل رخيَّات العُقَدْ
وما على مَن كَدَّهُ حَرُّ الظما ... اذا رأى الماءَ الأُجاجَ فورَدْ!
يضرِبُ قومٌ فى وجوهِ إبلِي ... وقد كفاهم أنها عنهم حِيَدْ

---

(١) الأثام : الإثم . (٢) سحيلة الفتل : غير مبرمة الفزل .

لا تُعجِل الكُومَ[1] الى ذيادها ... فهى قِماحٌ عنكُمُ لو لم تُذَدْ
ما للبخيل يحامى جانبى ! ... متى رآنى عاكفا على النَّقَدْ[2] ؟
يستُرُ عنّى القعبَ دافَ[3] حنظلا ... فيه وقد أمرَّ فى فىَّ الشُّهُدْ
ما أبصرَ الدهرَ بما أريده ... لو كان فى الحكم علىَّ يقتصِدْ
أنزلنى منزلةً بين الغنى ... والفقرِ لم يبخلْ بها ولم يَجُدْ
وشرُّ أقسامك حظٌّ وسَطٌ ... أرعنُ لم تَحْمَلْ به ولم تَسُدْ
أغرَى الليالى بِىَ أنّى عارفٌ ... بالسهل من أخلاقهنَّ والنَّكَدْ[4]
وأنى أقدحُ فى صروفها ... بعزمةٍ تُضىء لى على البُعُدْ
تُطلعنى على اليقين ظنَّتى ... كأنّ يومى مُخبِرى بسرّ غدْ
يا بائعى مرتخِصا بثمنى ... سوف يذُمّ مستعيضٌ ماجِدْ
مثلى نُضارا ضنّت الكفُّ به ... لو كان فى الناس بصيرٌ ينتقِدْ
قد فطِنتْ لحظِّها مَطالبى ... وأبصرتْ عينى الضلالَ والرَّشَدْ
وقد علمتُ أىَّ برق أمترى ... مُزنتَه وأىَّ بحرٍ أستمِدّْ
ووسَّعتْ أيدى "بنى أيوبَ" لى ... وبشْرُهم ملء المنى مالا ووُدّْ
فما أبالى — وهُم الباقون لى — ... مَن ذا فَنِى فى الناس أو مَن ذا نفِدْ !
ولا أروم الرزقَ من غيرهمُ ... وإنما أطلبُ من حيث أجِدْ
المانعون بالجوار والحمى ... والناهضون بالعديد والعُدَدْ
والغامرون المَحْلَ من جودهمُ ... بكلّ كفٍّ ذاب فى عامٍ جَمَدْ
والضاربون فى اليفاع والذُّرَى ... اذا بيوتُ الذلِّ عاذتْ بالوُهُدْ

---

(١) الكوم : جمع كَوْماء، وهى الناقة الضخمة السنام . (٢) النقد : الأسافل من الناس .
(٣) داف : خلط . (٤) النكد : الشديد الصعب من نكدِ عيشه أى اشتدّ وعسرَ .

تضيء تحت الليل أحسابُهم ... لضيفهم إن حاجبُ النار خمدْ
مدُّوا الى الحاجات من ألسنهم ... ذوابلا منذ آستقامت لم تَمِدْ (١)
لا نتّقيها دامةً بمغفَرٍ ... ولا يداريها عن الجسم الزَّردْ
تبهَر فى الأسماع كلَّ جائف (٢) ... اذا آستقامت لُحمة الجُرح فسدْ
تعرَّفوا (٣) بالمجد حتى سافرت ... أخبارُهم بطيبهِ وهم قُعُدْ
وآختلفوا، لا أخطأتْ بدهمها ... أمنيّةٌ صوبَ نداهم تعتمِدْ
وأفسدوا الدنيا على أبنائها ... فما ترى مثلَهُم فيمن تلِدْ
هُمْ ما هُمُ أصلا ! ومِن فروعهم ... أبلجُ أَرْبَى طارِفًا على التَّلَدْ
وفَى بمجدِ قومِهِ "محمدٌ" ... فبرَّهم وربّما عَقَّ الولَدْ
وبانَ من بينهمُ بهمّةٍ ... خَلّةُ كلّ سؤددٍ منها تُسَدّْ
تَمَّ وبدرُ التمِّ بعدُ ناقصٌ ... وزاد والبحرُ المحيطُ لم يزِدْ
ودبّر الدنيا برأيٍ واحدٍ ... يأنَفُ أن يَشركه فيها أحدْ
تراه وهو فى الجميع واحدا ... والبدرُ فى حَفْلِ النجوم منفرِدْ
اذا آستشار لم يزد بصيرةً ... ولا يلوم رأيَه اذا آستبدّْ
حتى لقد أصبح بآتحاده ... يتيمةَ الدهر (٤) وبَيضةَ البلدْ (٥)
قام فنال المكرماتِ متعَبا، ... وفاز بالراحة مخفوضٌ قعدْ
وخامَ (٦) عن حمل الحقوق معشرٌ ... فلم يرغْه حملُها ولم يؤدْ

---

(١) تمد : تمل. (٢) الجائف : الذى ينتهى الى الجوف من قولهم : جافه بالطعنة : أى بلغ بها جوفه، وفى الأصل "حايف". (٣) تعرّفوا : تطيّبوا. (٤) يتيمة الدهر : الدرة الثمينة لا نظير لها. (٥) بيضة البلد : هى بيضة النعام وقد تجىء مرة فى موضع المدح وتارة فى موضع الذم، فاذا مُدِحَ بها الرجل أريد أنه واحد البلد الذى يُجتَمع اليه ويُقبَلُ قولُه وأنه فردٌ ليس مثله أحد فى شرفه، واذا ذُمّ بها أريد أنه منفرد لا ناصر له بمنزلةِ بيضةٍ قام عنها الظليمُ وتركها لا خير فيها ولا منفعة.
(٦) خام : نكص وجبن، وفى الأصل "حام".

ولو درى النائمُ أىَّ قَـدَمٍ ... يُحرزها الساهرُ لأشتاق السَّهَدْ

وربّما برَّح بالعين الكرى ... وكانت الراحـة داءً للجسـدْ

تسلّمتْ من القذى أخلاقُهُ ... والماءُ يَقْذَى بالسِّقاء والزَّبَدْ

وآنتظم القلوبَ سِلكُ ودّه ... فما يَرَى من لا يُحبّ ويوَدّْ

لا رفَقَ الغيظُ بقلبٍ محفَظٍ[1] ... عليك إن لم يقل الشِّعرَ آعتقدْ

جاراك يرجو أن يكون لاحقاً ... سومُ السَّحوقِ[2] فات أن يُجنَى بيدْ

ينقاد للذِّلّة طوعَ نسبٍ ... حيرانَ فى الأحساب أعمى لم يَقُدْ

يدين بالبخل اذا سِيلَ فإن ... أخطأ يوما بنوالٍ لم يَعُدْ

مدّ بحبلِ شرِّه فانفصمت ... أسبابُهُ وأنت بالخير تُمَدّْ

فكلّما جاز مدًى جاوزته ... مقاربا للمجد من حيث بَعُدْ

بك آعتلقتُ ويدِى وحشيّةٌ ... وضمّ أنسى شملَه وهو بَدَدْ

وآرتاض منّى لك خُلقٌ قامصٌ ... لم يدر قبلُ ما العطاءُ والصَّفَدْ[3]

ملكتَ قلبِى شغفا فما وفَى ... بقدرِ وجدى بك صبرى والجلَدْ

حتّى حوانى أوّلا فأوّلا ... وواحدٌ أوّلُ ألفٍ فى العددْ

كم أيكةٍ أنبتَها جودُك لى ... تُربُ ثراها طيّبٌ والماءُ عِدّْ

وكلما صَوَّح منها غُصُنٌ ... عاد بها جودُك غضّاتٍ جُدُدْ

قد ملأتْ أوعيَتى ثمارُها ... فقَدْك[4] إن ردَّ عبابَ[5] السيلِ قَدْ

لم تبق فىَّ خَلّةٌ تسدّها ... وإنما الخَلّةُ بالمال تُسَدّْ

---

(١) محفظ : مغضب . (٢) السحوق : النخلة الطويلة . (٣) الصفد : الوثاق والصفد أيضا بمعنى العطاء . (٤) قدك : حسبك . (٥) العباب : معظم السيل وآرتفاعه وكثرته ، وفى الأصل "عنان" ، ومعنى البيت : فحسبك إن كانت لفظة حسب (قد) ترد عباب السيل .

لى فيك من كلّ فقيــدٍ خلَفٌ — فابقَ فمــا يضرُّنى مَنْ أفتقدْ
اذا الســنانُ سَلِمتْ طــريرةً — عُليــاهُ[1] فلتَمِض الأنابيبُ قِصَــدْ[2]
واضرب بسهمٍ فى العــلاء فائزٍ — من يدِ عُمَــرٍ فائزٍ لا يُقتَصَــدْ
تُنفَضُ عنك الحادثاتُ شُــعَبا — حيثُ التهانى حافلاتٌ تحتشــدْ
كلّ صــباحٍ شمسُ إقبــالك فى — فُتوقــهِ مفتنــةٌ شمسَ الأبدْ
جذلانَ بينــ مادحٍ وحاســدٍ — فموجباتُ المدح يوجبن الحسدْ

* * *

وقال وكتب بها الى الوزير أبى القاسم الحسين بن علىّ المغربىّ، وقد غاب عن بغداد أنفًا من النظر، ذاهبا مع الحميَّة يستوحش له، ويذكر مكان الاستضرار ببعده، ويتفاءلُ له بسرعة العودة، وأنفذها اليه فى سنة خمس عشرة وأربعمائة

خاطرْ بهــا إمّا ردًى أو مُرادْ — ورِدْ لهــا أين وجدتَ المَرادْ
ولا تُمــاطلْهــا بجمّــاتِهــا — معــلّلا أظماءَهــا بالثِّمادْ
باعدْ عزيزا بينــ أســفارها — فعــزّةُ النجم السُّرى والبعــادْ
للهِ رامٍ بلُبَــانَاتِــهِ — طولَ الليالى وعروضَ البلادْ
يُقــدِمُ إمّا مبلغــا نفسَــه — معــذرةً أو بالغــا ما أرادْ
يحفِــزُه الضــيمُ فتنبو به — مضاجعُ الغيــدِ ولينُ المِهادْ
اذا أحسَّ الهُونَ صــاحتْ به — نخوتُه، أو طارَ، أو قيلَ : كادْ
يَعجُمُ منــه الدهرُ إن رابهُ — جَلْدَ العصا صُلبَ حصاةِ الفؤادْ
سمتْ به الهمّةُ حــتى نجــا — منفردا من بين هــذا السوادْ

(١) فى الأصل "غرباه"، ومعنى البيت اذا سلم أعلا السنان محددا فلتتكسر الأنابيب وهو على سبيل المثل للبيت الذى قبله . (٢) قصد جمع قِصْدة وهى الكسرة .

مولّيـا آخِـــرَ حاجاتـــهِ خزائمَ العيس وبُخْـــمَ الجيـادْ
أقسمَ مهما ٱكتحلتْ عينُـه بمثـــلِهِ لا ٱكتحلتْ بالرقادْ
وبات مغمورَ العـــلا شـاكرا ميســـورَه، يقنَعُ بالإقتصـادْ
يرضَى من الحظّ بمـا جاءه عفواً، وما الحظّ سوى الاجتهادْ
ينـام للضـــيم على ظهـــره مُراوِحَ الخــدّ وثيرَ الوسـادِ
إن راء، من يومـــه رائعٌ قال : عُدُوًّا[1]، فرَسُ الذلّ عادْ
ما أكثَرَ المُنحِى على مجـــده لُبلغـــةٍ تُرجَى ورزقٍ يُفـادْ
ومؤثِرَ المـالِ على عرضـــهِ مجتهـداً ينقُصُ من حيث زادْ
عَـــدِّ عن الدنيـا وأبنائهـا وبـــعْ مودّاتهـــم بالبعـادْ
ما هـــذه الدهمـاءُ[2] إلا دبًى[3] ينشُرُهُ فى الأرض حُبُّ الفسادْ[4]
إلّا فـــتًى يأنف من عيشـــةٍ لغـــيره فيهـا عليـــه ٱعتدادْ
ودولةٍ تخطُبُ راياتُهـا باسم ســـواه فى رءوس الصِّعادْ
مثل "أبى القاسم" غيران يسـ ـتفيد من عزّته ما ٱستفادْ
يجـــود بالنفس كما جاد أو يسود بالواجب من حيث سادْ
هيهات ! قامت معجزاتُ العلا فيـــه وبانت آية الإنفـــرادْ
لا تـلدُ الأرضُ له من أخٍ، أعقمها من بعـدِ طولِ الوِلادْ
شـاد به اللهُ بُنَى[5] مجـــدِهِ راسـيةً، واللهُ ما شـاء شـادْ
بانَ من النـاس فمـا عابه شىءٌ سوى تشـبيهه بالعبـادْ
أبلجُ فى كلّ دُجَى فحمةٍ عمياءَ لا يقـــدَحُ فيهـا الزنادْ

---

(١) العُدُوّ : العدوان . (٢) الدهماء : الجماعة من الناس . (٣) الدبى : الجراد الصغير .
(٤) فى الأصل "السفاد" . (٥) بنى جمع بُنية وهى ما بنيته ، وفى الأصل "بنا" .



يصيبُ بالأوّل من ظنّه فليس يُستثنَى ولا يُستعادْ
تهفو قُوَى الحلم، وغضباته تأوِى الى مستحصِفاتٍ(١) شِدادْ
أرهفَ من آرائه ذُبّلا ترودُ للطعن أمامَ الطرادْ
وقاد للأعداء رقّاصةً(٢) تعزِفُ — لولا يدُه — أن تُقادْ
معرّقاتٍ(٣) كان أُمّاتُها ربائطا ما بين أبياتِ "عادْ"
يشكُمُها إن خلعتْ لُجْمَها ما جرَّ من فضلِ نواصي الأعادْ
خضّبها الطعنُ بماء الطُّلَى فشُهْبُها(٤) فى شَعَراتِ الوِرادْ(٥)
يحالفُ الصبرَ عليها فتًى ما بدأ الكرّة إلا أعادْ
يبذُلُ فى حفظ العلا مهجةً تكبُرُ أن تفديَها نفسُ فادْ
يَرَى طلابَ العزّ أو بردَهُ فى حرّ ما يَشرَبُ يومَ الجلادْ
شجاعةٌ سبَّبها جودُه، إن الفتى يشجُع من حيث جادْ
يا راكبَ الدهماء(٦) لم يُحفِها سَيرٌ ولا حنّتْ لتغريدِ حادْ
حدّدها الطالى فما عابها على بياضِ الجسم لُبْسُ الحِدادْ
لا تلتوى من ظمأ والثرى مُكْدٍ وأكبادُ المطايا صَوادْ
يَحفِزها من مثله سائقٌ يَضِلُّ خِرّيتُ الفلا وهو هادْ
راكبُها وهو على ظهرها موطّأُ الجنبِ قليلُ السهادْ
يكرعُ فى صافٍ قليلِ القذى عَذبٍ ويرعَى أبدا بطنَ وادْ
بلّغ — بلغتَ الخيرَ — خيرَ آمرئٍ شُدّتْ عليه حَبَوات البوادْ

(١) مستحصفات : مجدولات محكمات . (٢) يريد بقوله رقاصة : الخيل كثيرة الرقص وهو ضرب من الخبب. (٣) معرّقات تمتدّ عروقها أى أصولها، وفى الأصل "معرفات". (٤) الشهب : البيض . (٥) الوراد : الحمر . (٦) الدهماء : الناقة الشديدة .

قل للوزير : ٱعترقَتْ[1] بعــدكم عظمى نيوبُ الأزَماتِ الحِدادْ
وٱرتجع البخـــلُ وأبنـاؤه ما أَسأرتْ عندِىَ كفُّ الجوادْ
غاض النـدَى بعـــدك يا بحرَهُ وبانَ مذ بِنتَ بفضـلِ السّدادْ
وٱغبرّ جوٌّ كنتَ خضرَتَهُ فشمَطتْ فيـــه الرُّبَا والوِهادْ
دِينٌ من العـدل عفا رسمُه شَرَعتَهُ للنـاس بعـــدَ ٱرتدادْ
وسُنّةٌ فى المجـــد قد قُوِّضتْ أقمتَ من أطنابهـا والعِمادْ
ومهملٌ من كلِمٍ نادرٍ نفَّقَهُ[2] مدحُك بعـدَ الكسادْ
عاد يُـوَفَّى أجرَهُ كاملا عندك حيًّا قبـــلَ يومِ المَعـادْ
عَرَفْتَهُ والنـاسُ مِن حاسدٍ أو جاهـــلٍ بالقولِ والإنتقادْ
أوحشتَ بالبعد فلا أُوحِشتْ منـــك مغانى الكرم المسـتفادْ
وشُلَّ[3] سَرْحُ الأمر من قبضة الـ راعى فأمسَى هَجْمـــةٌ[4] لا تذادْ
معطَّلَ المجلِس والمنـــبرِ الـ ـمركوبِ عارِى السرجِ رِخوَ البِدادْ[5]
تعـلَّقَ المســـكُ أطرافَـــه منـه برُسْـغَىْ قاطعٍ لا يصـادْ
كأنمـا صـاحَ غرابُ النوى : بدادِ فيـــه بعـــدَ جمعٍ بدادْ
قد أسِـــفَ الرأسُ على تاجه وأنكرَ العاتقُ[6] فقْـــدَ النّجادْ[7]
ووَجْهُ "بغـــدادَ" على حسنه أسفعُ[8] مكسوفٌ عليـــه ٱربدادْ[9]
كانت حريـا بك ممنوعـــةَ الـ ظهر فعـادت وهى دارُ الجهادْ
فى كلّ بيتٍ من أذًى عَوْلةٌ تُبْـدَا ومن خوفٍ أنينٌ يُعـادْ

(١) اعترقت : نزعت ما عليه من لحم . (٢) نفّقه : روّجه . (٣) فى الأصل "سلّ" .
(٤) الهجمة : من الإبل ما بين السبعين الى المائة أو الى دونها . (٥) البداد : بطانة تحشى وتوضع على الدابة وقاية لظهرها . (٦) العاتق : موضع نجاد السيف من الكتف . (٧) النجاد : حمائل السيف . (٨) الأسفع : الشاحب المتغير اللون مما يقاسى من المشاق . (٩) الاربداد : التغير .

وكيف لا يُنكَرُ عهدُ الحمى ... يفوتُه العامُ بصوبِ العِهادْ !
يا مبدئ الإحسان فينا أعدْ ... فالبدر إن مرّ مع الشهر عادْ
قم فأثِرْها عزمةً لم تنمْ ... ضُعفا ولم تنقُصْ لغير آزديادْ
عاجِلْ بها جَدْعَ أنوفٍ طغتْ ... وأرؤسٍ قد أينعتْ للحَصادْ
يحسبها الأعداء قد أُخمِدتْ ... وإنما جمرُك تحتَ الرَّمادْ
لا تأخذِ الدهرَ بزلَّاته ... وسَعْهُ بالعفو وبالإعتمادْ
ولا تُكشِّفْ عن صدورٍ خبتْ ... أضغانُها من قاتلٍ أو مُضادْ
فكلّما تُبصره صالحا ... فإنما يصلُح بعد الفسادْ
أنا الذى ردّ زمانى يدى ... من بعد شدّى بكم وآعتضادْ
وطمِعتْ فىّ ذئابُ العدا ... حتى حلا مضغٌ لها وآزدرادْ
وفُتَّ فى حالى وفى عيشتى ... بطلبى ظِلَّكُمُ وآفتقادْ
لا نَسِيَ اللهُ لكم والعلا ... ما زدتُمُ فى عُدّتى أو عَتادْ
ونعمةً أثقلتُمُ كاهلى ... بحملها وهى يدٌ من أَيادْ
كم ناخسٍ ظهرى على شكركم ... وحاسدٍ فى مدحكم أو مُعادْ
ومنكرٍ حفظى لكم يرتمى ... مَقاتلى من خطإٍ وآعتمادْ
وليس للخابطِ إلا العشا ... منّى وللخارطِ إلا القَتادْ
وناشطاتٍ أبدا نحوكم ... من عُقَلِ الفكر لِيانِ المَقادْ
سوافرٍ عن غُرَرٍ وُضَّحٍ ... ينصَعُ منهنّ سوادُ المِدادْ
يَخلِطنَ فرضَ الحقّ فى مدحكم ... بخالص الحبّ وصفوِ الودادْ
حافظةٍ فيكم عهودَ الندَى ... حفظَ الرُّبَا عهدَ السوارى الغوادْ
وقلّما يرعى أياديكُمُ ... فى القرب مَنْ لم يَرْعَها فى البعادْ

(١١٥)

* * *

وقال وقد بلغــه تشوُّقُ الأمير الأجلّ نور الدولة أبى الأغرّ دُبَيْس بن علىّ بن مَزْيَد الى ما يسمعه من شعره، واقتراحه أن يُخصَّ بشىءٍ يَجمعُ فيــه بين أن يحفظه وبين أن يكون مديحاً له، وتوسّط بعضُ كتّابه فى هذا، فكتب اليه يمدحه، ويذكر بعضَ أعدائه ممّن نجمَ عليه فى جُمادى الأولى من سنة ستّ عشرة وأربعمائة

أمِنْ "أسماءَ" والمسرى بعيدُ ... خيالٌ كلّما بخلَتْ يجودُ ؟

طوَى طىَّ البرودِ عِراضَ "نجدٍ" ... وزار كما تأرّجتِ البرودُ

يشقُّ الليــلَ والأعداءَ فردا ... شجاعا وهو يذعَرُه الوليــدُ

مواقِدَ "عامرٍ" و"مروحَ" "طىٍّ" ... وما قطعت برملتها "زرودُ"

له ما للبــدورِ من الدياجى ... فأرّقَــنى وأصحابى هُجــودُ

فقمتُ له أطوّقــه عِنــاقا ... يدا ضعُفتْ وباعثُها شــديدُ

يدُ القنّاصِ تخفُــق أين مُدّتْ ... حِبالتُــه فتضبِطُ ما تصــيدُ

فيا لكِ سُحــرةً سُرِقتْ لو آنى ... غدًا فيهــا يــتمّ لِىَ الجحُــودُ!

وكيف وتُربُ "بابلَ" سَلْخَ شهرٍ ... وأردانى[1] بريّاها شُــهودُ!

أمَا ومشعشِعين "بذاتِ عِرقٍ" ... صِلًا[2] يَقرِى "العراقَ" له عمودُ،

ورامٍ سهمَ عينيــه "بسَامِرٍ" ... و"بالزوراء" يقتُلُ مَن يريدُ،

لَمَــا وفَتِ الصوارمُ والعوالى ... بمــا جنتِ المحاجرُ والقــدودُ

وكم يأوِى "المشقَّرَ" من غزالٍ ... تحاذر من كَناسِته الأسودُ

تُقلِّمُ حولَه الأظفــارَ عَنْزٌ ... ويُهتَمُ دونَه الأنيــابَ جيــدُ

وأبيضَ من نجوم "بنى هلالٍ" ... وجوهُ العيش بعــد نواه سودُ

---

(١) الأردان جمع رُدنٍ وهو الكمّ . (٢) الصلا : الوَقود .

هويتُ له الذى يهواه حتّى ... حلا إعراضُه لى والصدودُ
نفضن الحبَّ أسمالا وعندى ... لهنّ على القلى حُبٌّ جديدُ
ورُحنَ وقد سفكنَ دمًا حراما ... تصيح به الأناملُ والخدودُ
أما تنهاك عن عيدِ التصابى (١) ... مواضٍ من شبابك لا تعودُ؟
وقادحةٌ لها فى كلّ يومٍ ... ذبولٌ من نشاطك أو خمودُ
طوالع فى عذارك لا الأحاظى ... قَسَمْنَ طلوعَهنّ ولا السعودُ
وقالوا: حلَّمتْكَ، فقلت شوقا: ... متى مبدى الخلاعةِ لى يعيدُ؟
يجُرُّ علَىَّ أبيضُها خمولا ... وكنت بجاهِ أَسْوَدِها أَسودُ
ولم أر كالبياض مذمَّمًا فى ... مواطنَ وهو فى أخرى حميدُ
فتلحاه العوارضُ والمَفالِى ... وترضاه الترائبُ والنهودُ
عدمتُ مكارم الأيّام، مَنْ ذا الشـ ... ـقىُّ بها ومَنْ فيها السعيدُ؟
مع الفضل الخصاصةُ والتمنّى ... وحولَ العجزِ تزدحم الجدودُ
تُقامُ على الفقير وما جناها ... اذا وجبتْ على المثرى الحدودُ
وما لك من أخٍ فى الدهر إلا ... أخوك طريفُ مالِك والتليدُ
مَحضتُ الناسَ مختبرا فكلٌّ ... بكِىءٌ (٢) دون زُبدته زهيدُ
هُمُ حولى مع النُّعمَى قيامٌ ... وهم عنّى مع الجُلَّى قعُودُ
توقَّ تحيةَ ابنِ العمِّ يوما ... فربَّ فمٍ بقُبلته يكيدُ
ولا تخدعْك مسحةُ ظهرِ أفعَى ... فتحتَ لثاتِه نابٌ حديدُ
وأغلبُ ما أتاك الشرُّ ممّن ... تذبّ الشرَّ عنه أو تذودُ
وحولك من قبيلك من تكون (٣) الـ ... ـقليلَ به وإن كثر العديدُ

(١) العيد: ما يعتادك من هم أو مرض أو نحوه. (٢) البكىء: الناقة لا تدر.
(٣) فى الأصل "يكون".

مُــداجٍ أو مُبادٍ أو حسودٌ ... وشرُّهُمُ على النِّعمِ الحســودُ

ومولًى عرشُــه بك مشمخرٌّ ... بطول الحفر يهــدِمُ ما تشيدُ

نصحتُ لمارقٍ من "آل عوف" ... لو آنّ النصحَ يبلغ ما أريدُ

وقلتُ له : قناتَك لا تدعهــا ... تُوصَمْ بالعــقوق ولا تميــدُ

وبيتَــك لا تبدّلْ فيــه غدرا ... فإنّ عليــك ما يجني النّــدودُ (١)

ولا تعبَثْ بعــزّ "مَزيَديّ" ... لتنقُصَــه وأنت به تزيدُ

هم آنتحموك معــروقا (٢) وضمّوا ... عزيبَــك وهو متحِسٌ طريدُ

ومــدّوا ضَبْعَك المغمورَ حتى ... سمــا بك بعــد مهبطه صعودُ

الى نادٍ تفــوه به وتغشَى ... وسامرةٍ يُشَبُّ لهــا وَقــودُ

عُنُوا بثراك وآغترسوك حــتّى ... بسقتَ على العِضاهِ وأنت عودُ

وربُّوا نعــمةً لك لا يغطّى ... عليهــا الســترَ غَمطُك والجُحودُ

فمــا غَــنِيَ المبصَّرُ وهو باغٍ ... بمــا تُجدِى المَشورةُ أو تُفيــدُ

وقام يقــودُها سُوقًا (٣) عجــافًا ... أعزُّ من القيام بهــا القــعودُ

يَلوثُ جبينَــه منهــا بعــارٍ ... تبيــد المخــزياتُ ولا يبيــدُ

فكيف وأنت طير البغى فيها ... جرت لك بالتى عنهــا تحيــدُ

نزلتَ لهــا بدار الهُــون جارا ... لأقــوامٍ تُضــامُ وهــم شهودُ

صديقَ العجزِ أسلمك الأداني ... بجُرمك وآســتراب بك البعيدُ

تَقاذَفُــك المهامهُ والفيــافى ... وتُنكــركَ التهــائمُ والنُّجودُ

فمــا لك لا وَالتَ (٤) ـــ وأنتَ حرٌّ ... يُجيرك من عشيرتك العبيدُ

---

(١) الندود : النفور والشرود . (٢) معروقا : منزوعا ما عليك من لحم . (٣) سوق جمع ساق . (٤) يقال : وآل فلانا : آتخذه موئلا .

وأنت الجارَ لا حيّ عزيزٌ … بأسرته ولا ميْتٌ فقيدُ
ولو بأبي الأغرِّ صرختَ فاءتْ … عليك فضولُ رأفته تعودُ
إذن لأثرتَ عاطفةً وحِلمًا … تموتُ له الضغائنُ والحُقودُ
وكان الصفحُ أبردَ فى حشاه … اذا آلتهبتْ من الحَنَقِ الكُبودُ[1]
وعاد أبرَّ بالأنساب منكم … وبالقربَى لو آنك تستعيدُ
نتجتَ من المنى بطنا عقيما … تَمَى بك والمنى أمٌّ ولودُ
أتنشُدُ ما أضلَّ الحزمُ منها ؟ … أطِلْ أسفا فليس لها وجودُ !
وتوعدُه وذلك ذلُّ جارٍ ، … متى آجتمع المذلةُ والوعيدُ ؟
تريدون الرءوسَ وقد خُلقتم … ذُنابَى لا آنتفاعَ بأن تريدوا
ويأبى اللهُ إلا " مَزْيَديًا " … على " أسَدٍ " يؤمَّرُ أو يسودُ
فدعْها للذى جعَلتْ اليه … وسلْه العفوَ فهو به يجودُ
دَعُوا قوما يخاصم فى علاهم … رقابَكم المواثقُ والعهودُ
بأىّ سلاحكم قارعتموهم … أبَى الماضى الشبا ونبا الحديدُ
وإنّ سيوفَكم لتكون فيهم … مَكاوىَ لا تَنِشُّ[2] لها الجلودُ
ففخرا يا " خُزَيْمُ " فكلُّ فخرٍ … الى أنواركم أعمى بليدُ
لكم نار القِرى وندَى العشايا … وفرسانُ الصباح وَعَوْا فَنُودوا[3]
وأنديةٌ وألسنةٌ هُبوبٌ … اذا آنتُضِيتْ[4] وأحلامٌ رُكودُ
ومنكم كلُّ ولَّاجٍ خروجٍ … وذو حَزْمَيْن صدَّارٌ وَرودُ
ووقْرٌ ما أقلّ السرجُ ثَبْتٌ … اذا مالت من الرَّهَجِ اللُّبودُ

(١) الكبود جمع كبد . (٢) تنش : تصوّت . (٣) فى الأصل " فتودوا " .
(٤) فى الأصل " انتضبت " .

اذا "مُضَرٌ" تطَامَنَ كلُّ بيتٍ ... لهـا وعلا بربوتهـا الصـعيدُ ،

وكانت جمرةَ الناسِ، آحتبيتم ... وفيكم عزُّ ســورتهـا العتيدُ

بَنَى لَكُمُ "أبو المظفارِ" مجدا ... على موت الزمانـ له خلودُ

وقدمكم على الناس آضطرارا ... مقاماتٌ وأيامٌ شُـــهودُ

إجارةُ "حاتمٍ" (١) ودمٌ شريقٌ ... به لَبّاتُ "حُجْرٍ" (٢) والوريدُ

وطعنــةُ "حاتم" وطَرٌ قديمٌ ... قضى "مَروانُ" فيها ما يريدُ

وصاحتْ باسم صامتَ نفسُ حرٍّ ... "ربيعُ المقترين" (٣) بهـا يجودُ

و"صخرٌ" ذابَ "صخرٌ" (٤) على قناكم ... ولان لكم به الحجر الشــديدُ

ويومُ "عُتَيْبةٍ" عَلَمٌ عريضٌ ... تَبَاشَـــره المواسمُ والوفـــودُ

كرائمُ من دماء باردات ... لديكم لا دِيَاتٍ ولا مَقيـــدُ

وإنّ "ببابلٍ" منكم لبحـرا ... لو آنّ البحرَ جاد كما يجودُ

اذا الوادى جرى مِلحا أُجاجا ... ترقـرق ماؤه العــذبُ البَرودُ

فتىُّ السنّ مكتهلٌ حِجـاهُ ... طريفُ الملك سؤدُده تليـدُ

اذا آشتبهتْ كواكبهم طلوعا ... "فنور الدولة" القمرُ الوحيدُ

أناف به وقـــدّمه عليكم ... أبٌ كَرَمٌ (٥) أناف به الجــدودُ

أغرُّ قسيمُهُ (٦) السيفُ المحلَّى ... ومسحبُ ذيله الروضُ المجودُ

يعود اذا تغـرّب فى العطـايا ... ويُقلع فى الهَنـاتِ فلا يعـودُ

(١) يشير الى حاتم الطائى حين أجاره عمرو بن أوس . (٢) يشير الى حجر بن عمرو الكندىّ يوم ذبحته بنو أسد . (٣) يشير الى جدّ لبيد بن ربيعة وكانت العرب يسمونه "ربيع المقترين" لسخائه وقد قتله بنو أسد، وفى قول : إن قاتله "صامت بن الأفقم" المذكور فى صدر هذا البيت . (٤) يشير الى صخر بن عمرو بن الشريد يوم طعنه ربيعة بن ثور الأسدىّ ؛ ولهذه الإشارات قصص طويلة ولعل وجه الفخار بها أن ممدوح مهيار يمتّ بالنسب الى بنى أسد الذين منهم كل من مر ذكرهم . (٥) كرم : كريم . (٦) القسم : النظير .

بليـلُ الريقِ من كَلِمٍ سـديدٍ ... يقـوم بنصره رمحٌ سـديدُ
تراغتْ حـول قبّتـه بكارٌ ... شـفار الجازرين لهـا قُتـودُ
تراه الخيلُ أفرسَ من تمطّتْ ... به والجيشُ أشجعَ من يقـودُ
ويَغـنَى ثم يُفقِرُ راحتيـه ... مقالُ المـادحين : الفقرُ جودُ
مَن الغـادى ينقّلُه حِصانٌ ... مفدّى السبق أو عَنْسٌ وَخُودُ
اذا ركب الطريقَ، وفى بشرطى ... أخٌ منـه على أربى عقيـدُ
اذا بلّغتُ عن "إنسانَ"[1] ينزو ... وراء ضلوعـه قلبٌ عميـدُ
يرى المرعى الخصيبَ يصدّ عنه ... ويظمأُ وهو يمكنه الوُرودُ
فقـل لأمير هذا الحىّ عنى : ... أيُجمَعُ لى بك الأملُ البـديدُ ؟
أحِنُّ الى لقـائك والليالى ... علىّ مـع العوائق لى جُنـودُ
وتجـذبنى نوازعُ موقظاتٌ ... اليـك وراءها قَـدَرٌ رَقودُ
وكم وعَدتْ بك الآمالُ نفسى ... ويقضى الدهر أن تُلْوَى الوُعودُ
فهـل من عطفـةٍ بالود؟ إنى ... على شحط النـوى خِلّ ودودُ
محبٌّ بالصفاتِ ولم أشاهِـدْ ... كأنى من نجيّكُمُ شهيدُ
وكم مَلِكٍ سـواكم مدّ نحوى ... يديه فقصّر البـاعُ المـديدُ
ومعصوبٍ بذكرى أو بشِعرى ... أحوِّل عنـه شعرى أو أحيـدُ
أحاذر أن تَبـذّلَنى أكـفٌّ ... سوائمُ صـانَنى عنهـا الغُمودُ
لعـلّ علاكُمُ وندى يديكم ... سيُنهِضُنى بمُثقِـلةٍ تؤودُ
ومُجتمِعٍ عليهـا القـولُ، أنّى ... بهـا والقولُ مشـترك فريدُ
من الغرّ الغرائبِ لم يَعِبْهـا الـ ... ـكلامُ الوغـدُ والمعـنى الرديدُ

---

(١) إنسان : اسم ماء .

نوادر تلقـط الأسماعُ منهـا عن الأفواه ما نَثَرَ النشـيدُ
تَسـير بوصفكم وتُقيم فيكم خوالدَ فهى قاطنـةٌ شرودُ
وليس يَضُرُّ راجيكم لِرِفـدٍ تَلَوُّمُهُ [اذا](١) قصَـدَ القصيدُ

* * *

(١١٨) وقال وكتب بهـا فى النيروز الى أبى الحسن جابر يهنّئه وينتصره على قوم كان يستضرّ بمعاملتهم فى معيشةٍ له

جَـمَّ لهـا الوادى وعزَّ الذائدُ وطاب ما حـدَّثَ عنهـا الرائدُ
نخلُّهـا راتعـةً مجـرورةً وراءهـا الأرسانُ والمَقاودُ
يُخلِفُ ما آستُسلفَ من جِرَّاتهـا كهلٌ(٢) أثيثٌ ومَعينٌ باردُ
حيثُ المغـيرُ لا ينالُ فرصـةً منهـا ولا يطمعُ فيهـا الطاردُ
تذبُّ عنهـا من سِماتِ ربّها صـوارمٌ ليس لهـا مَغـامدُ
اذا بدت فى عُنُـقٍ أو حارِكٍ فهى عليهـا أعينٌ رواصـدُ
ونَمْ فقـد حرَّمَها هـذا الحمى وضمَّها وهى دُخانٌ شاردُ
وأعجـزَ النـاسَ جميعا رَعْيُهـا فاليـومَ يرعاها جميعا واحـدُ
أَرْوَعُ لا يغلبُـه المكرُ ولا تـدِبُّ فى حريمـه المَكايدُ
أعارها عينا فكانت عُـوذَةً لهـا وشيطانُ الزمان ماردُ
أفرشَها "كافى الكفاةِ" أمنَـهُ فالظلُّ سَكْبٌ والنسـيمُ باردُ
دانَ بتاجِ الحضرةِ الدهرُ لهـا وحلَّ حبـلَ الذلِّ عنهـا العاقدُ
وصـدَّقَتْ أن الربيعَ بعـدَها بـوارقٌ من يده رواعـدُ
غاصتْ غصونُ المجد تحتَ مائها فأورقَ الذاوِى وقام المـائدُ

---

(١) هذه الكلمة غير موجودة بالأصل . (٢) الكهل : النبت تم طوله وظهر نوره .

وضَحِكَ القاطبُ من وجه الثرى ... وسالَ وادى المكرُماتِ الجامدُ

وبشّر الفضلُ بقايا أهلِهِ : ... لا تقنطوا ، فى الناسِ بعدُ ماجدُ

نقل لأبناء الطِّلاب والمنى ... والحاجِ ضاقتْ بهم المَقاصدُ ،

يتاجرون المجدَ فتخيسُ (١) فى ... أيديهم البضائعُ الكواسدُ :

تضمُّكم حَنوتُهُ (٢) وأنتمُ ... عِزُونَ (٣) فى الآفاق أو بدائدُ

زَمَّ الأمور فلَوَى أعناقَها ... ساعٍ الى الغايات وهو قاعدُ

ودبَّر الدنيا على عِلاّتها ... فصَلَحَتْ والدهرُ دهرٌ فاسدُ

ماضٍ له من عزمه مجرَّدٌ ... يذُبُّ من جهلِ الزمانِ غامدُ

يَرَى بوجهِ اليوم صدرَ غدِهِ ... تُعطيه ما فى المَصدرِ الموارِدُ

لا يأخذ التدبيرَ إلا مِن عَلٍ ... فالناسُ يحطُّونَ وهو صاعدُ

رأى آنتهاءَ مجدِهِ مبتدَأً ... لَمّا أعانَ الكفَّ منه الساعدُ

أسهرَهُ حبُّ العلا منفرِدا ... وهو على ظنِّ العيونِ راقدُ

جَدَّ وقارا والزمانُ هازلٌ ... وجادَ عفوا والسحابُ جامدُ

ولاحَ فى المُلك شِهابا فورَى ... زنادُهُ والمُلكُ نجمٌ خامدُ

منتصرا بنفسه لنفسه ... كالليث يشرَى (٤) ما لَهُ مساعدُ

لا يَملكُ الحفظُ عليه أمرَهُ ... ولا تُفرِّى حِلمَه الشدائدُ

يُنهِضه الكمالُ من أثقالِهِ ... بأوسُقٍ تلفِظها الجلامدُ

مدَّ على الدولةِ من جناحه ... ما مدَّ عطْفا لبنيه الوالدُ

حتى آستقامتْ وهى بلهاءُ الخطا ... عمياءُ ما بين يديها قائدُ

---

(١) تخيس : تكسد . (٢) الحنوة : العطفة . (٣) عزون جمع عِزَةٍ وهى العصبة المجتمعة من الناس ، وفى الأصل "عزين" . (٤) يشرى : يتقدم و يلجّ .

كم قــدَمٍ قبلَك قــد زَلَّتْ بهــا ... ضُعفا وكــفٍّ لم يُطِعها الساعدُ
وضابطٍ لم يُغنِهِ ــ لمَّا طغتْ ... أدواؤُها ــ التجريبُ والعــوائدُ
يَحرُسها وليس من حُمــاتِهــا ... مثــلُ الشَّــغا(١) ينقُص وهو زائدُ
جاءت على الفَــتْرةِ منــه آيةٌ ... معجِزةٌ قامت بهــا الشواهــدُ
مَوهِبــةٌ فاجئــةٌ لم تُحتَسَبْ ... ولم تسـوِّفْه بهــا المَواعــدُ
كنتَ خبيئا ترقُبُ الأيامُ فى ... إظهــارِه الميقاتَ أو تراصــدُ
كالنارِ فى الزّند تكون شَرَرا ... بالأمس وهو اليومَ جمــرٌ واقدُ
فأبرزَتْــك للعيونِ كوكبا ... يَزهَرُ لم تَجْــرِ به العــوائدُ
يَفــديك محظوظون وجهُ عجزِهم ... بغَلَطِ النّعمة فيهــم شاهــدُ
قــد سَرَق الدهرُ لهــم سيادةً ... ليس لهــا من المَساعى عاضدُ
تَنافَرُ الأقلامُ عن أيمانهــم ... وتَقشعِرُّ منهــم الوســائدُ
لم يَنظِموا المجــدَ كما نَظَمتَــهُ ... ولا حلَتْ عنــدهم المَحامــدُ
ولا أعانَ طارقا من حظِّهم ... مجــدُ أبٍ مثــلِ أبيــك تالدُ
وخيرُ من شاد الفخارَ رافعٌ ... أُســرَتَهُ لِمَــا بَنَى قواعــدُ
وبعضُ عليــاءِ الفــتى مَكاسبٌ ... بنفســه وبعضُــها مَوالدُ
وليهنِــكَ الأمرُ الذى ذلَّ به ... لك العــزيزُ وأقــرّ الجاحــدُ
ولانَ فى يديك منــهُ مرِسٌ(٢) ... مُــلاوِذٌ مَن رامَــهُ مُحــايدُ
يَنقُصُ من قــدرِك وهو فاضلٌ ... على وسِــيعاتِ الأمانى زائدُ
ومُشرِفاتٌ فُضُــلٌ لبِستَهــا ... تَزْلَقُ عنهــا المُقَــلُ الحــدائدُ
كلِبــدةِ الليثِ سَطَا وحسنُهــا ... كالوشىِ تُكساهُ الدُّمَى الخــرائدُ

(١) الشغا : الزائد من الأسنان . (٢) المرس : الشديد المراس .

لو كانت الأفلاكُ أجسادا لمَا … كان لها من مثلها مجاسدُ

باطنة وظاهر جمالُها … فالحسنُ منها غائبٌ وشاهدُ

تَسحَبها فى الأرض ولفخرها … مَعالِقٌ فى الجو أو مَعاقدُ

وكالسماء عِمةٌ صِبغَتُها … قد جاءها من الزمان وافدُ

مقدودةٌ منها ، ومن نجومها … فى طَرَفيها سائرٌ وراكدُ

إن لم تكن تاجًا فقد أكسَبها … نورُك ما لم يكسَ تاجًا عاقدُ

وضاربٌ الى "الوجيه" عِرْقُه (١) … بأربع تَسْبِقُ بها الأوابدُ (٢)

من اللواتى نجَرَتْ آباءها … فى السبق أمهاتُها الرائدُ

وصَبحتْها (٣) بالصريف (٤) عُلَبًا (٥) … قبلَ عِيالِ ربها الولائدُ

خاضَ الظلامَ فاهتدى بغُرةٍ … كوكبُها لمقلتيه قائدُ

يجاذبُ الريحَ على الأرض ومن … قلائد الأفقِ له قلائدُ

حَلْىٌ من التبرِ اذا خَفّ بها … أثقلَ فهو تحتها مجاهدُ

ينصاعُ "كالمريخ" فى آلتهابِه … وأنت فوق ظهره "عُطاردُ"

غرائبٌ من الحِباءِ (٦) جُمِعتْ … بها لك الفوارِكُ الشواردُ

تبرَّعَ المَلْكُ بها مبتدئا … وكلُّ بادٍ بالجميل عائدُ

قد كنتُ عِيّفتُ لك الطيرَ بها … مستيقظا والحظُّ بعدُ هاجدُ

وبَرَقتْ لى فى المنى سيوفُها … من قبلِ أن تُبرِزها المَغامدُ

عِلْما بما عندَك من أداتِها … وأنها سيفٌ وأنت ساعدُ

---

(١) الوجيه : اسم فرس . (٢) الأوابد : جمع آبدة وهى الوحش . (٣) صبحتها : سقتها الصَّبوح وهو اللبن يحلب بالغداة . (٤) الصريف : اللبن ساعةَ يُحلَبُ ، وفى الأصل "الصرير" . (٥) العُلَب جمع عُلبة وهى قَدَح ضخمٌ من جلد أو خشب يُحلب فيه . (٦) الحِباء : العطاء ، وفى الأصل "الحياء" .

فلم يَخُنِّى فارسُ الظنِّ ولا   غرَّتْنِى المَخايِلُ الشواهدُ

وبعدُ، لى فيك رجاءٌ ناظرٌ   الى السماء وحسابٌ زائدُ

حتى يُشَقَّ للزمان رمسُهُ   وأنت باقٍ والعلاءُ خالدُ

بك آستقاد الفضلُ ودماؤه   مطلولةٌ وعزٌّ وهو كاسدُ

نصرتَهُ والناسُ إمّا جاهلٌ   بحقِّه أو عارفٌ مُعاندُ

وريشْتَ من أبنائه أجنحةً   طار حَصيصا ريشُهُ البدائدُ

تُعطِى وأنت مُعدِمٌ وإنما   يُعطِى أخوك البحرُ وهو واجدُ

زرعتَ عندى نعمةً سالفةً   أنت لهذا الشكر منها حاصدُ

عَطفا على ذكرى ووصفا فخرُهُ   باقٍ علىَّ والزمانُ بائدُ

ونَظَرا بَدأْتَنِى برأيه   لو أن باديه الىّ عائدُ

لكن أردتَ الخيرَ لى ودونه   حوائلٌ من زمنى حوائدُ

فهل لأرضِى لك أن تَبُلَّها   على الجُدوب سُحُبُك الجوائدُ؟

غَرَسْتُ منك بالولاء والهوى   غرْسا فماذا أنا منه حاصدُ

أُنظرْ، فقد قدَرتَ، فى مَظْلَمةٍ   كنتَ على إنصافها تعاهدُ

وآقضِ ديونَ المجد فيها وآرعَ لى   ما تقتضى الأواصرُ التوالدُ

ولا تكن — حاشاك — من معاشِرٍ   تخذُلُ أقوالَهم العقائدُ

كانوا يدى وريحُهم راكدةٌ   وأُسرتى والحظُّ عنهم عاصد(١)

فحين هبّت عاصفا رياحُهم   قلَّ الوفىُّ ونأَى المساعدُ

غَنّيتُ أنْ أسكرَنى جفاؤهم   وفى غِنائى لَهُمُ عَرابدُ

وبُخلاء لا تُهنّا نعمةٌ   هُمُ اليها السُّبْلُ والمَقاصدُ

(١) العاصد : الملتوى المنحرف .

اذا كَرُمتَ لؤموا سَفارَةً ... وإن قربتَ فهُمُ أباعدُ
تُغالِقُ الأرزاقَ أيمانُهُمُ ... تَضجُّ من مطلِهم المَواعدُ
لا يُرتَجى حُكمُ القريض بينهم ... ولا يُخاف اللَّغوُ والعَرابدُ
وكيف أبغي في النَّبيطِ منهُمُ ... والعُجمِ أن تنفعَني القصائدُ
تلافَ بالفضل الوسيعِ ما جَنَى ... مُسلِمُهم عليّ والمُعاهدُ
حاشاك يشقَى واحدٌ بفضلِهِ ... على زمانٍ أنتَ فيه واحدُ
قد طال صوتي سمعَك المشغولَ عن ... بثِّك ما ألقى وما أكابدُ
ونَقَبَتْ[1] جسمي وقلبي صابرٌ ... من زمني نيوبُهُ الحدائدُ
ولم يدعْ تحت الخطوب فَضْلةً ... فيّ تدبُّ نحوها الأوابدُ[2]
وأعوزَ المُقامُ أن أستطيعَهُ ... وسُدِّدَتْ عن سيرِيَ المَقاصدُ
أيقتُلُ الزمانُ مثلي هَدَرا ... وأنت ثأرى والزمانُ عامدُ ؟
أنت بفضلى شاهدٌ فلا أمتْ ... هَزْلًا وتضييعا وأنت شاهدُ
أعذْ مع الإثقالِ نحوى نظرةً ... تَنعشُني لحاظُها الروائدُ
لعلّها يا خيرَ مَن يُدعَى لها ... تَصلُحُ شيئا هذه المفاسدُ
وابتعْ بها الشكرَ فعندى عوضٌ ... تَضْمنُهُ[3] القواطنُ الشواردُ
كلّ مطاعٍ أمرُها مسلَّطٌ ... في الشعر ملقاة لها المَقالدُ
سائرة تنشرها الركبانُ أو ... عامرة بذكرها المَشاهدُ
ترَى الكلامَ عُجُزًا وطَرَفًا ... وكلُّها وسائطٌ فرائدُ
اذا رأتْ عِرضَ كريمٍ عاطلا ... فهي له العقودُ والقلائدُ

(١) نقبت : جعلت به نَقْبًا أى خَرقا . (٢) الأوابد : غرائب الكلام ويريد بها القصائد .
(٣) فى الأصل " تضمه " .

تحمِـلُ من وصفك ما يحمِـلُهُ عن روضة الحَزْنِ النسيمُ البـاردُ
طالعـــة بهـا التهانى أنجمـا ما كَـرٌ نوروزٌ وعيـدٌ عائدُ
يفنى بنـــو الدنيـا وأنت معَها باقٍ على مرّ الزمانِ خالدُ
تَبـقَ عليك والذى نأخـــذُه من الجـــزاءِ مضمحِلٌ بائـــدُ
محامِدٌ يحسُـدُك النـاسُ لهـا والنـاسُ إما حامدٌ أو حاســـدُ

***

وقال يصف دَواةً

ونحرقاءَ مُعــرِقةٍ فى الضـــلا ل شاقك فى القَصد إرشادُها
اذا سُقيتْ فبما أُطعِمَتْ مرتَّقـــة، ماؤها زادُها
وإن رَشَفَتْ ريقَها ألسُنٌ وقاءَتْ ففى القىءِ أكبادُها
تقَطَّع منهـا فـلا ترعوِى وتُعـدَى بها وهى عُـوّادُها
ترى زوجَهـا أبدا فوقهـا ومن غيرِه جاء أولادُها

***

وقال يمدح أهل البيت

بكى النـارَ سَـتْرًا على المَوْقِـدِ وغار يغـالِطُ فى المُنجِـــدِ
أحبَّ وصانَ فوَرَّى هوًى أضـلَّ، وخاف فلم يَنْشُـــد؟
بعيـد الإصاحة عن عاذلٍ غنىٌّ التفـــردِ عن مُســـعِدِ
حمولٌ على القلب وهو الضعيفُ صبورٌ عن المـاء وهو الصَّدِى
وقورٌ وما الخُـرقُ من حازمٍ متى ما يَرُحْ شيبُه يغتـدى
ويا قلبُ إن قادك الغانيـاتُ فكم رسَنٍ فيك لم ينقـــدِ
أوقٍ فكأنى بهـا قــد أُمِرَّ بأفواهها العـذبُ من مَوْردي

(١٢١)

وسُــوِّدَ ما ٱبيضَّ من ودّها ... بمـا بيّض الدهرُ من أَســودى
وما الشيبُ أولُ غـدرِ الزمان ... بَلَى من عوائده العــوَّدِ
لَحَـا اللهُ حظّى كما لا يجــودُ ... بمـا أَستحقّ وكم أَجتــدى
وكــم أتعلَّلُ عيشَ السقيم ... أذمُّ يومى وأرجُو غــدى
لئن نام دهرِىَ دون المُنَى ... وأصبح عن نَيلها مُقعِدى
ولم ألك أحمَــدُ أفعالَه ... فلى أُســوةٌ بنى " أحمــدِ "
بخــير الورى وبنى خــيرِهم ... اذا وَلَدُ الخــيرِ لم يُــولَدِ
وأكــرمِ حىّ على الأرض قام ... ومَيْتٍ توسّــد فى مَلحَــدِ
وبيتٍ تَقاصَرُ عنــه البيوتُ ... وطال عَليًّــا على الفرقَــدِ
تحــومُ الملائكُ من حــولهِ ... ويُصــبحُ للوَحْىِ دارَ النَّــدِى
ألا سَلْ " قريشا " ولُمْ منهُــمُ ... مَن آســتوجبَ اللومَ أو فنِّــدِ
وقل : ما لكم بعد طول الضلا ... ل لم تشكروا نعمة المرشــدِ؟
أتاكم على فَــترةٍ فآســتقام ... بــكم جائرين عن المَقصــدِ
وولَّى حميــدا الى ربّــه ... ومَن سَنَّ ما ســنّهُ يُحمَــدِ
وقد جعــلَ الأمرَ من بعــده ... " لحيــدَرَ " بالخــبر المُســنَدِ
وسمَّــاه مــولًى بإقــرارِ مَنْ ... لو آتبَــعَ الحــقَّ لم يَجْحَدِ
فملتم بها ــ حسدَ الفضل ــ عنه ... ومن يكُ خيرَ الورى يُحسَــدِ
وقلــتم : بذاك قضى الاجتماعُ ... ألا إنمــا الحــقُّ للمفــرَدِ
يعزُّ على " هاشمٍ " و " النبىِّ " ... تلاعُبُ " تَيْمٍ " بها أو " عَدِى "
وإرثُ " عــلىٍّ " لأولاده ... اذا آيــةُ الإرثِ لم تُفسَــدِ
فمن قاعدٍ منهُــمُ خائف ... ومن ثائرٍ قامَ لم يُسعَدِ

تَســلَّطُ بغيـا أكفُّ النفا ق منهـم على ســيِّد ســيِّد
وما صُرِفوا عن مقام الصــلاةِ ولا عُنِّفوا فى بُنَى(١) المســجِدِ
أبوهم وأمهُــمُ مَن علمـ ـتَ فانقُصْ مَفـاخِرَهم أو زِدِ
أرى الدِّينَ من بعدِ يومِ "الحسين" عليــلًا له الموتُ بالمَرصــدِ
وما الشِّرك لله من قبــله اذا أنت قستَ بمســتبعَدِ
وما آل "حربٍ" جَنَوا إنمـا أعادوا الضــلال على من بُدِى
سيعلم مَن "فاطمٌ" خصمُهُ بأىّ نكـالٍ غـــدًا يرتدى
وَمَنْ ساءَ "أحمدَ" يا سِبطَهُ فبـاءَ بقتلك، ماذا يـدى؟
فـداؤكَ نفسى ومَنْ لى بذا ك او أن مولًى بعبدٍ فُـدِى
ولَيتَ دمى ماسَقَ الأرضَ منك يقوتُ الرَّدَى وأكون الرَّدى
وليتَ سَبقتُ فكنتُ الشهيدَ أمامَك يا صاحبَ المَشهَدِ
عسى الدهرُ يَشفِى غدًا من عدا كَ قلبَ مَغيظٍ بهم مُكمَدِ
عسى سطوةُ الحقّ تعلو المُحـالَ عسى يُغلَبُ النقصُ بالسؤدُدِ
وقــد فعَـلَ اللهُ لكننى أرى كبِدى بعـدُ لم تبرُدِ
بســمعى لقائمكم دعوةٌ يُلبِّى لهـا كلُّ مسـتنجَدِ
أنا العبــدُ وَالاكُمُ عقــدُهُ اذا القــولُ بالقلبِ لم يُعقَدِ
وفيــكم ودادى ودِينى معًـا وإن كان فى "فارسٍ" مولدى
خَصَمْتُ ضلالى بكم فاهتديتُ ولولاكُمُ لم أكن أهتـدى
وجردتمــونى وقــد كنتُ فى يد الشِّرك كالصـارم المغمَـدِ
ولا زال شــعرِىَ من نائحٍ(٢) يُنَقَّــل فيكم الى مُنشِــدِ
وما فاتنى نصرُكم باللسان اذا فاتنى نصرُكم باليــدِ

---

(١) بُنَى جمع بُنْيَة . (٢) فى الأصل "فى" .

*
* *

وقال وكتب بها الى الأجلّ العميد أبى منصور بن المزرّع فى رجب سنة تسع وأربعمائة، وقد أحسن له السّفارة، ووفىَ بكثير من الشرط فى المودّة

حرِّم عليها نُزُهاتِ الوادى ووَلِّها جوانبَ البلادِ
وغنِّها إنْ طرِبَتْ لصافرٍ آذانَها برَهَجِ الجِلادِ
وآسبِقْ بها الى العلا شوطَ الصّبا لعلّها تُعَدُّ فى الجيادِ



قد لفظتْكَ هاجدا وقاعدا مَكاسرُ البيتِ وحُجْرُ النادى[1]
كم التمادى تطلب العفوَ به؟ قد بلغَ الجهدَ بك التمادى
لا بد إن عفت تخاليطَ القذَى أن تُخلَطَ الأرجُلُ بالهوادى
ما العزُّ بين الحُجُراتِ كامنا ولا الغنَى فى الطُّنْبِ والعِمادِ
تفسَّحى يا نفسُ أو تطوَّحى إمّا الردى أو دَرَكُ المُرادِ
إن النفوس فآعلمى إن حُمِلتْ مسجونةٌ فى هذه الأجسادِ
خيرٌ من الزاد الوثيرِ والأذى أنْ أنفُضَ الأرضَ بغيرِ زادِ
قد ملَّنى حتّى أخى وأنكرتْ كلابُ بيتى فى الدجى سَوادى
كم أحمِلُ الناسَ على عِلّاتهم، قد جُلِبَ[2] الظهرُ وجُبَّ الهادى
فى كل دارٍ ناعقٌ يخبِطُ فى جنبىّ وهو خاطبٌ ودادى
وحالمٌ لى فاذا آستسعدتُه فى يوم رَوعٍ مال بالرقاد
يُعجبُه قربى لغير حاجةٍ فإن عرَتْ طارَ مع البعادِ
اذا عدمتُ عُدَدى ضحكتُ من تبجُّحى بكثرةِ الأعدادِ
أُنسا على ما خَيَّلَتْ وخَلَبتْ بروقُها بوحشةِ آنفرادى

(١) حُجْر جمع حُجْرة وهى الناحية. (٢) جلب: ظهرت به الجلبة وهى القشرة تعلو الجرح.

ما أنا — والحزمُ معى — بآمنٍ شريحتىْ[1] صدرِى على فؤادى

قد شَمِتَ النُّقصانُ بالفضلِ وقد تَسلَّط العجزُ على السَّدادِ

فاجفُ الوُصولَ واهجُ من مدحتَهُ فربّما تُصلِحُ بالفسادِ

ولا تخلْ ودَّ "العميد" منحةً سِيقتْ بقصدٍ أو عنِ اعتمادِ

لكنّها جوهرةٌ يتيمةٌ تقذِفها البحارُ فى الآحادِ

جاءت بها — والوالداتُ عُقْمٌ — مُقْبِلةٌ غريبةُ الولادِ

خلِّ له الناسَ وبعْهم غانيا به على كثرتهم وفادِ

وحكِّمِ المجدَ التليدَ فيهمُ وفيه واسأل ألسنَ الرُّوّادِ

بالأقربِينَ الحاضرين منهُمُ ما غاب من ذاك البعيدُ النادى

وحبّذا بين بيوتِ "أسدٍ" بيتٌ اذا ضلَّ الضيوفُ هادى

أتلعُ طال كرما ما حولَه تَشرُّفَ الربوِ[2] على الوِهادِ

مُوضَّحةٌ على ثلاثٍ[3] نارُهُ إن سَرِفوا[4] النيرانَ فى الرَّمادِ

بيتٌ وسيعُ الباب مبلولُ الثرى ممهَّدُ المجالسِ رَخصُ الزادِ

إنْ قوَّضَ البيوتَ أصلٌ حائرٌ طُنِّبَ بالآباءِ والأجدادِ

تُرفَعُ عن "محمدٍ" سُجوفُهُ جوانبَ الظلماءِ عن زنادِ

أبلجَ يُورِى فى الدجى جبينُه على خبوِ الكوكبِ الوقَّادِ

ساد وما حُلَّتْ عُرَى تميمه بالأطيبَيْنِ : النفسِ والميلادِ

وجاد حتى صاحت المزنُ به : أكرمتَ يا مُبخِّلَ الأجوادِ

من غِلمةٍ تحاشدوا على الندَى تحاشُدَ الإبْلِ على الأورادِ

---

(١) الشريحة : كلّ سمين من اللحم ممتدّ . (٢) الربو : الرابية وهى ما ارتفع من الأرض .

(٣) يريد بالثلاث : الأثافىّ جمع أثفية وهى الحجر توضع عليه القدر . (٤) سرفوا : أغفلوا .

ودبَّروا المجــدَ فسدُّوا ما وَلُوا — ســدَّ السيوف ثُغَــرَ الأغمــادِ
مشَوا على الدارسِ من طُرْق العلا ، — ويَقتفِى الرائحُ إثرَ الغــادِى
يعتقبون دَرَجا ذروتَهــا — تعاقُبَ العــقودِ فى الصّعادِ
مَثنَى ووُحــدانًا الى أن أحدقوا — بهــالةِ البــدرِ عــلى ميعــادِ
للكَلِمِ المعتــاصِ من سلطانِهم — عليـــه ما للجحفل المنقــادِ
فهــم قلوبُ الخيــل مثــلُ ما هُمُ — إن خَطَبــوا ألسنةُ الأَعــوادِ
هل راكبٌ ؟ وضَمِنَتْ حاجتَـــهُ — غضبيَ القِماصِ سَمحةُ القيــادِ ؟
مُطلَقــةُ البــاعِ ، اذا تقيَّــدتْ — من الكَلالِ الشُّــوقُ بالأعضــادِ ،
تدرُّ قبــل البوّ أو تَطرَبُ من — مَراحِها قبــل غِنــاء الحادى ،
لا يُتهِمُ الليـــلُ عليهـا بِجُـــرَهُ — ولا يَخــافُ عدوةَ العـــوادى ،
لها من الجوّ العريضِ ما اشتهتْ ، — همَّك فى السرعةِ والإبعــادِ ،
تَصدُقُها — والّلَحَظاتُ كُذُبٌ — — عينَــا قُطامِيٍّ[1] عــلى مِرصادِ :
بلِّغ — وفى عتابك الخيرُ — إذَن — تحيـــةً من كَلِفِ الفـــؤادِ
ينفُثُ فيهــا شجــوَه كما اشتفى الـ — ـمدنَفُ بالشكوى الى العُـــوّادِ
قُلْ لعميــدِ الحيّ بين "بابلٍ" — و"الطَّفِّ" جادت ربعَك الغوادى
ما اعتضتُ أو نمتُ على البين فلا — بقـــلقٍ بتُّ ولا سهــادى
أشرقَنى الشـــوقُ اليك ظامئــا — بالعــذب من أحبابِيَ البِرادِ
ما زارنى طيفُ حبيبٍ هاجرٍ — إلا اعترضتُ فتَنى وســادى
ولا نَسمتُ البــانَ تفليــه الصَّبا — إلا تضـــوعتُك من أبرادى

(١) القطامىّ : الصقر أو الحديد البصر الرافع رأسه الى الصيد .

والبـــدرُ يحكيك فيشقَ ناظرى | حتى كأنّ بيضَـــه دآدى[1]
فهـــل عـلى ماء اللقـاءِ بِلّةٌ | يُرْوَى بها هـذا النزاعُ الصـادى ؟
مالك لا تسمحُ بالقـربِ كما | تســـمحُ بالمـالِ وبالإرفادِ ؟
أنت جـوادٌ والنـوى مَبخَـلَةٌ | ما أعجبَ البخلَ من الجـوادِ !
ملَكـتَنى بالودّ والرفـدِ معا، | والرفـــدُ من جوالبِ الودادِ
وقاد عُنْقى لك خُلْقٌ سلِسُ الـ | ـحبل على صُـــعوبة آنقيـادى
حملتُ منك اليدَ بعـدَ أختِهـا | بكاهلٍ لا يحمِـــل الأيادى
ولم يكن قبـــلَك من مآربى | لمسُ يدِ المُجـــدى ولا من عادى
مَواقفا أعطيتَ فيهـا مسرفا | والبحـرُ يعطينى على آقتصـاد
فمـا أذمُّ الحـظَّ إلا قمتَ لى | بمِنـــةٍ تكسبه أحمـادى[2]
ولا أنادى النـاسَ إلا خِلتَنى | إياك من بينِهِـمُ أنادى
ولم تكن تَحَـلّىَّ برقَــهُ | لا للحيـا آعتنَّ[3] ولا الإرشادِ
يجلِبُ مدحى بلسانٍ ذائبٍ | مـع النفـاق ويدٍ جمـادِ
ماعرَفَتْ فيه الندى "طىٌّ" ولا | أغنـاه شـيخُ البيتِ فى "إيادِ"
يدخُلُ فى مجدِ الكرام زائدا | غبينـةَ الأنسـابِ فى "زيادِ"
تسلّطَ البخـــلُ على جَنـابِه | تسلُّطَ الخُلفِ عـلى الميعـادِ
لَتَعلَمَـــنّى شاكـرا مجتهـــدا | إن هو كافا[4] عفـوك آجتهـادى
بكلّ مغبـــوطٍ بهـا سامعُها | كثيرة الأحبـابِ والحسّـادِ
مصمّت لهـا النـــدىٌّ، واسع | نصيبهـا الضـخمَ فمُ الإنشـادِ

---

(١) بيضه أى لياليه البيض والدآدى، تقدّم شرحها . (٢) أحماد جمع حمد . (٣) اعتنّ : ظهر وآعترض . (٤) يريد "كافأ" .

غريبـــة حتى كأنْ ما طُبِعَتْ … من طِيبِ هذا الكَلِم المُعتَـادِ
ترفَعُها عنايتى عن كُلْفة الـ … ـلفــظِ ومعنى الغـارة المُعـادِ
تغشـاك إما بالتهـانى بالعــلا … أو التهـادى بُكـرةَ الأعيـادِ

* * *

قال وكتب بهـا الى الأمير أبى الذوّاد المفرّج بن علىّ بن مَزْيَد أخى نور الدولة دُبَيْس ، يمدحه ويصف ملاقاته للأسـد وظفره به ، وقد أطال سؤاله فى ذلك ، وأنفذها فى شهر ربيع الآخر سنة تسع عشرة وأربعمائة

بعينيك يومَ البينِ غَيِّى ومَشهَدى … وذُلُّ مَقـامى فى الخليط ومَقعَدى
وقولى ــ وقد صاحوا بها يُعجِلونها ــ : … نَشَدتـكُمُ فى طارقٍ لم يزوَّدِ
أناخ بكـم مستسقيا بعضَ ليلةٍ … ولم يدرِ أن الموتَ منها ضحى الغد
أتحمون عن عضِّ الضراغم جارَكم … ويقتُلُنى منكـم غزالٌ ولا يدِى ؟ (١)
ومازلتُ أبكى كيف حُلَّت "بحاجرٍ" … قُوَى جَلَدى حتى تداعَى تجـلُّدى
وعنّفنى "سعدٌ" على فرط ما رأى … فقلتُ : أتعنيفٌ ولم تكُ مسعدى ؟
أسفتُ لحلمٍ كان لى يومَ "بارقٍ" … فأخرجه جهلُ الصبـابة من يدى
وما ذاك إلا أن عجِلتُ بنظـرةٍ … قتلتُ بهـا نفسى ولم أتعمّـدِ
تحرَّشُ بأحقافِ (٢) "اللوى" عُمْرَ ساعة … ولولا مكانُ الريب ، قلتُ لك : ازدد
وقل صاحبٌ لى ضلَّ "بالرمل" قلبُهُ … لعلّك أن يلقاك هادٍ فتهتـدى
وسلِّمْ على ماءٍ به بَرْدُ غُلّتى … وظلِّ أراكٍ كان للوصل مَوعدى
وقل لحَمـام "البانتين" مهنّئا : … تغنَّ خليًّـا من غرامى وغرِّدِ
أعنـدكُمُ يا قاتلينَ بقيّــةٌ … على مهجةٍ إن لم تمتْ فكأن قَدِ ؟

(١) لايدى : لايدفع الدِّية . (٢) أحقاف جمع حِقْف وهو ما أعوجّ من الرمل واستطال .

ويا أهل "نجدٍ" كيف بالغور عندكم بقاءُ تهاميٍّ يهيم بمُنجِـــدِ؟
ملكتم عزيزا رقَّـــه فتعطَّفوا على مُنكِرٍ للذلّ لم يتعوَّد
أغدرا وفيكم ذمّـةٌ عربيّـــةٌ وبخلا ومنكم يستفادُ ندى اليـدِ؟
فليت وجوهَ الحيِّ أعدتْ قلوبَهُ ففجَّرَ لى ماءً بها كلُّ جلمـــدِ
وليتكُمُ جيرانُ "عوفٍ" تلقّنوا خلالَ الندى والجودِ من "آلِ مَزيَدِ"
من الضيّقِ الأعذارِ والواسعي القِرَى اذا ما "جُمادى" قال للّيلة: آبردى
ولفَّ على خيشومِه الكلبُ مُقعيا يرى الموتَ إلا ما آستغاث بموقد
وشـدّ يديه حالبُ الضَّرع غامرا على مُصفِرٍ[1] قد مسّه الجدبُ مثمِدِ[2]
وباتَ غلامُ الحيّ يُسـند ظهرَه من النَّضَـد[3] الواهى الى غيرِ مُسندِ
هنالك يأوى طارقُ الليـل منهمُ الى كلّ رطْبٍ مُثمِرِ النبتِ مُزبِدِ[4]
كريم القِرى والوجهِ ملءِ جفانهِ رحيبِ الرواقِ مُنعِمِ العيش مُرفِدِ
قليـل على الكُوم الصفايا حنوُّهُ اذا السيف ردَّاهنَّ للساقِ واليـدِ
كمثـلِ "أبى الذوّادِ" لا متعلِّلٍ اذا سُـئل الجـدوَى ولا بمُنكَّدِ
فتًى، بيتُـهُ للطارقين، وسيفُهُ لهـامِ العـدا، والمـالُ للمتزوِّدِ
ويوماه إما لاصطباحِ سُـلافةٍ تُصـفَّقُ أو داعى صـياحٍ مُلدَّدِ
وَفَى بشروطِ المُلك وهو آبن مَهدِه وسُـوِّدَ فى خيط التميم المعـقَّدِ
وجادَ على العلّات والعـامُ أشهبٌ بأحمرَ من خير الرحالِ وأسودِ
ولم تحتبسه عن مساعى شيوخه سِـنُوه التى حلّتـه حِليَـةَ أمردِ
أناف بجَـدَّيه وأسـندَ ظهرَهُ الى جبلين من "عفيفٍ" و"مَزْيَدِ"

---

(١) المصفر: المفتقر. (٢) المثمد: القليـل المـاء. (٣) النضـد: السرير.
(٤) المزبد: المنور، وفى الأصل "مزيد".

له فى ملوك الشرقِ والغربِ منهمُ ... نجومُ السماءِ من ثريًا وفرقدِ

أيارا كبَ الوجناءِ يخبط ليــلَه ... على الرزق لم يقصِد ضلالًا لمَقصدِ،

ترامت به الآفاقُ ينشُــدُ حظَّه ... فلم يُعطِه التوفيقُ صفحةَ مُرشِــدِ،

أنخها تُفــرِّجْ همَّها "بمفرِّجٍ" ... وطلِّقْ شقاءَ العيش من بعدُ وآسعِدِ

وَرِدْ جمّــةَ الجودِ التى ما تكدَّرتْ ... بمَنٍّ وَرِدْ ظلَّ المنى المورِق النَّدِى

وبِتْ فى أمانٍ أن يسوءَك ظالمٌ ... علَتْ يدُهُ أو أن تُراعَ بمعتــدى

حَماكَ "أبو الذوَّادِ" مالكُ أمرِهِ ... على كلّ حامٍ منهُــمُ ومــذوِّدِ

أخو الحرب إمّا مُجمِدٌ يومَ أُوقِدتْ ... وإمّا شَــبوبٌ نارَها غير مُجمِــدِ

له الخطوةُ الأولى اذا السيفُ قصَّرتْ ... به ظبتاه فهو يوصَــل باليَــدِ

اذا آبتدر الغاراتِ كان سهامُها ... له من قتيلٍ أو أســيرٍ مصفَّدِ

خفيف أمام الخيلِ رسغُ جوادِهِ ... اذا الخوفُ أقعَى بالحِصانِ المعرِّدِ

ولما كفى الأقرانَ فى الرَّوع وآرتوت ... صوارِمُــهُ من حاسِرٍ ومسرَّدِ[1]،

تعرَّضَ للأُسدِ الغِضابِ فلم يدعْ ... طريقا لذى شِبلين منهــا ومُفرَدِ

حماها الفريسُ أن تُطيفَ بأرضه ... وشرَّدَها عن غابهــا كلَّ مَشرَدِ

وهانتْ فصارتْ مُضغةً لسلاحه ... ممزَّقةً فى صَــعدَةٍ أو مُهنَّــدِ

ويومَ لقيتَ الأدرعَ الجهمَ[2] واحدا ... جرى مُلبِدٌ يشــتدُّ فى إثرِ مُلبِــدِ

نَصبتَ له لم تســتعن بمؤازرٍ ... عليــه ولم تُنصَر بكــثرةِ مُسعدِ

وقفتَ وقد طاش الرجالُ بموقفٍ ... متى تُمثَّــلْه الفرائصُ تُرعَــدِ

---

(١) الحاسر: من لا مِغفَرَ له ولا درع، والمسرد: لابس السَّرْدِ وهو الدرع. (٢) الأدرع الجهم: المجهن العابس.

فأوجَرْتَهُ(١) نجــلاءَ أبقتْ بجنبِه ... فُتوقا اذا ما رُقِّعتْ لم تُسَــدَّدِ

تَحــدَّرُ منها لَبَّتــاه وصــدرُهُ ... على ساعدٍ رِخوٍ وساقٍ مقيَّــدِ

فلم تُغنِــهِ إذ خان وثبــةُ غاشِمٍ ... ولم ينتقذه منك إقعاءُ مُرصِــدِ

رأى الموتَ فى كفَّيكَ رأْىَ ضرورةٍ ... فأوردَ منــــه نفسَه شرَّ مَوْرِدِ

وأحرزتَهــا ذكرا يخصُّــك فخرُهُ ... تَناقَلُه الأفواهُ فى كلِّ مَشْـــهَدِ

جمعتَ الغريبينْ : الشجاعةَ والنَّدَى ... وما كلُّ مُرْدٍ للكُماةِ بمُرفِــدِ

وقمتَ بإحكام الســـيادةِ ناظِما ... عُراها فمــا فاتتك حُلَّةُ ســيِّدِ

أتانى من الأنبــاء أنك مغــرمٌ ... بفضلِ مديحى عارفٌ بتوحُّدى

حبيبٌ اليك أن تُزَفَّ عرائسى ... عليك تَهادَى بين شــادٍ ومُنشِدِ

متى ما تَجِــدْ لى عنــد غيرك غادةً ... مخــدَّرةً تَغبِطْ عليهــا وتحسُدِ

فقلتُ : كريمٌ هزّه طيبُ أصله ... وواحدُ قومٍ شاقه مــدحُ أوحدِ

وليس عجيبا مثلُها عنـــد مثلِهِ ... اذا هبَّ يقظانا لهــا بين رُقَّدِ

فأرســلتُها تُلقِى اليــك عنانَهــا ... وغـــيرُك أعيتْــه فلم تتقــوَّدِ

لها فارسٌ من وصفِ مجدك دائسٌ ... بأرساغِها ما بين طَودٍ وفدفــدِ

يرى كلَّ شىء فانيــا وردَاؤه ... على عُنْقٍ باقٍ فى الزمان مخــلَّدِ

متى تَجزِها الحسنَى بحقِّ ٱبتــدائها ... تَزُرْكَ بعينٍ تملأُ الســمعَ عُوَّدِ

فوفِّرْ على عجــز البُعول صَــداقَها ... وعرِّسْ بها أمَّ البنيـــن وأولِدِ

وصُنْها وكرِّمْ نُزْلَهــا إنّــ بيتَهــا ... كبيتك فى أُفْقِ السماء المشـــيَّدِ

وكن ‹‹ كعلىٍّ ›› أوفكن لى ‹‹ كثابتٍ ›› ... وفاءً وإعطاءً وإنْ شئتَ فازددِ

(١) أوجرته : طعنته ، وفى الأصل ‹‹ أوخزته ›› .

***

وقال وكتب بها الى الأجلّ عميد الرؤساء أبى طالب محمّد بن أيّوب يمدحه ويهنّئه بالمهرجان الواقع فى شعبان سنة ثمان عشرة وأربعمائة

أمنها — على أنّ المزارَ بعيدُ — خيالٌ سَرَى والساهرون هُجودُ؟
طوى "بارقا" طيَّ الشجاعِ "وبارقٌ" خِطارٌ يفلُّ القلبَ وهو حديدُ
يجوبُ الدجى الوحشيَّ والبيدَ وحدَهُ فكيفَ وكِسرُ البيتِ عندك بِيدُ!
نعم! تُحمَّلُ الأشواقُ والعيسُ ظُلَّعٌ ويَمشِي الهوى والناقلاتُ قُعودُ
وتَسع البلوى فيمضِي مصمِّما جبانٌ عن الظلِّ الخفوقِ يحيدُ
من المبلغى؟ والصدقُ قصدُ حديثِه وفى القول غاوٍ نقلُهُ ورشيدُ،
عن الرمل "بالبيضاءِ": هل حِيلَ بعدنا وبانِ "الغضا": هل يستوى ويميدُ؟
وهل ظبياتٌ بين "جوٍّ" "ولعلعٍ" تمرُّ على وادى "الغضا" وتعودُ؟
سوانحُ للرامين، تصطادُ مثلَها وحوشُ الفلا، وهى الرماةَ تَصيدُ
ويوم "النقا" خالفنَ منّا فعاذلٌ خلىٌّ ومعذولُ الغرامِ عميدُ
سفكنَ دمًا حُرًّا وأهونُ هالِكٍ دمٌ حكمتْ عَيْنٌ عليه وجِيدُ
حملن الهوى منّى على ضُعف كاهلٍ وَهَى، وتقولُ الحاملاتُ: جليدُ
تطلعتِ الأشرافَ[1] عينى ريادةً لقلبى سفاها والعيونُ ترودُ
وما علمتْ أنّ البدورَ "برامةٍ" وجوهٌ ولا أنّ الغصونَ قدودُ
وقالوا: غدًا ميقات فُرقةِ بَينِنا فقاتُ "لسعدٍ": إنه لوعيدُ
غدًا نعلنُ الشكوى، فهل أنت واقفٌ تسائلُ حادى الركبِ: أين يريدُ؟
وهل تملك الإبقاءَ أو تجحد الهوى ووجهُك قاضٍ والدموعُ شهودُ

(١) الأشراف جمع شَرَف وهو: ما شَرُف وآرتفع من الأرض .

وقد كنتُ أبكى والفـــراقُ دعَا به(١) | دلالٌ أدارِى عطفَــه وصـــدودُ
فــا أنا من بَينٍ رجاءُ إيابِهِ | وعـــودٌ تُقَضَّى دونه وعهـــودُ(٢)
هل السابق الغضبانَ يملكُ أمرَه ؟ | فـا كلّ سير اليعملاتِ(٣) وخيدُ !
رويدا بأخفـافِ المطىّ فإنمـا | تداسُ جبـاهٌ تحتها وخـدودُ
عذيرى من الآمال أمّا ذراعهـا | فرحبٌ وأمّا نَيْلُها فزهيـدُ
يُرينك أنّ النجمَ حيثُ تحطُّـه | وأنّ زمامَ الليث حيث تقـودُ
ودون حصاة "الرملِ" إن رُمتها يدٌ | دفوعٌ، وسهمٌ للزمانِ سـديدُ
سقَى الناسَ كأسَ الغدرِ ساقٍ مُعدَّلٌ | متى يُبْـدِ قبـلَ السكر فهو معيـدُ
فمستـبردٌ يهـنَى بأوّلِ شَربةٍ | ومستكـثرٌ يثـنى له ويزيدُ
ونَحّى "آبنَ أيوبٍ" فأصبح صاحيًا | وفاءٌ عريقٌ فى الوفاءِ تليـدُ
فلو لم يُبرِّزْ يومَ كلّ فضيلـةٍ | كفَى أنه يومَ الحِفـاظِ وحيدُ
حـوانى وأيّام الزمانِ أراقمٌ | وهبّبَ عنّى والخطوبُ أسـودُ
ولبّى دعائى والصـدَى(٤) لا يُجيبنى | بيقظتِـهِ والسامعونَ رُقـودُ
وأنهضَنى بالدهرِ حتى دفعتُــه | وجانِبُـــه وعْرٌ علىّ شـديدُ
وقد قعدتْ بى نُصرةُ اليدِ أختَهـا | وقُلّصَ عنى الظــلُّ وهو مديدُ
تكفّلَ لى بالعيشِ حتى رعيتُـهُ | على وخَـمِ الأيّام وهو رغيـدُ
وأطلقَ من ساقىَّ حتى أنافَ بى | على أَرَبى والحـادثاتُ قُيـودُ
فـا راعنى من عقّنى وهو واصـلٌ | ولا ضرّنى من غابَ وهو شهيدُ



(١) فى الأصل "دعابة" . (٢) فى الأصل "عهود" . (٣) اليعملات جمع يعملة وهى الناقة النجيبة المطبوعة على العمل . (٤) الصدى : رجوع الصوت وترديده .

من القوم مدلولٌ على المجدِ واصلٌ — اذا ضلَّ عن طُرْقِ العلاء بليدُ
عتيقُ نجارِ الوجهِ أصيدُ صرَّحتْ — به عن صفاياها غطارفُ صِيدُ
كرامٌ تُضيءُ المشكلاتُ برأيهم — ويُنظَمُ شملُ المجدِ وهو بديدُ
يَسُودُ فتاهم فى خيوطِ تميمِهِ — ويشأى(١) كهولَ الناسِ وهو وليدُ
إذا نزلوا بالأرضِ غبراءَ جمدةً — أماهَ(٢) حصًا فيها وطابَ صعيدُ
كأنَّ نصوعَ الروضِ حين تسحبَّتْ — مآزرُ منهم فوقَها وبُرودُ
سخا بِهِمُ أنَّ السخاءَ شجاعةٌ — وشجّعهم أنَّ الشجاعةَ جودُ
لهم بابنهم ما للسحابة أقلعتْ — من الروضِ يومَ الدَّجْنِ وهو صَخود(٣)
وما غابَ عن دارِ العلا شخصُ هالكٍ — مضى وبنوه الصالحون شُهودُ
"أبا طالبٍ" لا يُخالف الفخرُ دوحةً — وأنتَ لها فرعٌ وبيتُك عُودُ
بَغَى الناسُ أدنَى ما بلغتَ فطُيِّرتْ — رياحُك عَصفًا والبُغاةُ رُكودُ
وشالَ بكَ القِدحُ المعلَّى وحطَّهم — وليس لهاوٍ بالطباعِ صعودُ
فلو كلَّمتْك الشمسُ، قالتْ: لحِقتَ بى — علاءً وإشراقا، فأينَ تريدُ؟
أقرّ لك الأعداءُ بالفضلِ عَنوةً، — ومعترِفٌ من لم يسَعْهُ جُحود
وكيف يُمارِى فى الصباحِ معاندٌ — وقد فَلَقَ الخضراءَ منه عمودُ؟
تسمَّعْ من الحسادِ وصفَك وآغتبطْ — فأعجبُ فضلٍ ما رواه نديدُ
وإن نَكَلوا شيئا فإن فصاحتى — وراءك كَرٌّ فى الكلام عتيدُ
وبين يدَىْ نُعماك منّى حميّةٌ — لها مَدَدٌ من نفسها وجُنودُ
اذا رامحتْ حربًا رأيت كماتَها — تلاوَذُ من أطرافها وتَحيدُ

(١) يشأى: يسبق. (٢) أماه: كثر ماؤه. (٣) الصَّخود: الشديد الحر.

أذودُ بها عن سَرح عِرضك كلّما | تطلّعَ فيـــه للفريسـةِ سِـيدُ(١)
اذا نَشَطتْ من عُقلةِ الفكرِ أرسلتْ | بهـا طَلَقاتٍ وثُبهنّ شُـــرودُ
مطايا لأبكار الكلام اذا مشى | على حَسَكِ(٢) السَّعدانِ(٣) منـه رديدُ
نطقتُ بها الإعجازَ فالمؤمنون لى | على دِينهـا بين الجنـانِ خُلودُ
ويحسـدنى قومٌ عليهـا وحظّها | شـقىٌّ وحظّ المقرفاتِ سـعيدُ
تمنّوا على إخصابهم جدبَ عيشِها | وأنهـمُ خُصّـوا بهـا وأُفيـدوا
ولم أحسبِ البـلوى عليها مُزاحِمٌ | ولا أنّ ضنكَ العيش فيـه حسودُ
لها النسبُ الحرُّ الصريحُ، اذا طغت | عليك إماءٌ غــيرها وعبيــدُ
يزورك منها ــ والنساءُ فوارِكٌ ــ | كواعبُ تُضْـفِيك المودّةَ غِيـدُ
لهنّ جــديدٌ من نوالك كلّمـا | أتى طالعـا يومٌ بهنّ جــديدُ
فـفى كلّ يومٍ مهـرجانٌ مقـلّدٌ | بهنّ ونـيروزٌ لديك وعيــدُ

* * *

وقال يمدحه أيضا وكتب بها اليه فى المهرجان الواقع فى سنة عشرين وأربعمائة وفيها نبذة من المعاتبة

تمنّاها بجهلِ الظنِّ "سعدُ" | وما هى من مطايا الظنِّ بعـدُ
وخالَ ظهورَها قُعُـــدا ليانا | فرحّلَ وهى مُزلِقــةٌ تكُدُّ
وراوحَها القِعابَ(٤) ليعتشيهـا(٥) | فضرعٌ زلَّ أو خِلفٌ يَنِــدُّ

---

(١) السِّيد : الذئب . (٢) الحسك : الشوك . (٣) السّعدان نباتٌ من أفضل مراعى الغنم له شوك ، وفى المثل "مرعًى ولا كالسّعدان" . (٤) القعاب جمع قَعْب وهو القدَح الضخم يُحلب فيه ، وفى الأصل "العتاب" وهو تحريف . (٥) فى الأصل "لتفتشيها" ولم نعثر لها على تفسير يتفق ومعنى البيت .



براثنُ أوسقتْهُ دما صبيبا ... وفى قـــوم لها أَقِطٌ وزُبدُ (١)
لعلك "سعدُ" غرّك أن تراها ... على الجِـرّاتِ تأكلُ أو تَرُدُّ (٢)
وأنّ العام أخلفها فجاءتْ ... حبائلَ فى حبائلها تُمَـدُّ
مفلّلةً على الأعطانِ فوضى، (٣) ... هببتَ تظنُّ أنّ الفَلّ طردُ (٤)
وما يُدريك من يَحمى حماها ... ويحضُرُ (٥) ذائدا عنها ويبـدو (٦)
وإنّ وراءها لقنًا تلظّى ... وأسيافًا وألسنةً تُحَـدُّ
ومنتقصَ الطبائع إن أخيفت، ... لَشَدُّ الأُسْدِ أهونُ ما يَشُـدُّ
اذا صاح الإباءُ به تنزّى ... يُطيع الغيظَ أغلبُ مستبِدُّ
ومشحوذا! من الكَلِم المصفّى ... به الأعراضُ تُفرَى أو تُقَدُّ
اذا عصَبَ اللَّهاةَ الريقُ فاضت ... دوافقُ منـــه واديهـا مُمَدُّ
تحاشَدُ "يعرُبٌ" إن قال: نصرا ... وتغضَبُ بالطباع له "مَعَدُّ"
فما لك — لا أبا لك — تتّقيها ... وفيهـا السيفُ والخصمُ الألدُّ
طغَى بك أنْ ونَتْ عنك القوافى ... وخافَ فُتورِها دأبٌ ووخْدُ
لئن دَرِدَتْ فلا يَغررْك منهـا ... أراقمُ يزدرِدنَ وهنّ دُرْدُ
وإن نأت البـلادُ برافديهـا ... فقـــومٌ آخرون لهـا ورِفْدُ
ولم يَقعُدْ عن المعروف جُنْدٌ ... من الكرماء إلا قام جُنـدُ
وكم من حاضرٍ دانٍ كفانى ... رجالا لَفَّهُمْ سَـفَرٌ وبُعدُ
ولم أعـدَمْ نوالَهُمُ ولكن ... وجوهٌ بعـدَها ألمٌ ووجـدُ

---

(١) الأقط: الجبن المتخذ من اللبن الحامض. (٢) الجرة: ما يفيض به البعير فيأكله ثانية. (٣) مفللة: مهزومة. (٤) الفلّ: الأنهزام. (٥) يحضر: أقام بالحضر. (٦) يبدو: ينزل البادية.

سقى الله "ابنَ أيوبٍ" سماءً ... تروح سحابُهــا ملأى وتغدو

وإلا ماءُ خــديه حيــاءً ... وإلا خــلّةٌ منــه وودُّ

وأىّ خلالِه كرمًا سقاه ... كفى وسقى نميرُ منــه عِدُّ

أخوك فلا تغيـّره الليالى ... اذا لم يُرعَ عند أخيك عهدُ

ومولاك الذى لا الغلُّ[1] يسرى ... به ظَهرًا ولا الأضغانُ[2] تحدو

تَضَيّفَهُ وأنت طريدُ ليــلٍ ... رمى بك فيه إقتارٌ وجهدُ،

وقد ألقت بكلكلها "جُمادى"[3] ... لخيط سمائهــا حلٌّ وعَقْــدُ،

وهبّتْ من رياح "الشامِ" صِرٌّ[4] ... عسوفٌ[5] لم ترضها قطّ "نجدُ"،

وأبوابُ البيوت مقــرّناتٌ[6] ... فــلا نارٌ ولا زادٌ مُعَــدُّ،

تجدْ وجهًا يضىء لك الدياجى ... كأنَّ جبينَه فى الليــل زَندُ

وكفًّا تهربُ الأزَماتُ منهــا ... تَرقرقُ سَــبْطةً والعــامُ جَعدْ

وبِتْ وقِــراك ميسرةٌ وبِشرٌ ... وزادُك نُخبــةٌ وثراك مَهدُ،

تمــامَ الليلِ واغدُ بصالحات ... من الأخلاق إن تَركتْك تغدو

شمائلُ أصلُها حَسَبٌ وخِــيرٌ[7] ... وزهرةُ فعلِها كــرمٌ ومجــدُ

تقلّبــها أبًا فأبًا مــؤدٍّ ... كما أخَذَ العُــلا إرثا يُردُّ

تَمِمٌ به اذا حُسِبَ المســاعى ... عن الآباءِ عِــدَّةُ ما يُعَــدُّ

تفرّدَ بالمحاسن فى زمانٍ ... تنــكّرَ أن يقــالَ : البدرُ فردُ

---

(١) فى الأصل "الغيل". (٢) فى الأصل "الأظعان"، وقد رجحنا كلمتى "الغل والأضغان" ليستقيم معنى البيت، ومعناه : أن مولاك من لا يتخذ الحقد ظهرا يركبه ولا يحدوه الضغن فينساق أمامه لاقتراف الشرّ والأذى. (٣) يقال للشتاء عند العرب : جمادى. (٤) الصرّ : الريح الشديدة الصوت والبرد (٥) العسوف : التى تمرّ فلا يثنيها شىء. (٦) مقرّنات : مشدودة بالحبال كناية عن إحكام إغلاقها، وفى الأصل "مقرمات". (٧) الخير : الشرف والأصل.

وجاراه على غَرَرٍ رجالٌ ... لهم شدٌّ وليس لهم أشُدُّ
فقصّر كلُّ منتفخٍ هجينٍ ... ومرَّ أقبُّ[1] يطوِى الشوطَ نهدُ[2]
ثقيلٌ والحلومُ مشعشَماتٌ ... نصيعُ العِرض والأعراضُ رُبْدُ
ملكتُ به المنى وعلى الليالى ... ديونٌ بعدُ لى فيه ووعدُ
وكان نوالُ أقوامٍ ضمانا ... أسوِّفه وجودُ يديه نَقْدُ
أحدَّ بنصره نابىَّ حتّى ... فَرَسْتُ به الخطوبَ وهنَّ أُسْدُ
وعاد أشلَّ كفُّ الدهر عنّى ... بأنك[3] لى به سيفٌ وزندُ
فلا يعدَمْك معتمِرٌ[4] غريبٌ ... له بك أسوة[5] : صبرٌ وحَشْدُ
ولا يَفقِدْك مسنّى مستضىءٌ ... بهَدْيك فى الظلام وأنتَ رُشْدُ
وردَّ عليك رائحةً ثنائى ... عزائبَ[6] مثلُها لك يُستَرَدُّ
خمائصَ أو يجِدنَ اليك مرعًى ... خوامسَ[7] أو لهنَّ نداك وِرْدُ
حواملَ من نتاج الجود ملءَ الـ ... ـجيوب فمالُها شكرٌ وحمدُ
من الكلم الذى إن كان حدٌّ ... لغاياتِ الفصاحة فهو حدُّ
سبقتُ به المَقاولَ[8] مستريحا ... ففتُّهُمُ وقد نَصِبوا وكدُّوا
تكرُّ عليك واحدةً ومَثنَى ... بهنّ وفودُها ما قام "أُحْدُ"
ليوم المهرجان وكان عُطْلًا ... وشاحٌ من فرائدها وعِقْدُ
سلبتُ الناس زينتَها ضنينا ... بها وبرودُها لك تُستجدُّ
وأعتقنى من الحِرص اقتناعى ... بما تُولِى، ومَولى الحرصِ عبدُ

---

(١) الأقبّ : الفرس الدقيق الخصر الضامر البطن . (٢) النهد : الفرس الحسن الجميل .
(٣) فى الأصل "بآية" . (٤) المعتمر : الزائر والقاصد للشىء . (٥) الأسوة : ما يتأسى به الحزين . (٦) العزائب : الإبل تبعد عن المرعى ، وفى الأصل "غرائب" .
(٧) الخوامس : الإبل ترعى ثلاثة أيام وترد الرابع . (٨) المقاول جمع مِقول وهو الفصيح المبين .

* * *

وقال يهنئ كمالَ الملك أبا المعالى بن أيّوب بالمهرجان ، ويستوحش لبعد غيبته ، وأنفذها اليه

أمكَنَتِ العاذلَ من قِيادِها فانـتزع الرحمةَ من فؤادِها
ولوّنت أخلاقَها فقد غدا بياضُها يشِفُّ عن سوادِها
والغانياتُ عَطفةٌ وصدْفَةٌ[1] يُجنَى لك الحنظلُ من شِهادِها[2]
لا يملأُ الراقدُ من أحلامِهِ إلا كما يملك من ودادِها
أَعلَقُ ما كنت بها طماعةً أَنصلُ ما تكونُ من إسعادِها
متى تُكلَّفُ من وفاء شيمةً تعدْ الى شيمتها وعادِها
آهِ على الرقّةِ فى خدودها لو أنها تسرى الى فؤادِها
"بالبان" لى دَيْنٌ على ماطلةٍ يميس غصنُ البان فى أَبرادِها
سلَّطتِ الوجدَ على جوانحى تسلُّطَ الخُلفِ على ميعادِها
يا طَرَباً لنفحةٍ "نجديّةٍ" أعدِلُ حرَّ القلبِ باستبرادِها
وما الصَّبا ريحى لولا أنها اذا جرت هبّتْ على بلادِها
قل لمُحِيضِ العيسِ[3] أغباسَ[4] السُّرَى تأكلُ عَرضَ البيدِ فى إسآدِها[5]
موائرا ترى السَّلامَ[6] رمَضاً[7] بينَ سُلاماها[8] الى أعضادِها
ذُبالُها تحت الدجى عيونُها لا تستشير النجمَ فى رَشادِها
تبغِى الندَى وأين من مُرادِه طىُّ الفلا وأين من مُرادِها

(١) الصدفة : الإعراض والصدّ ، وفى الأصل "صرفة" . (٢) الشِّهاد جمع شَهْد وهو عسل النحل . (٣) العيس : الكرام من الإبل . (٤) أغباس جمع غَبَس وهو ظلام الليل ، وفى الأصل "أعناس" . (٥) الإسآد : السير طول الليل . (٦) السلام : شجر . (٧) الرمض : حرقة الحرّ . (٨) السُّلامى : عظم فى فِرْسِن البعير أو عظامٌ صغارٌ طول إصبع أو أقلّ فى اليد والرجل .

عِنـــدَكَ روضٌ وسحابٌ مغـــدِقٌ إنــ صدَقَتْ عينُك فى آرتيادِها

أيدى بنى "عبدِ الرحيم" أبحـــرٌ أعــذبَهــا اللهُ عـــلى وُرَّادِهــا

أيدٍ تَساوَى الجودُ فيهـا فآكتفَى أَن يسألَ المُعْتامُ(١) عنــ أجوادِها

ســلالةٌ منــ طينةٍ واحــدةٍ مجموعُهـا يوجَــدُ فى آحادِها

اِرْمِ بهـــم على الليـالى تَنتصِـفْ بهِـمْ على ضعفِك منــ شِدادِها

وِشْمُهــمُ على الخطوب تَنْتَضِـلْ(٢) بيضَ "السُّرَيْجِيَّاتِ(٣)" من أغمادِها

أُنظرْ اليهـــم فى سمـاواتِ العلا مرفوعـــةً منهـــم على عِمـادِها،

ترَ النجومَ الزُّهرَ من وجوههـــم ثابتـــةَ الســعودِ فى أوتادِها

لهـــم ســناها ثمّ ما ضرّهُـــمُ نقصانُــ ما يَكثُرُ من أعدادِهـا

أسرةُ مجــدٍ شــهِدَ الفضلُ لـا عُقِّبَ عنهـا بعـــلا أشـــهادِها

حســبُك منــ آياتهـا دلالةً أن "كمالَ الملك" من أولادِها

حَىٌّ وقـــرِّبْ غُرَّةً أبيّـــةً كانــ النـــوى يألَمُ من بعادِها

ما سكنَتْ أرضٌ الى حضــورِها إلا بكتْ أخرى عـــلى آفتقادِها

تــودُّ حبّــاتُ القـــلوب أنهـا ــ ما سافَرتْ ــ تكون من أرفادِها

عاد الى الدولة ظـــلُّ عزّهـا وقـــرّت الأرواحُ فى أجســادِها

وآمتلأتْ منــ شُهبِها أفلاكُها وضُمّت الغيـــلُ عـــلى آسادِها

يخطبُهــا قومٌ وفى حِبالكم نكاحُها وهــم بنـــو سِـــفادِها

يا عجــزَ منــ يطمعُ فى قنيصِها والليثُ جثّامٌ عـــلى مِرصـادِها

أنت لهـا بعــدَ أبيــك ثُغــرةٌ غيرُك لا يكونــ من سِــدادِها

---

(١) المعتام : المختار . (٢) تنتضل : تجرّد . (٣) السريجيات : السيوف المنسوبة الى قين آسمه سريج .

وجهُـك فى ظلمائهـا سراجُهـا وكـفُّك الذائبُ فى جَمادِها
صدعتَ بالفضـلِ وكنتَ معجزا تُطيعُك النفـوسُ باجتهادِها
وأذعنتْ طـائعـةً مختـارةً بميلهـا إليـك وآنقيـادِها
إن ضلّت الآراءُ باجتماعها كفَتْك آراؤك بانفـرادِها
أو عُبِـدَتْ أموالُ قـومٍ، شَرُفَتْ نفسُـكَ أن تكون من عُبّـادِها
كفتْكَ كسبَ العـزّ نفسٌ حرةٌ أحرزتِ العـزّةَ من ميـلادِها
وقدّمتك ـــ فاجتُبيتَ سيِّدًا ـــ أرومـةٌ طرفُك من تلادِها
تُعـدِى معـاليها الى أبنـائها على زمان "هودِها" و"عادِها"
لكم قُـدامَى الأرضِ أو سُـلافُها كنتم رُبًّا والنـاسُ فى وهادِها
وجمّـةُ الملك تجِـمُّ لكُمُ ما طاب وآسـتَغزَرَ من أورادِها
اذا نطقتم سـكتَ النـاسُ لكم على قُوَى الأنفـاسِ وآمتـدادِها
كأنما ألسـنُكم لهـاذمٌ[1] على القنـا تُشرَع فى صِعادِها
ميمـونةُ النَّقبـة[2] أين وُجِّهتْ حَلّتِ المزنُ عُرى مزادِها
وإن سُـئلتم لم ترَوا أموالَكم ناميـةً إلا عـلى نفـادِها
هَنَـا المعالى منـك يا خيرَ أبٍ يُكنَى بهـا جمعُـك من بدادِها
ذاك، وسلْ مذ غبتَ عن نفسى وعن ضراعـةٍ لم تكُ فى آعتيـادِها
ونَبـوَةِ الأعينِ عنّى فيكُمُ كأننى صُـيِّرتُ من سُهادِها
أخّرتُ نفسى بل قعدتُ تَجْـرةً[3] مزمّـلا بالذلّ فى بِجادِها[4]
مخفّضا قـولى متى قيـل: صَهِ خشعتُ بينَ هاتِهـا وصادِها

(١) اللهاذم جمع لَهذَم وهو السنان . (٢) النقبة : الوجه . (٣) حجرة : ناحية .
(٤) البجاد : كساء مخطّط من أكسية الأعراب .

بينَ رجال كَنَتْ فضائلى — عنهم كُمون النار فى زنادِها
لم أرجُهُم وليتنى لم أخشَهم، — قلوبُهم تئنُّ من أحقادِها
تسلُقنى باللوم فيكمِ ألسنٌ — أقوالُها تصغُر فى آعتقادِها
فكيفَ ـ معْ قناعتى ـ ظنُّك بى — هل كان إلا المصُّ من ثمادِها
خلَّفتنى جوهرةً ضائعةً — بقِلّةِ الخبرةِ من نُقَّادِها
لا حظَّ لى أرجوه عند غيركم — من عُدَّةِ الدنيا ولا عَتادِها
تسكُنُ أحشائى الى حِفاظكم — سكونَ أجفانى الى رقادِها
أنتم لنفسى فى الحياة وبكم — أنتظر العَونَ على مَعادِها
فأين كان صبرُكم على النوى — من عَركها الصبرَ ومن جهادِها
وهل — وقد أمرضها بعادكم — كنتم بعَطفِ الذِّكْرِ من عُوّادِها؟
بلى! لقد واصلَها ما بلَّها — من عَونِ أيديكم ومن إرفادِها
وقمتُم على النوى بلفتةٍ — من نصرها شيئا ومن إنجادِها
فاغتنموا الآنَ تلافِى نَقصِها — فى سَعةِ الأيّام وآزديادِها
وعند نعماك لها إن قُضيتْ — دَينٌ عليه جُملةُ آعتمادِها
مؤجَّلا قبل النوى وبعدَها — من طارف الرسوم أو تِلادِها
فوكِّل الجودَ على نفسك فى — قضائها ومُرْهُ بانتقادِها
وآعلم بأنّ الحالَ فى تسويفها — تَضيقُ حتى الوعد فى إبعادها
وآسلم لها وآسع بها سوائرا(١) — بعفوها منك وباجتهادها
لك الطويلُ الشوطِ من خيولها — فليس ترضَى لك باقتصادِها
لها بطونُ الأرض بل ظهورُها — تصوَّبَتْ أو هى فى إصعادِها

---

(١) هذه الكلمة وردت بالأصل هكذا "سوا".

رَجْلَى ولا يعلَقُها ركْبُ الفلا بإبلِ البيدِ ولا جيادِها
تَسترقِصُ الأسماعَ أو تخالَنِى أستخلفُ "الغريضَ"(١) فى إنشادِها
كأنّها على الطروس أنجمٌ لألأتِ الخضراء(٢) بآتقادِها
يكاد أن يبيضَّ من نُصوعها ما سوَّد الكاتبُ من مدادِها
تنفّسُ الأيّامُ عن صوابِها فى وصف نُعماكم وفى رشادِها
ما دمتُمُ حَلْيا لمهرجانها فينا وتيجانا على أعيادِها

* * *

وقال وكتب بها الى ناصر الدين بن مُكَرَّم يشكر ما تقدّم من إنعامه، ويتنجّزه الكريم من عاداته، وأنفذها اليه بعمان

هل تحت ليلك "بالغضا" من رائدِ يقتاف آثارَ الصباحِ الشاردِ؟
هيهات تلك نَشيدةٌ مطولةٌ عند الغرام على المحبِّ الناشدِ
وكفاك عجزا من شجىٍّ ساهرٍ يرجو الرِّفادةَ(٣) من خلىٍّ راقدِ
يا إخوةَ الرجلِ الغنىِّ أصابَ ما يبغى وأعداءَ المُقلِّ الفاقدِ
صاحبتُ بعدكم النجومَ فكلُّكم إلبٌ(٤) علىّ وكلهنّ مساعدى
فاذا ركدن فمن تحيُّرُ أدمعى واذا خفقن فمن نُبوِّ وسائدى
دُلُّوا علىَّ النومَ، إن طريقَهُ مسدودةٌ بعواذلى وعوائدى
وعلى الثنيّةِ "باللوى" متطلّعٌ طِلْعِى بمَربأة الرقيب الراصدِ
يَقِظٌ اذا خاف الرقيبَ تخطَّأتْ عيناه عن قلبٍ مُريدٍ عامدِ

---

(١) الغريض : هو مغنّ آسمه عبد الملك وكنيته أبو زيد ولُقّب بالغريض لأنه طرىُّ الوجه غضُّ الشباب، والغريض لغةً الأبيضُ الطرىّ من كلّ شىْ . (٢) الخضراء : السماء . (٣) الرفادة : المعونة . (٤) الإلب : القوم يجتمعون على عداوة إنسان .

متجاهلٌ ما حالُ قلبي بعده ... جهلَ العليم وغائبٌ كالشاهدِ
والى جنوب "البانِ" كلّ مُضرَّةٍ ... بالبان بين موائسٍ وموائد
يمشين مشى مَها "الجواءِ" تخلّلتْ ... عنهنّ غيطانَ النقا المتقاودِ (١)
متقلداتٍ بالعيون صلائدًا ... وطُلًى ولم يحملن ثِقلَ قلائد
نافثتهنّ السحرَ يوم "سويقةٍ" ... فاذا مَكايدهنّ فوق مَكايدى
كنتُ القنيصَ بما نصبتُ ولم أخلْ ... أن الحبالة عُقلةٌ للصائد
أنكرتُ حلمى يومَ "بُرقَةِ عاقلٍ" ... وعرفتُه يوم اللقاءِ "بغامدٍ"
وجعلتُ سمعى من نبال عواذلى ... غرضَ الغرورِ لكلِّ سهم قاصدِ
القلبُ قلبُكَ فامض حيث مضى الهوى ... بك من مضِلٍّ سعيُهُ أو راشدِ
ما دام يدعوك الحسانُ فتًى وما ... دام الذوائبُ فى قِرابِ الغامدِ
فوَراء يومك من صِباك ضُحَى غدٍ ... وعدٌ يسوءُك منه صدقُ الواعدِ
ولقد سريتَ بليلهِ وبصبحه ... فَحْماً وفى لَهَبِ البياض الواقدِ
فاذا المشيبُ مع الإضاءة حيرةٌ ... واذا الشبابُ أخو المضلّ الواجدِ
ومطيّةٍ للهوِ عزَّ فَقَارُها ... وصليفُها (٢) عن راكبٍ أو قائدِ
مما احتمى من رحله بِقِماصِه ... ومن الخشاش بأنفهِ المتصايدِ
أعيا على ركب الصِّبا أن يظفروا ... بمغالقٍ من غَرْزِها (٣) ومَعاقدِ
قد رُضْتُها فركبتُ منها طَيِّعا ... ينصاعُ بين مَراسنى ومَقاودى
وأخٍ رفعتُ له بحيَّ على السُّرى ... والنجمُ يسبحُ فى غديرٍ راكدِ،
فوعَى فهبَّ يحُلُّ خيطَ جفونهِ ... بالكُرهِ من كفِّ النُّعاس العاقد
غيرانَ قام على الخطار مساعدا ... نصرَ الحسامِ رفدتهُ بالساعدِ

(١) المتقاود : المستوى . (٢) الصليف : عرض العنق . (٣) الغرز : ركاب الرحل .

حتى رجمتُ الليــلَ منــه بكوكبٍ فتقَ الدجَى وأضاء وجهَ مقاصــدى
فردينِ سَومَ الفــرقدين تمــايلا مســتأمنيْن على طريق واحــدِ
ومحجَّبٍ تدع الفــرائصَ هيبــةً أبوابُه من خافــقٍ أو راعــدِ
تتســابقُ الجَبَهاتُ دون سريرِه للفوزِ بين معــفّرٍ أو ســاجدِ
لا تطمعُ الأقدارُ فى آســتنزاله بضــعائفٍ منهـا ولا بجــلائدِ
أذِنَتْ عليــه وســائلى وترفّعتْ أســتارُه لمَقاصــدى وقصــائدى
وبعثتُ غُرَّ قلائدى ففتحنَ لى أبــوابَه فكأنهنّ مَقــالدى
"كمانَ" أو مَلِكِ "عُمانَ" دارُهُ دانى النوالِ على المَــدى المتباعدِ
رانٍ علىّ عــلى آرتفــاع سمــائه بَرٌّ بوفــدِ مــدائحى ومَحامــدى
بعثتْ بصــيرتُه نَفَــاقَ(١) عنــدَهُ والشــعرُ يُبْضَعُ فى أوانِ كاسـدِ
وقضَى عــلى أنى الوحيــدُ بعلمــهِ فكفَى بذلك أنه من شــاهدى
ســبق المــلوكَ فبــذَّهم متمهلا جاروا ومرَّ على الطــريق القاصــدِ
ومضَى عــلى غُــلَوائهِ متســنِّما(٢) لم تَرتفِقْ(٣) مَســماتُه بمُعاضــدِ
طيّانَ(٤) لم يقضِ البوازلَ قبــلَه جَــذَعٌ ولم يُطِلِ القيامَ بقــاعــدِ
نَسَبَ السماءَ، يريد أينَ نخارُها منــه، فباهلَهــا بفخــرٍ زائدِ
وسمــا يمــاجــدُ قومَه بنجومهــا فتَــنَى ولم يظفَــرْ بنجمٍ ماجــدِ
غرسَ المعالىَ "مُكْرَمٌ" فى تربهــا فجنت حــلاوةَ كلّ عيشٍ باردِ
حَجَرًا عــلى الأقــدارِ فيما نفّــذَتْ أحكامَها من صــادرٍ أو واردِ
لن تعــدَمَ الآفاقُ نجما طالعــا منهــا ينــوّر إثر نجــمٍ خامــدِ

(١) النفاق : الرواج . (٢) فى الأصل "متبسم" . (٣) ترتفق : تستعن .

(٤) الطيان : الطاوى وهو الجائع .

(١٣١)

فالسيفُ منهم فى يمين المنتضى كالسيف منهم فى يمين الغامدِ
هم ما هُمُ ! وتفرّقت آياتُهم فى المجد ثم تجمّعتْ فى واحدِ
أحيت لهم أيامُ محيي الأئمةِ الـ معافِي وهبّتْ بالرّقودِ الهاجدِ
وتسنّمتْ دَرَجَ السماء بِذِكرهم أيامُ آثارٍ لهم ومَشاهدِ
وإلى " يمين الدولة " آفتقرت يدٌ فى الملك لم تُعضَدْ سواه بعاضدِ
نظمَ السياسةَ مالكٌ أطرافَها لم تستعِنْ عَزماتُه بمُرافِدِ
وأقامَ ميلَ الدولتين مؤدِّبٌ بثِقافه خَطَلَ الزمانِ المائدِ
سبقَ الرجالَ بسعيه وبقومه والمجدُ بين مَكاسبٍ ومَوالدِ
جَرت البحارُ فما وفت بيمينه فكأنّ ذائبَها يُمَدُّ بجامدِ
ضنّتْ بجوهرِها وما فى حِرْزِها من مُنفساتِ ذخائرٍ وفوائدِ
فاستخرجتْها كفُّه وسيوفُه فسخَتْ بها لمؤمِّلٍ ولرافدِ
نامَ الرعاةُ عن البلادِ وأهلِها عجزا وعيناه شِهابًا واقدِ
وحَمَى جوانبَ سَرحِهِ متنصّفٌ للشاء من ذئب الغضا المستاسِدِ
وإذا الأسودُ شممن ريحَ عرينه كانت صوارمُه عِصيَّ الذائد
ما بين " سَرَنْدِيبَ "(١) الى ما يَستقِي " وادى الأُبُلَّةِ " هابطا من صاعدِ
يقظانُ يضرب وهو غيرُ مُبارِزٍ عزما ويطعن وهو غير مُطارِدِ
كفٌّ له تَحمِي وسيفٌ يُنتضَى ولحاظُ راعٍ للرعيّةِ راصدِ
وإذا بغَى باغٍ فباتَ يرومُه باتت صوارمُه بغيرِ مَغامدِ
ومطوِّحٍ ركِبَ الخِطار فردَّه أعمى تحيَّرَ ماله من قائدِ
كفَّ الرَّعاعَ وجاء يطلبُ حاجةً عسراءَ فى كفِّ الهمامِ اللابد(٢)

---

(١) سرنديب : جزيرة فى أرض الهند يجلب منها الكافور . (٢) فى الأصل " اللائذ ".

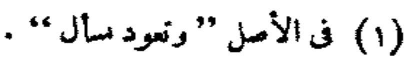
يَرمى الكواكبَ وهى ســـعدٌ كلُّها ... بمَناحِسٍ من جَــدّه ومَناكِدِ
جُنَّتْ به الأطماعُ فاسـتُغوِى بها ... يصـبو الى شيطانها المتـماردِ
خُــبرَتُهُ يبغِى "عُمانَ" وأهلَها ... فعرفت مَصـدَرَه بجهـل الواردِ
لم يُنجِــه والمـوتُ فى حَيزومِــهِ[1] ... ما ضمّ من حَفْـلٍ له وحَاشـد
جمحَتْ به غِرّارةٌ من حَينـــه ... قذفتــه فى لَهَواتِ صِـلٍّ زاردِ[2]
نُسِفَتْ بأطراف الرماح جنـودُهُ ... طَوْحَ السنابِلِ[3] عن شفارِ الحاصـدِ
من راكبٍ — وفؤادُه من صخـرةٍ — ... جَـوفاءَ[4] أمْ فواقِـرٍ وأوابدِ؟[5]
حدباءَ تســلك من عثار طريقها ... حُـدْبًا ذواتِ نواقِصٍ وزوائـدِ
فتظـلّ طورا فى عنانِ سمائها ... صُعُدًا وطورا فى الحضيض الهامـدِ
تختبُّ قامصــةً ولم تطأ الـثرى ... وتظــلُّ لا فى سبسبٍ وفدافـدِ
يظمَا بها الركبانُ وهى ســوابحٌ ... فى غامــرٍ تيّارُه مــتراكِدِ
شــنعاءَ لو طَرَقَ الخيالُ بمثلها ... عينى لما أطبقتُ مقــلةَ راقدِ
بلّغْ — وليتَ رسائــلى تقتصّها ... شفتى وغائِبَ المؤخَر شاهــدى —
أو ليت قلبى كان قلبَك أصمعًا[6] ... فى أضــلعٍ صُمّ العظـامِ أجالدِ
فأخوضَ بحــرا من حميمٍ آجنٍ ... يُفضِى الى البحــرِ الزُلالِ البـاردِ
قلْ إن وصلتَ "لناصر الدين" استمع ... فِقَــرًا تُجمِّعُ كلَّ أنيسٍ شاردِ
يا خــيرَ من حَملتْ ظهورُ صواهلٍ ... فى المُلك أو ضمّتْ صــدور وسائدِ
وتعصّبَتْ بالنــور فوق جبينــه ... عَــذَبُ[7] اللواء تَحُفُّ تاجَ العاقــدِ
أنا عبــدُ نعمتك التى شُكِرَتْ اذا ... ما نعمــةٌ نيطت بآخرَ جاحــدِ

(١) الحيزوم : وسط الصدر . (٢) زارد : اسم فاعل من زرد الشىء : بلعه . (٣) فى الأصل "السنابك" . (٤) يريد بالجوفاء السفينة . (٥) الفواقر والأوابد : الدواهى . (٦) الأصمع : الذكىّ . (٧) العذب جمع عذبة وهى خرقة تلفّ على رأس الرمح .

أغنيتني عن كلّ مذمومِ الجَدَا ألقاه مضطَرًّا بوجهٍ حامدِ
ونفضتَ عن ظَهرِى بفضلك ثِقلَ ما أوعيتُ من نُوبٍ علىّ شدائدِ
كان الزمانُ يُسِرُّ لى ضِغْنا فقد أصلحتَ لى قلبَ الزمان الفاسدِ
وحفظتَ فىّ تكرُّما وتفضُّلا ما أذكرَتْكَ قدائمى وتلائدى
ذِمَمٌ لو آعتَصَمَ العُداةُ بمثلها عقدوا بهنّ لديك خيرَ مَعاقدِ
ومن الذى يُرعَى سواك لنازح عن لحظه نائى المحلّ مُباعدِ
متناقِص الخطواتِ عنك ذِكرتَهُ فى سَكرةِ المُلْكِ العظيم الزائدِ
أوليتَنى فى آبنى ونفسى خيرَ ما أوليتَ فى ولدٍ شفاعةَ والدِ
فلذاك كرٌّ على مشقّة طُرقِه وكررتُ أطلبُ من نداك عوائدى
تُعطى المنى ونعود نسألُ[(١)] ثانيا فتعود حبًّا للسماح العائدِ



وتموتُ حاجتنا وينفَدُ فقرُنا وسؤالنا ونداك ليس بنافدِ
فاحكم بسنَّتك التى شَرَعَ الندى لك شرعَها حُكمَ القديرِ الواحدِ
كَفِّلْ علاك بحاجتى واكفف يدى عن كلّ جَعد الكف جَعد الساعدِ
فالناسُ غيرَك من تضيق مجالتى فيه وتُقتَل بالمِطالِ مَواعدى
صنْ عنهُمُ شَفَتى ودعنى واحدا فى الدهر أشربُ من قَليبٍ واحدِ
حاشا لمجدك أن تُسدَّدَ خَلّتى بمُشارِك لك فىّ أو بمساعدِ
وآنصِتْ لها غُرَرًا لمدحك وحده يُنظمنَ بين قلائدٍ وفرائدِ
من كلّ مخلوعٍ لصادقِ حسنها فيها عِذارُ العابدين لعابدِ
عذراءَ مفضوضٍ لديك ختامُها ، ما كلُّ عذراءٍ تُزَفّ بناهدِ
تجلو عليك بيوتُها ما أنشِدت حوراءَ ذات وشائح وقلائدِ



(١) فى الأصل " وتعود سال " .

كعقيلة الحىّ الحُــلوِ تمشّت الـ ـخُيَلاءَ بين وصائفٍ وولائــدِ
ممـا سبقتُ بخاطرى أمّاتِهـا وحويتُــهُ برقاىَ أو بمكايدى
خضعَ الكلامُ لمعجِــزِى فى نظمِها فعنا لهـا من راكعٍ أو ساجــدِ
قد آمنَ الشــعراءُ بعـــد فسوقهم بدلائلى فى فضلهـا وشــواهدى
وأطاع كــلُّ منـافق إن سَــره أو ساءه وأقــرَّ كــلُّ معانــدِ
فاعطفْ لمهديهـا وحامــلِ تربِهـا وآحمــلْ له حقَّ السفيرِ الرائــدِ
وآردُدْهُ عن عَجَــلٍ كما عوّدتَه برواجحٍ من نعمتيك ردائــدِ
وآشــددْ يدًا بالخافقين مملــكا عنقيهــما من أتْهُــمٍ ونجائــدِ
فى دولةٍ أختِ الســعودِ وعــزّةٍ أمِّ النجــوم وعمــرِ ملكٍ خالدِ

* * *

وقال وكتب بها الى الوزير كمال الملك أبى المعالى

تهوَى ــ وأنت مُحَلَّأٌ[1] مصدودُ ــ ماءَ "النَّقيب"، وإنه مورودُ
ويُقِرّ عينَك ــ والوصالُ مصوَّحٌ ــ غصنٌ يرفُّ على الحمى ويميــدُ
واذا رغبتَ الى السحاب لحاجةٍ لك مايصوب على "الغضا" ويجودُ
ما ذاك إلا أن عهــدَك لم يحُــلْ أفمـا لحىٍّ فى "النخيــل" عهودُ ؟
ومن الشقاوة حافظٌ متجنّبٌ يقضى عليـــه غادرٌ مــودودُ
قَسَما ــ ولم أُقسمْ بسكّانِ الحمَى عن رِيبــةٍ لكنه تأكيدُ ــ
لهُمُ ــ وإن منَعوا ــ مكانُ مَطالبى وهُمُ ــ وإن كرِهوا ــ الذين أريدُ
أتنسّمُ الأرواحَ وهى رواكدٌ منهم وتُجــدِبُ أرضُهم فأرودُ
وأكذِّبُ الواشى الىّ بغــدرهم وعلى الحــديثِ دلائلٌ وشُهودُ

(١) المحلأ : الممنوع عن الماء .

فهم الصديقُ ولا مودةَ عندهم — وهم الأقاربُ والمزارُ بعيدُ
و" بأيمنِ العلَمين " من أبياتهم — ظبيٌ يُصادُ الظبيُ وهو يَصيدُ
لاهٍ اذا جمع الرجالُ حلومَهم — حل العزائمَ خصرُهُ المعقودُ
يَرمِي القلوبَ وما دمٌ بمطوَّحٍ — ما لم تُرِقه مقلةٌ أو جيدُ
وعدَ الوفاءَ وليس منه فغرَّني — ومن السرابِ اذا آغتررتَ وعودُ
أعنو له وأنا العزيزُ بنفسه — وألينُ عمدا والفؤادُ جليدُ
واذا عزفتُ فتُبتُ من دِينِ الهوى — جذبَ الغرامُ بمقوَدى فأعودُ
ولقد أحنّ الى " زرودَ " وطينتي — من غير ما فُطرتْ عليه " زرودُ "
ويشوقُني عَجَفُ[1] " الحجازِ "، وقد ضفا[2] — رِيفُ[3] " العراق " وظلُّه الممدودُ
ويُطَرِّبُ الشادى فلا يهتزُّني — وينالُ منّى السائقُ الغرّيدُ
ما ذاك إلّا أنّ أقمارَ الحمى — أفلا كُهنّ اذا طلعنَ البيدُ
طفِقَ العذولُ — وما آرتفدتُ برأيه — فيهن — يُبدِئُ ناصحا ويعيدُ
فأنا الذى صدعَ الهوى فى أضلعى — ما لا يَلُمُّ العذلُ والتفنيدُ
ياصاحِ، هل لك من خليلٍ مؤثرٍ — راضٍ بأن يشقى وأنت سعيدُ؟
متقلقلٍ حتى تقرَّ، وربّما — بقّى رقادَك ساهرٌ مجهودُ
يَلقَ القواذعَ[4] أو يقيك لسانُه الـ — مشهورُ فيك وعزمُه المشدودُ
كذُبالةِ[5] المصباحِ أنت بضوئها — فى الليلةِ الظلماءِ وهى وَقودُ
من دون عِرضك نَثْلَةٌ[6] منضوضة[7] — منه وإن لم يقضها " داودُ "[8]



(١) العجف : ذهاب السمن وهو هنا كناية عن الجدب . (٢) ضفا : فاض وسبغ .
(٣) الريف : ما أخصب من الأرض وكثر زرعه . (٤) القواذع جمع قاذعة وهى الهجر والشتيمة .
(٥) الذبالة : الفتيلة . (٦) النثلة : الدرع الواسعة وفى الأصل " شَلّةٌ ". (٧) فى الأصل مفضوضة . (٨) داود هو داود النبي عليه السلام وكان مشهورا بعمل الدروع و إحكامها .

قــلَّ الثِّقاتُ فإن عَلِقتَ بواحــدٍ ... فاْشدد يديك عليه فهو وحيــــدُ

لا يُبعِــــد اللهُ الألى حفِظ العلا ... بيتٌ لهم حولَ النجوم مَشِــيدُ

واذا ٱقشعرّ[1] العامُ أغدقَ من ندَى ... أيديهـــم الوادى ورَفَّ العــودُ

واذا سرى نقصُ القبائل أقبلتْ ... تَنْمِى المكارمُ فيهُـــمُ وتـــزيدُ

لا يعــدَمُ الجودَ الغريبُ ومنهُــمُ ... شخصٌ على وجــه الثرى موجودُ

بيتٌ ، بنو عبدِ الرحيم طُنــوبُهُ ... وأبوهُـــمُ ســاقٌ له وعمــودُ

تطغى رياحُ البِرِّ فيـــه عواصــفا ... ولها بأثنــاء[2] البيوت ركــودُ

مِن حولِه غُرَرٌ[3] لهم وضّــاحةٌ ... تبيضّ منهن الليالى الســودُ

واذا أناخ به الوفــودُ رأيتَهـــم ... كرما قياما والوفودُ قعــودُ

واذا أردتَ طُــروقَهُ لملمّـــةٍ ... " فأبو المعالى " بابُهُ المقصــودُ

جاراهُـــمُ فأراك غائبَ أمسِهم ... — رؤيا الزيادة — يومُهُ المشهودُ

ومضَى يُريدُ النجمَ حـــتى جازه ... شوطا ، فقال النجمُ : أين تريدُ؟

شرَفٌ " كمالُ المُلك " فى أطرافه ... حامٍ عن الحسب الكريم يذودُ

فصَــحَ[4] البوازلَ وهو قارحُ عامه ... وأجابَ داعى الشَّيبِ وهو وليدُ

يقظانُ يقدَح فى الخطوب بعزمةٍ ... تسرى به وبنــو الطريق هُجــودُ

عَشِقَ العلا وسعَى فأدرك وصلَها ... مترِّوحا وحســودُه مكدودُ

ووفَى بأشراط الكفايةِ داخلا ... من بابهــا ورِتاجُها[5] مســدودُ

عبِقٌ بأرواح الســيادة عِطفُـــه ... فكأنه فى حِجــرها مولودُ

لو طاول الغُمْرُ[6] المغفَّلُ خُلقَــــه ... شيئا تعلَّم منـــه كيفَ يسودُ

---

(١) اقشعرّ : لم يُصبْ ريّا . (٢) فى الأصل " بأبيات " . (٣) فى الأصل " له " .

(٤) فَصَح : من قولهم : فصَحه الصبحُ بمعنى بان له وغلبه ضوءُه . (٥) الرتاج : الباب العظيم .

(٦) الغمر : الجاهل الأبله .

هَشٌّ لصدر اليوم إمّا ماله فيه وإمّا قربُه المنقودُ
لا قبلَ نائله اذا سُئل الندى وعدٌ ولا قبل اللقاءِ وعيدُ
واذا الخلالُ الصالحاتُ تكاملتْ فهى الشجاعةُ أو أخوها الجودُ
أفنَى الثراءَ على الثناءِ وعلمُهُ أنّ الفَناءَ مع الثناء خُلودُ
ولربّما بُلِي البخيلُ بموقِفٍ يُخزيه فيه مالُهُ المعبودُ
لك من خلائقه اذا مارستَه جنبانِ ذا سهلٌ وذاك شديدُ
فمع الحفيظة قسوةٌ وفظاظةٌ حتى كأنّ فؤادَه جُلمودُ
ومع المودّة هِزّةٌ وتعطّفٌ فتقول : غصنُ البانة الأُملودُ
يا أُسْرةَ المجدِ التى لم تنتبهْ عن مثلها الأيامُ وهى رُقودُ
كُفِيَ الزمانُ العينَ فى أعيانكم، إن الزمانَ عليكمُ محسودُ
لولاكُمُ نُسِيَ الثناءُ ولم يكن فى الناس لا رِفدٌ ولا مرفودُ
ولكان قُلُّ الفضلِ أو ميسورُهُ يفنَى فَناءَ كثيره ويبيدُ
بكُمُ رددتُ يدَ الزمانِ، وباعُهُ متوسِّعٌ بمَساءتى ممدودُ
وحَملتُ مضعوفا ثقائلَ خطبه وهى التى تُوهِي القُوَى وتؤودُ
وخلطتمونى بالنفوس فمن يقعْ جُنُباً[1] فإنى منكُمُ معدودُ
واذا تلوّنَ معشرٌ بتلوُّنِ الـ ـدُّنيا فمعهدِى فيكم المعهودُ
وعُنيتَ أنت بخَلّتى فسددتَها ونظمتَها بالجودِ وهى بديدُ
واذا تقاعدَ صاحبٌ عن نُصرتى فالنصرُ حظّى منكَ والتأييدُ
فلأجزينّك خيرَ ما جازَى امرؤٌ وجَدَ المقالَ فقالَ وهو مُجيدُ
مما يُخالُ قوافيا ومعانيا بالسمع وهو حَبائرٌ وبُرودُ

---

(١) جُنُباً : بعيدا غريبا .

ويكون زادَ السَّفرِ[1] فى ليل الطَّوَى ويقادُ نتبعــه المهارى القُــودُ
من كلِّ مخلوعٍ عِذارُ محبِّهـا فيهـا ومعــذورٍ بهـا المعمودُ
وكأنهـا بين الشفاهِ قصـائدًا فـوق النحــورِ قلائدٌ وعقــودُ
عذراء تحسُدها ــ اذا أنصفتَهـا أوقاتَهـا منك ــ الكعابُ الرودُ
يحثُّها شــوقا لك النــيروزُ أو يأتى فيُطلِعَها عليــك العيــدُ
لك من بشائرها الخلودُ ودولةٌ تمضى بهـا الأيامُ ثم تعــودُ
ما أحسبُ الدنيا تطيب وأمرُها إلّا الى تدبيركم مردودُ
فبقيتم والحاســدون علاكُمُ، لا خــيرَ فيما ليس فيــه حسودُ

* * *

وقال وكتب بها الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم فى عيد النحر يهنّئه، ويعرِّض بذكر بعض من جهِلَ قضاءَ حقِّه، ولم يُجازِ خدمتَه عند السلاطين

أَنشُدُ[2] من عهد «ليلَى» غيرَ موجودِ وأقتضيها مُعارا غــيرَ مردودِ
رِضًا «بليلَى» على ما كان من خُلُقٍ جَعْــدٍ ونَيــلٍ كثيرِ المنّ معــدودِ
من العــزيزات[3] أنسابًا وأخبيةً فى صفوةِ البيتِ حلّتْ صفوةَ البيــدِ
محبهـا قــد قضى فى كلِّ معــركةٍ[4] قصيّةٍ عن بلاغِ الأينُــقِ القُــودِ
تُقَــتَّلُ من غيرِ ذُلّ عنــد أُسرتهـا بين القبابِ المنيعاتِ الأباديدِ[5]
كم ليــلةٍ قد أرتنى حشوَها قمــرا وجوهُها البيضُ فى أبياتِهـا السُّــودِ

---

(١) السفر : المسافرون . (٢) دخل على هــذه الكلمة الزحاف المطوىّ وهو حذف الرابع الساكن وقد ورد كثيرا فى الشعر ومنه لمهيار أيضا فى نفس هذه القصيدة قوله

* أملس لا عرضه الوافى بمنتقص *

(٣) فى الأصل «العريرات» . (٤) لعله يريد كلّ معركة من معارك الحب التى لا تخوض غمارها النوق لبعدها عن المعارك الحقيقية . (٥) الأباديد : المتفرقة .

من كلّ هيفاءَ إلا الرِّدفَ تحسبهُ غصنا من البان معقودا بجُلمودِ
ما مستقياتها للريح مائلةً لكن براهينُ عِزٍّ لى المواعيدُ
لُثْنَ العناقيدَ[1] فوقَ الخُمْرِ[2] واختلفت شِفاهُهنّ على ماءِ العناقيدِ[3]
ورُحن يَرمِين بالألحاظ مقتنصًا فما تصيَّدن إلا أنفُسَ الصِّيدِ
يا ليلَ[4]، لو كان داءٌ تقتُلين به داويتِه كان داءً غيرَ مقصود
اليأسُ أروحُ لى والصبرُ أرفقُ بى من نومِ ليلكِ عن همّى وتسهيدى
ما ماء "دِجلةَ" ممزوجا بغدركمُ وإن شفَى باردًا عندى بمورودِ
ولا صَبَا أرضِكم هبّت تروّحنى وفاءَ وعدٍ لكم بالمطلِ مكدودِ
حسبي! سَمحتُ بأخلاقى فما ظفِرت فى الناس إلا بأخلاقٍ مَناكيدِ
وصاحبٍ لينُ أيّامى وشدّتُها فَرقٌ له بين تقريبي وتبعيدى
يمشى ابنَ دأيةَ[5] فى ظلّ الرجاءِ معى وفى النوائبِ يعدو عدوةَ السِّيدِ[6]
وواسعِ الدار عالى النارِ يُوهمنى خِصبَ القِرَى بين مبثوثٍ ومنضود
يهوَى الأناشيدَ أن يَكذِبن سُمعتَه ولا يَهَشُّ لأعواضِ الأناشيدِ
أغشاه غِشيانَ مجلوبٍ يُغَرُّ بما رأى وأُصرَف عنه صَرفَ مطرودِ
يجودُ مِلءَ يدى بالوعد يمطُلُه والمطلُ من غير عُسرٍ آفةُ الجودِ
فَدَى الرجالُ ـ وإن ضنّوا وإن سمحوا ـ فتًى يهونُ عليه كلُّ موجودِ
لا يحسب المالَ إلا ما أفاد به ثناءَ محتسبٍ أو ذِكرَ محمودِ
كم جَرَّبَ المدحُ أملاكا وجرّبه فصبَّ ماءً وحَثّوا من جلاميدِ
أملسُ لا عِرضُه الوافى بمنتقَصٍ يوما ولا مالُه الواقى بمعبودِ

---

(١) يريد بالعناقيد الغدائر . (٢) الخمر جمع خِمار وهو شبه النقاب . (٣) يريد بماء العناقيد الخمْر . (٤) يريد يا ليلى . (٥) ابن دأية : الغراب . (٦) السيد : الذئب .

مَن سائلٌ بالكرام السابقـــين مَضَوا وخلَّفـوا الذِّكرَ من إرثٍ وتخليـــدِ؟
هذا "الحسينُ" نخذ عينًا ودعْ خبرًا من الروايات عنهـم والأسانيـــدِ
من ساكنى الأرضِ قبلَ الماءِ من قِدمٍ وعامريهـا وما ذلَّت لتشـييدِ
كم حاملٍ منهُـمُ فضلًا، حمائلُهُ تَحُـلُّ عن عاتق بالتـاج معـقودِ
لم يبرحوا أجبُـلَ الدنيا وأبحرَها أصلين من شاهقٍ منهـا وممـدودِ
وحسَّنوا فى الندى أخلاقَ حلمهمُ، إنَّ الندى فى النُّهى(١) كالمـاء فى العودِ
يا آل "عبدِ الرحيم" آختار صُحبتَكم تأنُّــقٍ فى آختياراتى وتجـــويدى
أُحِبُّـكم وتُحِبُّـونى وما لَـكُمُ فضـلٌ وربَّ ودودٍ غـيرُ مودودِ
قرابةٌ بيننا فى "فارسٍ" وصـفتْ عنّى وعنكم طهاراتِ الموالـيــدِ
لا زال مـدحِىَ مـيراثا يقابلـكم عـنّى اذا الشـعرُ فى آذانكم نُودى
بكلّ حسـناء لو أحفَشتُها(٢) برزتْ للخـاطبين بروزَ الغـادةِ الرُّودِ(٣)
من نسج فكرى تردّ العارَ دونكُمُ ردَّ السهام نبتْ عن نسج "داودِ"
ما أنبتتْ لِىَ تَجْـراءُ الرجاء بكم خِصـبا وما كرَّ دهرٌ عـودةَ العيـدِ
وما تبـاحُ المُـدَى مشـحوذةً أبدا صبيحةَ النحـرِ(٤) من نحرٍ ومن جيـدِ

(١٣٥)

* * *

وقال وكتب بها الى الوزير أبى المعالى يهنئه بالنيروز

أنذرَتْنى أمُّ "سعدٍ" أنَّ "سعدا" دونهـا ينهَـدُ(٥) لى بالشَّرِّ نَهْـدَا
غَيرةً أنْ تسمعَ الشَّربَ تُغنِّى بآسمها فى الشِّعر والأظعانَ تُحدَى

(١) فى الأصل "اللُّهى" جمع لهوة وهى أجزل العطايا أو لعلها "اللَّها" جمع لهاة وهى اللحمة المشرفة على الحلق من سقف الفم، وكلاهما لا يتفق ومعنى البيت. (٢) أحفشتها: ألزمتها الحِفْش وهو البيت الصغير من الشَّعَر. (٣) الرود: الشابة الحسنة الناعمة، وفى الأصل "الغيد". (٤) يريد بصبيحة النحر عيد الأضحى وبالثانية أعلى الصدر. (٥) ينهد: يسرع.

قلت : يا لَلحبِّ من ظبيٍ رخيم ... صدتُه فاهتجتُ ذوْبانا[1] وأُسْدا

ما على قومِكِ أن صار لهم ... أحدُ الأحرار من أجلكِ عبدا !

وعلى ذى نظرةٍ غائرةٍ ... بعثتْ سُقما الى القلب تعدَّى !

قَتلتْ حين أصابت خطأً، ... وقِصاصُ القتلِ للقاتلِ عمدا

أتُرانى طائعًا أضرمتُها ... حُرَقًا تأكلُ أضلاعى ووجدا !

سبّبتْ لى فيكِ أضغانَ العدا ... نظرةٌ أرسلتُها تطلبُ ودّا

وعلى ما صفحوا أو نقموا ... ما أرى لى منكِ يا "ظبيةُ" بُدّا

أجتلى البدرَ فلا أنساكِ وجها ... وأرى الغصنَ فلا أسلاكِ قدّا

فاذا هبَّتْ صَبا أرضكمُ ... حمَلتْ تُربَ "الغضا" بانا ورَندا

لامَ فى "نجدٍ" وما آستنصحتُه ... بابلىٌّ لا أراه الله "نجدا" !

لو تصدَّى رشأُ "السَّفح" له ... لم يلُم فيه ولو جارَ وصدّا

يصلُ الحولُ على العهدِ وما ... أنكرَ التَّذكارُ من قلبيَ عهدا

أفيروَى عندكم ذو غُلّةٍ ... عدِمَ الظَّلْمَ[2] فما يشربُ بَرْدا ؟

رُدَّ لى يوما على "كاظمةٍ" ... إن قضى الله لأمرٍ فات ردّا

وحمانى من زمانٍ خابطٍ ... أبدا فى عَطَنى شَلًّا وطردا

كلّما أبصر لى تامكةً[3] ... كدَّها أو ردّها عظما وجِلدا

يصطفى الأكرمَ فالأكرمَ من ... نُخَبى أنفسَ ما كنتُ مُعِدّا

كلّما شُدّتْ بظهرى هجْمةٌ[4] ... ركب الشرُّ لها ركضا وشدّا

واقعا فى كلّ مَن كثّرنى ... بيدٍ خرقاءَ أو أصبحتُ فردا

---

(١) ذؤبان جمع ذئب . (٢) الظلم : ماء الأسنان وبريقها . (٣) التامكة . الناقة العظيمة السنام (٤) الهجمة : من الإبل ما بين السبعين الى المائة فاذا بلغت المائة فهى هُنَيْدة .

أُكلةَ الصُّعلوكِ ، لا أُسنِدُ ظهرا ... فى الملمّاتِ ولا أَشتدُّ عَضُدا

غاب أنصارى فمن شاء آتقانى ... حذَر الإثمِ ومن شاء تعدَّى

شَقِيَتْ من بعدهم نفسى وهم ... أىّ برجٍ نزلوه كان سعدا

قل لأملاكٍ نأى عنّى بهم ... ناقلُ الأقمار قُربا ثُمَّ بُعدا :

يا سيوف يوم لا أملِك عزًّا ... وعيونى يوم لا أُورَد عِدًّا

وشبابى إن دنوتم كان غضًّا ... واذا رحتم مع البين آسترِدًّا

عجبا لى كيف أبقى بعدكم ... غير أن قد خُلِقَ الإنسان جَلْدا !

غلبَ الشوقُ فما أحمِلُ صبرا ... وجفا الناسُ فما أسألُ رِفدا

أنا من أغراسكم فانتصروا لى ... قبل أن تهشِمَنى الأيامُ حصدا

يا رسولى، ومتى تَبلُغْ فقلْ ... خيرَ ما حُمِّل مأمونٌ فأدّى :

يا "كمالَ الملكِ" يا أكرمَ مَن ... يمّمَتْه ظُعُنُ الآمالِ تُحدَى

يا شهابا كلّما قال العدا : ... كاد يخبو، زاده الرحمنُ وقدا

يا حساما كلّما ثلّمه الضربُ راق العينَ إرهافا وحَدًّا

ما براك اللهُ إلا آيةً ... فَتن الناسَ بها غيًّا ورُشْدا

وثَبَاتُ الليثِ إن أُنكِر فى ... شدّةٍ كان مع الأخرى أشدّا

كلّما عاند فيها حاسدٌ ... ظهرتْ باهرةً مَن يتحدّى

ولكَمْ أنشرتَ إعجازا بها ... من فِعالٍ طُوِيتْ لحدا فلحدا

وبخيلٍ خاملٍ أعديتَه ... كرما نال به الحمدَ ومجدا

وزليقٍ منتهى شاهقةٍ ... حيثُ لا يصعَدُ إلا مَن تردّى

طَأْمَنَ[1] الجوُّ لها وآنحدرت ... قُلل الأجبال حتى كنّ وَهْدا

---

(١) طأمنَ : آنخفض .



حَرَصَ الكوكبُ أن يطلُعَها فهوَى عنها وما سدّ مَسدّا
وإذا الكيدُ مشَى يَسْمُتُها(١) طامعًا عاد وقد خاب وأكدى
خفَّ من خطوك فيها ناهضٌ لم يسرْ فى التيه إلا سار قصدا
يأخذ المجلسَ من ذِروتِها مالكا تدبيرَها حَلًّا وعَقْدا
طرتَ فيها والعدا واقعةٌ تأكل الأيدى(٢) لها غيظا وحِقدا
يُلعَنُ الناسُ على عجزهمُ وتُحيَّا بالمساعى وتُفَدَّى
فَرَّعَت للمجد منكم دوحةٌ كنتَ من أنضرها عُودا وأندَى
تربةٌ بورك فى صَلصالها أنجبَتكم والدا طاب ووُلْدا
طينةٌ ــ أعجِبْ بها ــ مجبولةٌ أخرجتْ سَلْمى وثَهْلانَ وأُحْدا(٣)
يا عيونَ الدهرِ، لا زالتْ بكم قَذياتٍ أعينُ الحسّاد رُمدا
وتقاضَى الملكُ عنكم بسيوفٍ منذ سُلَّتْ لم تكن تشتاقُ غِمدا
كلَّما سُوِند منكم بأخيهِ صارمٌ يَمَّمَ أمضَى وأحَدّا
وبَقِيتم لبقايا كرَمٍ بكُمُ يُلْحَمُ فى الناس ويُسدَى
لم تكن لولاكُمُ أرماقُها أثرا يَخفَى ولا عينا تَبدَّى
يا نجومِي، لا يَرُعْنِي منكمُ غائرٌ باخٍ(٤) ولا حَيدانُ نَدَّا
نوِّروا لى وأسرجوا فى طُرُقى أقطع الأرضَ بكم جَمْزًا(٥) ووَخْدا
أَجمع الحصباء فى مدحكمُ بلسانى وأعدُّ الرمل عَدّا
وكما أرْغمتُ من قبلُ بكم آنُفًا(٦) آبيةً أجدعُ بَعْدا

---

(١) يسمتها : يقصدها ، وفى الأصل "يسمنها" . (٢) قوله " تأكل الأيدى" كناية عن عضهم أيديَهم من الغيظ . (٣) أحد وما قبله أسماء جبال . (٤) فى الأصل : " غابر " ؛ وباخ : خمد وانطفأ . (٥) الجمز : الإسراع فى العَدْو . (٦) آنُف جمع أنْف .

أبـــدا أنصُبُ نفسى دونكم عَلَمـا فـرْدا وخَصّـاما ألدّا
غـير أنى منـك يا بحـرَ النـدى أشتكى حظّى فقد خاب وأكدَى
عادةٌ تُمنَـعُ أو تُقطَع بتّـا وحقـوقٌ وَجبتْ تُهمَلُ جِـدّا
ووعـودٌ يجمحُ المطـلُ بهـا أن يرَى ميقاتُهـا عنـدك حدّا
بعـد أن قد كنتَ أحفاهم(١) وفاءً لى وأوفاهم لمـا أسلفتَ عهـدا
حاش للسُّحب التى عُوِّدتُهـا منك أن يَروَى بها الناسُ وأصدَى
نفثـةٌ من مذكرٍ لم يألُ فى الـصـبر للحاجـةِ والأوطارِ جهـدا
بعث النـيروزُ يستعجلكـم سائلا فى الوعد أن يُجعلَ نقـدا
وهُوَ اليومُ الذى من بعـده سـوف تُفْنون مدى الأيام مدّا
فاقبـلوه شافعـا وارضَـوا به زائرا عـنّىَ بالشـعرِ ووفـدا
أنتمُ أكـرمُ من يُهدَى له، والقوافى خـيرُ ما يُحبِى(٢) ويُهدَى

***

وقال يمدح عميد الرؤساء أبا طالب ويهنّئه بالنيروز

صدّتْ "بنعمانَ" على طول الصدَى دعها فليس كلُّ ماءٍ موردا
لحاجـةٍ أمسِّ من حاجاتها تخطّاتْ أرزاقَهـا تعمُّـدا
ترى وفى شـروعها ضَـراعةٌ حرارةً عـلى الكبودِ أبردا
عادةُ عزٍّ جـذبَتْ بخَطْمِهـا(٣) وكلُّ ذى عزٍّ وما تعـوّدا
لا حَمَلَتْ ظهورُها إن حمَلتْ رِجْـلا على الضيم تقـرُّ أو يدا
إن لم يلقَهـا جانبٌ مقاربٌ فارمِ بها الجنبَ العريضَ الأبعـدا

(١) فى الأصل "أخفاهم". (٢) فى الأصل "يجبى". (٣) الخطم: مقدّم أنف الدّابة وفمها.

خاطرْ وَلو أردى الخطارُ، إنه | لا يأمن الذلَّةَ مَن خاف الردَى
لا يُحرزُ الغايةَ إلا بائعٌ | بغلظةِ العيش الرقيقَ الرَّغَدا
يَطوى الفلا لايستضيفُ مؤنسا | والليلَ لا يسأل نجما مرشدا
اذا رأى مَطعمةً خافضةً | عوَّذَ بالله ومالَ الجَيَدا
يُعطِى جِذابَ الشهواتِ عُنُقًا | شمساءَ (١) لا تَعرف إلا الصَّيَدا (٢)
تمارسُ الأيّامُ منه كلّما | حارنَ أو لجّ غلاما نَكِدا
يعزِفُ (٣) إلا عن فُكاهاتِ الهوى | وقد رأى فيه الحبيبَ المسعِدا
أَقسمَ بالعفّةِ : لا تيّمه | ظبيٌ رنا أو غُصُنٌ تأوّدا
ولا قَرَى (٤) صبابةً فؤادَه | إلا السلوَّ حاضرا والجَلَدا
شأنَك يا بنَ الصَّبَواتِ فالتمسْ | غيرى أخًا، لستُ لهنّ وَلَدا
مولاك من لا يخلُق الشوقُ له | وجدا ولا طولُ البعاد كمدا
كأنما يَشهَدُ من عَفافه | على المشيبِ يافعًا وأمردا
موقّرا متّعظا، شبابُه | كأنما كان مَشيبا أسودا
تحسبه نزاهةً وكرمًا | ومجدَ نفسٍ "بابن أيوبَ" اقتدَى
فدَى عميدِ الرؤساء مُصفِرٌ (٥) | لو طاب لا يصلُح إلا للفِدَى
يرضَى بما ساق اليه غَلَطُ الـ | ـحظِّ ولم يسعَ له مجتهدا
يعجَبُ من جهالةِ الأيّام فى | وِجدانه ما لم يكن لينشُدا
تحسبه جاء يريد غيره | فضلّ عن طريقه وما اهتدى
وحاسدٍ، نخارُه معْ نقصِه | فى الناس أن عادى العلا وحسَدا



(١) الشمساء : الممتنعة الأبيّة . (٢) الصَّيَد : رفع الرأس كبرا و زهوا . (٣) فى الأصل "يعرف". (٤) قرى : أضاف . (٥) المصفر : المفتقر.

تُلهِبُ نارُ الغـيظ فى ضلوعـه ... جمـراً يقول حـرُّها : لا بَرَدا

زال[1] بنصرِ مجـدِهِ غيران ما ... نازَلَ إلا ظافـرا مؤيَّـدا

مدّ الى أخـذِ العـلا فنالها ... يدا تبـوعُ ساعـدا وعَضُـدا

تَقضِى له الأقلامُ من حاجاتها ... ما آستقضت الذابلَ والمهنَّـدا

ما زال يرقَى فى سماواتِ العـلا ... بروجَها الأسـعدَ ثمَّ الأسـعدا

مصاعـدا نجومَها حتى اذا ... تطاولتْ خلْفَها وصـعِدا

رأى المعالى بالمساعى تُقتضَى ... والشرفَ المحرَزَ من كسبِ الندَى

فصاعبَ الأُسـودَ فى أغيالها ... صرامـةً وجاودَ الغيثَ جَـدَا

وكلّما قيـل له : قِفْ تسترِحْ ... جزتَ المدَى ، قال : وهل نلتُ المدَى ؟

ناهضَ ثِقلَ الدولتين فكفى الـ ... ـمُلكَ الطريفَ ما كفاه المتلَدا

وكان للأمرَيْن منـه جُنَّـةً ... مسرودةً وصـارما مجـرّدا

فاغترسَ "القـادرُ[2]" يـومَ نصرِهِ ... وآستثمرَ "القـائمُ بالأمر[3]" غـدا

قام بأمرٍ جامـعٍ صـلاحَهُ ... فضـمَّه بنفسـه منفـردا

فلستُ أدرى أَلوَحيٍ هابط ... أم آختيـارا لقّبـاهُ الأوحـدا ؟

وزارةٌ وفّـرها لدَسـتِهِ ... أنّ أباه قبلُ فيـه آستندا

دبَّرها مستبصرا فلم يكن ... مفوّضا فيهـا ولا مقـلِّدا

يُسـنِد عن آبائه أخبـارَها ... صادقةً اذا آتهمتَ المُسـنِدا

وأعتقُ النـاس بها من لم يزل ... مكرِّرا فى بيتها مردِّدا

يا من مخضتُ النـاسَ فاستخلصتُه ... بعـدَ آجتهادى فاليـا منتقـدا

(١) زال : نهض . (٢) إشارة الى الخليفة القادر بالله . (٣) إشارة الى الخليفة القائم بأمر الله .

والبـازلُ العَـوْدُ وقد نبذتُهـم ... بَكِيّـةً[١] معـرورةً[٢] أو نَقَـدا

ذلّلتَ أيامىَ وآسـتقربتَ لى ... غُلْبـةً[٣] وفاءها المسـتبعَدا[٤]

هوّنْتَ عندى الصعبَ من صروفها ... نخلتُ أفعاها الوَثُوبَ مَسَـدا

أعديتَهـا بحفظك العهـدَ فقـد ... صارت صديقا بعـد أن كانت عِدا

ولم تضـيِّع حُرَما أحكمها ... قـديمُ حقّ فيكُمُ وأكّدا

أنتَ كما كنتَ أخًا مُخالِلًا ... بحيثُ قـد زدتَ فصرتَ سـيِّدا

فاسمـعْ أقايضْـك بهـا قواطنا ... سـوائرا معقَّـلاتٍ شُـرَّدا

عوالقـا بكلِّ سمعٍ صَلِيفٍ ... يلفِظُ أنْ يَقبـلَ إلّا الأجودا

ممّـا قهـرتُ بجُعلتُ وعـره ... مُدَيَّنـاً[٥] وحـرَّه مسـتعبَدا

مَطارِبا اذا آحتبى الراوى لهـا ... شككتَ هل غنَّى بهـا أم أنشـدا !

تُخالُ أرجازا من آستقصارها ... وقـد أطال شاعرٌ وقصَّـدا

يَمضى الفتى الموسـومُ فى نخـارها ... صفحا وتُبقِى عِرضَـه مخـلَّدا

تَحمِـلُ أيّامُ التهـانى تُحَفًـا ... منهـا اليـك بادئاتٍ عُـوَّدا

ما دامت الغـبراءُ أو ما حَمَلَتْ ... مدحوّةً من الجبـال وَتِدا

سنينَ تطويهنّ حيًّـا سالمـا ... مُنَوَّرِزا فى العـزّ أو معيِّـدا

لا الشـعرُ تَبلَى أبدا رسـومُهُ ... فيك ولا تُعـدَمُ أنت سَـنَدا

---

(١) البكيّة : الناقة أو الشاة قلّ لبنها ، وفى الأصل "بلية". (٢) المعرورة : التى أصابها العُرُّوهو الجَرَبُ. (٣) غُلُبّةً : قهرا ، وفى الأصل "غَلِيّةً". (٤) فى الأصل "المستعبدا".

(٥) مديَّنا : مملَّكا مذلّلا.

***

وقال يمدح كمال الملك أبا المعالى ويهنئه بالمهرجان



رَدَّ عليهـا النـومَ بعـد ما شَرَدْ ... إشرافُها على شَرافٍ[1] من "أُحُدْ"

وضمَّهـا منشورةً مَجـرى الصَّبا ... وعَطَنَ الدارِ وطِينـةَ البـلَدْ

فعطَفَتْ كـلَّ صليفٍ ناشزٍ ... على الخشاشِ وعلى لينِ المَسَدْ

يقودها الحـادى الى حاجتـه ... وهمُّها أخرى اليهـا لم تُقَـدْ

وإنمـا تيمَّهـا "بحاجـرٍ" ... أيّامُهـا "بحاجرٍ" لو تُستَرَدّْ

وصالحاتٌ من ليـالٍ أخلقتْ[2] ... عهـودُها وهى مع الذِكْرَى جُدُدْ

يادين من أهل "الغضا" سقامُها ... ووجدُها بمـدّعٍ ما لم يَجِـدْ

وحفظُهـا عهـدَ ملولٍ ماطلٍ ... يذكر ما آسترعَى وينسَى ما عَهِـدْ

وكم على "وادى الغضا" من كبِدٍ ... يحكم فيهـا بسوى العـدل الكَمَدْ

ومن فـؤادٍ بدَدٍ تلفِظُـه ... ولائذُ الحىّ مع الحصـا البَدَدْ

وصارمٍ ما شَقِىَ القَينُ به ... مذ سـلَّه غُنجُ اللحاظ ما غُمِـدْ

ومن غزالٍ لا يُقِـلُّ رِدفُـه ... ضعفا وفى حبـاله عُنقُ أَسَـدْ

وقامـة لو لم يكن لشكلها ... فعلُ القنـاة لم تمِـلْ ولم تمِـدْ

باناتِ وادٍ مـذ حَمَتْ شجـراءَهُ ... رماحُ "قيس" ما آختُلِى[3] ولا عُضِدْ[4]

تلاوَذُ الريحُ بكـلِّ مرهفٍ ... غصنٍ اذا قام وحِقْفٍ إن قعـدْ

حبائبٌ "بالخيف" فى مَلاعبٍ ... هنّ النعيمُ وهى جنّـاتُ الخُـلْدْ

سقتْ دمـوعى حَرَّها ومِلحُها ... عيشا بهـا بالأمس طاب وبَرَدْ

---

(١) الشَّراف : اسم موضع . (٢) فى الأصل "آخافت" . (٣) ما آختُلى : لم يُقطع مابه من خَلًى وهو الرطبُ من النبات . (٤) ماعضد : ماقطع نباته بالمِعضد وهو آلة تستعمل فى قطع الشجر .

لو كان لى على الزمان إمْرَةٌ — بطاعـةٍ قلتُ : أعـذها لى أعِذْ
يا راكبا ، تدوسُ للرزقِ به — حرَّ الثرى(١) والليـلَ وجناءُ أُجُدْ
ترى الطريقَ عَرضَـهُ وطُولَه — لقُطبها بين ذراعٍ وعَضُدْ
تطوى السُّرى طىَّ الرياح لا تُرى — سائلةً : أين المَدَى وما الأمَـدْ
كأنّهـا من خِفّـةٍ من مسّها الـ — ـأرضَ على أربَعِها لا تعتَمِدْ
تطلب نُجْحَ حاجها يجْهَـد من — أقسمَ لا يطلُبُ إلا ما يَجِـدْ :
ارجِعْ وراءَ فاسـترِحْ وأعفِها — ما كلُّ حظٍّ لك منـه أن تَكُدّْ
مَطـرَحُ(٢) عينيكَ غِنًى مقترِفٌ — كفى بنى الحاجاتِ شُقّاتِ البُعُدْ
بجانب " الزوراء " قصرٌ قصدُهُ — بحرٌ اذا أعطى الغِنَى لم يقتصِـدْ
أيدى بنى " عبد الرحيم " مدُّه الـ — ـدائمُ والبحـرُ يَغيضُ ويَمُـدُّ
قـد أفعمـوه وأباحوا وِردَه — مخـلَّدا عَذْبا فمن شاء وَرَدْ
قـومٌ اذا لم تَلْقَ منهـم واحدا — وإن لقِيتَ النـاسَ لم تَلْقَ أحدْ
صانوا حمى أعراضِهم ، ومالَهم(٣) — وذِيَّةٌ(٤) عـلى الطريق تُنتقَـدْ
وعَقَدوا لكلِّ جارٍ ذمّـةً — وذمّـةُ المـال بهـم لا تنعقدْ
هم دبَّروا الأرضَ فلم يُعيِهـمُ — بثقلهـا تدبيرُها ولم يَـؤُدْ
ملوكُها اليـومَ وآباؤُهمُ — ملوكُها وما عـلى الأرض وَتِدْ
تمطّقوا(٥) السـؤدُدَ فى مهـودهم — من حَلَمٍ ما أرضعتْ من لم يَسُـدْ

---

(١) فى الأصل "جدّ الثرى" ، والوجناء الأجد : الناقة القوية الموثّقة الخَلْق . (٢) المقترف : المكتسب . (٣) المال عنـد أهـل البادية النَّعَم يذكر ويؤنث ، يقال : هو المال وهى المال .
(٤) وذيّة : حقيرة مبتذلة وفى الحديث « أمن أجل دنيا دنيّة وشهوة وذيّة » وفى الأصل " ودية " .
(٥) تمطقوا : تذوقوا .

وطوّحوا وهم جِذاعٌ فُصُـــلٌ[1] بالقارح البـازل والقَرْم[2] الأشَـــدّ
وكلّمـا نازعهـــم منـازعٌ سلّمَ مختـارا لهم أو مضطَهَدْ
ولا ومَنْ قاد الصِّعابَ لهُمُ وأوجدوا الفضلَ بهم وقد فُقِـــدْ ،
وأظهـرَ الآيةَ فى آشتباههـــم بأسا وجودا وعنـاءً وجَـــلَدْ ،
ما تَـــلِدُ الأرضُ ولو تحفَّلتْ مثلَ "كمالِ الملكِ"، والأرضُ تَلِدْ
رعَى بنى الدنيـا على آختلافهـــم منفـــردا بمـا رعاه مستبِدّْ
لا مستشيرٌ يُبصر الشـــورى له رأيا ولا متصِحٌ فيرتفِــدْ
وَحْدَةُ ذى اللِّبـدةِ، لا يُفقـــره غَنـاؤه بنفســـه الى العَـــدَدْ
تُحرِّم النـــومَ المبـاحَ عينُـــه إزاء كلِّ خَلَّةٍ حتى تُسَـــدّْ
لا مُغلَقُ[3] الرأيِ ولا مضطربُ الـ أحشاءِ تحت حادثٍ من الزُّؤُدْ[4]
اذا أصاب فرصــــةً لعزمـــه صمّمَ لا يســـوِّفُ اليومَ بغـــدْ
مبـارَكُ النظرةِ، مَن أبصره مصطبحا بوجهــه فقد سَـــعَدْ
لو صيغت الأيامُ من أخلاقـــه لم يعترضْها كدَرٌ ولا نَكَدْ
لم يُسِمه الملكُ "الكمالَ" أو رأى عن عفوه نقصانَ كلِّ مجتهِدْ
ولا أرادتـــه العـــلا أبًا لهـا إلا وقـــد أفلحَ منهـا ما وَلَدْ
أقرّ بالفضـــل له حاســـدُه ولو رأى وجـــهَ الجحـود لجحَدْ
أفقره الجـــودُ وإن أغنـاه أن ساد به، ولم يَسُـدْ مَن لم يَجُـــدْ
فلا يزلْ عـلى الزمانِ منكُمُ مسلَّطٌ يَفـــرِى الأمورَ ويَقُـــدّْ
ولا تَبـــدَّلْ بســـواكم دولةٌ أنتم عـلى أرجائهـا سِترٌ يُمَـــدْ

(١) فُصُل جمع فصيل وهو ما فُصِلَ عن الرضاع، وفى الأصل "فضل". (٢) القرم: الفحل.
(٣) فى الأصل "معلق". (٤) الزؤد: الفَزَع.

ولا رأى سريرُها وسرجُها مِن غيركم مَن يمتطى و يقتعِدْ

وكنتَ أنت باقيا مساوِقا بعمره وعزِّه شمسَ الأبَدْ

تَسبِي العطايا لك كلَّ حُرّةٍ لولا نداك لم تكن لتُعتَبَدْ

بِنتِ الخدورِ فى الصدورِ رضَعتْ ثدىَ النُّهى ونشأتْ من الكَبِدْ

لم تُمتَهنْ بلفظةٍ يلفِظُها من شرِّها السمعُ ولا معنًى يُرَدْ

يَرقِى بها ودَّ القلوبِ ساحرٌ ما شاء بالنفثةِ حلَّ وعقدْ

كل لسانٍ شَروىً مشتركٌ وهو لكم فى شعره فردٌ صمدْ

ما دار — مذ دار الكلامُ — ناطقٌ بمثلها ولا جرتْ فى الصحْفِ يدْ

تغشاك منها كلَّ يومٍ تحفةٌ نخبةُ ما قال الخبيرُ أو نقدْ

رآك دون الناس أولى بالذى بالغ فيه من ثناء واجتهدْ

ما نافقتك مِدحةٌ ولم يَقلْ فيك غلوَّ الشعرِ إلا ما اعتقدْ

* * *

وقال فى سرير

قام برِجْلٍ ومشى على يدِ ممترِيا للرزقِ من سيبِ يدِ

أهيفُ وهو فى السِّمانِ معرِقٌ وواحدٌ وهو كثيرُ العَددِ

يمدُّه حبلٌ ضعيفٌ فتلُه حتى يعودَ مُحكما ذا جلَدِ

يُشتِّتُ شملا كلّما فرّقه ألّفَ منه بين شملٍ بددِ

تُبصر من عِظامه وجِلدِه اذا اكتسى الَّلجَينَ فوق العسجد

* * *

وقال فى رمّانةٍ حمراء

ما أمُّ أولادٍ كثيرٍ فى العـــددْ (١) تُروِى رِضاعا وهى بِكرٌ لم تلدْ ؟
تبسِمُ عن عَذب الرُّضابِ باردِ لولا دمٌ يصـــبُغه قلت : بَرِدْ (٢)
أعجِبْ به ماءً زُلالا شَبِما (٣) تجمَعُـــه فى أُهُبٍ (٤) نارٌ تقِـــدْ !
يا حسنَهـــا مجموعةَ الشملِ ويا أضعافَ ما تحسُنُ والشملُ بددْ

* * *

وقال فى الغَزَل

" بالخَيْف " مُخطَفَةُ الحشا (٥) تهوَى الغصونُ لها القدودا
أخذَ الغـــزالُ نِفـــارَها وأعارها عَينـــا وجِيـــدا
أَلِفتْ مِطـــال عِداتهـــا (٦) يا ليتهـــا تعـــدُ الصدودا
نثرتْ مـــدامعيَ الفـــريـ ـدَ لنظمِ (٧) مَضحكِها (٨) الفريدا
قد كانـــ رثَّ (٩) هواى فابـ ـتسمتْ فردّته جـــديدا

* * *

وقال فى غرضٍ من أغراضه

أعانقُ غصنَ البانِ منها تعِلَّةً فأُنكره مسًّا وأعرفُه قـــدّا
وأعدِلُ لثمَ الأُقحوانِ بثغرها فأرزَقُه برقا وأُحرَمُـــه بَرْدا
فلله مَن لم أستعِض عنه غائبا ولم أر منـــه ظالمـــا أبدا بُدّا

---

(١) إشارة الى ما بالرمانة من كثرة الحَبّ . (٢) إشارة الى حلاوتها ولونها . (٣) الشبم : البـارد . (٤) أُهُب جمع إهاب وهو الجلد . (٥) مخطفة الحشا كناية عن نحول الخصر . (٦) عدات جمع عدة وهى الوعد . (٧) الفريد : الدرّ المنظوم . (٨) مضحكها : مبسمها . (٩) رثّ : بَلِيَ .

* * *

قافيـــة الـــراء

(٤٠)

وقال فى غرض وهى أول قوله

بِدِين الهوى إن صحَّ عَقدُك فى الهوى — أعن مَلَلٍ(١) فى الهجر أم كاشحٍ أغرَى؟

ألا قلَّما يقضِى من الحبِّ حاجةً — مُعنًّى بنفسٍ عُلِّقتْ حاجـةً أُخرَى

حلفتُ لئن كان الجفاء لغَـدرةٍ — لقد أبصرتْ عيناىَ من عينك الغدْرا

أقول لطيفٍ منكِ وسَّـدتُ خدَّه — يمينِىَ لمَّا جلَّ عن يدِىَ اليسرَى:

نُحولى الذى عاينتَ من هجـر ليلةٍ — فما ظنُّها بالجسم لو هجـرتْ عشرا

* * *

وقال فى مثله

ترنَّمتْ ترنُّم الأسيرِ — ورقاءُ فـوقَ ورَقٍ نضيرِ

تنطِقُ عن قلبٍ لها مكسورِ — كأنها تُخبرُ عن ضميرى

لبَّيكِ يا حزينـةَ الصفيرِ — إن آستجرتِ فبمستجيرِ

مثلكِ فى تبلُّدِ المهجورِ — قصَّ جَناحَى زمنى فطيرى

لكِ الخيارُ أنجدى أو غورى — وحيثما صار هواكِ صيرى

وإن أردتِ الأمنَ أن تجورى — فيمِّمى "بغدادَ" ثمَّ سيرى

أو حَوِّمى(٢) بربعها المعمورِ — مذ غاب فيه قمرى بالنورِ

عسى تقولين لأهل الحورِ: — وا وَحْشتِى بعدك للسرورِ

---

(١) فى الأصل "ملك". (٢) فى الأصل "أو حوى".

وقال يُعزِّى الشريفَيْن السيّدَيْن الرضىّ والمرتَضَى آبنى الطاهر أبى أحمد الموسوىّ عن خالهما أبى الحسين بن الناصر العَلَوىّ، وكان تُوفِّىَ بغْتةً

خُدَعُ الزمانِ مــودّةٌ من ثائرٍ ومُــنَى الحيــاةِ وتيرةٌ[1] من غادرِ
نغــترُّ بالباقيــن منّـا، والذى فَرَسَ[2] المقــدَّمَ رابضٌ للغـابرِ
واذا ذوَى من دَوحــةٍ غصنٌ فيا سَرْعانَ ما يُــودِى[3] بآخرَ ناضرِ
يا عاشقَ الدنيـا، النجاءَ فإنّهـا إن ساعدتْ وصلَتْ بنيّـــة هاجرِ
لا تخــدَعنّك بالسرابِ فلم تدع ظنًّا يُرَجِّم فيــه وجهُ السافرِ
واردد لحاظَك عن زخارفها تفُزْ، إنّ البــلاءَ موكَّلٌ بالنـاظرِ
خَذَل المحـــدِّثَ نفسَـــه بوفائها تصريحُها بالغدرِ فى "آبن الناصرِ"
مشت المنونُ اليــه غيرَ محصَّنِ[4] الـ ـجَنَباتِ وآغتالته غــيرَ محاذرِ
ولو آنتحتْــــه لأنذرتْه وإنمـا شبُّ الفجيعــةَ أن أُصيبَ بعاثرِ
صَرعتْه مســبِلةَ الكِمامِ[5] وإنمـا يقع التحفُّظ من ذِراعَىْ حاسرِ[6]
لم يُجْــدِهِ البيتُ المطنَّبُ بالكوا كبِ والمعمَّـــدُ بالهلالِ الزاهرِ
والنسبةُ العليـاءُ إن هى شُجِّــرتْ زلقتْ معارجُها بكلِّ مُفاخرِ
وعصــائبٌ مضريّةٌ قرشــيّةٌ خُلقـــوا لحفظِ وشائجٍ[7] وأواصرِ[8]
يتراكضون الى تنجُّـــزِ ثأرِهم ولو آنه عنـــد الغمامِ السائرِ
مــن كلِّ أبلجَ منكباه لواؤه بضفيرتَيْـــه السمهريّةَ ضافرِ

(١) الوتيرة : الريْث والإبطاء وفى الأصل "وثيرة". (٢) فَرَس بمعنى آفترس، والغابر : الحاضر. (٣) فى الأصل "يولى". (٤) فى الأصل "محض". (٥) الكمام جمع كم. (٦) الحاسر : المكشوف الذراعين. (٧) الوشائج جمع وشيجة وهى المشتبكة المتصلة. (٨) الأواصر جمع آصرة وهى العطف من قرابة أو رحم أو صهر.

بَرْدُ النسيم اذا تربّع عنده ... حَرُّ الهجير اذا عرا فى "ناجرِ"

أَنِسٌ بأسبابِ الطلابِ كأنّه ... ولو آمتطى النكباءَ(١) غيرُ مُخاطِرِ

كلّا ولا أغشته عفّةُ نفسه ... عن عاجلٍ يُرضِى سواه حاضِرِ

ولقاؤه شهواتِهِ ببصيرةٍ ... معصومةٍ عنها وذيلٍ طاهرِ

نرجو لصالحنا تطاوُلَ عمره، ... تعبٌ رجاءُ ولادةٍ من عاقرِ

لو خُـلِّد آبنُ البرِّ أو أمِنَ الردى ... لعفافه لم يولَد آبنُ الفاجرِ

أو كان يَسلم بالشجاعة ربُّها ... لم تطوِ مقبورا حفيرةُ قابرِ

بالكُرهِ فارق سيف "عمرٍو"(٢) كفّه ... وتقلّصت عن رمحه يدُ "عامرِ"(٣)

سقت الغيوثُ "أبا الحسين" ثراك ما ... سقت "الحسينَ" أباك عينُ الزائرِ

ومن الغرام وفيه ماءٌ هامعٌ ... منه دُعاىَ له بماءٍ قاطرِ

أبكيك لا ما تستحقّ، وجهدُ ما ... تسعُ الصبابةُ أن تسيلَ محاجرى

وأشارِك النـوّاحَ فيك بأنّنى ... أرثيك(٤) فالتأبين نوحُ الشاعرِ

وأَمَا وبدرَىْ "هاشمٍ" ولَدَيْكَ ما ... مبقيهما ذكرا له بالداثرِ

---

(١) النكباء: الريح آنحرفت عن مهبّ الرياح. (٢) يشير الى عمرو بن معد يكرب وهو من شجعان العرب المشهورين بالبأس فى الجاهلية وقد أدرك الإسلام فأسلم ثم آرتدّ بعد وفاة النبيّ ثم أسلم وقد سأله عمر آبن الخطاب عن الحرب فقال: مرّةُ المذاق، اذا قلّصتْ عن ساق، من صبر فيها عُرِف، ومن ضَعُفَ عنها تلِف؛ وسأله عن السيف فقال: ثمّ قارعَتْك أمّك عن الثُّكل. (٣) يشير الى عامر بن مالك وهو أيضا من شجعان العرب المعدودين وكان يُسمّى "مُلاعب الأسنّة" وسُمّى بذلك لقول أوس آبن حَجَر:

ولاعبَ أطرافَ الأسنّةِ "عامر" ... فـراحَ له حـظُّ الكتيبة أجمعُ

(٤) هذه الكلمة غير موجودة فى الأصل وقد طاف بنا خاطر ونحن نصحح هذا البيت لابأس من إيراده وهو

وأُشارِكُ النُّـوّاحَ فيك بأنّى ... فى الشعر فالتأبينُ نَوحُ الشاعرِ

إن لا يكونا نسـلَ ظهرِكَ فالذى — نشراه بابن الظَّهر ليس بناشرِ (١)
و إذا الفتى ضَعُفتْ مؤازرةُ آبنـه — فى الأمر فابنُ الأختِ خيرُ مؤازرِ
أبواك وآبنـاك الفخارُ بأسرِهِ — والمجـدُ يورَثُ كابرا عن كابرِ
لا تحسبَنَّ الموتَ راع حماهما — فالسارقُ المغتالُ غـيرُ القاهرِ
أقسمتُ لو لِحقَاك قبـلَ وصوله — ما كان بينهما عليك بقادرِ
مَن مُبلِغٌ حَيًّا يُجمِّعُ عِزُّهُ (٢) — غُرَّ بَنِى حُسامِ بنى "الحسين" الباترِ ،
صـبرا ، و إن فُرِكُ (٣) العـزاءُ فإنّه — كنزُ الثوابِ ذخيرةٌ للصابرِ
هو حُكمُ عـدلٍ لا يُرَدُّ وكان ما — يَهِنُ (٤) القلوبَ لو آنه من جائرِ
حفِظَ العـلا لكما مشيِّدُ عرشِها — بكما فلا معمورَ بعـد العامرِ
واذا جَرَتْ ريحُ الحوادث عاصفا — فلتنحرِفْ عن ذا الخِضَمِّ الزاخرِ
وكفَى حسـودَكما الشقىَّ علاجُهُ — غيظ الهجينِ من العتيقِ الضامرِ
لا غرَّنى منـه السكوتُ فإنه — خوفَ العقابِ سكينةٌ فى نافرِ

✦ ✦ ✦

وآتخذ بعضُ أصدقائه من أولاد الرؤساء الكُتَّابِ فى داره بيتا للخَيْش (٥) فى وسطه بركة مثمَّنةٌ ، قد نُصبتْ فيها صَومعةٌ للحركات مُربَّعةٌ ، لها أربعُ منائرَ مجوَّفةٌ فى جوانبها الأربعـة ، يتوسَّطُها عمودٌ عالٍ فى صورة الأسطوانة ، ينزل اليه المـاءُ من حَوض

(١) ناشر بمعنى منشور ، وهذا البيت و رد فى الأصل هكذا

إن لا يكونا نسل طهرك فالدى — نشراك يابن الطهـر ليس بناشر

(٢) هذا الصدر و رد فى الأصل هكذا

* من مبلغ حيلى بجمع غره *

(٣) فرك : كَرِهَ . (٤) فى الأصل "جابر" . (٥) قوله : للخيش أى لمروحة الخيش وهى نسيج كشراع السفينة ، يعلّقها أهلُ العراق فى سقف البيت مبلولةً بالماء ، و يعملون لها حبلا يجذبونها به فيهبُّ منها نسيمٌ عليلٌ يُذهب أذى الحرِّ .

مُشرِف مرفوعٍ بناؤه على سمـاء البيت ، مصوّب اليـه بالحركاتِ ، حتى اذا آستقرّ المـاءُ فى قرارِ البركة فاضَ منه ثمّ من الأربعةِ الجوانبِ فيضا يعلو حتى يكادَ بفضـلِ قوّته يلحَقُ بسقف البيتِ ، وقد عُملتْ لها تماثيلُ من الصُّفْرِ(١)، يُسمّى كلُّ واحدٍ منها باسمٍ ، فتؤخذُ آلتُهـا فتركَّبُ على ذلك العمود الأوسط ، ثم تُدارُ بحركةٍ من الحركاتِ فترُشُّ المـاءَ على سائر من يحويه البيتُ أو يقاربُهُ ؛ فمن التمـاثيل صورةٌ تُسمّى "الخَرْكاة"(٢)، اذا نُصبتْ وأديرتْ تَشَكَّلَ المـاءُ عليها بشكلٍ "الخَرْكاةِ" وبقىَ معلّقا لا يغيضُ ولا يسيلُ حتى تُقطعَ حركتُها ، ويوضع عليها من جوانبها الشموعُ اللّطافُ المسرَّجةُ ، فتدور فيها من غير أن تطفئها ؛ ومنهنّ صورة تُسمّى "العَروس" يُحملُ لها ذلك العمودُ كالكرسىِّ ، فتدور راقصةً عليه ، وتُوصِّلُ فى دورانها المـاءَ الى رأسها بيدها ؛ ومنهنّ صورةٌ تُسمّى "الجَمَل" على هيئته ، اذا نُصبتْ سارت مسيرَهُ بالمـاءِ المحرِّكِ لهـا ، ومنهنّ صورة سَمّوها "الطَّنبَلَنب"(٣) فى هيئةِ رجلٍ ناشبٍ ، اذا نُصبتْ وأريد بعضُ حاضرِى البيتِ بالبلَلِ ، صوّبَ سهمهُ ذلك اليه فأصابه ، فكيفما هرول لينجُوَ منـه كان المـاءُ تابعا له ما دام فى عَرْصَةِ البيتِ ، ثم يخرج المـاءُ من هـذه البركة الى بُستانٍ فى صحن الدارِ متناهٍ فى الحُسْن ، فيه صنوفُ النخلِ والسَّرْوِ وغير ذلك من الشجر وأنواع الرياحين والزَّهر ، ما يروق مثله ! وهواءُ هذا البيت مجلوبٌ من "بادَهَنْج"(٤) قد شُيّد على سطحه مفتوحِ الجناحيْن لمهبِّ الجَنوبِ والشَّمالِ ، فدخل

(١٤٢)

(١) الصُّفْر : النحاس . (٢) الخركاة [كما ورد فى محيط المحيط] بالفارسية القبة التركية و يقال فى تعريبها : خَرْقاهَة ، وقد وردت فى شعر مهيار بالهمزة كما سيجىء . (٣) الناشب الذى يحمل النُّشّابَ وهى السهام . (٤) البادهنج : المَنفَذُ الذى تجىء منه الريحُ ، وسماه بعضُهم "راووق النسيم" وقد قال فيه أبو الحسن الأنصارىّ

ونفحة "بادهنج" أسكرتنا وجدتُ لروحها بَرْدَ النعيمِ
صفا جَرْىُ الهوا فيـه رقيقا فسمَّيناه "راووقَ النسيمِ"

مهيارُ رحمه الله على هذا الصديقِ ذات ليلةٍ، فسأله التعريجَ الى هـذا البيتِ والنظرَ الى عجائبه ففعل، ولما نُصبتْ التماثيلُ وجاءت النوبةُ الى المعروفِ "بالطنبلنب" رُكّبَ نحوهُ وصُوّبَ إليه فبلّ ثيابَه، وكان فعلُه فى قلّةِ نفع الفرارِ منه على ماقدّمناه؛ فعند ذلك سئل ذِكْرَ البيتِ وما حواه ووصفَ الدارِ والبستانِ والبركةِ والبادهنج، فقال واصفا الحال بما يزيد حلاوةً، ويروق موضعُ الإصابة فيه عند مُشاهدةِ الموضع، وممازحا للرَّجُلِ بغرامة ما بلّه من ثيابه

نديمى وما الناسُ إلا السُّكارَى	أدِرْها ودعنى غـدًا والخُمـارا
من العجـزِ تركُ الفتى عاجلًا	يَسُـرُّ لأمرٍ يُخافُ آنتظارا
وعَطّلْ كؤوسَـك إلا الكبيرَ	تجِدْ للصـغيرِ أُناسا صِغارا
وقـرِّبْ فـتًى مائةٍ[1] أو يزيـ	ـدُ قد أُكِلَ الشيبَ إلا الوقارا
تُسِـرُّ المَسَـرّةَ أحشاؤه	ويُـبْرِزُ للعين طينا وَقارا
لصونٍ سـواه رأيتُ الغـلا	مَ ينفُضُ عن كتِفَيْه[2] الغُبارا
وذى مِـبزَلٍ[3] كزنادِ المكبِّ	يَقـدَحُ بالبَزْلِ منه شرارا[4]
فسلّ من النار فى وجهه	لسانا، فأمسك فاهُ حِذارا
وخادعَهُ عن خَلوقيّـةٍ[5]	تُذوِّبُ فى كأسها الجُلّنارا
جَنَتْ فقرَ شُرّابِها المسلمين	وأغنت "بعُمَّى"[6] اليهودَ التِّجارا
عَقرْنا البُدور[7] لهم فى المهو	رِ حتى جلَوها علينا عُقارا
يطوف بها عاطلُ المِعصَمين	يُلبِسُهُ الجامُ منها سِوارا

---

(١) يريد بفتى مائة : الدَّنّ . (٢) فى الأصل "كفَيه" . (٣) المبزل : الحديدة التى يفتح بها الدنّ . (٤) قال القاموس : شِرار ككتاب واحدته شرارة بكسر الشين وورد بهذا الضبط أيضا فى محيط المحيط وفى أقرب الموارد، وقال المرتضى : الصواب أنه كسحاب وهو ما تطاير من النار . (٥) خلوقية : نسبةٌ الى الخَلوق وهو نوعٌ من الطِّيب . (٦) عُمَّى : قرية من نواحى بغداد . (٧) البدور جمع بَدْرة وهى الكيس يسع عشرة آلاف درهم .



شفيقٌ على الحبِّ من غيره ... اذا قلت : ما أحسن البدر غارا
ولا ومُقبَّلِهِ ما فَرَقْتُ ... أريقتُه الخمرُ أم ما أدارا
هنيئا لِلَهْوِىَ إنّى خلعـ ... ـتُ حلمى له وتركتُ الوقارا
وصرتُ فتى غَبَقاتِ الملوك(١) ... عشيًّا ، أخا النشواتِ آبتكارا
ودادِىَ والدهرُ ما دامَ [دام](٢) ... وشعرِىَ والنجمُ ما سارَ سارا
وفيحاءَ من دورهم(٣) زرتُها ... وأخلِقْ بها جنّةً أن تُزارا
تَلجلَجَ فى وصفها المحدّثون ... وحُدِّثَ "رِضوانُ" عنها لحَارا
تعـرَّبَ قاسمُها عادلا ... فخطٌّ وتحسبه العينُ جارا
صُحُونا طِوالا كما تقتضى ... شجاعتُنا وخصونا قصارا
وشَقَّ لبستانها عن ثرًى ... اذا طلَع النبتُ فيه أنارا
وقد بثَّ(٤) فى ظلّ شجرائه ... عُيونَ الأذَى رِقبةً(٥) وآستتارا
تخفَّـرَ(٦) منها بمسلوبةٍ ... سوى ورَقٍ أُلحقَتهُ(٧) إزارا
من الهِيف حين يجورُ النسيمُ ... على غصنها لا تُطيق آنتصارا
نحولٌ عرضتُ له بالسّمانِ ... وصُغرَى تجنّبتُ منها كِبارا
ومنشورةٍ سترَتْ نفسَها ... فخاطت قميصا ولاثت خمارا
وعزّتْ فصانت سوى ساقها ... وما إن أباحته إلا آضطرارا
تُشمِّر عنه جلابيبَها ... لعادته أن يخوضَ الغِمارا
فكادت تُواريه ضنًّا به ... ومن حسنها أنّه لا يُوارَى

(١) غبقات جمع غَبْقة وهى شُرب العشىّ .
(٢) هذه الكلمة غير موجودة فى الأصل و يقتضيها السياق .
(٣) فى الأصل : "دونهم" .
(٤) فى الأصل "بات" ولا نظنها تؤدى المعنى .
(٥) فى الأصل "فيه" وهو تحريف .
(٦) تخفّر : آستجار ، وفى الأصل "تحمّر" .
(٧) فى الأصل "ألحقته" .

تُشكّكُنى وهى طـوع الريا ح نَتْبعُها يَمْنَــةً أو يَسـارا

أتدنـــو لتُســعفَنى بالجنـا ق فى مثلهـا أم تصدُّ آزورارا ؟

وتجلو عليـك بنـاتِ الفسيلِ(١) اذا كَسيتِ السَّــعَفاتُ الثّمـارا

غــدائرُ غيــدٍ يُضفّرنَهـا وتأبى عليهنّ إلا آنتشارا

جلبنا له(٢) المـاء من شـاهقٍ جزانا بحسْبِ الصعود آنحدارا

وما سال حـتى أسلنـا اللُّجينَ ولا عَزَّ حـتى أهنَّا النُّضـارا

اذا ما تحـلّق مسـتعليـا تَعلّقَ بالطبـع يبـغى القـرارا

فثـــوّرَ خمسـا اذا ما نطقنَ بأخبارِهِ خِلتَ نقعا مُثارا

اذا جادهنّ تدّى جُــدْنَهُ وإن فـرّ طِرْنَ إليه نِفارا

هوينَ الأمانةَ حـتى آجتهـد نَ ليقضينَهُ ماءَه المسـتعارا

تَروسُ(٣) عليهنّ فى وسْطِهنّ كُبرَى تعـولُ بنـاتا صِـغارا

برزنَ يُخيَّلْنَ للنـاظرين صوامعَ من حولهـا أو مَنـارا

اذا سـدَّدتْ لطعانٍ قنًا(٤) حذفْنَ اليهـا نُصولا طِـرارا

حوتْهنّ معجـزةُ الآيتينِ تجـودُ الحيـا وتُمـدُّ البحارا

فمن بينِ خَرْكاهَ مضروبةٍ على تلعــةٍ حَملتْهـا آغـترارا

تـولّى مجَاريَهـا فوقهـا من المـاء سمحٌ كريمٌ نجِـارا

اذا ما أُديـرَ لهـا مرّةً لتُعجبَ جادت فدارتْ مرارا

لهـا آيةٌ لم تكـن قبلَهـا ولكن ظَهَرنا عليهـا آقتـدارا

ترى ظلّهـا جامــدًا مائعا وتحمـلُ ضدّينِ ماءً ونارا

---

(١) الفسيل جمع فسيلة وهى الصــغيرة من النخل ويريد بنات الفسيل النخل . (٢) الضمير فى " له " عائد الى البستان فى قوله * وشقّ لبستانها عن ثرًى *
(٣) تَروسُ : تتبختر . (٤) فى الأصل " قنى " .

ومثلِ العروسِ "عروسٌ"[١] تُديمُ ... يداها على منكبيها الشّارا

اذا ما جَـلَوها أبتْ حِشـمةً ... بكرسيِّها أن تُطيق القَرارا

طلبنا لها الكُفـءَ من قومها ... فعزَّ وكان سوى الكُفـء عارا

فعـدنا نزُرُّ[٢] عليهـا السُّجوفَ ... فترضى بهـا عفـةً وآختفارا[٣]

وكالظبيِ يُظلَم باسم الجمـال ... فيطغَى إباءً ويُغضِى آغتفارا

ويُزبِـدُ فـوه لُغـاما[٤] اذا ... تفرّق عن شَفَتيْه آستطارا

يسـير رويًّا[٥] اذا ما آغتـدت ... كبودُ المطايا عِطاشا حِرارا

ولولا الذى فعلَ "الطُّنْبَلَنْبُ" ... لقـد أنجدَ المدحُ فيـه وغارا

ولكنّه خافـرٌ للـذما ... مِ جاورتُهُ فأساءَ الجـوارا

بغـانى فـلم أنجُ مع نَهْضَتى ... ورحبِ خِطَائِيَ[٦] منـهُ فِرارا

رمانى فأصمَى بسهمٍ له ... يدور مع المتَّـقِى كيفَ دارا

اذا هـو فَوَّقَـهُ للثيـا ... بِ ألقَى جروحا تُضِلُّ السِّبارا

فأردَى ردائى وجاءت اليـ ... ـك دُرّاعتى[٧] تبتـغى منكَ ثارا

قتيلى لديكَ فـلا تذهبنَّ ... عليـكَ دماءُ ثيابى جُبـارا[٨]

وبيتٍ اذا الدهرُ ضامَ الشتاءَ ... تعـوَّذَ منـه به فاستجارا

صحِبتُ[٩] الخريفَ به فى المصيف ... وذكَّرنى الليـلُ فيه النَّهـارا

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ويقتضيها السياق لقوله فى النثر الذى تقدّم وصفا لما قيلت بسببه هذه القصيدة: "ومنهن صورة تسمّى العروس". (٢) فى الأصل "نريها". (٣) فى الأصل "وآحتقارا". (٤) اللغام: زبد أفواه الإبل. (٥) فى الأصل "عوبا". (٦) الخطاء: جمع خطوة، وقد ورد فى الأصل هكذا "ورحت خطاى". (٧) الدُّرّاعة: جُبّة من صوف. (٨) هذا البيت ورد فى الأصل هكذا

فىلى بدىك فلا تذهبن ... * ... عليـك وما ساى حبارا

(٩) فى الأصل "صبحتُ".

وأهـــدَى الهواءَ له ناشـــرٌ | جناحين لو حَمَــلاه لطارا
تنصّتَ للـــريح مستفهما | بأذنين لا يحملان السِّرارا
اذا عَـــبَرتْ مطلَقاتُ الريا | ح يسلُكْنَه ظِلْنَ فيه أسارى
فتلفِظُ منها السُّمومُ[1] الشـــرارَ | ويُلقِى الينا النسيمُ الجِبارا[2]
غرائبُ روَّضتَ يا آبن الكرام | برأيك منها الشُّموسَ النَّوارا[3]
وباهلتَ بالأرض فيها السما | ءَ فآعترفت خجلا وآنحصارا
وقبَّحتَ في جنبِ تحسينها[4] | بأعين أربابهن الديارا
فلو "صاحبُ السَّدِّ"[5] لاحت له | تبيّن فيما بناه العَوارا
وقيستْ "لكسرَى" بإيوانه | قَلاهُ ولم يُعطَ عنها آصطبارا
أرتــك بدائعَها هِمَّـــةٌ | تُهينُ عليـك العظيمَ آحتقارا
وفضـــلٌ يُجلّيك[6] يومَ الرِّها | نِ مَنْ لا يُبِــذُّ[7] ومَنْ لا يُجارَى
فأُقسِمُ بالله لو أنصـــفو | كَ قِسْما ورَدُّوا الىَّ الخِيارا
لما كنتُ أرضَى لك الخافقيـ | ـن مُلكا ولا جَنَّةَ الُخلد دارا

⁂

وأنفذ اليه أبو القاسم سعدُ بن الكافى الأوحد هدّيةً مقترنةً بهديّةٍ من أبيه، وكتابا يعتذرُ فيه من التقصير عمّا فى نفسه من قضاء حقّه، فكتب اليه

بُلِّغتُ صبرا فقـالت : ما الخبرْ | قلتُ : قلبٌ سِيمَ ذلّا فنفـــرْ
لا تعـــودى فى هَوًى ظالمـــةً | ربّمـا عاذ بحِـلمٍ فانتصرْ

(١) السُّموم جمع سَمّ وهو الثقب . (٢) الجبار : الأثر . (٣) الشموس النوار : الممتنعة النافرة . (٤) فى الأصل "تحصيابها" ولو راعينا التحريف لعلها تكون تحصينها . (٥) فى الأصل "البيد" . (٦) فى الأصل هكذا "وفضل تحملك" . (٧) فى الأصل "يند" .

نظرةٌ أعرضتُ عنها أعقبتْ … غضبا آذنَ للقلب النظرْ
أرهفتْ سيفينِ فى أجفانها … كلَّ مَنْ غَرًّا يبتْ علَى غَرَرْ (١)
أقسمتْ مَن جَرحاه لا براءٌ (٢) … يا طبيبي متْ ودائى فى الحَوَرْ
أرسلتْ ليلةَ صدّتْ طيفَها … ناظرا أين رقادى من سَهَرْ
قال : حيّانى ، فقالت : نائما … طرفُه؟ قال : نعم ، قالت : غَدَرْ
يا هَوَى حسناءَ! ما شئتَ لها … من فؤادى ، غيرَ ذلٍّ وخَوَرْ
رُبَّ يومٍ باهلتْنى بالصِّبا … وصَغارٌ عندها حظُّ الكِبَرْ
وتنكَّبتُ (٣) مُدِلًّا وَفْرةً (٤) … نَشَرَ العنبرَ عنها مَنْ ضَفَرْ
فرأت شَيْبا فقالت : غُيِّرتْ … قلتُ : ما كلُّ شبابٍ فى الشَّعَرْ
غُيِّرت بيضاءَ فى سودائها … قلتُ : مهلا! آيةُ الليلِ القمرْ
ما لغزلانٍ تصافينى الهوى … ما آستطاعتْ وأُجازيها (٥) الكَدَرْ
أنِستْ إذ يئستْ من قَنَصى … فآستوى ما قرَّ منها ونفَرْ
وهل "الزَّوراء" إلا وطنٌ … يخدعُ الشوقَ وفى أخرى الوطَرْ؟
يا نداماىَ بها النِّسيانُ لى … ولكم منِّى حِفاظى والذِّكَرْ
كلَّ يومٍ أنا أبكى منكمُ … صاحبا بالأمس بقَّانى ومَرّْ
إنّ فى "الرَّىِّ" و"سعدٍ" عِوضًا … كلّما قايستُ طابَ وكَثُرْ
سوف أنجو راكبا إحسانَهُ … كلُّ مركوبٍ سوى ذاك خَطَرْ
ساريا أجنُبُ كُبْرَى هِممى … أطلبُ المرعَى لها حيثُ المطَرْ
خاب من رام المعالِى حاضرا … والأمانِى فى كَفالاتِ السَّفَرْ

---

(١) هكذا بالأصل ، وعلى هذه الصورة يكون قد دخل على هذا الشطر "الكفُّ" وهو واقعٌ فى كلمة "عَلَى" والكفُّ حذفُ السابع الساكن وهو عيبٌ . (٢) يريد لا برأ . (٣) تنكّبتُ : ألقيتُ على مَنكِبى وهو مجتمَع رأس الكتف والعضد . (٤) الوفرة : الشعر المجتمع على الرأس . (٥) فى الأصل "وإجارتها" .

ما الغِــنَى والمجــدُ إن زرتَ فتًى ذا تنــاهٍ وهـــو ناءٍ لم يُزَرْ؟
لا تباعـــدْهُ الليـالى إنّه أملٌ بين "جُمادَى" و"صفرْ"
بأبى السـاقى وبالغيثِ صــدًى والفتَى الحلوَ الجنَى والشُّهدُ مُرْ
عَلِمتْ أعــداؤه أمــوالَه لَمَمًا[1] يمنعها[2] أن تَســتقِرْ



يافعٌ مكتهِلٌ من حلمــه للصِّــبا السنُّ وللرأيِ[3] الكِبَرْ
يا أبا "القاسمِ"[4] صـابتْ[5] نِعمةٌ لك لم يعــدُ بهـا الغيثُ الزَّهَرْ
لم أزلْ أصــبرُ علمـا أنه أبدا يُعقِبُ خيرا من صَبَرْ
ناظـــرا عادَكُمُ[6] فى مثلهـا جَنَّـــةٌ لى من عذابٍ منتظَرْ
كان جُرحا جائفا[7] فٱندملتْ قرحـــةٌ منــه وكَسرٌ جُــبِرْ
يا ملوكَ "الرَّىِّ" هــل داركم الـ ـأرضُ طُرًّا أم تعولون البَشَرْ؟
وَسِعَ النـاسَ جميعا جــودُكم فٱستوى من غابَ عنكم وحَضَرْ
واصلَتْ شاعرَهم نُعمَى لكم لم تدعْ مفحَمَهم حتى شَــعَرْ
حلِّ[8] يا "سعدَ العلا" بَهماءَها[9] مِن قَبولٍ بحُجولٍ وغُرَرْ
وٱجلُ لى أُخرَى على الكافى متى آحْـ ـتشمتْ منــه حيـاءً وخَفَرْ
عرفَتْ منّــكَ فيما قبلَهـا فأتتْ واثقـــةً تقفـــو الأثرْ
حاجـــةٌ تمّتْ ووافَى حظُّها حين نبَّهتُ لهـا منك "عُمَرْ"[10]

(١) اللم : الجنون . (٢) فى الأصل "تمنعها" . (٣) فى الأصل "والرأى" .
(٤) فى الأصل هكذا "ياباقسم" . (٥) صابت : مطرت . (٦) عاد جمع عادة .
(٧) جائفا : بالغا الجوف . (٨) فى الأصل "خلّ" . (٩) البهماء : السوداء .
(١٠) لعلّه يشير بذلك الى قول بشار بن برد مادحا عُمَر بن العلاء :

اذا دهمتك عظامُ الأمور * فنبِّهْ لهـا عُمَـــرا ثمّ نَمْ

وفى رواية : اذا أيقظتك حروبُ العدا * فنبِّــهْ لهـا عُمَـــرا ثمّ نَمْ

* * *

وكان فخرُ الملك ليلةَ أنشدَه القصيدةَ اللاميّة التى أوّلُها

* أروم الوفاءَ الصعبَ بالطلبِ السهلِ *

خلع عليه خلعةً نفيسةً، وأتحفه ببعضِ ما فى مجلسه من التحايا والألطاف، ثم وصل فخرُ الملك الى حضرة أمير المؤمنين القادر بالله رِضوانُ الله عليه مستخرِجا خلعةً ولواءً للملك سلطان الدولة، فقُــدِّم وأُكرِمَ وبلغَ من التمييز الى غايةٍ لم يُدركها أحدٌ من نظرائه، ونُوِّه باسمه فى الخطاب والتلقيب، وقُلِّد سيفا مُحلًّى بذهبٍ تشريفا له، فقال يَذكُرُ ذلك، ويهنّئه بمكان المِنحةِ، ويَذكُر ما أتاه اليه، ويشكره عليه، ويسأل مُعاوَدة الرسم فيه، وأنشدها فى يوم المهرجان

فَكاكُك أيّها القلبُ الأسيرُ غدًا، لوقال حادى الركبِ: سِيرُوا

عسى الأظعانُ تُطلِعُ إن أثاروا هلالًا كان تكفُره الخــدورُ

وإن أخــذوك أنتَ وخلَّفونى فسِرْ معَهم فذاك لهم يَسيرُ

تَعلَّقْهم عساهم أن يُذِمُّوا[1] عليك من الصبابة أو يُجيروا

لِمَن شَدَنيّةٌ[2] سبقتْ عِجالًا فما تدرى أتقصِدُ أم[3] تجورُ؟

يخوض الليلَ سائقُها أنيسا بآيةِ : لاحَ بين يديه نورُ

وكيف يَخاف تيهَ الليلِ ركبٌ تَطلَّعُ من هوادجه البدورُ

يناجزُ فى الوَداعِ معاتباتٍ لهنَّ كبودُنا وانا الزفيرُ

أكنتَ معى بعينٍ أم بقلبٍ "برامةَ" والعيونُ إلىّ صُورُ[4]؟

---

(١) أن يذمّوا عليك : أن يأخذوا عليك الذمّة . (٢) الشدنيّة : الناقة المنسوبة الى موضع باليمن أو الى فحل من كرام الإبل . (٣) فى الأصل "أو" . (٤) صور : مائلة .

غداةَ أقولُ — وآبتهجتْ جِبَاهٌ[1] عطفنَ علىّ وآبتسمت ثغورُ — :
أمَا من قُبلةٍ فى الله؟ قالوا : متى حَلّتْ لشاربها الخمورُ؟
وقارَكَ وآلتفتْ تَرهُنّ بيضًا، كَبِرتَ! فقلتُ : مِسكينُ الكبيرُ
ألَا يا صاحبىَّ تمليّانى، أطاعَ إبائىَ[2] وآعتدلَ النَّفورُ
أرى كبدى وقد بَردتْ قليلا، أمات الهمُّ أم عاش السرورُ؟
أم الأيامُ خافتنى لأنّى "بفخر الملك" منها أستجيرُ؟
ذرانى، عاد إصلاحى يسيرًا ويَفعَمُ بعد ما نضبَ[3] الغديرُ
طغَى أملى وطال قصيرُ باعى ويَنْمِى الشيءُ أوّلُه حقيرُ
ولا تتعجّبا من خِصب رَبْعى فرَبعى بعضُ ما جاد الوزيرُ
ولكن بإيماءٍ[4] عن لسانى فإنّى حين أَعجِزُ أستشيرُ
ظهورُك آيةٌ لله صحّتْ بها الأديانُ وآشتفت الصدورُ
وزالت شُبهةُ المرتابِ[5] فى أن تُكشِّفَ عن ضمائرها القبورُ
رآك وميّتُ الآمال حىٌّ بجودك والندَى الأعمى بصيرُ
فآمنَ "بالمسيح" وآيتيه وأنْ نشأتْ من الطّين الطُّيورُ
وأيقنَ أن "موسى" شقّ بحرا بأن شُقّت بكفّيك البحورُ[6]
ولمّا أن أتيتَ على فتورٍ وبابُ ضلالةِ الأمم الفتورُ[7]،
وأبصرَ قبلك الماضين مرّوا ولمّا تنتظِمْ بهم الأمورُ،



(١) فى الأصل "حياة". (٢) يريد إبائى. (٣) فى الأصل "نضت".
(٤) فى الأصل "بإنعاء". (٥) فى الأصل "المرتات". (٦) يشير بذلك الى قوله تعالى (وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْئَةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِى وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى). (٧) يشير بذلك الى قوله تعالى (فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ).

صبا "لمحمّدٍ" وأطاع فيه ... وقال: الرُّسْلُ خيرهم الأخيرُ
أقول بمعجزاتك لا غُلوًّا ... وكاتمُ نعمةِ المعطِى كفورُ
إذا الأسماء أُلزِمتِ المعانى ... فأنت الحقُّ والوزراءُ زورُ
رأيناهم وكلُّهُمُ شُكولٌ ... مُصلّيهم[1] لسابقهم نظيرُ
بكَ انتصر الملوكُ [وأنتَ[2]] فيما ... دَعوْك لنصره نِعمَ النصيرُ
فأنت الليلةُ القَمراءُ بانت ... على الأخَواتِ واليومُ المطيرُ
حميتَ كبيرَهم إذ حُمَّ وقتٌ ... تحوطُ بهِ وقد كَبِرَ الكبيرُ[3]
وماتت دولةٌ فأقمتَ أخرَى ... فلا موتٌ عصاك ولا نشورُ
وباشرتَ الخلافةَ فاطمأنّتْ ... على أمرٍ ومطلبُه عسيرُ
ويومَ[4] العهدِ والوافى قليلٌ ... أطاعك مِنبراها والسريرُ
ألينَ عليك مُعجَمُها المُعاصِى ... وخَفَّ إليك مجلسُها الوقورُ
درَى "الفِهرىُّ" حين أسفَّ قومٌ ... وطِرتَ بأىّ قادمةٍ تطيرُ
رآك بهَدْيِهِ بخزاك خيرا ... وقد يتفرّسُ الرجلُ البصيرُ
وأعطاك التى نشزتْ[5] قديما ... وإن هى أُغليتْ فيها المهورُ
وأفرشك الكرامةَ لم يدُسْها ... جبانٌ[6] فى الملوك ولا جسورُ
مقالا فى اصطفائك واعتقادا ... يُحيلُ على اللسان به الضميرُ
وقلّد سيفَه بيدَيْه سيفا ... طويلُ نجادِهِ عنه قصيرُ
حساما كان "للمنصور" حِصنا ... ولم يكُ للمدينة بعدُ سورُ

---

(١) المُصَلِّى: الجواد يأتى فى الحلبة ثانيا. (٢) هذه الكلمة غير موجودة بالأصل فرجّحناها ليستقيم بها المعنى والوزن. (٣) كبر: أسنّ وهرم وقد ورد هذا البيت فى الأصل هكذا

حيث كبيرهم أو حم وقتٌ ... تحوط أو كبر الكبيرُ

(٤) هذه الكلمة فى الأصل "بو". (٥) فى الأصل "نشرت". (٦) فى الأصل "جنان".

وصاحَبَ بعـده الخلفاءُ تِرْبا رفيقا حين يجلِسُ أو يثورُ

تـذِلُّ له المنابرُ يرتقيها وتألفُـه المناكبُ والجحورُ

وما كفؤٌ له لولاك كفؤا ولكنّ الذُّكورَ لها الذُّكورُ

أميرُالمؤمنينَ يقول : خـذْهُ فإنّـك فى تقـلُّده الأميـرُ

ولو عَقلتْ "عُقَيْلٌ" شاورتنى فكنتُ برأىِ ناصِحها أشيرُ

فررتِ مكانَ لم تَجِـدِى ثباتا ، ويقتُـلُ ذِكْرَهُ البطلُ الفَرورُ

إذنْ فترحزحى عن دارِ مُلْكٍ لغيرِك ضَرعُها ولكِ الدُّرورُ

أغرَّكِ "بالجزيرةِ" ما أغرنا ! نظارِ[1] فقربَ ما آرتجع المغيرُ

فلا تتوهَّمى بالشرِّ لينا فقد يتألَّقُ النَّصلُ الطريرُ

تخطَّتْها ـ وإن وسِعتْكَ ـ مَرعًى فكم دارٍ تُبيرُ[2] كما تُميرُ[3]

ويَقطَعُ عُضوَه المرءُ آضطرارا وإن أَلِفتْ مَنابِتَها الشُّعورُ

سمعتَ بشائرَ الظفَرِ آستمعْ لى أُعِدْ خبرًا وأنت به خبيرُ

أنا المولى صنعتَ اليه نُعمى أخى فيها حسودٌ أو غيورُ

جذبتَ من القُنوع بها ذراعى فطارت دون أخمَصِىَ النسورُ

نفائسُ لم ينلْهنَّ آقتراحُ الـ ـمُنَى فيما تُسَدِّى أو تُنيرُ[4]

بَرَدْتَ على الزمان بها فؤادى وكان عليه مِرجلُه يفورُ

وها هى نالت الأيّامُ منها بجِدّةٍ ، أَخلَقَ الظِّلَّ الدُّثورُ

يزور المهرجانُ برسم قومٍ ولى رسمٌ يشوق ولا يزورُ

وقوم يكرمون على الأسامى فترُخَى الحُجْبُ عنهم والستورُ

(١) نظارِ كقطام بمعنى آنتظرى . (٢) تُبير : تُهلك . (٣) تُمير : تُطعم .

(٤) تُنير : تُلحم .

(١٤٧)

يقولُ الشعرَ إن حضَروا وغبنا ... فدى الغُيَّابِ[1] ما قال الحُضورُ

يكرِّرُ غابرٌ[2] ما قال ماضٍ ... وقِدْمًا أخلقَ المعنَى الكُرورُ

وأحلَى القوسِ أسلمُه منالا ... فما هذى الشقاشِقُ والهديرُ

تطبَّعتِ القرائحُ واطمأنَّتْ ... فلِمْ يتكفئونك يا صبورُ

بهذا الحكمُ[3] حين تحالباها ... نقائضَ[4] حاز زُبدتَها " جريرُ "

* * *

واتصلتْ من مجد المعالى مؤيِّد الملك رحمه الله مقاماتٌ فى وصفه، وأفعالٌ جميلةٌ فى الثناء عليه، ومعاضدةٌ على بعض الناس ممن اعتمد أذيَّتَه، وعنايةٌ حاضرةٌ وغائبةٌ بشئونه يُؤْثَر بعضُها من مثله ويُكبَر، وما زال مؤثرا على قديم الوقت لأن يخصَّه بشىء من شعرٍ، موافقا لما يبعثه على ذلك، فقال يشكره ويهنِّئه بعيد الفطر، ويُعرِّض بذكر الرجُل الذى آذاه، وأعانه عليه

ينام على الغدر من لا يَغارُ ... ولا يُظلَمَ الحرُّ فيه انتصارُ

علَىَّ لعينِى اختيارُ الحبيبِ ... وإن خاننى فإلىَّ الخيارُ

ملكتُ فؤادى على " بابلٍ " ... وعقَّ أخاه الفؤادُ المُعارُ

وفيمن سمحتُ به للحُمو ... لِ أبيضُ ليلٍ سُراه نهارُ

اذا شكرتْ حُقْبُهُ[5] خصرَه ... تظلَّمَ من مِعضَمَيه السِّوارُ

---

(١) فى الأصل " فدا ". (٢) الغابر : الحاضر والماضى وهو من الأضداد والمراد به هنا الحاضر. (٣) يريد : بهذا كان الحكم. ويريد بالتثنية فى " تحالباها " جريرا والفرزدق وكلاهما من كبار الشعراء فى دولة بنى أمية وكانا يتهاجيان وقد وُضع فى أهاجيهما كتابٌ اسمه " نقائض جرير والفرزدق ". (٤) النقائض جمع نقيضة وهى أن يقول شاعر شعرا فينقض عليه شاعر آخر حتى يجىء بغير ما قال، فيقال هذه القصيدة نقيضة تلك التى قالها فلان ومنه " كتاب نقائض جرير والفرزدق " المار ذكره وفى الأصل " نقائص ". (٥) الحقب جمع حقاب وهو شىء تشدّه المرأة على وسطها وتعلَّق به الحلى.

وبدرٌ وما عُـــدَّ من شهره — ســوى هجـره والتجنّى سِــرارُ
تطالـــعَ يُتبِعـــنى مقلتيـــ — ـه مختمرا من حُلاه الخِمــارُ
وكـنتُ الحليمَ وفى مثلهــا — تخِفُّ الحلومُ ويهفـو الوقارُ
أُحبُّ الجفـاءَ عـــلى عــزّةٍ — ولا أحمل الوصلَ والوصــلُ عارُ
قَضيتَ وتهوَى، ويرضَى الفــتى — بطيفٍ يزور وربعٍ يُــزارُ
وهبَّتْ تــلوم عـــلى عفّـــتى — وتحـــذر لو قد كـفاها الحِذارُ
تقول : القناعـــةُ موتُ الفــتى — اذا أُلِفتْ والحيــاةُ اليســارُ
وما الناسُ — لو أنصفتنى الحسا — بَ — والأرضُ إلا صديقٌ ودارُ
وما آرتبتُ حـتى رأيتُ اليميـ — ـنَ تُعقَد فى الحقِّ عنهـا اليســارُ
وتَطمعُ بالشـعر لى فى الغنى، — متى نَصــح الطمعَ المستشــارُ؟
ولم تدرِ أنّ المســاعى الطوا — لَ آفتُهن الحظوظُ القِصــارُ
وما علمُ طِبِّـــك من علّتى — وصـــبرِىَ والكتمُ الإصطبارُ
اذا لم يُبيِّن[1] أَسًى أو أُسًى[2] — فكيف يَبِيــنُ غـنًى وآفتقارُ
خَـــبَرتُ رجالا فمـا سرَّنى — عـــلى الودّ ما كشفَ الإختبارُ[3]
ولمّـا غلِقتُ برهن الوفاء — لهم تركـونى " بنجدٍ " وغاروا
فلا يُبعـــد اللهُ مِن ظلمهــم — أخلّاءَ حَصُّــوا جَناحى وطاروا
وجرَّبتُ حظّى بمـدح الملوك — مِرارا وكلّ جناهـا مُرارُ[4]
وكم من مُقامٍ توقَّــرتُ فيـ — ـه طاروا له فرحا وآســـتطاروا

(١) يبيِّنْ : يبنْ، من قولهم : بيَّنَ الصبح لذى عينين بمعنى بان . (٢) الأسى بالفتح : الحزن، والأسى بالضم جمع أُسوة وهو ما يتعزّى به الحزينُ . (٣) فى الأصل " الأختيار" . (٤) المرار : شجر مرٌّ اذا أكلته الإبل قلَصت شفاهُها .

وخفَّتْ مسامعُ هنَّ الجبالُ ... وجفَّتْ أناملُ هنَّ البحارُ
وأُخرى ولم يأتنى نفعُها ... ويا ليت لم يأتِ منها ضِرارُ
اذا ما دعوتُ " زعيمَ الكفا ... ةِ " أدركنى الماءُ والخطبُ نارُ
وقام لها ناهضَ المنكِبيْن ... يُقَلِّصُ عن قدميه الإزارُ
اذا خاض تَقْنَى حِمًى أو حِجًى ... تفرَّج عن حاجبيه الغبارُ
كريمٌ تبرَّعَ بالنصر لى ... وبالخيل من دون نصرى انتشارُ
أَبَى أن أُضامَ وردَّ الفِرارَ(1) ... علىّ وأقصى سلاحى الفِرارُ
بلا قَدَمٍ تتقاضاه لى ... فترعَى له ذمّةٌ أو ذِمارُ
بلى! فى التجانس حقٌّ جناه ... على"، وجارُك بالجنس جارُ
عجبتُ لباغٍ أن استرقَّ ... "وكسرى" أبى ولسانى "نِزارُ"
أرادَ لنقصٍ به بذلَهُ ... وربحى فى بيع عِرضى خَسارُ
أمانٍ(2) أصابت له فى سواى ... وخابت معى والأمانى قِمارُ
دمُ الفضلِ ثارَ بهِ أن يُطَلَّ ... فتًى لا ينام وللمجد ثارُ
قؤولٌ اذا الألسنُ المطلَقا ... تُ قيَّدها حَصَرٌ وانكسارُ
يُرَى فَوْرُهُ واصفا غَوْرَهُ ... وهل يصف النارَ إلا الشَّرارُ
كفى الدولتين عناءُ " الحسيـ ... ـن " مَن يُستشارُ ومَن يُستجارُ
وقُلِّبتا وإليه مصيـ ... ـرُ أمريهما وعليه المَدارُ
وقمتَ ودونَ المَقام الحميـ ... ـد مزالقُ يصعُبُ فيها القَرارُ
وقبلكَ قد جرَّبوا واجتنَوا ... وبعدكَ وانتصحوا واستشاروا
وحلَّوا بسيماك مَن جرَّدو ... ه لو قُطِعتْ بالحُلِيِّ الشِّفارُ

(١٤٤٨)

(1) فى الأصل " القزار " . (2) فى الأصل " أما إن " .

فـــذاك مُدِلٌّ عـــلى عجـــزه ... يُــؤمَّرُ وهـــو عِيالٌ يُمارُ
طريرُ العِيانِ صدىُّ اللسانِ ... خُطَا لفظِـهِ خطأٌ أو عِثارُ
اذا نشر الكِبرُ أعطافَـــه ... طوت بشرَه الغَـــرَماتُ(١) الصِّغارُ
لثـــوب الرياســـةِ ضيقٌ عليـ ... ـه معْ وُسْـعِ أثـوابِه وٱنشمارُ
غريبٌ اذا أنت فيهـا ٱنتسبـ ... ـتَ أدلَى به نسبٌ مسـتعارُ
جزتك عن المُلك يومَ الجـزاء ... وعن فخـره يومَ يُجزَى الفخارُ،
غوادٍ من الحمـدِ والإعترافِ ... غوارفُ من كلِّ عذبٍ غِزارُ
تجـــودك(٢) نعماءَ تزكـو النفـو ... سُ(٣) فيهـا وتَغْـــنَى عليهـا الديارُ
وعـــنِّى ســـوائرُ إما تحـــطُّ الرّ ... واةُ وقاطنـــةٌ حيث ســاروا
عـذَارَى يُحـلَّى لهنَّ الجمـالُ ... ويُخلعُ فى حبِّهنّ العـــذارُ
يُخيِّـلُ ما نشرَتْ من علاك ... عيابا(٤) مـــتى نشرتْهـا التّجارُ
اذا حـــبَّرتْ أمّهاتُ القـــريـ ... ـض أخبارَها وبنـــوه الكبارُ،
تمنَّـــوا بجهـدِهـــمُ عفـــوَها ... على ما سَبَوا غيرَهـــم أو أغاروا
يُقـــرُّ لمجـــدك إكثارُهـــا ... بمـا(٥) سـلَفتْ أنّه الإقتصـارُ
فإن شفَع العبـــدُ فى مذنبٍ ... نجحت وجروحُ الأمانى جُبارُ(٦)
وإن بلَغ الشكرُ حقَّ ٱمرئ ... فغايتُهـا معَـــك الإنتصـارُ

---

(١) الغرمات جمع غرمة وهى المرة من الغرْم. (٢) فى الأصل "يجودك". (٣) فى الأصل "النوس". (٤) عياب جمع عيبة وهى ما توضع فيها الثياب. (٥) فى الأصل "ما".
(٦) جبار: هدر وفى الأصـــل "حبار" وهو تحريف.

* * *

وبلغهُ عن أبي منصور بن ما سرجيس عتابٌ جميلٌ، وذكرٌ طيّبٌ، وتشوّقٌ شديدٌ، وتشوّفٌ الى الوقوف على شيء من شعره، فراسله يسأل ذلك دفعاتٍ، ويخطبُ ودّه، ويرغبُ اليه في غِشيانِه، فأحبَّ أن يكونَ أولُ ما يفسح به المودّةَ أمرا يخصّه، فكتب اليه هذه القصيدةَ، وأنفذها يوم فِصح النصارَى بعد الخجل وتكرُّر الرغبة

شواردُ حظٍّ لا يَقِرُّ نَفُورُها ... ورِبقةُ همٍّ لا يُفكُّ أسيرُها

وصحبةُ أيّام تُعَدُّ حظوظُها ... قِصارا اذا عُدَّتْ طِوالا شهورُها

ونزعٌ بأطماعٍ ضعافٍ تمدُّها ... أمانيُّ لم يَقبَلْ يمينا مُعيرُها

أمرُّ على عَميائها أستدلُّها ... وآوِى الى بَلهائها أستشيرُها

بوارقُ ما للعينِ إلا وميضُها ... ولا للثرى العطشانِ إلا غُرورُها

تعجّبُ من صبرى وعندى خَلوبُها ... ومُصعِقُها وعند غيرى مَطيرُها

أجِدَّك لم يأنس فمى بشديِّها ... فأسئلُ عن أخلافها ما دُرورُها

وجاذبتها ثم استمرّ ضرورةً ... مَرِيرى(1) على ما ساءنى ومَريرُها

كأنّى اذا لم أقضِ منها لُبانةً ... وقد نَضَبتْ أوطارُها ونُذورُها،

وأنّى ترانى أغسلُ الدمَ موجَعا ... أو العارَ فأعلم ثَمّ أنى عقيرُها

عطاءٌ على التقتير إلا غديرةٌ ... تزاحَمَ حول الأربعين قَتيرُها(2)

غرابيبُ(3) من لون الشبيبةِ وُقَّعٌ ... أسَفَّ(4) من الأيّام بازٍ يُطيرُها

---

(1) المرير: الحبل اذا أحكم فتله وآشتد ويقال: استمرّ مريره أى آستحكم عزمه. (2) القتير: الشيب أو أوّل ما يظهر منه. (3) غرابيب: سود، وهو وصف لموصوف محذوف يراد به الغربان على جرى عادة العرب فى تشبيه الشيب. (4) أسفّ: دنا فى طيرانه من الارض حتى كادت رجلاه تصيبانها.

(١٤٩)

تُقَسِّى القلوبَ بعدها وحشةٌ لهـا ... كأنَّ قلوبَ الغانيات وُكـورُها

تُرِى بوجوهٍ أنهـا بجمالهـا ... تصيدُ وما الأشراكُ إلا شعورُها

أجاور فى شيبى عيونا قـوية ... على جَزَلِ الشَّيبِ المغالِطِ حُورُها

وكلّ بياضٍ فضلةٌ لا يليقُها ... اذا لم يكن إلا السواد يَضيرُها

سلا جمراتِ البين بى : كيف دُستُها ... يوقَّـدُ بالأنفاس تحتى سعيرُها

حملتُ بقلبى منهـمُ وهو حَبَّـةٌ ... ومن عِيسهم ما لا تُقِـلُّ ظهورُها

تلفتُّ بالأظعانِ رَفعا ومَهبِطا ... تعوَّجُ لى أو تستقيمُ سطورُها

بعشواءَ من فـرطِ البكاء كأنمـا ... تواعـدَ نارُ الحىِّ بَيْنًا ونورُها (١)

وفيمن نكِرتُ الحلمَ من جزَعٍ له ... صبورُ مقاماتِ الوداع شكورُها

اذا أفحمتنى قـولةٌ فصَّحتُ له (٢) ... وأقتَلُ ألفاظِ الإناثِ ذُكورُها

يدير كئوسا مُرَّةً من لحاظه ... وفى فيه أخرى حُلوةٌ لا يُديرُها

من العـربيَّاتِ الكرائمِ درّةٌ ... تُخاض اليها من "تميم" بحورُها

تلوم أمشاعى فى القناعة جالسا ... فهـل ثورةٌ تُرضِى المَعالى أثورُها ؟

وأوحدنى كما تريْنَ وعفَّ بى ... فسـادُ مودّاتٍ أرى وفجورُها

وأبنـاءُ عَلّاتٍ (٣) أخوها غنيُّهـا الـ ... ـصريحُ ومولاها الهجينُ فقيرُها

وجوهٌ يصفِّيها النفاقُ وتحتَهـا ... بطائنُ من غشٍّ يشِفُّ (٤) كُدورُها

أضمُّ القـوافى لى تَنِىءُ عليهـمُ ... وليس وراء الخِـدرِ إلا نُفورُها

وأوحشُها ممَّن تُقَلِّدُ أنه ... سواءٌ حصاها عنده وشذورُها

وأنَّ قياما بالفِناء لدَودِها ... أعزُّ اذا لم يَرعَ خِصبا مسيرُها

---

(١) مرجع الضمير فيه قوله عشواء فى أول البيت . (٢) فى الأصل "فضحت" . (٣) أبناء العَلّات هم بنو أمهاتٍ شتى وأبٍ واحد ، الواحد : عَلّة . (٤) فى الأصل "يسف" .

أفى نُصرة الأعرابِ من حسدٍ لها؟ ومنهم بواديها ومنهم حُضورُها !
وفى قومها من "فارسٍ" للسانها عدوٌّ، فسل فى "قيصرٍ" مَن نصيرُها
لعــلَّ غلامًا أدَّبَ الملكُ رأيَهُ تئطُّ(1) بــه أرحامُها فيُجيــرُها
وما ضرَّ فى غير "الكُفاةِ" ارتخاصُها(2) اذا ما غلَت عند "ابن عيسى" مهورُها
اذا ما دعتْ أفضى اليه افتراعُها فكان فتاها مَن أبوه وزيرُها
ســعى للمعالى ســعيَها وهو يافعٌ وأكبرُها من ساد وهو صغيرُها
وهِيبَ وما طَرَّتْ خميلةُ وجهه وأولَى النصولِ أن يُهابَ طريرُها
أراك وما أسديتَ بعدُ صنيعةً يقول الرضا عنها ويَشهَدُ زُورُها
تَخالَفُ أقوالٌ عليك اتفاقُها وتكثُرُ أوصافٌ اليك مصيرُها
لقد نخر النادى أبٌ عدَلَ ابنَهُ اذا خاف نجلاتِ الرجالِ نخورُها
وفى شطَطِ الآمالِ فيك لنفسه وأكثرُ آمالِ النفوس غُرورُها
لمــدَّ على العلياء منــك فنالها يدًا يذرعُ(3) الرمحَ الطويلَ قصيرُها
لكم وفضةُ(4) الآراءِ تبتدهونها(5) فتُصمِى(6) اذا الآراءُ أشوى(7) فطيرُها(8)
وما وهنتْ فيما تُقلِّبُ دولةٌ وأنتم لها إلا وفيكم(9) جُبورُها(10)
لقد علمتْ كيف اطرادُ نظامها ليالِيَ إذ تُلقَى اليكم أمورُها
اذا ذُكرتْ أسماؤكم هشَّ تاجُها لأيامه منكم وحنَّ سريرُها

---

(١) تئط : ترق وتحن . (٢) فى الأصل "تخاصها" . (٣) يذرع : يقيس بالذراع، وفى الأصل "يدرع" . (٤) الوفضة : المرة من الوفض وهو العدو والإسراع . (٥) تبتدهونها : تقولونها على البديهة . (٦) تصمى : تصيب المقتل . (٧) أشوى : أصاب شواه لا مقتله . (٨) الفطير : الرأى الذى يبدو من غير تروّ ومنه "إياك والرأىَ الفطير" . (٩) فى الأصل "الا فيكم" . (١٠) الجبور : جبر العظم .

حلفتُ بمـا يحى الحجـير أحلّه — ويوقدُ ممـا قـلّدتهُ ضُـفورُها،(١)

رَعَوها الربيعَ فالربيعَ وعطّنـــوا(٢) — عليها الى أن ضاق عنهـا سيورُها،(٣)

تسـاقُ الشهورَ والليـالى هـديّةً — الى ساعة تُوفَى "بجَمْع" أُجورُها،

"ببطحاء" لو ما أنبتَ الدمُ روضةً — لروّضَ من جارى طُلاها(٤) صخورُها،

لقد سرّ سمعى ما آستطاع مخبّرى — بودّك، والأخبـارُ تَزْرُ سرورُها

سلاما ووصفـا وآشتياقا بغَيبـةٍ(٥) — ذكتْ لوعتى منهـا وشبَّ زفيرُها

فإنّك للآداب والـــودِّ خاطبٌ — بشيرُ العلا فيا خطبتَ بشـيرُها

فقل: كيف تنبو روضةٌ غاضَ برهةً — جدَا المـاءِ عنها ثم فاضَ غديرُها؟

محاسنُ أيقظتَ العلا فى طلابهـا — فقـد(٦) نام هاديهـا وقام ضريرُها

فليتك — إن كان المبلّغ صادقا — أجابك عفـوا سهلُهـا وعسيرُها

فتحتَ لك الأبوابَ عنها وقد أبَى — زمانًا حفيظـاها(٧) وحُصّنَ سُورُها

لئن كانت "الزَّبّاءَ"(٨) عِزّا ومَنعَـةً — فأنت لها من غير جَدْعٍ "قصيرُها"

---

(١) ورد هذا البيت فى الأصـــل هكذا : والظاهر من السياق أنه يريد أن يُقسِمَ بالبُدْن التى تُهـدَى وقد حاولنا تصحيحه وتصحيفه على وجوه شتى فلم نوفّق الى ما يرضى الذوق الأدبىّ فأثبتناه كما هو حرصا على أمانة النقـــل . (٢) عطّنوا : اتخذوا لهـا العطَنَ وهو المناخ . (٣) سيورها : جلودها . (٤) الطُّلَى : الأعناق . (٥) فى الأصل هكذا "بعسه" ومنه بدلا من منها . (٦) فى الأصل "فقل" . (٧) حفيظاها : حارساها . (٨) الزباء : ملكة الجزيرة وكان "جذيمة الأبرش" قد وترها بقتل أبيها فغررته وأرته أنها تريد الزواج به فلما قدم عليها قتلته وكان "قصير" من أهل الرأى والحجا عند "جذيمة" ومن ثقاته فذهب الى "عمرو بن عدىّ" وطلب منه أن يثأر لخاله من "الزبّاء" وآحتال على ذلك "قصير" بأن جدع أنفه وخرج كأنه هارب من "عمرو بن عدىّ" حتى قدم عليها ، فلما سألته عن سبب جدع أنفـه قال لهـا : زعم "عمرو بن عدىّ" أنى غرّرتُ خالَه وغششتُه ومالأتُك على قتله فصدّقته وأكرمته ، وما زال بها حتى هيّأ "لعمرو" الفرصة فسار اليها برجاله فلمـا رأته وعلمت أنها لا محالة هالكة مصّت خاتمـا فى يدها به سُمٌّ وقالت : بيدى لا بيد عمرو ؛ وقصتها طويلة .

ولولا الودادُ ما بَرزنَ سواهما ... وقد برَزتْ بالغانيات خدورُها
ولا عاقها في عَرضِها(١) لمعاشرٍ ... معارفَها عُجْمُ البصائر عُورُها
اذا آتسعتْ أيمانُها لعطيّةٍ ... وراجعت الأخلاقَ ضاقت صدورُها
ولكنّها نفسٌ يطاعُ صديقُها ... على حُكمها فيها ويُعصَى(٢) أميرُها
تَمَلَّ بها لا طيبَ نشرٍ يفوتها ... اذا لومستْ ولا جمالَ يبورُها
أزورُ بها دُورَ الملوك طليعةً ... تَرود لِيَ الأخلاقَ ثم أزورها
وفَسّحْ لها في زينة الفِصْحِ(٣) موضعا ... تقوم به، تُتْلَى عليك عُشورُها
ونَـلْ وأبوك العزَّ ما حنَّ فاقدٌ ... وقام على السَّبْعِ الطِّباقِ مديرُها
وأوفَى بها شُعثٌ لكم يُدرسونها ... "مزاميرَ" يستوفي اللُّحونَ "زَبورُها"
مُكبّين للأذقانِ يحتضنونها ... يصانُ عن الصفح العنيف سُفورُها
تفوتكمُ بالسمع، والعينُ ما رأتْ ... ودلَّ على ما في القلوب نذيرُها
فأُقسمُ لو قُضَّتْ(٤) ضلوعيَ بعدها ... لما آلتأمتْ إلا عليكم فُطورُها(٥)

* * *

وكتب اليه مؤيّد السلطان ذو المجد بن زين الكُفاة بن الصاحب الأوحد ذي السياستين أبي محمد بن مُكرم وهو مؤمَّرٌ على عُمانَ وأعمالِ البحر، يذكر أيّامَ مصاحبته إيّاه في الصِّبا، ويتشوّقُ قربَهُ، ويصفُ آستيحاشَه لمكانه، ويحثُّه على زيارته، ويرغّبه في فوائد الإلمام به، ومنافع غشيانِه، فأجابه عن كتابه نثرا بما آشتمَلَ على وصف العذر في التأخر والآرتفاع لسلوك البحر، وقَرَنَ الكتابَ بهذه القصيدةِ يمدحه، ويعرّض بذكر إنسانٍ عتبَه على المودّة، وقصده بالأذيّة من أهله، ويذمّ اليه بعضَ من ببغداد من مدبّرى الأمور، ويصف السفينةَ البحريّةَ وأنفذها اليه

(١) في الأصل "تعرضها". (٢) في الأصل "وبعض". (٣) في الأصل هكذا "رتبة الفسح". (٤) في الأصل "فضت". (٥) فطور جمع فَطْرٍ وهو الشَّقّ.

بين "النَّقا" "فَثَنِيَّةِ الجِجْرِ" سمـــراءُ تُرقَبُ بالقنا السُّمرِ
رصفَتْ قلائدَها بمـا سفكتْ من فيضِ دمعٍ أو دمٍ هَـــدْرِ
ماشئتِ من حَبِّ القلوب أوال أجفان فى بيضٍ وفى حُمـــرِ
نَزَلَتْ "مِنًى" أُولَى ثلاثِ "مِنًى" فقضت نجيزة ليلة النَّفْـــرِ
وجلَتْ لأربع عشرة قمـــرا والشهـرُ ما أوفَى عـلى العَشْرِ
تَرمِى الجِمـارَ وبين أضلعنـا غرضٌ لهـا ترميه بالجمـــرِ
من لى على عَطْـلَى بغـانيـةٍ شبَّتْ وشِبْتُ وعمرُها عُمرى
لم تنـــوِ فى قَسَمٍ تَحِلَّتَـــهُ إلا اذا حلفتْ على الهَجـــرِ
قالت ولِمتِ فى ضنا جسدى: طَـــرْفى علىَّ إسقامه عُذْرى
وٱستُسقِيَتْ لظَماىَ ريقتَهـا فاستشهدتْ بالآى فى الخمـــرِ
وتقـــول للعـــذّالِ مُغضَبةً: شيَّبتُـــه من حيثُ لا يدرى
قبَّلتُ عصيـانًا عوارضـــه عمدا فأعدى شَعرَهُ ثَغـــرى

* * *

وأخٍ مع السرّاء من عُـــدَدِى وعلىّ فى الضـــرّاء والشــــرّ
تطوِى حشـاه عـلى تبسُّمِهِ أضلاعَ مُشرَجَةٍ(1) على الغِمـــرِ(2)
مولاى والأحداثُ مغمَـــدةٌ فاذا ٱنتُضِينَ فَرَى كما تَفْـــرى
تَعِبٌ بحفظ هَنـاتِ مَيسَرتى حتى يعـــدِّدَهـا على العُسرِ
الدهرُ أليَنُ منـــه لى كنفـا لو كان يتركنى مع الدهرِ
ومغَيِّم المعـــروف يخـــدعنى إيمـاضُ واضحتيـــه بالبِشرِ
سكَنَ اليفاعُ(3) وشبَّ موقِـــدَه نارا يغُـــرُّبهـا ولا يَقْـــرى
ذى فطنـــةٍ فى الشكر راغبـــةٍ وغبـاوةٍ بجوالب الشـكـرِ

(1) مشرجة: مضمومة. (2) الغِمر: الحقد والغلّ. (3) اليفاع: نقيض الحضيض.

فاذا مدحتُ مدحتُ ماطرةً واذا عصرتُ عصرتُ من صخرِ
لا طاب نفسًا بالنوالِ ولا مَحَضَ المودةَ زُبدةَ الصّدرِ
وأرادنى من غير ثروتهِ أن أستكين لذلّة الفقرِ
ينجو بعِرضى أن يضام له عَرْضُ الفلاةِ(١) وغضبةُ الحُرِّ
وتنجُّزُ الأيّام ما وعدتْ فى مثله وعواقبُ الصبرِ

(١٥١)

"ومؤيّد السلطان" عاليةٌ يَدُه بتأييدى وفى نصرى
لو شئتُ فُتُّ سُرَى النجوم به وخَفِيتُ(٢) عن ألحاظها الزُّهرِ
وللُّغتى المجدَ سابحةٌ بالظَّهرِ(٣) ليست من بنى الظهرِ
ترتاح للضَّحضاحِ(٤) خائضةً [وتكدُّ](٥) بالمتعمِّق الغَمرِ
تجرى الرياح على مشيئتها(٦) فتُخالُ طائرةً بما تجرى
واذا شراعاها لها نُشِرَا خفقَتْ بقادِمتيْن من نَسْرِ(٧)
فى جانبٍ لينٌ يُدَفِّعُها وخِطارُها فى جانبٍ وَعْرِ
يحدو المطىَّ الزاجرون له وتساقُ بالتهليل والذِّكْرِ
من لى بقلبٍ فوقها ذَكَرٍ مُضْيغ لعذلى تابعٍ أمرى
قالوا : الشجاعةَ ! إنّه غَرَرٌ متقاربُ الميقاتِ والقدْرِ

---

(١) فى الأصل "الفلاء" . (٢) فى الأصل "حفيت" . (٣) يريد وصف السفينة بأنها تسبح بظهرها وهو جِرمُها الذى فى الماء، وأنها ليست من الإبل ذوات الظهر (٤) الضحضاح : الماء القريب القعر . (٥) هذه الكلمة غير موجودة بالأصل فرجّحناها لاتزان البيت أولا ولإتمام المعنى بها ثانيا . (٦) فى الأصل "مشيتها" . (٧) فى الأصل "نشر" وفيه نظر الى قول مسلم بن الوليد فى وصف السفينة

اذا أقبلت راعت بقُنّة قَرْهَبٍ * وإن أدبرتْ راقت بقادمتَىْ نَسرِ

قوله : بقنة قرهب أى برأس ثور وحشىّ مسنّ ، و يراد بقوادم النسر المقاذيف .

يومان فى لُجٍّ فإن فَضُـــلا بزيادةٍ فبليـــلة العِـــبْرِ (١)

هيهـات منّى ساحلٌ يَبَسٌ والبحرُ يُفضى بى الى البحـــرِ

القصـدُ والمقصودُ من شَـبَهٍ فى الجـود أو حدٌّ من الغَـزْرِ (٢)

ما أنَّ (٣) إلا أنَّ ذا أجِنٌ مِلحٌ وذاك زلالةُ القَطْـــرِ

جارَى الملوكَ فبـــذّهم ملك سبق القــوارحَ فى سِنِى مُهـرِ

وأَرَى بنى الستين عجـــزَهُمُ فى الرأى وهو ٱبنُ ٱثنَتَىْ عَشْرِ

لا طارفُ النعماءِ مـــنتزعٌ فيهـا ولا مستحدثُ الفخـرِ

من وارثى العلياء ما ٱغتصبوا مجـــدا ولا ملكوه بالقهـــرِ

أرباب بيتِ مكارمٍ عقـدوا أطنـابَه بأوائـــل الدهـرِ

ضربوا على الدُّوَل ٱستهـامَهُمُ (٤) وتقاسمـــوا بالنَّهْى والأمرِ

فى كلّ أفقٍ منهُــمُ عَــلَمٌ مَرعَى العفاةِ وسَـــدَّةُ الثَّغْـرِ

أبناء "مُكْـرَمَ" وهى معرِفةٌ نصروا ٱسمهـا بإهانة الوفـــرِ

قَطَنـوا (٥) وسار عطاؤهم شَبَهـا بالبحـر قامَ ومُلْكُهُ (٦) يســـرى

فى كلّ دارٍ من مواهبهـــم أثرُ الحيـا فى البـلدة القفـرِ

وملكتَ ياذا المجـد غايتَهم، ما للبِهـامِ (٧) فضـــيلة الغُـــرِّ

زيَّدتَهـــم شرفا وبعضُهُـــمُ لأبيه مثـلُ الواوِ فى "عمرو"

ســـدُّوا بك الغاراتِ منفردا فملأتَ صفَّ الجحفـلِ المَجْرِ (٨)

ودجا ظـــلامُ الرأى بينهُـــمُ فوضحتَ فيــه بطلعةِ الفجـرِ

---

(١) العبر : الساحل والحافة . (٢) الغزر : كثرة الدَّرِّ . (٣) ما أنّ : ما هاج وما ثار حتى أشبه صوته الأنين ويريد البحر . (٤) الأستهام : الأقتراع . (٥) فى الأصل "فطنوا" . (٦) مُلْكه مثلثة : ماؤه وفى الأصل "ملكته" . (٧) البهام : السود . (٨) الجحفل المجر : الجيش الكثير .

وأبوك يومَ "البصرةِ" اعترفت ... قِمَمُ العدا لسيوفه النُّكرِ
ألقى عصًا من عزمةٍ بَترت(١) ... آياتُها حدَّ الظُّبا البُترِ(٢)
لقفَتْ على "الكَرَجيّ" ما أفكتْ ... كفّاه من كيدٍ ومن مَكرِ
فهوى يخيِّرُ نفسَه خَوَرا ... ذلَّين من قتلٍ ومن أسرِ
يجدُ الفِرارَ أحبَّ عاجلةٍ ... لو كُفَّ غربُ الموتِ بالفَرِّ
ورأت "عُمانُ" وأهلُها بك ما ... أغنى الفقيرَ وأمّنَ المثرى
صارت بجودك وهى موحشةٌ ... أُنسَ الوفودِ وقبلةَ السَّفْرِ
يفديك مبتهجٌ بنعمته ... أسيانُ(٣) فى المعروف والبِرِّ
ألهاه طيبُ المالِ يُحرِزُهُ ... عن طيبِ ما أحرزتَ من ذِكْرِ
يبغى عِثارَك وهو فى تعبٍ ... كالليل طالبُ عثرةِ البدرِ
قد قلتُ لما عقَّ: دع مِدَحى ... زينُ "الكفاةِ" أبرُّ بالشِّعرِ
أتراكَ مقاماتِ العلاء له ... متأخرا فالصدرُ للصدرِ
يا نازحا ورجاءُ نعمتهِ ... منّى مكانَ السَّحْرِ(٤) والنَّحرِ
هل أنت قاضٍ فِيَّ نذرَك لى؟ ... فلقد قضت فيك المنى نذرى
أيّامَ لى وحدى الوفاءُ وكلّ ... الناس من نَكْثٍ ومن غَدرِ
وأرى نداك اليومَ فى نفرٍ ... لم يُشرَكوا فى ذلك العصرِ
أُردد يدى ملأى وحاشَ لمن ... يعتامُ جودَك من يدٍ صِفرِ
واعطف علىَّ كما صددتَ أذُقْ(٥) ... طعميك من حُلوٍ ومن مُرِّ
والبسْ من النعماء سابغةً ... لا تَدَّريها(٦) أسهمُ الدهرِ

(١) بترت: قطعت. (٢) البتر جمع أبتر وهو القاطع من السيوف. (٣) الأسيان: الحزين.
(٤) السحر: الرئة. (٥) فى الأصل "بما". (٦) لا تدريها: لا تجعلها غرضا لها.

تَعمَى النـــوائبُ عن تأمُّلِهـا وتُطيلُ فيهـا نَومـــةَ السُّكرِ

مهما تَعُـــدْ[١] خَلَقًا بِجِدَّتِهـا تـــزداد بالتقليبِ والنشـــرِ

وٱسمـــعْ أَزُرْكَ بكلّ مالئةٍ عينَ الضجيعِ خريدةٍ بِكْرِ

نَسْجُ القريحـــةِ ثوبُ زينتها وحُلِيُّهـا من صـــنعة الفكرِ

من سحر "بابلَ" نفثُ[٢] عُقدَتِها سارٍ و"بابلُ" منبِتُ السِّحرِ

وكأنمـا سـاقَ التِّجارُ بهـا لك من "صُحَارَ"[٣] لطيمةَ العطرِ

تُمسى لهـا الآذانُ آذنـــةً ولو آنهنّ حُجِـبنَ بالوَقْـرِ[٤]

حتى أراك وأحَصاك معـا قُرطانِ "للعَيّوق"[٥] و"النَّسرِ"

هذى[٦] الهَـدِىُّ علىَّ جَلْوَتُهـا وعليكم الإنصـافُ فى المَهـــرِ

* * *

وكتب الى الأستاذ أبي طالب بن أيّوب فى النيروز

لعـــلَّ لهـا مع النَّسرينِ[٧] سِـرًّا فدعهـا طائراتٍ أن تَمُـــرَّا

ركائب واثقين من الأمانى وأظهِـــرِها بمـا قتلتَـــه خُبْرا

تـــلوح خواطفـا فتظُنُّ أمرًا بهـا فى الســـير وهى تُريد أمرا

ســـواءً عنـــد أعينهـا سِرارا[٨] قطعنَ الشهرَ أو سايرن بـــدرا

ولولا أن يخضن مع الدرارِى سوادَ الليـــل لم يُخلَقنَ[٩] حُمْـــرا

يُحَطُّ المَيْسُ[١٠] منهـا عن جُنـــوبٍ محلَّقَـــةٍ وكنّ رحَلنَ شُـــعْرا[١١]

---

(١) فى الأصل "بعد". (٢) فى الأصل "نفت". (٣) صُحار: قصبةُ عمان وهى بلد مشهور بخيراته وطيب هوائه وكثرة أسواقه؛ واللطيمة: العِيرُ تحمل الطيب. (٤) الوقر: الصمم. (٥) العيوق والنسر: اسما كوكبين. (٦) فى الأصـل "هادى"، والهـدىّ: العروس. (٧) النسران: كوكبان يقال لأحدهما: النسر الواقع وللآخر النسر الطائر. (٨) السرار: ليالى آخر الشهر. (٩) فى الأصل "يحلقن". (١٠) الميس: الرحل. (١١) شُعْرا جمع شَعْراء وهى الكثيرة الشعر على بدنها.

اذا أرسلن فى الحاجات خَطْبًا[1] ... حَبَوْنَكَ ثيبًا منها وبِكرا

يَكُنَّ الى فَوارِكها[2] شفيعًا ... يُقِرُّ نِفارَها ويكُنَّ مَهْرا

وراءَ العزّ نطلبُهُ فإما ... وصلنا أو بلغنا فيه عُذرا

وماء تُحبِسُ[3] الأنفاسُ منه ... وتُستشرى[4] به اللَّهَواتُ حَرًّا

وردت مع القطا الكُدرىّ منه ... أَجُونًا[5] من بقايا الصَّيف كَدْرا[6]

أُسيغُ شرابهُ المكروهَ حلوا ... اذا قايستُه بالذلّ مُرًّا

وبيتِ قِرًى تشرَّف ساكنوه ... يَفاعا يَقسِرون العيشَ قَسْرا

نزلتُ به وفيه غِنًى لقوم ... وسرتُ بجودهم وتركتُ فَقرا

وكالمُهَراتِ فى فَتَياتِ حىٍّ ... حَكَيْنَ رماحَه نخطَرنَ سُمرا

يُردن الخيرَ إلا أنَّ قولا ... يُظَنُّ المستريبَ بهنَّ شَرًّا

خلوتُ بنومهنَّ فلم أوسِّدْ ... يدى جنبًا ولا جنبىَّ نُكْرا

ورحتُ وقد ملأتُ الودَّ عينًا ... بما أودعتُها وملأتُ صدرا

وقافيةٍ على الراوى بَجُوجٍ ... خدعتُ نِفارَها حتى آستقَرَّا

تموتُ بموتِ قائلها القوافى ... وتبقَى لى وللممدوحِ ذِكْرا

فصُحتُ "ليعرُبٍ" فيها كأنّى ... عَجُمتُ "ببابلٍ" فنفثتُ سِحْرا

طلبتُ لها من الفتيان فَذًّا[7] ... يكون لعقدها المنظومِ نَحْرا

فلم يَعْدُ "آبنَ أيوبَ" آختيارى ... وقد عمَّقتُ فى ذا الناسِ سَبْرا

---

(١) خطابا : مخطوبة . (٢) الفوارك جمع فاركة وهى المبغضة زوجها . (٣) فى الأصل "يحبس" . (٤) تستشرى : تُفسَد بما يصيبها ، من قولهم : استشرَى البعير عرًّا أى فسد جلده بما أصابه من الجرب . (٥) الأجون : الماء المتغير . (٦) الكدر : الذى فيه كدرة مثل أكدر وكَدِر . (٧) فى الاصل "قدا" .

وما طـــوّفت فى الآفاق إلا وجـــدتُك أنتَ أينَ طلبتُ حُرّا
جنَبتُ بك الهـــوى كهلا كأنى جنبتُ يدى الشبـابَ المسبكَرّا (١)
وعلّقتُ المـــودّةَ منك كفّى على زلِقٍ متينٍ الفتـــلِ شَزْرا (٢)
دعوتُك والحـــوادثُ ذاهباتٌ بسرحٍ (٣) تصـــوُّنى طردا وطَـــرّا
وقد طَلَقَتْ بنـاتُ الصـــبرِ منّى كأنى لم أكن للصّـــبرِ صِهرا
فكنتَ أخى هوًى وأبى حُنُـــوًّا ونفسى نُصـــرةً وبُنىَّ بِـــرّا
حملتَ حمـالةَ الأيّامِ عنّى قُلُوصا (٤) فكفّنى منهـا وكَـرّا
مغارمُ أشكلَتْ، أقضيتَ حقّ الـ ـمودّةِ أم قضَيْتَ بهنّ نَذْرا ؟
أشرتُ الى يديك فصُبتَّ (٥) عفـــوًّا وقد أتعبت أيدى المزن غَفْـــرا
ولمـا ثَلَمَتْ منّى الليـالى أريتُك خَـــلّةً فسددتَ عَشْرا
مَكارمُ لم تُسـابَقْ فى مـــداها وقد حرصَتْ عليهـا الريحُ حَضْرا
وأخـــلاقٌ صفت من كلّ غِشٍّ سكرتُ بهـا وما عوطيتُ خمـــرا
ملكتَ حسابَها إرثا حـــلالا فصرنَ لديك حقًّا مســـتَقرّا
أبًا فأبًا من الأعــلام فيها نعـــدّهُمُ اليك هـــلمّ جـــرّا
لَعَمْرُ الحاســـديك، وهـل يُبقّى لهم حَســـدُ الكمالِ عليك عُمْـــرا؟
لقـــد ليموا بمـا نقمـــوا وإنى لأوسعُهم بمـا حســـدوك عُذرا
أقِلْنى العجـــزَ إن قصّرتُ وصفا لِمـا أوليتَ أو قصّرتُ شكرا
فإنّ علىّ جَهْـــدَ الفكرِ قـــولا وليس علىّ عنـــد الغيثِ قَطْـــرا



(١) المسبكر : التام المعتدل . (٢) الشزر : فتل الحبل عن اليسار وهو أحكم لفتله .
(٣) السرح : المـال السائم ، و فى الأصل "بشرح" . (٤) القلوص : الوثب . (٥) صبت من صاب المطر يصوب بمعنى انصبّ ونزل ، و فى الأصل " قضيت " .

على أنّ القــوافى الغُــرَّ عنى ... كوافلُ بالذى أَرضَى وسَرّا
تروح عليك أو تغــدو التهانى ... بهنّ حــوافلَ الأخـلاف غُزْرا
اذا مَطَرَتْ ترى الأحسابَ بيضا ... بمـا يُثنِينَ والأعراضَ خُضْرا
كأنــ لطيمــةً منهـا أُبيحتْ ... ببابك ، فارتدعْ(١) ما شئتَ عِطــرا
تعـدّ الدهرَ نيروزا وعيــدا ... وصــوما راجعا أبدا وفِطــرا
فتصحَبُــه بأنفذَ منــه أمرا ... على الدنيـا وأطولَ فيــه عُمرا

* * *

وكتب الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم فى النيروز

هل عند ريح الصَّبا من "رامةٍ" خبرُ ... أم طاب أن صاب روضاتِ اللّوى المطرُ؟
علامةٌ لك مــن "أمّ الوليد" أتت ... تعــلو الرياحُ بهـا والمزن تنحــدرُ
كأنّ ما هبَّ عِطــريّاً مجاسِــدُها(٢) ... منفوضــةً وكأنّ البــارقَ الأُشُرُ(٣)
هــوًى ترامت به الأيّام تُبعِــدُه ... وقرَّبتْــه لك الآياتُ والذِّكَرُ
ونازلٌ "باللوى" يسليك صــورتَهُ ... تيهُ الطريق وينسيك آسمَــهُ الحذَرُ
سرى الى الشرق مشتاقا وما فُقِــدتْ ... عيــنٌ له "بلوى خبتٍ"(٤) ولا أَثَرُ
يُجشِّمُ البــدرَ أن يشقَى برؤيتــه ... ويلبَسُ الليــلَ زوّارا فيعتكــرُ
ما آستوطنــ البيــدَ لولا أنه رشأٌ ... وما آمتطى الليــلَ لولا أنه قــمرُ
يا مِنّــةً للكرى لولا حلاوتُهــا ... ما ذُمَّ — وهو وفاءٌ فى الهوى — السهرُ
مدَّ الظلامُ بهـا قبــلَ الصباح يدا ... بيضاءَ بانَ بهـا من أمســه السحَرُ

---

(١) يقال : آرتدع بالطيب بمعنى تضمَّخ . (٢) المجاسد جمع مِجسد وهو القميص يلى الجسدَ .
(٣) الأُشُر : حدّة ورقّة فى أطراف الأسنان . (٤) لوى خبت : آسم موضع ، وفى الأصل "خبث" وهو تحريف .

في الضـار بين على "البَلْقـاءِ" باديةً ... يَسبي لهـا الحرّ من أبنائه الحَضَرُ
تُصبي الأحاديثُ عنهـا وهي نازحـةٌ ... والسـمعُ يعلَق ما لا يعلَق البصرُ
سمراءُ غارتْ عليهـا (١) — وهي تُشبهها ... في القدّ واللون — تحميها القنا السُّمُرُ
تَلينُ خَلْقًا ويجفـو خُلْقُها فكأنْ ... في جسمِها المـاءِ (٢) أُلقِي قلبُهـا الحَجَـرُ
"سعديّة" تدّعي أنْ الوفاءَ لهـا ... من صُلب "حاجبَ" حبلٌ ليس ينبتر (٣)
فمـا لها وفـؤادي في خِفارتهـا ... والشـوقُ يرعاه ظلمـا ليس ينتصرُ
لوشاء بعـدُ جِوارِي وهو مطّـرِحٌ ... من شاء، قال: "التميميّون" قد غدروا
ما أنكرتْ "أمُّ خير" وهي معرضة؟ ... أغيرَ أنْ لونتْ من لِمّتي الغِـيَرُ؟!
وَفَى الصِّبَا للهـوَى إذْ (٤) كان حالفه ... لا يُحلَقُ الحبُّ حتى يُحلَقَ الشَّـعَرُ
أرى المُنى بعـدُ تُملِي لي سـوالفَها ... وفي المشيب الذى آستقبلتُ مزدجَرُ
أشتاق حاجاتِيَ الأولَى وتجـذبني ... الى آتبـاع النُّهى حاجاتِيَ الأُخَـرُ
ما أشرفَ الحـلمَ لولا ثِقل محمِـلِهِ ... وأجمـلَ الصمتَ لولا قولهم: حَصَرُ
وما أعزَّ الفـتى في ظلّ عفّتِـهِ ... لو شُـوورِ الحزمُ أو لو صحّت الفِكَرُ
ما لكَ (٥) في الحرص إلا فضـلُ ذلّته ... والرزقُ يفعل فيـه ما آشتهى القـدَرُ
خُلْقانِ في هـذه الدنيـا مُعاسرةٌ ... ما طولِبتْ، وبها إن تورِكت يُسُرُ
قنعتُ منهـا بمـا بلّ الصـدَى كِبَرًا ... من همّتي ظنَّ قـومٌ أنه صِـغَرُ
أسوِّفُ العيشَ حسنَ الظنّ أجـبُرُه ... على فسادٍ وجَـبْرُ الظنِّ منكسِرُ
مرقِّعا بالمُنَى أرجـو غدا فغـدا ... تأتي الحظوظُ وحظّي بعـدُ منتظَرُ
رضًا بنفسِيَ أو ودِّ آمرئ ثِقـةٍ ... أغنَى به، وغنيُّ المـالِ مفتقِـرُ

(١) في الأصل "نشب". (٢) يريد في جسمها الذى هو كالماء. (٣) ينبتر: ينقطع، وفي الأصل "ينتشر". (٤) في الأصل "إن". (٥) دخل الطيّ على هذه الكلمة وهو حذف الرابع الساكن وقد كرر كثيرا في هذه القصيدة.

وإن مدحتُ ففخــرٌ (١) لا أعابُ به ... ولا يكذِّبُ إخبارى به الخُــبُرُ
اذا غلوتُ بقــوبٍ فيــه لم ترنى ... الى المــروءة فيما قلتُ أعتــذرُ
حدِّثْ بفضلِ بنى "عبدِ الرحيم" وما ... طابوا على قِــدَمِ الدنيا وما كثُروا
وآستشهد الصُّحُفَ الأولى بما نقلت (٢) ... عنهــم وما قصَّت الآثارُ والسِّــيَرُ
المكتفيــن اذا غابوا بشُهرتهــم ... عن الشهادة والكافين ما حضَروا
أبنــاء ذِروةِ هــذا الملكِ قد فرَعوا ... سَنامَه يطلبون النجمَ ما آنحــدروا
تملَّكوا قَــرَبَ (٣) الدنيــا وشِرعتَهــا ... لا يَرِدُ النــاسُ إلا كلَّ ما صــدَروا
لا تستخفُّهــم الأحداثُ إن طرقت ... عن الحُلومِ ولا يُطغيهــم البطَــرُ
اذا بــلوتَ تُقــاهم أو بصــائرَهم ... فى نعمةٍ شَكَروا أو نكبةٍ صبَروا
تكلَّموا وأَرَمَّ (٤) النــاطقون لهــم ... لا يؤمَرون ولا يُعصَوْن إن أَمَروا
يُدعَون فى السنواتِ الشُّهبِ (٥) جامدةً ... فيفعلون بهــا ما يفعــلُ المطــرُ
غاض الفُراتُ وضنَّ المزنُ وآنبعثتْ ... فى المــزنِ تُعصَرُ أيديهــم فتنعصِرُ
لو ركِبوا فى أعاليهــم أناملَهــم ... [يومَ] (٦) الوغَى خُضِّرتْ أطرافُها الحُمُرُ
إن كنتَ فيمن طواه البينُ ممــترياً ... منهــم فعنــدك من منشورهم خَبَرُ
هذا "الحسينُ" حياةٌ خُلِّدتْ لهــمُ ... ليسوا بأول موتَى بابنهــم نُشِروا
صَــلَّى (٧) فزادت على السُّبَّاق حَلبتُــه ... محــلِّقُ العُرفِ جارٍ خطــوُه حُضُرُ (٨)
كالسهــم أَحرزَ ذكرا يومَ تُرسِــله ... لم يُعطِــه أبواه القــوسُ والــوتَرُ
عُصــارة فضَلتْ فى الطِّيب طينتَهــا ... والخمــرُ أطيبُ شىء منــه يُعتَصَرُ

---

(١) فى الأصل "فخر". (٢) فى الأصل "انقلبت". (٣) القرب: طلب الماء ليلا. (٤) أرم: سكت. (٥) الشهب: البيض، ويكنى بالبياض عن الجدب والقحط. (٦) هذه الكلمة غير موجودة بالأصل. (٧) صلَّى الجوادُ اذا جاء بعد الذى جلَّى. (٨) الحُضُر: آرتفاع الفرس فى عَدْوه وقد ضُمت الضاد للضرورة الشعرية.

لايعدَم "الصاحبَ" ٱبنُ الليل قوّسهُ ... طـــولُ السُّرَى وتَنَقّى[1] عظمَه السَّفرُ

فـــوّزَ فى البيـــدِ لا ظــلٌّ يَفيء له ... ظُهــرًا ولا يتقيه من ندًى سَحَــرُ

تَرمِى به غرضَ الأخطـارِ حاجتُه ... يحــلو له المِلحُ أو يصفو له الكَدِرُ

يُحسُّ أو يـــتراءى[2] كلَّ مُخلِفَـــةٍ[3] ... لا سمعَ يَصــدُقُه فيهـا ولا نظـــرُ

يرَى سمـاوتَه[4] فى المـاءِ يُنكِـرُها ... من طول ما ٱختلفتْ فى عينه الصُّوَرُ

حتى اذا ملّت الأقـــدارُ شِقــوتَه ... وحان من سعيه أن يُدرِكَ الظفـــرُ

آنَس من جوده نارا مبشـــرةً ... بـــبَرْدِ عيشته من حيثُ تستعـــرُ

بجـاء يقتافُهـا حتى أصاب قِـــرًى ... يأخذُ منـــه ٱشتطاطَ النفسِ أو يذَرُ

بينـا تكونُ البـــدورُ الطائفاتُ به ... ولائذا وتُذَكَّى للقِــرَى البِـــدَرُ[5]

فلا خلا منـــه ربعُ الفضـــلِ يعمُرُه[6] ... بالمـال يُقسَمُ والأقـــوالِ تُدَّخَرُ

وبَيضـــةُ الملكِ يحميها فما كَرَبت[7] ... مـــذ قام يَشعَبُهـا بالرأى تنفطـــرُ

تيمّنوا بٱسمـــه حتى لقـــد وثِقــوا ... لو سار فى غير جيشٍ أنهـــم نُصِروا

طلقُ النقيبـــةِ لم يعقِـــل سعايتَه[8] ... عن مطالبٍ "رجبٌ" يُخشَى ولا "صَفَرُ"

غَــرّرَ فى العـــزّ حتى نال غايتَـــهُ ... وجانبُ العزّ مركوبٌ له الغَرَرُ

لو عِيبَ ما عابه شىءٌ يُزَنُّ[9] به ... من النقيصـــةِ إلا أنه بشـــرُ

حلا له الحمـــدُ حتى ما لَه ثمـــنٌ ... يغـــلو عليـــه وحتى مالُهُ هَـــدَرُ

---

(١) تنقّى : استخرج النِّقْىَ وهو المخ . (٢) يتراءى بمعنى يرى ، وفى الأصل " تتزاءى " .

(٣) المخلفة : السحابة تُطمِعُ فى النزول ثم تَنكُصُ عنه . (٤) سماوته : شخصه . (٥) يريد ذوات البدر جمع بَدرة وهى جلد السخلة . (٦) فى الأصل "يعموه" . (٧) كربت : يقال كرب يفعل أى كاد يفعل وهو من أفعال المقاربة ويكثر تجريد خبرها من أن ويقلّ ٱقترانه بها والمشهور فيها فتح الراء وقيل كسرُها . (٨) فى الأصل "سعادته" . (٩) يزنّ به : يظنّ به أو يتّهم به .

لو وَهَبَ المــرءُ يوما نفسَــهُ سَرَفا ... لم يَهَبِ النفسَ إلا وهو مختصــرُ

عَجمتُ أيّامَ دهرى صعبةً بكُمُ ... فسالمتْــنى وفى أيامها خَــوَرُ

وكان لى عنــدَ حظّى قبلَ ودِّكُمُ ... ثأرٌ فقمتُ بكم كالسيف أثّــئِرُ (١)

فلتأتينّكُمُ عــنّى وبى أبــدا ... غرائبٌ وهى فى أوطانها فِقَــرُ (٢)

تسرى مراكبَ للأحساب، تَعرِضُها ... على العيونِ شِياتٌ (٣) كلُّها غُرَرُ

اذا تحــلّتْ فعناها قــلائدُها الـ ... ـضار أو لفظُها أقــراطُها (٤) الدُّرَرُ

ممّا ولَدتُ وإن خالفتُ منصِبَهــا ... "كِسرى" أبى وأبوها نِسبةً "مُضَرُ"

تسرُّكم وتســوء الحاســدين لكم ... ونفعُ قــومٍ لقــومٍ غــيرِهم ضَرَرُ

فى كلِّ يومٍ جديدِ العهــد مبتــكرٍ ... تســوقُها لكم الرَّوْحاتُ والبُــكَرُ

لهــا بأحسابهــا طُــولٌ وما قطَعتْ ... سَــيْرا وفيهــا عن آستحقاقكم قِصَرُ

وقــد سمعتم ســواها قابلين له ... فكيف يحلو لجانى النحلةِ (٥) الصَّــبِرُ

وإنْ تشابهتِ الألفاظُ وآتفقتْ ... فرُمّةُ (٦) الحبــل شــكلا حَيّــةٌ ذَكَرُ

* * *

وقال فى غرض له

(١٥٥)

ياليــلةً ما رأتهــا أعينُ الغــيَرِ ... لم ينجُ لى قبلَها صفــوٌ من الكَدَرِ

كأنهــا ســاهمتنى فى السرور بمــا ... أولت فطالت، وعمرُ الليل فى القِصَرِ

يئست من صبحها حتى آلتفتُّ الى ... وجهِ العِشاء أعزّيه عن الــسَّحَرِ

كم يوم سُخطٍ صفا لى منه ليلُ رضًا ... حتى وهبتُ ذُنوبَ الشمسِ للقمــرِ

---

(١) أثّئر : أُدرك ثأرى، وأصله أثتئر قُلبت التاءُ ثاءً . (٢) فِقَر جمع فقرة وهى العَلَم من جبل، ويريد بذلك أن قصائده أعلامٌ فى مواطنها . (٣) شيات جمع شية وهى العلامة . (٤) فى الأصل "قراطها" . (٥) فى الأصل "النخلة" . (٦) الرمة : القطعةُ من حبل بال .

* * *

وكتب الى حضرة مؤيّد الملك أبى علىّ الرُّخّجىّ فى المهرجان وهو بواسط، يمدحه وقد آستبطأ خدمته، وأنكر تأخُّرها عنـه، ويذكر وقوفَ أمره فى أشياءَ أنعم بترتيبها من معيشته خلفاءُ له، وتولَّى إنشادَ هذه القصيدة أبو طالب بن أيّوب

تَغــرَّبْ فبالدار الحبيبـةِ دارُ	وفُــكُّ المطـايا فالمُنـاخُ إِســارُ
ولا تسأل الأقـــدارَ عمّـا تجـرُّه	مخـافةَ هُــلكٍ والســلامـةُ عارُ
اذا لم يَسَعْها الأمنُ فى عُقـرِ دارِها	نخاطِرْ بها، إنّ العـــلاءَ خِطارُ
أرى إبِلى تَعصِى الحُــداةَ كأنمـا	بـــوازلُها تحتَ الحبـالِ بِكارُ
تَقامصُ من مسّ الهوان جُنوبُهـا	كأنّ الأذى طـــردٌ لهـا وعَوارُ
تَحَسَّى[1] القذَى المنزورَ من ماءِ أهلِها	وتأبىَ النمـــيرَ العِــدَّ وهْوَ[2] بحـارُ
ومـــذ علِمتْ أن الخَشاشـــةَ[3] ذلّةٌ	ففى خَطْمها من أن تُخَشَّ نِفارُ
لغـــيرى قِـــرَى ألبانِهـا ولحومِها	ولالاقِــــةٌ[4] من أُدْمِهـا[5] وحُــوارُ[6]
متى دبَّ ماءُ الضيم فيهـا فلم تعُــدْ	مطِىَّ قفـار الأرض وهى قفـارُ
وإن لم تُناضِلْ من عقودِ نُسوعِهـا[7]	نصـولٌ نَعَى سيبَ اللِّصابِ[8] تَبـارُ[9]
ظِرابُ[10] الغضا من تحت أخفافها سَفًا[11]	يطيشُ وأحقافُ "الغويرِ" جِفارُ

(١) تحسَّى محـذوفة التـاء الأولى بمعنى تشرب، وفى الأصـل "تحاشى" ولا تتّفق والمعنى . (٢) فى الأصل : "وهى" . (٣) الخَشاشةُ : العود يوضع فى أنف البعير . (٤) اللاقحة : الناقة تقبل اللقاح، وفى الأصـل "لاحقة" . (٥) الأدم جمع أدماء، وهى التى فى لونهـا سمرة . (٦) الحُوار : ولد الناقة من حين يرضع الى أن يُفطم . (٧) نسوع جمع نِسع وهو سَيْرٌ أو حبلٌ من أَدَم تشدّ به الرِّحال . (٨) اللِّصاب جمع لِصْب وهو مضيق الوادى، ويقال : "أعذب من ماء اللصاب" . (٩) التَّبار : الهلاك . (١٠) ظِراب جمع ظَرِب وهو ما نتأ من الحجارة وحُدَّ طَرَفُه، وفى الأصـل "طراب" . (١١) السفا : التراب الذى تَسفيه الريح .

كأنّ السياطَ يقتلِعنَ اذا هـوت ... سـفائنَ منهـا ، والسرابُ بِحارُ

مُقامى على "الزّوراء" وهى حبيبـةٌ ... مع الظُّلم غَبنٌ للعُـلا وخَسارُ

وكم حَلّةٍ مجفـوّةٍ ولهـا الهـوى ... وأُخرَى لهـا البغضـاءُ وهى تُزارُ

وفى غيرها المجـدُ الذى كان مَرّةً ... لهـا شرفٌ فى قُـربه ونفـارُ

اذا حمَلتْ أرضٌ ترابَ مـذلّةٍ ... فليس عليهـا للكريم قـرارُ

وكم عزمةٍ مرتاضةٍ قـد ركبتُهـا ... نخضتُ بهـا الحاجاتِ وهى غمارُ

وذى سِـنَةٍ نجّمتُ بالنوم عينَـه ... وأجفانُه عَطفًـا عليـه طَـوارُ (١)

صَحَا لى وقد ناديتُ من سَكرةِ الكرى ... وقـد دار فى عينيـه منـه عُقارُ

تجزتُ أقصَى جودهِ وهـو كارهٌ ... ولم يكُ للـولَى عـلىّ خِيـارُ

وليلٍ أضافَ الصبحَ تحت جَناحه ... وحُصّ فـلم يرفعْهُ عنه مَطـارُ

هجمتُ عليـه قادحا ببصـيرتى ... دُجاهُ، وليـلُ الزِّبرِقانِ نَهـارُ (٢)

ومُشترِفٍ (٣) من العفـافِ آطلعتُـهُ (٤) ... وقـد نام واشٍ وآسـتقام نوارُ (٥)

فـلَم يتَـوَصّمْنى وسادُ عـلوتُه ... بعيبٍ ولم يَنْهَـدْ عـلىّ إزارُ

وقافيةٍ أسهلتُ مجـرَى طريقهـا ... لهـا فى حُلوقِ القائلين عِثـارُ

نُضـار من القـول الذى لم يُرَدْ به ... لُجَـيْنٌ ولم يوجد عليـه نُضـارُ

اذا ماآستبقْن الحسنَ يُبسطْن عن فمى ... شَردْنَ فـلم يُمـلَقْ لهن غُبـارُ (٦)

يعـيّرنى قـومٌ خلوَّ مَعـاطنى ... وفيهـم رُغاءٌ (٧) ما آشتهَـوا ونُعـارُ (٨)

---

(١) الطَّوار: ما كان على حَدّ الشيء أو بحذائه. (٢) الزبرقان : البدر. (٣) المشترف : المكان يشرف عليه. (٤) آطلعته : طلعته وعلمته. (٥) النَّوار : النُّفورُ من الرِّيبـة.
(٦) فى الأصل "غمار" ولعلها "عِصار" وهو أيضا الغبار الشديد. (٧) الرغاء : تصويت الإبل، وفى الأصل "دعاء". (٨) النعار : الصياح والتصويت بالخيشوم، وفى الأصل هكذا "نعار".

ولا عيبَ أن أهزلتُ وحدى وأسمنوا ... اذا أنا أنجدتُ العلاءَ وغاروا

ولستَ ترى الأجسامَ وهى ضئيلةٌ ... نواحلُ إلا والنفوسُ كِبارُ

خفيتُ ونُورى كامنٌ فى قناعتى ... وما كلُّ ما غَمَّ الهلالَ سِرارُ

وكيف أذود النومَ أخشى خصاصةً ... ولى من كلاءاتِ الوزيرِ جِوارُ

ونعماه ، إن دهرى أغار حُماتَه ... على الحُرّ من مسّ الهوانِ، تَغارُ

اذا ضمّنى "مؤيّد الملك" مانعا ... فما لدمِ الأيّام عندِىَ ثارُ

نُكولى اذا أمسكتُ أطرافَ حبله ... قُوًى وآفتقارى فى ذَراه يَسارُ

سقى اللهُ ماءَ النصر كفًّا بنانُها[1] ... غصونٌ لها دُرُّ البحار ثِمارُ

وحيّا على رغم الكواكب غُرّةً[2] ... أسِرّتُها للعتفين منارُ

ترى الرزق شَفّافا وراء آبتسامِها ... كما شَفَّ عن لَمعِ البروق قِطارُ[3]

وزاد آنبساطا فى الممالك راحةٌ ... يمينُ الحيا إن جاودتْه يَسارُ

من القوم لو[4] طار الفخارُ بمعشرٍ ... الى غايةٍ فوق السماء لطاروا

بَنِى الملكِ ، والدنيا بماءِ شبابها ... وأيّامُها زُغْبٌ[5] تدبُّ صِغارُ

خيامٌ على أطنابها "رُنْجيّةٌ" ... لها فى سماوات الفخار ديارُ

وزيريّةٌ جَدًّا فَجَدًّا يَعُدُّها ... على المجدِ عرقٌ ضاربٌ ونِجارُ

يُراحُ عليها بالعشىّ لَبونُها[6] ... اذا رُوِّحتْ على البيوتِ عِشارُ[7]

وشَقّ دُجُنّاتِ الخطوبِ برأيه ... بصيرٌ له سِرُّ الغيوب جِهارُ

---

(١) فى الأصل "بناتها" . (٢) فى الأصــل "الكواعب" وليست بوجيهه ولعلها محرفة كما رجّحنا . (٣) طار جمع قَطر وهو المطر . (٤) فى الأصل "إن" . (٥) زغب جمع أزغب وهو الفرخ نبت ريشه الخفيف . (٦) اللبون : غزيرة اللبن . (٧) عِشار جمع عُشَراء وهى الناقة مضى على حملها عشرة أشهر، وعُشراء وعِشار كنُفساء ونِفاس ولا ثالث لهما .

اذا رَدَّ فى أعطافه لحظاتِه ... تشعشَعَ سِربالٌ له وصِدارُ (١)

قريبُ الجَنَى حُلوٌ لأيدى عفاتِه ... وأشوسُ بين العاقرين مُرارُ

اذا ما بدا للعين راقت بشاشةٌ ... عليه وراعت هيبةٌ ووقارُ

فيُطمِعُ فيه ثغرُهُ حين يُجتدَى ... ويُؤيِسُ منه الأنفُ حين يَغارُ

له اللهُ (٢) من مُلك حميت سريرَهُ ... وغايتُهُ للطامعين وجارُ (٣)

وقد نام عنه الدافعون وكُشِّفتْ ... خَباياه للأبصارِ وهى عَوارُ (٤)

مددتَ بباعيه فلم يُرَ معصمٌ ... له بارزًا إلا وأنتَ سِوارُ

وغَرَّ بِكَ الأعداءَ خُلْقٌ مسامحٌ ... لهم وخلالٌ أن رضيتَ خِيارُ

وما علموا أنّ النصولَ شوارعٌ ... على عَلَقِ (٥) الأكبادِ وهى طِرارُ

فإنّ رقابَ الأُسْدِ دون عراكها ... مصارعُ للآجالِ وهى قِصارُ

وقد جرَّبوا عزميك والجودُ ساكنٌ ... على السِّلم والنقعُ الأغمُّ (٦) مُثارُ

وكم لك من يومٍ يَخيمُ (٧) شجاعهُ ... ولا يَعصِمُ المهزومَ منه فِرارُ (٨)

تناكَرَ عنه المدّعون فلم يكن ... سوى اسمك للأبطالِ فيه شِعارُ

وقفتَ له والمرهفاتُ كأنّها ... دَبى (٩) فوق بَيْضِ (١٠) الدارعين مُطارُ

ولو أنّ حدَّ السيف خانك دونه ... وَفَى لك جَدٌّ لم يَعقه عِثارُ

أَسِلْ (١١) مُزنَتَىْ كفَّيك يَغرَقُ بها العدا ... وسِمْ (١٢) باسمك الأعداءَ فاسمُكَ نارُ

---

(١) الصدار : قيص صغير يلى الجسد . (٢) فى الأصل " لك الله " ولعله تحريف .
(٣) الوجار : الجحر . (٤) العوار : العيب . (٥) العلق : الدم الغليظ الشديد الحمرة ، وفى الأصل "غلق" . (٦) الأغم : المظلم ، وفى الأصل " الأعمّ " . (٧) يخيم : يجبن وينكص ، وفى الأصل هكذا " عخم " . (٨) فى الأصل " قرار " . (٩) الدبى : الجراد .
(١٠) بيض جمع بَيضة وهى الخُوذة من الحديد توضع على الرأس . (١١) فى الأصل " أسا " .
(١٢) سم : فعل أمر من وسم بمعنى كوى ومنه الميسم وهو الحديدة التى يُكوَى بها ، وفى الأصل "شم" .

ولا تَلْقَ يــومَ الرَّوعِ إلا مُصالتا … بجــدِّك إن كلَّت ظُبًا وشِــفارُ

فإنّ بجُرحِ الســيفِ لا بــدَّ ثائرا … [له](١) وجراحاتِ الجدود(٢) جُبارُ

قضى اللهُ فى حُسّادِ ملكك أنهــم … وَقودٌ وأنّ الغيــظَ منك شرارُ

فألسنُهم غيظًا بواردُ(٣) رَطْبةٌ(٤) … وأكبادُهم خلفَ الضلوعِ حِرارُ

تناهَوْا(٥) حِــذارا أن يُعَلَّ حديثُهم … فما بين كلِّ آثنين فيك سِرارُ

ولاموا نجومَ السعدِ جهلا وإنما … تدورُ لك الأفــلاكُ حيث تُدارُ

تُواقِفُ أقدامَ الأســودِ كأنما … جَنابُك عزًّا أن يُرامَ مُغارُ

وتَخجَلُ من دفع الحقــوقِ كأنما … لثامُك من فــرط الحياء خِمارُ

أجبْ دعوةً ياســيِّدَ الوزراء لم … تُجِبْها قريبا إذ دعتْك مِرارُ

تناديك عن شوق، مواقدُ(٦) نارها … فــؤادى، وأنفاسى الحِـرارُ أُوارُ(٧)

أُدارِيه خوفَ الشامتين، وظاهرى … قِياسٌ لما فى باطنى وعِيارُ(٨)

الى كم يُقِــلُّ البعدُ ظهرى وكم يُرِى(٩) … لجنبى على جمـــرِ الفراقِ قَــرارُ

كأنى حِبالَ البعــدِ بينى وبينكم … يُقَــدُّ أديمى أو حشاىَ تُغارُ

وليتَ الزمانَ المطــربى باقترابكم … كما زال سُكْرٌ منــه زال خُمارُ

يكاد نزاعى نحوكم أن يطــيرَ بى … وهــل لقصيصٍ فى السماءِ مطارُ

وأُطمِعَ قــومٌ بعدكم فى تهضُّمى … فشــنُّوا على أحسابكم وأغاروا

---

(١) هذه الكلمة ليست فى الأصل. (٢) فى الأصل "الحدود". (٣، ٤) هاتان الكلمتان وردتا بالأصل هكذا "بوارد طبه". (٥) هذه الكلمة وردت فى الأصل هكذا "ساهوا" وقد صحفناها الى تناهوا وتباهوا فوجدنا الأولى أحقّ بتأدية المعنى ومعناها نهى بعضهم بعضا. (٦) فى الأصل هكذا "مواقد نار". (٧) الأوار: حر النار. (٨) ورد هذا البيت فى الأصل هكذا

* أداريه خوف الشامتين بظاهرين * الخ

(٩) فى الأصل "ترى".

ولم يعلموا مقـــدارَ عَطفةِ جودكم ... عليَّ فـــلى نقصٌ بهـــم وضِرارُ

اذا حبسوا المـاءَ الذى سُقتموهُ لى ... فمن أيــن تُســقَى سَرحتى وثِمارُ

وقد علمــوا أن لا آرتجاعَ لنَيلكم ... ولا الثوبُ مما تلبَسون(١) مُعارُ

عسى اللهُ أن يقتادَ لى بإيابكم ... فيُدرِكَ من باغى آنتقاصِىَ ثارُ

(١٥٧)

بكلِّ عزيزٍ بذلُها عنــد قومها ... لها مَنصِبٌ مَعْ حُسنِها ونِجارُ

اذا خطَــرتْ بين الرُّواةِ حسبتَهم ... يمانينَ فيما يَحمِــلون عِطارُ

تنِمُّ بما فيها كأنَّ طروسَها ... لطائمُ أهدتْها اليـك "صُحارُ"(٢)

تَضوَّعُ رَندًا "فارسيًّا" لجنسها ... "وللعُرْبِ" فيها حَنوةٌ(٣) وعَرارُ(٤)

اذا جُلِيَتْ عَطْــلَى(٥) عليك فحَلْيُها ... عُــلاكَ وحُسنُ الإستمـاعِ نِثارُ

على المهرجان وسمـــةٌ من جمالها ... "عَرُوبةُ"(٦) منها فاصلٌ وشِيارُ(٧)

لئن قصَّر المقــدارُ خَطوِىَ عنكُمُ ... فــلى غايةٌ فى بعثِها وقُصارُ(٨)

* * *

وقال وقد جَرَتْ نَبوةٌ للصاحب أبى القاسم بن عبــد الرحيم بالحضرة ونُفورٌ مع سلطانه فى خطاب، فاقتضت آعتزالَه عما كان اليه ولزومَ بيته، ثم عاد أمرُه الى أحسن ما كان عليــه رتبةً وآرتقاءً وتمكّنًا من الحضرة وآنبساطا، وأُفيضت المكارمُ عليه(٩)، وضُوعِف الإحسان اليه، وكتب بهـا اليه يُعلِمه بمـا تجدّد، ويذكر التهنئةَ وذِكرَ الحالِ، ويحثّه على إبانة مسرّته بمـا كان يقول فيها، وأنفذها الى واسط

(١) فى الأصل "يلبسون". (٢) صُحار: قصبةُ عُمَان وهى مدينة ليس على بحر الصين أجلّ منها وهى عامرة ومشهورة بطيب هوائها وخيراتها وأسواقها. (٣) الحنوة: نباتٌ طيِّب الريح. (٤) العرار: النرجس البرىّ أو هو بهارٌ ناعمٌ أصفرُ طيِّبُ النَّكهة. (٥) عطلَى: غير متحلية. (٦) عروبة: اسم ليوم الجمعة تعريب "أُرُبَا" النبطية أو "عَرو بَتَا" السريانية. (٧) شِيار: اسم ليوم السبت، ولعله أراد تشبيه قصائده بيوم الجمعة والسبت لجلال مقامهما عنــد المسلمين وبعض أهل الكتاب. (٨) القُصار: الغاية. (٩) فى الأصل "اليه".

هل تَقبـــلون إنابةَ الدهرِ أم تُنصِتون له الى عُـــذرِ
أم تَعرفون لقُربِ رَجعتِـــهِ ما كان همَّ بـــه من الغـــدرِ (١)
فلقـــد أتاكم يستظلُّ بكم من حَرِّ سخطِكُمُ ويَســـتذرى (٢) (٣)
متنصِّـــلا من هفوةٍ ، يدُهُ كادت تَشُـــلُّ بها وما يدرى (٤)
خزيانَ يُقسِمُ : لا سعَى أبدا للجـــد فى وَهْنٍ ولا عَقْـــرِ
وَسْمُ الندامـــةِ فوق جبهتـــه ويداه بالإقـــرارِ فى أسرِ
يَلقَى الجراحـــةَ بالدواملِ من إقلاعِـــه والكَسْرَ بالجَبْرِ (٥)
فاَستعملوا البُقيـــا التى فُطرتْ فيها حلومُكُمُ من الصخرِ
واَســـتعبدوه بعفوكم فلكم بالجود من عبـــدٍ لكم حُرِّ
وأنا الزعيمُ لكم بعُهـــدتِه ووفائِه وشفيعُهُ شِـــعرى (٦)
قد كان غمرا لم يجـــد خورا وأظافرا خدشت ولم تفـــرِ
ونوافـــذًا حرِشت فما لقيت حَرِجًا ولا متقبِّضَ الصَّـــدرِ (٧) (٨)
أُذُنٌ تمجُّ الهُجْـــرَ تسمعه ولسانُ صِـــدقٍ حاضرُ النَّصرِ
طرفٌ أشمُّ من الرجال أبَى فى الضيم أن يُعزَى الى صَـــبْرِ
ومـــودّةٌ كَمَلتْ فعـــوّرها نَبْذٌ من الإعراض والهَجْرِ (٩)
عتْبٌ تخلَّص فى تراجمـــه من عثرة الفحشاءِ والهُجْـــرِ
لم يحترِش ضَغَنًا ولا حُنيتْ عُوجُ الضـــلوع له على غِمـــرِ (١٠)
مَـــدَّ الوشاةُ له رقابَهُـــمُ يتطلعون عواقبَ المكـــرِ

(١) فى الأصل ‌"العذر‌" . (٢) فى الأصل ‌"يستطيل‌" . (٣) يستذرى : يستظل و يلتجىء .
(٤) فى الأصل ‌"كانت تسل‌" . (٥) الدوامل جمع داملة وهى ما تُبرئ الجرح . (٦) العهدة : الرجعة الى الإصلاح . (٧) حرشت : خشنت . (٨) الحرِجُ : الضيِّق و فى الأصل ‌"جَرَحًا‌" .
(٩) عوّرها : جعل بها عوارا . (١٠) لم يحترش : لم يَجْمع ، وفى الأصل ‌"تحترس‌" .

يرمون بالأبصار رائـــدةً أنّى تصُـــوبُ سحابةُ الشرِّ
ظنّوا اليـــدَ اليمنَى اذا بطَشتْ قعـــدتْ بيسراها عن النصرِ
والنيّران و إن همـــا آختلفـــا فالشمسُ لا تُرتابُ بالبـــدرِ
يا خاب سعيُ مرقّشين(١) مشَوا بالغشّ بين المـاء والخمرِ
و مسوّلين نفوسَهم حسدا أن القِطارَ تُظنُّ كالبحـــرِ
خبطوا من التمـــويه فى ظُلَمٍ أســـفرن عن مُستَبْهَمٍ وعِرِ
لا يســـتقرُّ به الدليـــلُ على قصٍّ ولا يحنـــو على السَّفْرِ
قـــد عانقوا فيـــه رحالَهُمُ ـن قائفٍ أَثَرًا ومســـتقرِى(٢)
يَغلِى الهجيرُ بهـــم اذا آنغمسوا فى الآل غلْىَ المـاءِ فى القِـــدرِ
نجواهُمُ فيـــه اذا آشتوَروا : يا ليتَ لم نركبْكَ من ظَهْرِ
قد طَأمنَتْ فقَعوا لها وضَعوا الـ ـجَبَهاتِ موجةَ ذلك العِـبْرِ
وأفاقت الأيّام وآعترفت بمكانِ جَهلتِها على السُّـكْرِ
فتساندوا أسفا الى صَــدَفٍ(٣) هاوٍ على ممطـــولةِ القِـــعرِ
ملســاءَ لا تجد الاكفُّ بهـا عَلَقًا(٤) بأنمـــلةٍ ولا ظُفْـــرِ
عَضُّوا(٥) الحصا إن لان من كمدٍ لضروسكم وآمشُوا على الجمـــرِ
الله أحسنُ للعـــلا نظـــرا وأبرُّ بالمعـــروفِ والـــبرِّ
وأشـــدُّ ضَنًّا(٦) بالمحاسن أن يُقوِينَ من عيْنٍ ومن أَثْرِ(٧)
أو أن تُعطَّلَ(٨) بالذى زعمـــوا سُنَنُ الهـــدَى ومواسمُ الشكرِ

---

(١) مرقّشين : مزوّرين . (٢) القائف والمستقرى : المتتبع الأثر وغيره . (٣) فى الأصل "صدق" . (٤) العلق : مصدر بمعنى التعلق . (٥) فى الأصل : "غضّوا" . (٦) فى الأصل " صبا " . (٧) يريد " أثَر" وسكنت الثاء للضرورة . (٨) فى الأصل " تعطى " .

والمُلكُ يعـــلم أىّ[١] سيفٍ وغًى ... يَمضى وسهمٍ رميّـــة يَبرى
وترى الرجالَ وفوتَ[٢] بينِهِـــمُ ... مثلَ البِهامِ[٣] تُقاس بالغُـــرِّ[٤]
فيُعَدُّ للجُـــلَّى أتمُّهُـــمُ ... باعا وأحفظُهم قُـــوَى أَسْرِ[٥]
وأخفُّهم فى صدر موكبه ... سَرْجا وأثقلُهم على الصـــدرِ
ورأوا ظلامَ الأمرِ منذُ خبا ... عنهـــم سراجُ النُّهَى والأمرِ
قبضوا الذراعَ الرّحبَ وآعتقدوا ... أنّ السماء تُقاسُ بالفِـــتْرِ
وآستصغروا عفوَ اللبيب فما آسـ ... ـتغنَوا بجهـــل الغافل الغَـــمْرِ
حتى اذا أَبَّتْ[٦] حلومُهُـــمُ ... فرًّا طليعـــةَ رأيهـــم تَسرى،
عادوا وقـــد خَفَّ البُغاثُ بهم ... يستطعمونَ مخالبَ النَّسرِ
فاقـــلْ عِثـــارَهُمُ فإنهُـــمُ ... رجعوا اليك رجـــوعَ مضْطَرِّ
وآحمِل – كما عَوّدتَ – ثِقلَهُمُ ... وآنهض لهم بالنفع والضَّرِّ
وأعـــدْ مناكبهم كما أَلِفتْ ... بك من ثياب العزّ والفخـــرِ
وتَمَـــلَّ ما أُلبِستَ من نِعَمٍ ... تكسو الزمانَ بهـــا ولا تعرى
هذى ثمـــارُ الحِلمِ مُجلَبَـــةٌ[٧] ... فتهنّها ونتيجـــة الصّـــبرِ
وعواقب الحسنى، وواحدة الـ ... ـحسنات عنـــد الله بالعَشْرِ[٨]
قد كايلوك بقـــدر وُسعهِمُ ... من رفع منزلةٍ ومن قـــدرِ
فآقنع ولا تُخجِلْ مَكارمَهـــم ... بظـــلالِ عالٍ مالُهُ يَجـــرِى[٩]
ومتى ترمْ ما تستحقُّ فقـــد ... كلّفتَهُمُ ما ليس فى الدّهرِ

---

(١) فى الأصل "أن". (٢) فى الاصل "وقوت". (٣) البهام: السود. (٤) الغر جمع أغرّ أو غرّاء، وفى الأصـــل "العر". (٥) الأسر: شـــدّة الخلق. (٦) أبّت: تهيّأت للسير وتجهّزت، وفى الأصل "أنت". (٧) مجلبة: مجموعة. (٨) يشير الى قوله تعالى (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا). (٩) فى الأصل "تجرى".

شمخت بأنفك عزةٌ قعست (١) أن تستقاد بمخطم القسر (٢)
صمّاء من "عبد الرحيم" لها عرقٌ يمدُّ إلى "منو جهر" (٣)
درج القرون وبيت مفخرها عالى العماد مخلَّدُ الذِّكر
طابت أحاديث (٤) الملوك ولا كالعرف من آبائك الغرِّ
الناضلين بكل صائبة فى الرأى ضافية (٥) على النّفر (٦)
سيّارةٍ فى الأرض سنّتها بالعدل سير (٧) الأنجم الزُّهر
والباسطين لمنع جانبهم بُوعا تطول على القنا السُّمر
واذا الكماة دُعُوا فصدّهُمُ جَبْنٌ يُغالَطُ عنه بالوقر
شدُّوا الفجاج الى صريخهم (٨) يتكاثرون تكاثر القطر
لهم الجفانُ البيضُ ضاحكة تحت الليالى الكُلّح الغُبر
يتنازعون على الحديث، بها يقوى مقلُّهُم على المُثرى
كرماء معترفون إن طرقت أمُّ السنين بحادث نُكر
صبروا على البؤسى تعمُّهمُ فكأنّهم أثروا من الفقر
أنشرتهم بعد الدُّثور كما ولدوك بعد الطىِّ والنشر
بك أورقت للجد دوحتُهُ واهتزّ فى أفنانه الخُضر
وأضاء للأقوال مسلكُها فمضى النجاحُ بركبها يسرى
حلفَ السماحُ عليك: لا وَصَلَ ا لـ أسبابَ بين يديك بالوفر

---

(١) قعست : علت وعزّت . (٢) المخطم : حبل يقتاد به البعير ويثنى على خطمه أى أنفه .
(٣) منوجهر : أحد ملوك الفرس . (٤) فى الأصل "أحادث" . (٥) ضافية : سابغة تقوم مقام الدرع، وفى الأصل "صافية" . (٦) النفر : القوم ينفرون معك و يتنافرون فى القتال . (٧) فى الأصل "بالعدّ" . (٨) فى الأصل "ضريحهم" .

(١٥٩)

ومن العجائب أن تطيعَك فى ... قَبْضٍ يدٌ[(١)] هى جدولٌ يجـــرى

أنا ذلك المـــولى المقيمُ على ... صدقِ الهوى وسلامةِ الصدرِ

محفوظةٌ عنـــدى ودائعكم ... فى الودّ حفظَ نفائسِ الذّخر

خَـــلّى الأقاربُ عنكمُ ويدى ... معصومةٌ بكُمُ الى الحشـــرِ

لا نبـــوةُ الدنيـــا تغـــيّرنى ... عنكم ولا متغـــيِّرُ الأمرِ

ناديكُمُ ظِـــلّى ودولتُكـــم ... عِزّى وعمرُ سعودِكم عمـــرى

جاهرتُ فيكم بالعـــداوةِ مَنْ ... تُخشَى العـــداوةُ منه فى السِّرّ

ولقيتُ قـــوما دونكم كرهوا ... أيّامَكم بقـــواصمِ الظهـــرِ

كم قـــولةٍ جرّعتُ قائلَهـــا ... غُصصا بتـــكذيبٍ له مُرِّ

وحملتُ أخرَى خفتُ صاحبَها ... أطوِى الجناحَ له على الكَسْرِ

حتى تسرّى الخطبُ وانفرجتْ ... كُرَبُ الدُّجى بتبلُّج الفجـــرِ

فالان يانفسى لهـــا انفسحى ... جَذَلا وياعينى لهـــا قَـــرِّى

وانهض بجهدك يالسانِىَ فى الـ ... ـبُشرَى لهـــا وتَصَفَّ يافكرى

وابعث ضوارعَ[(٢)] عنك نائبـــةً ... إن أخّرتْك عـــوائقُ الدهرِ

ولاجةً، تطأ الصـــدورَ بهـــا ... كَلِـــمٌ توسّعُ ضيّق العُـــذْرِ

نفّـــاثةَ العُقَـــداتِ تحسبُهـــا ... هبطتْ الى "هاروتَ" بالسحرِ

وكأنمـــا نَفَضَ التّجارُ بهـــا ... بين البيوت حقائبَ العطـــرِ

يَشقَى بهـــا المتحرِّشـــون[(٣)] كما ... تشقَى يدُ المشتـــارِ[(٤)] بالدَّبْـــرِ[(٥)]

فاستقبِـــلوا غُرَرا مُوَحَّـــدةً ... سيقتْ لكم من واحدِ العصرِ

---

(١) فى الأصل "قض". (٢) ضوارع: مبتهلات، وفى الأصـــل "صوادع".

(٣) المتحرشون: المتعرضون، وقد وردت هـــذه الكلمة فى الأصـــل هكذا "المحوسون".

(٤) المشتار: جانى العسل. (٥) الدبر: جماعة النحل.

وتمسّكوا منّى بجوهرة الـ ـغوّاص وآحمُوا معـدِن التبرِ
وآقضوا نذورَ الشِّعر فِيَّ فقد قَضَّيْتُ فيكم شاكرا نَذْرى

* * *

وقال وكتب بها إلى أبى المعالى فى النيروز

اذا رُفِعَتْ من ''شَرافَ'' الخدورُ فصبرَك إن قلتَ : إنى صبورُ
ستعلمُ كيف يُطَـلُّ القتيـ ـلُ بعد النوى ويُذَلُّ الأسيرُ
فإن كنتَ منتصِرا فاستقِدْ بثأرك والعيسُ عَجْلَى تثورُ
وإلّا فلِنْ جانبا للفراقِ فما كنتَ أوّلَ جَلْدٍ يخورُ
ألا تُسعدانى بعينيْكما وما كنتُ قبل الهوى أستعيرُ
فقد حار لحظِىَ بين آثنتين : هوًى منجِدٍ وخليطٍ يغورُ
ترى العينُ ما لا يراه الفؤادُ فيقصِدُ قلبى وطرفى يجورُ(١)
وقفتُ وقد فاتنى بالحُمو لِ غضبانُ ليلٍ سراه قصيرُ
عنيفٌ اذا ساقَ لم يلتفتْ لساقٍ تَطيحُ ومخٍّ يَريرُ(٢)
كفاه مع العيس حسنَ النشاط حنينىَ فى إثرها والزفيرُ
ولما تعيَّفتُ فآستعجمت مَيامنُ كانت بخيرٍ تطيرُ
ولم ادرِ والشكُّ يَنفِى(٣) اليَقينَ الى أىِّ شِقَّىَّ طريقى أصيرُ
تَنَبَّهَ، من هاجعاتِ الرياح فدلَّ عليكم، نَسيمٌ عطيرُ
وخاطَفَ عينِىَ برقٌ تَشا مُ فى حافَتيْه الطُّلَى والنحورُ
وفى الظُّعْن مشتبِهاتُ(٤) الجَما لِ تَشقَى بأعجازهنّ الصدورُ

(١) فى الأصل ''يحور''. (٢) يرير : يذوب . (٣) فى الأصل ''يلق''.
(٤) فى الأصل ''مشبهات'' والبيت بها لا يتّزن .

حملنَ الى قتلنـا فى الجفون سـيوفا حمائلهن الشعورُ
وقُـلِّدنَ دُرًّا تحـدَّرْنَ عنه كأنّ قـلائدَهنَّ النحـورُ
بكيتُ دمًا يوم "سفحِ الغويرِ" وذاكَ لهم ـ وهو جهدى ـ يسيرُ
ومن عجبِ الحبّ قَطْرُ الدما ءِ من مقلتى وفؤادى العقـيرُ
وليــلٍ تعلّقَ فيـه الصباحُ فمـا يستَسِرُّ وما يستنـيرُ
يعـــود بأوّلِ نِصفيْــه لى اذا قلتُ : كاد وجاء الأخـيرُ
كأنّ ســنا الفجر حيرانَ فيـ ـه أعمَى تقاعدَ عنه بصـيرُ
نســيرُ به ونحطُّ الركابَ (١) وغيهبُــه جانحٌ لا يسـيرُ
كأنّ الـثريّا على جنحه يدى من مَقام الهوى تستجيرُ (٢)
سريتُ أشاورُ فيــه النجومَ ومالِىَ بالصبح فيهـا بشـيرُ
إلى حاجةٍ فى العــلا همّتى إليهـا تطول وحظّى قصـيرُ
وهـل ينفعُ الرمحَ ، مالم يُنَطْ بكفٍّ تُطاعِنُ، نصـلٌ طريرُ
عَذيرِىَ من وجه دهرِى الوَقاحِ وأين من المتجنِّى عَـذيرُ
ومن غَـدرِ أيّامه العادياتِ (٣) على ما أذمّتْ عليـه تُغيرُ (٤)
ألم يكفِهـا أنّ غصنَ الصِّبا ذوَى وآسـتردَّ الشبابَ المعيرُ
ولو نظـرَتْ حسَنا لم تمِــلْ علىَّ ومالِىَ فيهـا نظـيرُ
ومولًى اذا أنا قلتُ : آحتكم تفاحشَ يحبِسنى (٥) أو يجـورُ (٦)
رمانى وقال : آحترِسْ من سواىَ ليشعَبَ قلبىَ منه الفُطــورُ



---

(١) فى الأصل " يسير به و يحطّ الركاب " . (٢) معناه أن أنجم الثريا تشبه يده حين يرفعها مستعيذا من الحبّ . (٣) فى الأصل "عذر" . (٤) فى الأصل " تعير" . (٥) فى الأصل يحسنى . (٦) فى الأصل "يحور" .

ألم يأته أنه لا يُجَس[1] غورى ولا يطَّبينى الغؤور[2]

وأن حِمَى "هِبةِ الله" نى من الضيم لو رام ضيمى مجيرُ

ومن يعتصمْ بمعالى "أبى ال‍ ـمعالى" يبتْ كوكبا لا يغورُ

يبيتْ للغزالةِ من دونه ذراعٌ قصيرٌ وطرفٌ حسيرُ

حَمَى سَرحَ سودَدِه أن يرا عَ أشوسُ دون حِماه هصورُ

وقام بنُصرة إحسانه فتًى لا يُخذَّلُ وهو النصيرُ

طليقُ المحيا اذا ياسروه وجَهمٌ اذا حاربوه عسيرُ

له خُلُقانِ من الماء ذا كَ ملحٌ وهذا فُراتٌ نميرُ

وطعانِ إن طَمِعَ الحلُوفيه قام يدافعُ عنه المريرُ

اذا انتُهِكتْ للعلا حُرمةٌ تمَّرَ منه أبىٌّ غيورُ

وإن جئتَ محتلبا كفَّه سق من أوامك ضرعٌ دَرورُ

وفَى بالسيادة لَدْنَ القضيبِ[3] ولم تتعاقبْ عليه العصورُ

ورُشِّح عاتقُه للنِّجاد ولم تُلقَ أخرازُه والسيورُ

حمولٌ قويمُ قناةِ الفَقارِ[4] اذا ركعتْ للخطوبِ الظهورُ

رحيبُ الأضالِع ثبْتٌ اذا تنفَّس من ضِيقهن الضَّجورُ

غنىٌّ بأولِ آرائه اذا ما آستبدَّ فما يستشيرُ

سماتُ آبنِ عشرين فى وجهِه وفى حلمهِ عشَراتٌ كثيرُ

كريمٌ تفرَّع من أكرمين، كَوْرُ[5] نجارِهمُ لا يحورُ[6]

---

(١) فى الأصل "يحس" . (٢) الغؤور : الدخول فى الشىء . (٣) لدن القضيب : كناية عن غضارته وصغر سنه . (٤) قناة الفَقار : كناية عن العمود الفقرىّ . (٥) الكَوْر : الزيادة . (٦) لا يحور : لا ينقُص ، ومنه الحديث "نعوذ بالله من الحَوْرِ بعد الكَوْر" ، وفى الأصل "لا يخور" .

وُسُومُهُمُ فى جباهِ الدهـــو ر بالعـــزّ تبقَى وتَفنَى الدهورُ
اذا مات منهـــم فتًى فآبنُـــه حيـــاةٌ لسؤدُده أو نشـــورُ
بَنَى البيتَ لا ترتقى الفاحشاتُ اليـــهِ ولو حَمَلتْهـــا النُّســـورُ
رفيـــعُ العمادِ تـــرى بيتَـــه مكانَ آبتنى منكِبيْـــه "ثَبِيرُ"[1]
تَزالَقُ عنـــه لحـــاظُ العيونِ فترجِعُ عن أفقِـــهِ وهْى زُورُ[2]
ولو لم يكنْ فى العلوِّ السماءَ لمـــا طلَعتْ منه هذى البدورُ
لنـــيرانهـــم فى مُتونِ اليَفاعِ لحـــاظٌ الى طارق الليل صُورُ[3]
مواقـــدُ تُضرَمُ بالمنـــدلىِّ[4] وتُنحَـــرُ من حولهنَّ البُـــدورُ
عُلًا شادَها مجدُ "عبد الرحيم" على خُطّةٍ خطَّها "أرْدَشِيرُ"
فروعٌ لهـــمْ قَـــلَمُ المُلك من أصـــولٍ لهـــم تاجُهُ والسريرُ
فـــداكم شقىٌّ بنُعماكُـــمُ تلثَّمَ عجْـــزا وأنتم سُـــفورُ
له حين يبطُشُ باعٌ أشـــلُّ من دونكـــم وجَنـــاحٌ كسيرُ
ضعيفُ جناحِ الحشا بائحُ اللسان بمـــا ضمَّ منه الضمـــيرُ
يغيض بأذرعكـــم فِـــتْرُه وكيف ينـــالُ الطويلَ القصيرُ
تدورُ عليـــه رَحَى غيظِـــهِ بكم وعليكم تدورُ الأمـــورُ
على صـــدره حسَدٌ أن غَدَتْ بأوجهكم[5] تستنيرُ الصـــدورُ
لكم كلَّ يـــومٍ بمـــا ساءه بشـــيرٌ ومنكم اليـــه نذيرُ

---

(١) ثبير: اسم جبل، وفى الأصل "تبير" وهو تحريف. (٢) زور: جمع زوراء وهى المائلة فى عوج وفى الأصل "صور". (٣) صور، مائلات. (٤) المندلىّ: العود أو هو المنسوب الى مَنْدَل وهى بلدة بالهند. (٥) فى الأصل "بأوجهك"

فللسيف والسَّرج منكم فتًى أميرٌ وللدَّست منكم وزيرُ

وليس له غيرَ عضِّ البنان وذمِّ الزمان عليكم ظهيرُ

بكم وضَحتْ سُبل المكْرُماتِ وبات سِراجُ الأمانى يُنيرُ

ومالتْ الىَّ رقابُ المديـ ـحِ تُصحِبُ[1] وهى عَواصٍ[2] نفُورُ

وكان جبانا لسانُ السؤالِ فأصبح وهو جرىءٌ جسورُ

ملكتم نواصِىَ هذا الكلام فليس بهنَّ سواكم يطورُ[3]

لذاك وأنتم فحولُ الرجا ل يهواكم الشعرُ والشعر زِيرُ[4]

وهبْتُ لسانى وقلبى لكم فيوما ودادٌ ويوما شُكورُ

وأصبحتُ منكم فمن رامنى سواكم فذاك مَرامٌ عسيرُ

لك الخيرُ، إنى فتًى منك شِمتُ نداك فأسبَلَ نوءٌ غزيرُ

وجوهرةً، لم تلِدْ مثلَها على طول غوصِىَ فيها البحورُ

وربَّ ندًى لك مستملَحٌ صغيرُك عندِىَ فيه كبيرُ

يطيبُ فأبصرتَ منه مكانَ رضاى وغيرُك عنه صبورُ

لئن قمتَ فيه بشرط الوفاء على فَوْرةٍ لم يعقها فتورُ،

فما كان أوّلَ ما يعجزو ن عنه وأنت عليه قديرُ

وكم أملٍ لى حَصيصٍ[5] وثقتُ بأنّ جناحك فيه يطيرُ

وعندِىَ من أمّهات الجزاءِ وَلودٌ وأُمُّ القوافى نَزورُ

تزورك فى كلّ يومٍ أغرَّ بحقٍّ من المدح ما فيه زُورُ

(١) تصحب : تذلّ وتنقاد . (٢) فى الأصل "عواص" . (٣) يطور : يحيط .

(٤) الزير : الرجل الغزِلُ الذى يحبّ مجالسة النساءِ ومحادثتهنّ . (٥) الحصيص : القليل الشعر، وفى الأصل "حضيض" .

أوانسُ، جــودُك من كفنّها إذا أبرزتْها اليك الخــدورُ
وأمـــدحُ قوما ولكــننى اليك بمـا قلتُ فيهـــم أُشيرُ

* * *

وكتب اليه فى النيروز

لِمَن الطُلولُ تراقصتْ(١)؟ نَجْــوَى حشاك قِفارُها !
قفـــرٌ نبـا بك ودُّها وتعلّقتـــك ديارُها
إن كنتَ أعينَهـا عدمـ ـتَ فهـــذه آثارُها
دِمَنٌ كسـحبة الأزْ مـ ـة مُســحَلا إمرارُها
ماتت حقائقُهـا وخُـ ـدّ ـدَ زُورها ومُعـارُها
وآمتدَّ ليــلُ السافيا تِ بجـــوّها ونَهـارُها
عندى لها إن أجدبتْ وَكّافــةٌ تمتـارُها
أَنِستْ بإسبال الدمو عِ كأنهـا أشـــفارُها
ونعم بكيت، فهل تبـ ـدَّ ـلك سائلا أخبـارُها ؟
واهًا لها من حاجةٍ لو قُضِّيَتْ أوطـارُها
يا دارُ تُرْبُكِ والهجـ ـيرُ وأضلعى وأُوارُها
حفظا «برملةَ» إن ألـ ـطَّ(٢) بذمـــةٍ غـــدّارُها
لا ضاع ما بينى وبيـ ـنك عهــدُها وذِمارُها
خلَتِ الليـالى من بدو رِكِ تِمُّهـا وسِرارُها
حتى كأنّ معيشــةً لم يحــلُ فيك مُرارُها
ومآربا برباكِ ما آسـ ـترختْ لنـا أستارُها

(١) تراقصتْ : ظهرت كأنها ترقص مع بعضها البعض لفعل السراب بها إذ يبينُ طللا ويُخفِى آخرَ وهو من قولهم : ترقَّصت المفازة أى آرتفعت وآنخفضت من فعل السراب بها . (٢) ألطّ : جحد وأنكر .

إذ كلُّ ذى هَدفين فيـ   ـك كأسُها وصُوارُها (١)

ومسائح (٢) الأيام بقـ   ـلٌ أخضرٌ وعِـذارها

وجهيرة فى الحسن تُكـ   ـتَمُ فى الهـوى أسرارُها

كثرت (٣) ضرائرها وقـ   ـلَّ بذلك آستضرارُها

بلهاء يَرتبِـطُ الحليـ   ـمَ من الرجال إسارُها

خبثت أحاديث الوشا   ةِ بها وطاب إزارُها

خُلِقَتْ معطَّرةً تُخَيِّـ   ـبَ كاسدا عطّارُها

وتَذَكَّرَتْ أَلفاظُها   فثنَى اللثامَ خمارُها

يا صاحبي، والعينُ تغـ   ـنَمُ أو يُظَنَّ عُرارُها (٤)

والليلة الطولى يُخَوِّ   ضُ بالجفون غمارُها

طرقَتْ "زميلةُ" تجتلى   ظلمَ "اللّوى" أنوارُها

وعلى الرحال مُمَلْمَلو   نَ (٥) وسادُهم أكوارُها

فى ليلِه لم يَنْثُ (٦) غـ   ـيرَ حديثها سُمّارُها

عجبا لها نَفِضتْ إلـ   ـىَّ سحيقـةً (٧) أقطارُها

"بالغوطتين" جبالُها   و"ببطن وجرةَ" دارُها

باتت تعاطينى "بنخـ   ـلةَ" (٨) نخـلةٌ أشتارُها (٩)

---

(١) الصوار : القطيع من البقر . (٢) المسائح جمع مسيحة وهى ما بين الصدعين إلى الجبهة ، وفى الأصل "مسابح" . (٣) فى الأصل "كبرَتْ" وهو تحريف يعينه قوله "قلَّ" .
(٤) العُرار : الإثم والجناية . (٥) مململون : متقلبون . (٦) ينثُ : يُذِعْ ، وقد ورد هذا الصدر فى الأصل هكذا * فى ليلة نث غير * الخ (٧) فى الأصل "سحيقة" .
(٨) نخلة : اسم قرية بينها وبين بعلبك ثلاثة أميال ، وفيها يقول المتنبي

ما مقامى بدار "نخلة" إلا * كمقام المسيح بين اليهود

(٩) أشتارها : أجنيها وفى الأصل "أستارها" .

وتبسّمت عن بَرقَـــةٍ عسلُ الرُّضابِ قِطارُها

جـــدَ الحيـا بَرَدًا[١] بها وجرَتْ يذوبُ عُقارها

لم يألُ ناظمُ عِقـــدِها نَصحا ولا خَمّـارُها

طرقَتْ بسهلٍ والمســا لكُ صـــعبةٌ أخطارُها

حَلَبَ البكيّـة ثم جَـــدّ من الصباحِ نِفارُها

فاذا يدى لم تعتـــلِقْ بســوى المنَى أظفارُها

ولقـــد رفعتُ طلائحا جُرْدُ[٢] البطون قِصارُها

ضاقت مباركها وجا لت فوقَها أســتارُها

"نجدا" تُغَرِّبُ، والهوَى "بمحجّـــرٍ" أقارُها

وعلى الربيئـــة أشعثٌ سَدٌّ عليـــه غُبارُها

ذو شَمْـلةٍ سَمَلٍ[٣] يُحا لِطُ جــلدَهُ أطارُها

طابتْ [له][٤] "صحراء صا رةَ"[٥] أثلُهـا وعَرارُها

يرعَى قلائصَ تُنتَـــقَى وحصَى[٦] "الأُبيرِقِ" دارُها

إن ما طلتـــه بغُزْرِها[٧] نهضت بهِ أعيارُها[٨]

نظـــر الربيعَ بجُهْـــدِ لبقـــوله[٩] أوتارُهــا

يا راعىَ البَكَرات[١٠] ما "نجدٌ" وما أخبـارها؟

أوقِدْ بذِى السَّمُراتِ[١١] لى فقـــد آستغمَّ مُنـارُها

(١٦٣)

(١) فى الأصل "بردائها" وهو تحريف . (٢) فى الأصل "حرر" . (٣) سمل : بالية .
(٤) ليست موجودة بالأصل و يقتضيها المعنى والوزن . (٥) صارة : اسم جبل فى ديار بنى أسد .
(٦) فى الأصل "حصى" بغير واو . (٧) الغزر : النياق ذوات الدَّر . (٨) أعيار جمع عَيْر وهو الحمار . (٩) بالأصل "لبعوله" . (١٠) البكرات جمع بكرة وهى الفتيّة من الإبل .
(١١) ذى السمرات : ناحية من نواحى العقيق . والسَّمُرلغة : العضاه .

ولو أنها بضلوعِىَ الـ عوجاءِ تُذكَى نارُها

إن ينتقِضْ كَرُّ الخطو بِ قُوای وٱستمرارُها،

ويردّنى نقدُ العيو نِ تصادفَتْ أبصارُها،

وتقومُ لى بيدَىْ مشيـ ـبِ مَفارِقى أعذارُها[1]،

فلربَّ نَضرةِ[2] عيشةٍ لى صفوُها ونُضارُها

وعَزيبةٍ[3] من لذَّةٍ راحتْ علىَّ عِشارُها

وقضيَّةٍ فى الحبِّ لم يُمْلَلْ علىَّ خِيارُها

وصقيلةِ الأنيابِ[4] تُشـ ـرَبُ حُلوةً أسآرُها

تقع الأمانى دون ما تَثْنِى به أسحارُها[5]

باتت[6] وذِكرِى طيّبا دونَ الفراشِ شِعارُها

عرَّجتُ عنها مُعرِضا وقد ٱستقام مَزارُها

وسلافةٍ كدمِ الغزا لِ تُخالُ مِسكًا فارُها

ممّا أعانَ عليه "طِيـ ـبةَ بابلٍ" أنهارُها

غالَى بها السابونَ وٱقـ ـتَقدَ[7] البُدورَ[8] تِجارُها

فى بيتِ نَصرانيّةٍ باسم "المسيح" عِيارُها[9]

---

(١) ورد هذا البيت فى الأصل هكذا

ويقوبى بيدى بشيب مفارق أعذارها

(٢) فى الأصل "نضارة". (٣) هذه الكلمة بالأصل هكذا "وعرسة". (٤) فى الأصل "الأنبات". (٥) أسحار جمع سَحْر وهو الرئة ويراد بها الصدر. (٦) فى الأصل "بانت".

(٧) فى الأصل "واقتعد". (٨) البدور جمع بَدْرة وهى جلد السخلة يسع عشرةَ آلاف درهم.

(٩) العيار: ما جُعل نظاما للشىء يقاس به ويسوّى ويقدَّر، وفى الأصل "عبار".

وَكَتِ[1] القِرافَ[2] بحِجرِها ... ووِكاؤُها زُنَّارُها
ما كستُ كفَّ مديرِها ... وعلى هواى مَـداُرُها
لما حلَتْ رشَفاتُها ... لم تحـلُ لى أوزارُها
وسـواىَ واثِبُ[3] لذّةٍ ... تفـنَى ويبـقَى عارُها
ما للرجال تروم أشـ ... ـواطِى الطِّوالَ قِصارُها
أحفيتُ[4] رُسغَ جيادها ... وتنـوءُ بى[5] أعيـارُها
سـل ناخسـا إبلى بأ ... ىِّ تدنُّس عَـوارُها
وحِمى بنى "عبد الرحيـ ... ـم" يحوطُها وجِوارُها
فاذا ذراهم بُزْلُهـا ... مرحـولة وبِكارُها
أهونْ بباغى ضيمِها[6] ... يوما وهـم أنصارُها
والهضبةُ الملساءُ تمـ ... ـنعُ أن يداسَ خَبارُها[7]
والدوحـةُ العيناءُ[8] تحـ ... ـلو للجُناة ثمـارُهـا
ما بات يُفقِرها الندَى ... إلا "وتَّم"[9] يَسـارُهـا
لولا تُـقَى سُـؤّالهـا ... لاستُهوِنَتْ أعمـارُها
حلـاء والكلمُ القـوا ... ذِعُ[10] مُغضِبٌ عـوّارُها

---

(١) وكت كأوكت بمعنى شـدّت بالوكاء فم القربة ، والوكاء : رباط القربة ، وفى الأصـل هكذا "رسـ" .   (٢) فى الأصل " الفراق" ولما كانت هذه الكلمة لا تؤدّى معنى اضطررنا الى تحويرها فلم نجد ما يحكيها فى حروفها إلا " القراف " وهى أوعية من جلود واحدها قَرْفٌ وإلا " الفراف " وهو المكيال العظيم الضخم ، وكلاهما يؤدّى معنى لا بأس به فى السياق .   (٣) فى الأصل " وأبث " .
(٤) فى الأصل " أخفيت" .   (٥) فى الأصل هكذا "ولوى" .   (٦) فى الأصل "ضمها" .
(٧) الخبار : ما لان من الأرض .   (٨) العيناء : الخضراء .   (٩) فى الأصل "وتم" .
(١٠) القواذع : الكلمات التى فيها فحش وشتيمة .

ومغامرون إذا الكما ةُ تواكلتْ أغمارُها
عُرْبُ(١) الأكفِّ نمتهمُ من "فارس" أحرارُها
سالت أناملهم وشا لت(٢) أنفسٌ ونجارُها
فَبِكَ(٣) آفاقُ المعا لى منهمُ وبحارُها
طاروا بجدهمُ وقد مر بالنجوم مَطارُها
ركبَ الصعابَ من آبنهم ركّاضُها مِغوارُها
وحَمى حقيقةَ مجدهم سَلِسُ القناةِ مُمارُها(٤)
لاتستباحُ مصونةٌ "وأبو المعالى" جارُها
يقظانُ أسهرَه اذا ذَكَرَ العيوبَ حِذارُها
قَلِقُ العزيمةِ إن حمى(٥) صِغَرَ النفوسِ قرارُها
حمّالُ ألويةِ السيا دةِ ثَبْتُها صَبّارُها
سبقَ الكهولَ وسِنّه ما آستُذرِعتْ أشبارُها(٦)
وجَرَى فقدَّمه على أقرانِه إقرارُها
عَجِبوا — وقد لفَّ الجيا دَ الى المدى مِضمارُها —،
أنّ القوارحَ أُخِّرتْ وتقدمتْ أمهارُها
لا تعجبنَّ فإنّه أمضى النصولِ طِرارُها!
أعلى الكواكبِ فى المنا زلِ والعيونِ صِغارُها
هى دوحةُ المجدِ التى لا يُخلِفُ آستثمارُها

(١) فى الأصل "غرب". (٢) شالت: ارتفعت، وفى الأصل "سالت".
(٣) فى الأصل "بفال". (٤) الممار: المتردد فى المطعون. (٥) فى الأصل "حكى".
(٦) فى الأصل "أستارها".

غدت الرياسةُ مِعصما فيهـا وأنتَ سِـــوارُها

هى خيرُ أهلِ زمانِهـا بيتـا وأنتَ خِيـارُها

إن السماء اذا سـرتْ معـــدودةٌ أنوارُهـا

كثُرَتْ كواكبهـا ولَيْـ ـسَ كثيرةً أقمـارُها[1]

بك عمّ وَدْقُ سحابهـا جـــودا وتمّ[2] نَخارُهـا

وتشبّثتْ[3] غَيظـا بأعـ ـناقِ العـداة شفارُها

قادحتَهـا[4] بمحاسنٍ ما أصلدتْ[5] أيسـارُها[6]

وخـلائقٍ مَلَكَ الهوى لك باقيـا سَحّـارُهـا[7]

شقّتْ قلوبَ الحاسدين وما يُشَـقُّ غُبارُهـا

كم من يدٍ لك كالغما م وكالسحابِ غِزارُها

تُرْوَى بهـا حالى ويُدْ رَكُ من زمانى ثارُها

وحصينةٍ من حسن رأ يك لا يُقَصُّ صِدارُها

تضـــفُو علىّ ذيولُهـا وتضــمّنى أزرارُهـا

ولطيفـةٍ باتت وقـد حفّى النـدى آثارُها

أعيتْ إصابتُهـا وإنْ لم يُعيِـنى إكثارُهـا

والأعطياتُ جمالُها الـ ـمشكورُ لا أقـدارُها

فِفداك مُعْطٍ يبذُلُ الـ ـنُّعمَى ولا يختارُهـا

١٦٣

---

(١) فى الأصل هكذا

كبرت كواكبها وليـــس كبيرة أقمـارها

وهو تحريف يدلّ عليه البيت الذى قبله . (٢) فى الأصل "ثم" . (٣) وتشبثت : تعلقت ، وفى الأصل هكذا "وسمت عمدا" . (٤) فى الأصل "فادحتها" . (٥) ما أصلدت : "ما صلبت" . (٦) الأيسار جمع ياسر أو يَسَر وهو السهل اللّين . (٧) فى الأصل "سحّارها" .

ووقتك ريبَ الدهر أيْـ ـدٍ عُرفُها إنكارُها
دينارُ جودِكِ أو ودا دكَ لى ولا قِنطارُها
وآستأنفت لك عُونها ما أسلفَتْ أبكارُها
تطوى البلاد ولم تَرِمْ (١) فقطينُها سُفَّارُها
من كلّ طائرةِ الشُّعا عِ اذا آستطار شَرارُها
تصلُ الكبيرَ ولا يخا فُ مَلالةً زَوَّارُها
عذراء يُخلَع فى هوا كَ مع العفاف عِذارُها
فى أىِّ بيتٍ شئتَ منـ ـها قلتَ : ذا سيَّارُها
سعتِ القوافى خلفَها وعنَا لها جبَّارُها
لو ما تقدّم عصرُها وتردَّدتْ أدوارُها
ودَّتْ فحولُ الجاهلـ ـيَّـةِ أنَّها أشعارُها
لو أُنصِفَتْ فوق الطُّرو سِ لأُذهِبتْ (٢) أعشارُها
فى كلّ يومِ هديّةٍ مستحسَنٌ تَكرارُها
يُرْوَى لكم بفم التهـا نِئِ صفوُها وخيارُها

* * *

وقال فى غرض له

يالنوازِى كَبِدٍ هاجها "بالبان" من "خنساءَ" تَذكارُ
عاد لها من بعد إقلاعها دينٌ من الحبِّ و إصرارُ
يا قوم، لى من أسرتى قاتلٌ مَنْ لقتيلٍ ما له ثارُ؟

---

(١) تَرِمْ : تفارق : (٢) لأُذهِبت : لذُهِّبت .

(١٦٤)

زورة لم تكن بخط[1] بنانى في كتابِ الآمال إلا سطرا

سَرقتها لِىَ الحظوظُ "وخَنسا ءُ" آستلابا من الزمان وطَرًا[2]

وأبيها ما حفظَها الدهرَ أنكر تُ ولكن أنكرتُ بُعدَ المَسْرى

جشَّمتْها الأشواقُ فى ساعةٍ شُقَّـةَ ما تخبِطُ السحائبُ شهرا

فرحةٌ طار لى غرابا بها الليـ لُ وطارت عنّى مع الصبح نَسرا

ارتجعْها يا دهرُ لا زلتَ تسترْ جعُ لوْما[3] ما كنتَ أعطيتَ نَزْرا

وتعلَّمْ أنّى بمكرك لا أحـ ـفِلُ ممّا ألفتُ منك المكرا

أنكرَ الغدرَ مرّةً منك قلبى ثم صارت سجيّةً فاستمرّا

لا حَمَى اللهُ حازما غرّه منـ ـك سرابٌ شعشعتَه فاغترَّا[4]

كُلُّ بنابيك ملءَ جنبيك لحمى[5] وتخذَّلْ عنّى متى قلتُ : نصرا

قلَّ صبرى على آقتنائىَ للجـ ـد وأمّا عنك الغداةَ فصبرا

أنت ذاك الذى أمتَّ شبابى عَبطةً[6] وهو ما تملّى العمرا

ووردتَ العيونَ عنّى وقد كنـ ـتُ لها الكحلَ حائصاتٍ[7] خُزْرا[8]

صار عهنًا تحتَ المراحل ينقا دُ وقد كان عاصىَ النَّبت شَعْرا

ومشيتَ الضَّرَاءَ[9] كيدا لأحبا بى فريعُوا فى الأرضِ شَلًّا[10] ونَفْرا[11]

صُدِعُوا مَطرحَ الزُّجاج تشظَّى وتداعَوْا عطَّ[12] الأديم[13] تفرَّى[14]

---

(١) فى الأصل " يكن يخط " . (٢) الطرّ : السوق الشديد . (٣) فى الأصل " لوما " . (٤) فى الأصل " فاعتمرا " . (٥) فى الأصل " تحى " . (٦) عَبطة : نحرا من غير علّة ، وفى الأصل "غبطة" . (٧) حائصات : حائدات ما ئلات ، وفى الأصل " خائصات " . (٨) خزرا جمع خزراء وهى العين بها صغر وضيق . (٩) الضراء : الأستخفاء ، من قولهم للرجل يختل صاحبه : هو يدب له الضَّراء ويمشى له الخَمَر (١٠) الشلّ : الطرد ، وفى الأصل "سلا" . (١١) النفر : النفور . (١٢) العطّ : الشقّ . (١٣) الأديم : الجلد . (١٤) تفرّى : انشقّ .

أرى دَمِى يقطُــــرُ من أنمـلِ شـفارُها مُؤُقٌ (١) وأشـــفارُ (٢)
ظبْىٌ رخيمٌ، لفظـــهُ ناسكٌ وطرفُـــه الفـاتكُ عيّـارُ (٣)
ضُعفتُ تحت الغمز من عاجمٍ يصرَعُ لبّى وهـــو خـوّارُ
أصبحتُ عبـدا بآختيارى له "وفارسٌ" قومىَ أحـــرارُ
ياموتُ نفسى لك إن أعرضتْ "خنساءُ" أو شطّت بها الدارُ
خوّفنى بالنـارِ فى وصلهـــا قـــومٌ وفى هجـــرانها النـارُ

* * *

وكتب الى صـــديق له من الكُتّابِ يشكره على موقفٍ وقفه فى حاجةٍ له رضىَ سعيَه فيها، ويتألّمُ لفقد جماعةٍ من إخوانه، ويهنّئه بالمهرجان

حيّهـــا أوجُهًا على "السَّفح" غُرّا وقِبابا بيضـــا ونُوقا حُمْـــرا
ورماحا دون الحبائب يُهــزَزْ نَ ويُحطَمنَ فى الكتائبِ كسرا
وسراحينَ (٤) كالحصونِ جيـادا تملأ الحُـــزُمَ (٥) مُهرةً أو مُهْـــرا
يَتَمارَحْنَ فى الحبـالِ فينقُضْـ ـنَ فتيلًا (٦) منهـــا ويقطعنَ شَزْرا (٧)
وقِرًى بعضُـــه الوصالُ اذا أمـ ـسى طما جَفنـــةً وزَجَّرَ قِـدْرا
آهِ للشـــوقِ (٨) ما تأوّهتُ منـــه لليـالِ "بالسفح" لوعُدْنَ أخرى
كنَّ دُهمـــا من الدآدى وقد كُنّ بتلك الوجـــوه دُرعًا (٩) وقُمْـــرا (١٠)

---

(١) مؤق جمع مأق وهو مجرى الدمع من العين أو طرفها مما يلى الأنف. (٢) أشفار جمع شَفْر وهو أصل منبت الشعر فى حرف الجفن. (٣) العيّار: الذى يخلّى نفسه وهواها لا يردعها ولا يزجرها. (٤) السراحين: الذئاب واحدها سرحان وتشبّه بها الخيل فى سُرعة العَدْو. (٥) الحُزُم جمع حِزام. (٦) فى الأصل "فينقصن". (٧) الشزر: فتل الحبل عن اليسار وهو أشدّ لفتله. (٨) فى الأصل "الشوق". (٩) الدرع جمع الدرعاء وهى الليلة يطلع قمرها عند الصبح. (١٠) القمر جمع قمراء وهى الليلة المقمرة.

حيثُ لا تظفَـــرُ الوشاةُ بأسرا ... رِى اذا ما الصبــاحُ أعلنَ سِرّا

فاذا ما العـــذولُ قال : عِقـابًا ... فى ذنوبى، قال الصّبا : بل غَفْرا

أجتنيهـا رَيْحانةَ العيشِ خضرا ... ءَ وتُمسى فيهـا المُـنَى لِىَ خُضْرا

يا مَغانِى "الحمى" سُقيتِ، وما يـ ... ـغْنِى الغيثُ أن يجـودَكِ قَفْرا

أىُّ عين أصابتِ الدارَ؟ أقذَى ... اللهُ بعـدى أجفانَهـا وأضرّا

عَرِيَتْ من ظبائها [الآنساتِ الـ ... ـبيضِ] وآعتاضتِ الظّباءَ العُفْرا (١)

لا تراها تُطـيلُ بعد النوى غصـ ... ـنًا ولا جـوُّها يُتِمُّ بـدرا (٢)

غيرَ حُمٍّ (٣) من القطا جاثماتٍ ... كنَّ جُونًا (٤) فعدنَ بالرَّهْجِ (٥) كُدْرا (٦)

وبقـايا مواقفٍ تصـفُ الجو ... دَ أباديدَ (٧) فى يدِ الريح يُذْرى (٨)

قَلِّبـوا ذلك الرَّمادَ تُصيبوا ... فيـه قلبى إن لم تُصيبوا الجمـرا

ما لدهرى قضَى الفـراقَ عليها ! ... عـذّبَ اللهُ بالفـراقِ الدهرا

أَنظرا لى ـ وقبلُ كنت بصيرا ـ ... يا خليلىَّ بين "جوّ" و"بُصْرى" (٩)

أوميضٌ سَرَى فشـقَّ قميصَ الـ ... ـليلِ أم [ذاكَ] (١٠) طيفُ "سُعْدَى" تَسَرَّى؟

زار وهْنا ـ لا يُصغِرِ اللهُ ممشا ... هُ ـ وحَيَّـا فـزاده اللهُ بِرّا

بشَّرتنى مقـدِّماتٌ بـه يحـ ... ـمِلُ فيهـا ذيلُ النسيمِ العِطـرا

وآعتنقنا وليس همّى سوى مسـ ... ـألةِ الليـل أن يُميتَ الفجرا

---

(١) ورد هذا البيت فى الأصل هكذا

عريت من ظبائها الأُ نُـ ـس وآعتاضت الظباء العفرا

وقد آحتفظنا بمعناه حين آضطررنا الى آتزانه . (٢) فى الأصل "نذرا" . (٣) حم جمع حمّاء وهى السوداء . (٤) جونا : بيضا . (٥) الرهج : الغبار . (٦) كدر جمع كدراء وهى التى بها غبرة . (٧) أباديد : متفرقا : يذرى : يبدد، وفى الأصل "نذرا" . (٨) جو : اسم لناحية اليمامة . (٩) بصرى : من قرى بغداد قرب عكبراء، وفى الأصل "بين جو بصرى" . (١٠) هذه الكلمة ليست فى الأصل .

قَسمتْهم يـدُ الشتاتِ فشطرا　للتنائى وللنـوائبِ شطـرا
فكأنَّ الأرضَ الحَولَ أبتْ أن　يجِـدوا[1] فوقَها لرِجلٍ مَقَـرًّا
خولسوا من يدِى غصونا رطيبا　تٍ وغابوا عنّى كواكبَ زُهْرا
أقتضيهـم مطلَ الإيابِ وقـد وفَّى　الفـراقُ الوشيكُ فيهـم نَذْرا
صحِبَ اللهُ راكبين الى العـزّ　طريقًا من المخافةِ وَعْرا
سمعـوا هَتفةَ الخمُـول فطاروا　يأخذون الأرزاقَ بالسيف قَهـرا
شربوا الموتَ فى الكريهـة حُلْوًا　خوفَ يومٍ أن يشربوا الضيمَ مُرًّا
طَرحوا حاجَهـم وراءَ متـونِ الـ　خيلِ ركضا والسمهريّةِ[2] جَرًّا[3]
كلُّ عجـلانَ خَطْهُ لأخيـه :　العَلاءَ العـلاءَ إن كنتَ حُرًّا
يمـلأون الحُبا جُلوسًـا فإن ثا　روا ملأتَ الفضاءَ[4] بِيضا وسُمرا
واذا آسـتُصرخوا لعضّـةِ عامٍ　ركبوا الجودَ يطـردون الفقـرا
لا يبالى الحيرانُ ما أطلقوا الأيـ　ـمانَ[5] أن تُمسكَ السماءُ القَطـرا
إخوتى من بنى الوفاء ورهطى　يومَ أغزو الملوكَ من آلِ "كسرى"
غادرونى فـردا ومرُّوا مع الأيـ　ـامِ ، والحظُّ بعدَهم أن أمُرَّا
أتشكَّى القـذَى بمقـلةٍ حيرا　نَ عليهـم الى ضـلوعٍ حَرَّى
ليتَ شِعرى بمـن أُعوَّضُ عنكم　يومَ آبى ضيمـا وأدفعُ عُسـرا ؟
فسـدَ الناسُ بعدكم فآستوى فى الـ　ـعيش مَن سرَّنى نفاقا وضرَّا
ونجا بى ـ ما شئتُ ـ يأسِىَ منهم ؛　نال خيرا من ظنَّ بالناس شرَّا
وبلى ! قـد أتاذنى الدهرُ خِلًّا　لَمَّ شَعثِى وشَـدَّ منّىَ أزْرا

(١) فى الأصل "تجدوا" . (٢) السمهريّة : الرماح . (٣) فى الأصل "حرًّا" .

(٤) فى الأصل "الفضل" . (٥) الأيمـان جمع اليمين من الأيدى . وفى الأصل "ما أطلقوا أيمان" .

واحـــدا أعلقتْ يدى غلطةُ الأ يـ ـام منـــه حبـــلَ الوفاءِ المُمَرَّا(١)

أَلمعيًّـا رأى بعـــينِ ٱبنِ ليـــلٍ(٢) خافيًـا من محَـاسنى مستسِـــرَّا(٣)

فاقتنــانى تغنُّما وٱفــتراطا وٱستبـانى قـــولا لطيفـا و بِرًّا

وتحـــرَّى تفضُّلا أن يرى الفضـ(٤) ـلَ مضاعا، والحُرُّ من يَتحرَّى

صدَقتْ فى "أبى طريفٍ" ميامنـ ـنُ ظنونى وقـــد تعيَّفن زَجْرا

وتجلَّت غشـاوةُ الدهرِ عن قلـ ـبى وفكَّتْ عنِّى الليـالى الحَجْـــرا

وأتانى يتـــوبُ من ذنبـه الدهـ ـرُ ٱحتشـاما له وكان مُصِـــرًّا

ألحقَتْنى به غـريبـا من الآ مال قُـربَى تُعَـــدُّ صِنْوا وصِهرا

فتحـــنَّى لهـا ورقَّ عليهـا ورأى الدهرَ عقَّ فيهـا فــبرًّا

وصَـــلَ الـــودَّ لى بآخيَّـة(٥) الجا ه فكانا(٦) عُجَالةً(٧) لى وذُخْـــرا

وأتاه صـــوتى فنبَّـــه منـــه "عُمَرًا" حين نبَّهَ الناسُ "عَمْرا"

شيمةٌ منك يابن "باسِلَ" فى السؤ دُدِ لم تُعتَسَـــفْ عليهـا قَسرا

وعروقٌ زَكَى ثراهن فى المجـ ـدِ فأرعَى نبـاتُهن وأثــرى

طاب مَجنـاكَ فٱهتصرتُك وَرْدا لـــيِّنَ الغصنِ وٱعتصرتُك خَمـرا

كان نصرى عليـك دَيْنا فمـا كنـ ـتَ بغـــير القضاء منـــه لتَـبرَا(٨)

نَدبتْـــك العُـــلا له فتجـــرَّدْ تَ حسـاما فيه وقمتَ هِزَبْرا(٩)

(١) المُمَرّ : الحبل المفتول فتلا شديدا . (٢) ابن ليل : تقوله العرب لصاحب الغارات وللذى يسير الليل ولا يهوله لقوته وجسارته ، قال الراجز

ما ذا يريبُ الليل من أهواله * إنى أنا ٱبن الليل وٱبن خاله

وله معان كثيرة غير ما ذكرناه لا تناسب السياق .

(٣) مستسرا : متواريا . (٤) فى الأصل "برى" . (٥) الآخية : العروة ومن معانيها أيضا : الحرمة والذمة . (٦) يريد بهذه التثنية : الود والجاه . (٧) العجالة : ما يتزوده الراكب مما لا يتعبه أكله وهو هنا مجاز . (٨) يريد لتبرأ . (٩) الهزبر : الأسد .

مِلّةٌ فى الوفاء ضيّعها النا ... سُ وأحييتَها سَناءً[1] ونخرا[2]

ولسانٌ فى الحمد كان عقيما ... قبلُ أولدتَه ثناءً وشكرا

فتأهّبْ لوافداتِ القوافى ... يعتملنَ الدُّجى وما كُنّ سَفْرا

ضاربات فى الأرض طولا وعرضا ... وهى لم تلقَ جانبا مغبرّا

حاملاتٍ لحُرِّ عرضك من بحـ ... ـر ضميرى ملءَ الحقائب دُرّا

كلّ عذراءَ تجتليها على شر ... طك فى الحسن ثيّباً أو بِكرا

لم أكلّفك أن تسوقَ مع الرغـ ... ـبة فيها سوى المودةِ مَهرا

وبحقٍّ لم ينشرح لك صدرى ... بمديحٍ حتى ملأت الصدرا

ورآك الشّعرُ العزيزُ على غيـ ... ـرك كُفئاً فلانَ شيئا وقَرّا

كم عظيمٍ أبَى عليه وجبّا ... رٍ ثنَى عنه جيدَه وأمرّا

فتهنَّ انقيادَه لك واعلمْ ... أىّ طِرْفٍ جعلتَه[3] لك ظَهرا

والبس المهرجانَ حُلّةَ عزٍّ ... استَ من لُبسها مدى الدهر تعرَى

طاعنا فى السنين تطوى عليهـ ... ـنّ [طوالَ][4] السنين عصرا فعصرا

وآعلُ حتى أراكَ أشرفَ كعبًا ... من مكان السُّهى وأنبهَ ذِكرا

* * *

وقال وقد بلغه عن الرئيس أبى القاسم هبةِ الله بن علىّ بن ماكولا ذكرٌ جميلٌ، وتقريظٌ لشعره، وتشوّقٌ الى رؤيته، وكان مقيما بالبَطيحة، يتقلّدها وواسطَ حَرْبا وخراجا، وكتب بها اليه

"بالغَور" ما شاء المطايا والمطرْ ... بقلٌ ثخينٌ ونميرٌ منهمرْ

وسرحةٌ ضاحكةٌ وبانةٌ ... غنّى الربيعُ شأنَها قبلَ السّحَرْ

(١) السناء: الرفعة والعلو، وفى الأصل "شناء". (٢) فى الأصل "بخرا". (٣) فى الأصل "جلعته". (٤) هذه الكلمة ليست فى الاصل.

وَأَثَرْ من ظاعنـــينَ أَحمــدوا ... من عيشهم على "الأُثَيلات" الأَثَرْ

فَــراخ من حبالهـا وخلّها ... تأخــذُ من هــذا اللُّبَــاخِ (١) وتَذرْ

كم المنى تُرعَى لهـا وكم تُــرَى ... يَمسك من أرماقهـا رجعُ الجِـــرر (٢)

أَمَا تُجَمّ (٣) لمسـاقــطٍ لهـا ... يطرحُهنّ بالفـــلا طـــول السفَرْ

اللهَ فيهـا (٤) إنهـا طُـــرق العـــلا ... وعُـــدّةُ المـــرء لخـــيرٍ ولشـــرّ

ظهـــورُها العـــزُّ وفى بطـــونهـا ... كنزٌ لليـــل الطارقـــين مـــدَّخَرْ

نعــم لقــد طاولهـا مِطـالُنـا ... وحان أن يُعقِبَهـا الصـــبرُ الظفَرْ

"فالغورَ" يا راكبها (٥) "الغورَ" إذنْ ... إنْ صـــدق الرائدُ (٦) فى هـــذا الخبرْ

لسًّا (٧) وخضما (٨) أو يعـــودَ تامكا ... الغاربُ التـامك (٩) والجنْب المُعَـــرّ

وإن حننتَ "للحمى" وروضِه ... "فبالغضا" ماءٌ وروضاتٌ أُخَرْ (١٠)

هل "نجـــدٌ" إلا منزلٌ مفـارقٌ ... ووطنٌ فى غـــيره يُقضَى الوطَـــرْ

وحاجةٌ كامنـــةٌ بين الحشـا ... والصـــدر إن ينبِض لهـا البرقُ تُثِرْ

يادِين قلبي من صَبًا نجـــديّةٍ ... تجـــرى بأنفاس العِشاءِ والسَّحَرْ

اذا نَسيتُ أو تنـاسيتُ جَنَتْ ... عـــلىَّ "بالغور" جنـاياتُ الذِّكَرْ

(١) اللباخ بضم أوله : شجر عظيم معروف باللبخ . (٢) الجرر جمع جِرّة وهى ما يخرجه البعير من بطنه ليمضغه ثم يبلعه . (٣) تجم : تُترك ولا تُركَب لتقوى . (٤) الله فيها بمعنى اتقوا الله فيها .

(٥) فى الأصل " يا راكبنا " . (٦) الرائد : الرسول الذى يرسله القوم لينظر لهم مكانا ينزلون فيه ، ومنه قولهم : " الرائد لا يكذب أهله " . (٧) اللّس ، أن تأخذ الدابة "الكلأ" بطرف لسانها . (٨) الخضم : الأكل بأقصى الأضراس . (٩) التامك الأولى : بمعنى الناقة العظيمة السنام ، والتامك الثانية بمعنى السنام والغارب هنا بمعنى الغائر أو الذاهب ، والجنب المعر : الذى أصابه العر وهو الجرب ؛ فيكون معنى البيت أنّ الذى ذهب سنامه لهزاله والذى أصابه العرّ من طول السفر اذا وصل الى الغور أكب على اللس والخضم لكثرة المرعى به فيعود عظيم السنام بعد هزاله (١٠) فى الأصل " أحر "

آهِ لتلك الأوجــهِ البيضِ عــلى "رامةَ" فى تلك القُبَيْبات الحُمُــرْ
يــنزو بجنبىّ متى غــنّى بها قلبٌ متى ما شربَ الذكرى سَكِرْ (١)
كنّا وكانت والليالى رطبــةٌ بوصلنا والدهرُ مقبــولُ الغِيَرْ
أيّام لا تُدفع فى صــدرى يــدٌ ولا يُطاع بى أمــيرٌ إن أمَرْ
وعاطفُ العيونِ لى وشافعى (٢) ذنبى اليها اليومَ من هــذا الشَّعَرْ
وَنِمّا رجعتُ مهمِلا غفــلاتِه اذا البهامُ نصَّعتهنّ (٣) الغُــرَرْ
ما خيــلَ (٤) ى أن الدرارى (٥) قبله يُنــكرها سارى الظــلام المعتكِرْ
قالــوا : تجمّلتَ (٦) بهــا غــديرةً مَردَعةً عن الخنا ومُزدَجَــرْ
رُدُّوا ســفاهى وخــذوا وقارَها بَيْعَ الرضاء، وندَما لمن خَسِــرْ
رحتُ بهــا بين البيــوتِ أزوراً (٧) مواريا شخصِىَ من غــيرِ خَفَــرْ
أحمــلُ منهــا بقــلةً ذاويةً بالعيش كانت أمسِ ريحانَ العمُرْ
ياقَصُــرتْ يــدُ الزمان شــدَّما تطــول فى ثَلْمى وفى نقضِ المِرَرْ (٨)
عَصًا شظــايَا ومشيبٌ عَنِتٌ ومــنزلٌ نابٍ وأحبــابٌ غُــدُرْ
وصاحبٌ كالداء إن أبديتُــهُ عَوّرَ وهــو قاتــل اذا أُســِرّ (٩)
أحمــلُه حَــلَ الشَّغا (١٠) نقيصــةً وقــلّةً ما زاد ألّا (١١) وكَثُرْ
يُــبرزه النفــاقُ لى فى حُــلَّةٍ حبــيرةٍ من تحتهــا جِلدُ نَمِــرْ

(١) فى الأصل " شكر " . (٢) يشير بذلك الى سواد شعره وهو فتىّ . (٣) نصّعتهن : جعلتهن نواصع ، وفى الأصل " تضعتهن " . (٤) فى الأصل " حيل " . (٥) فى الأصل " التشاكى " ولا معنى لها هنا مطلقا وهو من تشويه النسخ ، وقد رجحنا كلمة " الدرارى " لأن الشاعر يريد تشبيه ما ابيضّ من شعره بالنجوم فى الظلام الدامس ، وكثيرا ما طرق هو وغيره من الشعراء هذا المعنى .
(٦) فى الأصل "تحملت" . (٧) الأزور : المائل ، وفى الأصل "أزوزا" . (٨) المرر جمع مِرّة وهى طاقة الحبل . (٩) فى الأصل " سر " . (١٠) الشغا : الزيادة فى الأسنان .
(١١) ألّا : صفاء وبريقا .

(١٦٦)

مبتسمٌ والشــرُّ فى جِــلاقِــهِ خَفٌّ كيف شئت أرقّا اذا كثَرْ
لأنفضنَّ النـاسَ عن ظهرى كما قُطِّرَ[1] بالراكبِ مجـلوبُ عُقـرْ
فَرْدًا شِعارى لا مساسَ بينهم منفردَ الليثِ وإن شئتَ القمـرْ
نفسى حبيـبى وأخى تقنُّـعى وربّما طـرَّقتِ الدنيا بحُـرّْ
إن يكُ يأسٌ فعسى غائبـةٌ تَظهرُ، والنارُ كمينٌ فى الحجـرْ
قــد بشّــرتنى بكريم هَبَّةٌ بمثلها ريحُ الجَنـوبِ لم تَـثُرْ
تقـول لى بصوتهـا الأعلى ضُحًى وبالنسيم فى الدُّجى الحـلوِ العَطِرْ:
إنَّ فـتًى "مَيسانَ" دون دارِه [قد][2] بَقِىَ المجـدُ وحيدا وغَـبَرْ
يعرفُ ما قـد أنكر الناسُ من الـ ـفضـل ويُحيِى فى العلا ما قد دَثَرْ
وأنه — جرى بخيرٍ ذكرُهُ — حقٌّ وقـد عُرِّض باسمى وذُكِرْ
وعَلِقَتْ بقلبـه ناشـطةٌ مرّت عليـه من بُنَيَّاتِ الفكَرْ[3]
فمن هـو الراكبُ ملساءَ القَرا[4] مُضْمَتَةَ الظهـرِ ببطنٍ منقعِرْ؟[5]
رفّعَ ذُناباها وخفّضَ صـدرَها مُشرِفـةَ الحاركِ[6] وقَصاءَ[7] القَصَرْ[8]
تحـدو بها أربعـةٌ خاطفـةٌ تُحثى عليها أربعٌ منها أُخَـرْ[9]
اذا المطايا خِفنَ إظماءَ السُّرى فربُّها من شَرَقٍ على حَـذَرْ
يعـدُّ أبـراجَ السماء عَنَقـا فى مثلها تصـعُّدا ومنحـدَرْ
يرفعُ عنها حدَبَ الموج اذا آسـ ـتنَّتْ[10] صناعُ الرِّجْلِ[11] فى خوضِ الغَمَرْ

(١) قطّر: ألقى، وفى الأصل "فطر". (٢) ليست بالأصل. (٣) بنيّات الفكر: الخواطر. (٤) القرا: الظهر. (٥) يشير بذلك الى السفينة. (٦) الحارك: أعلى الكاهل. (٧) الوقصاء: القصيرة وهو وصف خاص بالعنق. (٨) القصر: أصل العنق اذا غلظت. (٩) يشير بذلك الى المجاديف. (١٠) استنّت: اضطربت. (١١) صناع الرجل: الحاذق فى العمل برجله ويقابلها "صناع اليد"، وفى الأصل "صناع الرحل".

لو لم يلاطفها على اعتسافه بخُدعةٍ من اللَّيان لم تسِرْ:
إسلَمْ وسِرْ وليس إلا سالما من راح فى حاجةٍ مثلى أو بَكَرْ
قُلْ "لأبى القاسم" : يا أكرمَ مَنْ طُوِى اليه دَرَجُ أرضٍ أو نُشِرْ
وخيرَ من مُوطِلَ جفنٌ بكَرى فى مدحه فلم يضِعْ فيه السَّهرْ
وآبنَ الذى قيل : إذا ولّى عن الدنيا تولّتْ بعده على الأثرْ
وآستشرفَ الملوكُ من عطائه والخلفاءُ ما آستعزَّ وآحتقرْ
ومَنْ تكونُ "الكَرَجُ"(١) الدنيا بأن أُوطنَها "وعِجْلُ"(٢) ساداتُ البَشَرْ
لو لم يكن إلا "آبنُ عيسى"(٣) لكُمُ فخرا كفى ملء لسان المفتخرْ
ساقِى العوالى من دمٍ ما رَوِيَتْ وعاقرُ البُدْنِ وعاقِرُ البِدَرْ
ناصبتم الشمسَ بحدِّ سيفه ودسّتمُ بسعيه حدَّ القمَرْ
وصارت الشمسُ تُسمِّيكم به أنجادَ "عدنانَ" وأجوادَ "مُضَرْ"
مضى وبقّ سؤرة(٤) المجد لكم ملآى(٥) اذا ما شرب الناس السُّؤَرْ
لكرماءَ آلتقموا(٦) طريقَه وألقوا بينهمُ تلك السِّيَرْ
وشغَلوا مكانَهُ من بَعده كالشمس سدَّ جوَّها الشُّهْبُ الزُّهُرْ

(١) الكرج : مدينة بين همذان وأصبهان وأول من مصّرها أبو دلف القاسم بن عيسى العجلىّ وجعلها وطنه وكان قائدا فى عهد المعتصم كريما ممدّحا مشهورا بالسماحة والشجاعة وله مكان فى الشعر والغناء وهو الذى قال فيه علىّ بن جبلة

إنما الدنيا أبو دلف * بين مغزاه ومحتضرهْ
فاذا ولّى أبو دلف * ولّت الدنيا على أثرهْ

والى هذه الصفات يشير مهيار فى الأبيات التالية كما أشار الى هذين البيتين فى قوله .

وآبن الذى قيل : اذا ولّى عن الدنيا تولت بعده على الأثر

(٢) عجل : اسم قبيلة . (٣) ابن عيسى : أبو دلف المار ذكره . (٤) السؤرة : البقيّة .
(٥) فى الأصل "ملى" . (٦) التقموا طريقه : نهجوا مناهجه .

زكـيّةٌ طينتهــم ، حـــديدة شو كتهم، طاب حصاهم وكثُرْ
لا يمشّــون الضّراء[1] غيــلةً لجارِهم ولا يدبُّــون الخَمَــرْ[2]
كلُّ غلام ذاهبٌ بنفســه مع العَـلاء إن بدا وإن حضَرْ[3]
إمّا زعيمٌ فيــلقٍ يطرحهــم في لهَــواتِ الظــلم حتى ينتصرْ،
مغـامرٌ مســلَّطٌ بســيفه على الردى منتصِفٌ من القَــدَرْ،
أو تاركٌ لفضــله من دِينــه ما عزَّ من سلطانِه وما قَهَــرْ
عفَّ عن الدنيـا وقـــد تزخرفتْ ممكنةً وعافها وقـــد قَــدَرْ
محكّمٌ في النـاس يقضي بينهــم بمُحكَم الآيِ ومنصوصِ السُّــوَرْ



فكلّكم إمّا آبن عــزٍّ حاضرٍ بســبقه[4] أو آبن عزٍّ مــدَّخَرْ
وحسبُكــم شهادةً "لقاسِمٍ" مجــدُ "أبي القاسم" عينًـا بأثَرْ
حدَّثَ عنــه مثلَ ما تحــدَّثتْ عن كرم الأغصـانِ حلواءُ الثَّمَــرْ
مواهبٌ في "هبــةِ الله" لكم أوفَى بهـا على منـاكم وأبَــرْ
يا مســلفي تبرُّعا من ودِّه سلافةَ الخمــرِ ووسميَّ[5] المطَــرْ
ومُــنزِلي من شُرُفاتِ رأيه مكانَ يحـطُّ السهى ويحــدِرْ
لبّيك قـــد أسمعتــني وإن يغبْ سمعِيَ[6] عنـك ففؤادي قـــد حضَرْ
عوائدٌ من الكرامِ عاد لي ميّتهُن بعـــلاك ونُشِــرْ
كم فيَّ من جُرحٍ قـــد آلتحمتَــهُ بهـا ومن كَسيرٍ عَصَبتَ بجُبُــرْ
ملكتَ رقّي وهــواي ناحيتَكمْ ملكَ اليمين لم أَهَبْ ولم أُعِرْ
لِمُتُّ ما خطَّت يــدُ الكاتب من وصفِكَ لي لثمَ المطيفين الحجَــرْ

(١) الضراء : الاستخفاء . (٢) الخمر : الخفية ، يقال : "هو يدبّ له الضراء ويمشي له الخمر" لمن يختل صاحبه . (٣) بدا وحضر : أقام في البادية أو في الحضر . (٤) في الأصل "بسيفه" . (٥) الوسميّ : أول مطر الربيع أو مطر أول الربيع . (٦) في الأصل : "ففوادى" .

وقلتُ : يا كامنَ شوقٍ ثُرْ، ويا قلبىَ إمّا واقعا كنتَ فَطِرْ
ويا ظَمائى هذه شريعةٌ يدعو اليها الواردين من صَدَرْ
فلو علِقتُ بجناحِ نهضةٍ حوَّمَ بى عليك سعىٌ مبتدَرْ
ولرأيتَ معَ فرطِ حشمتى وجهى عليك طالعا قبلَ خَبَرْ
لكنّها عزيمةٌ معقولةٌ[1] تثنٌّ من ضغط الخطوبِ والغِيَرْ
وهمةٌ عاليةٌ يحطُّها أَسْرُ القضاء لا يفكُّ من أَسَرْ
وربّما تلتفتُ الأيام عن لحاجها أو يُقلِعُ الدهرُ المُصِرّ
وإن أُقِمْ فسائراتٌ شُرَّدٌ يَزُرنَ عنّى أبدا من لم أَزُرْ
قواطعٌ[2] اذا الجيادُ حَبَستْ اليك أمراسَ[3] الحبالِ والعُذَرْ[4]
كلُّ ركوبٍ رأسَها الى المدى لم تزجُرِ الطيرَ ولمّا تستشِرْ
نهارُها مختلطٌ بليلها ترمِى العشيّاتُ بها على البُكَرْ
تحمِلُ من مدحكمُ بضائعا يمسى الغبينَ فى سواها من تَجَرْ[5]
كأنّما حلَّ "اليمانون" بها عِطارَ "دارينَ" وأفواقَ "هَجَرْ"
لم يمضِ من قبلى فمٌ لأُذُنٍ بمثلِهنّ موعبًا ولم يَطِرْ
سلّمها فحولُ هذا الشعر لى ضرورةً، ما سلّموها عن خِيَرْ
شُهْدٌ لمن أحبّكم وأَقِطٌ[6] وفى أعاديكم سِمامٌ وصَبِرْ
لتعلموا أن قد أصاب طَوْلَكم[7] مَن عرفَ النعمةَ فيه فشَكَرْ

---

(١) معقولة : محبوسة مشدودة بالعقال . (٢) قواطع : تقطع البلاد وتجتازها كالطيور القواطع . (٣) أمراس جمع مَرَس (جمع مَرَسة) وهى الحبل . (٤) العذر جمع عذار وهو اللجام . (٥) تجر : باع وأشترى ، وفى الأصل "نحر" . (٦) الأقط : شىء يتخذ من اللبن المخيض ، يطبخ حتى يمصُل . (٧) الطول : العطاء .

***

وقال يرثى الصاحب أبا القاسم بن عبد الرحيم، وقد قتل محبوسا بعد طول الأسر في قرية على شاطئ الفرات من أعمال هِيت (١)

مَنْ حاكمٌ وخصومىَ الأقـــدارُ؟	كثُر العـــدوُّ وقلَّت الأنصـارُ!
أشْجى من الدنيا بحبِّ مقلَّبٍ	وجهين، عُرفُ وفائه إنكارُ
ســـوْمَ الدعىِّ اذا تضرَّع ردَّه	للؤم عرقُ الهُجنـــةِ (٢) النَّعَّـارُ (٣)
واذا وَفَى لمنـاىَ يـــومٌ حاضرٌ	فأجارَ أســـلمنى غَدٌ غـــدَّارُ
أفصخرةٌ يا دهرُ هـذا القلبُ أم	هو للهمـــوم الســاريات قرارُ؟
فى كلِّ يـــومٍ للنوائبِ شَـــلَّةٌ (٤)	من جانبٍ وللهمـــومِ غِوارُ (٥)
ومصائبٌ متحكّماتٌ ليس لى	معهنَّ فى بيع النفـــوس خِيـارُ
تُنحِى فأحملُها ثِقـالا مُكرَها	وكأننى بتجـــلُّدى مختـارُ
جُرحٌ على جُـــرحٍ ولكن جائفٌ (٦)	ضـــلَّ الفتائلُ (٧) فيـــه والمسبارُ (٨)
نَخَرتْ عمائقُه العـروقَ وغادرتْ	قَصَبَ (٩) العظامِ وهنَّ مُخٌّ رارُ (١٠)
فاغمـــزْ قناتى يا زمانُ فإنّه	ذاك المماكسُ طائعٌ خـــوّارُ
كُشِفَتْ لنَبْلكَ غامضاتُ مَقاتلى	وترفَّعتْ عن صَفحتِى الأستـارُ
وأكلتُ لا خَلَفٌ يردُّ ســـلامتى	ذلًّا ولا يحمى حمـاىَ جِـــوارُ

---

(١) هيت : بلدة على الفرات من نواحى بغداد . (٢) الهجنة : عدم الإعراق . (٣) النّعار : المصوّت . (٤) الشلّة : المرة من الشلّ وهو الطرد ، يقال : فلان يشلّهم بالسيف أى يطردهم ويكسعهم ، وفى الأصل "سلة" . (٥) الغوار : الغارة . (٦) الجائف : الطعن أو الداء بلغ الجوف ، وفى الأصل "دارف" . (٧) الفتائل جمع فتيلة وهى الخرقة تفتل وتراتٌ ، وفى الأصل "القبائل" . (٨) المسبار : الآلة يجسّ بها الجرح . (٩) فى الأصل "فصب" .

(١٠) الرار : الذائب .

ذهب الذى كانت تجاملنى له الد ... نيا وتسقط دونى الأخطارُ

ويردُّ فارسةَ الخطوبِ[١] نواصلًا ... منّى مخالبُهنَّ والأظفارُ

من يشترينى بالنفائس مُغليًا ... بعدَ "الحسينِ" ومَنْ علىَّ يغارُ؟

ويُظلُّنى واليومُ أغبرُ مشمسٌ[٢] ... أتجلّلُ النكباتِ وهى أُوارُ

أم من يضمّ بدائدَ الآمال لى ... ويُفلُّ عنى باسمه الإقتارُ[٣]

واذا اقشعرّتْ[٤] أرضىَ استصرختُه ... فاذا بجنىَّ تُربُها ونُضارُ

المخذمُ[٥] البتّارُ أُسقِطَ من يدى ... والغيثُ أقلعَ عنّىَ المدرارُ

والصاحبِ انتُزِعَتْ قوادمُ أسرتى ... منه وهِيضَ جَناحُها الطيّارُ

فاليوم لا أبتِ الصَّغارَ ولا اعتزتْ ... إلا عبيدًا "فارسٌ" الأحرارُ

وتطاطأتْ ذلًّا فطالت ما اشتهتْ ... شرفا عليها "يَعرُبٌ" "ونزارُ"

كلّا وإن كَرُمتْ نفاخرُها [به][٦] ... فالآنَ ما بعدَ "الحسين" فخارُ

لا خفتُ بعدُ ولا رجوتُ وقد ثوى ... فى التُّرب منه النافعُ الضرّارُ

سائلْ بهذا الذَّودِ[٧] يرغو[٨] بكرُه[٩] ... فى الحىّ : أينَ المُقرَمُ[١٠] الهدّارُ

ومتى أخلَّ أبو الشبول بغيلهِ ... فتناهقتْ من حوله الأعيارُ

يا مُدرَجا فردا تُسَدَّى[١١] فوقه ... بالقاعِ أرديةُ الثرى وتُنارُ[١٢]

(١) فى الأصل "فارسه" . (٢) ورد هذا الصدر فى الأصل هكذا

: ويظل من واليوم مشمس أغبر :

وتصحيحه بما رجحناه لا يخفى على أهل الأدب واللغة . (٣) الإقتار : قلة المال والافتقار .

(٤) اقشعرت : أجدبت . (٥) المخذم : السيف . (٦) هذه الكلمة غير موجودة بالأصل .

(٧) الذود : من الإبل ما بين الثلاثة الى التسعة وهو واحد وجمع كالفُلك . (٨) فى الأصل "يرعوا" .

(٩) البكر : الفتىّ من الإبل . (١٠) المقرم : الفحل يترك عن الركوب والعمل للفحلة .

(١١) تسدّى : يجعل لها سَدًى وهو ما مُدّ من خيوط الثوب بخلاف لُحمته . (١٢) تنار : يجعل لها نير وهو اجتماع الخيوط بخلاف السدى ، وفى الأصل "تثار" .

مُلقىً وراءَ نسـيَّةٍ ومَضــلّةٍ تُخفِي ضريحَك والقبــورُ تُزارُ
أذللتَ قلـبِي للأسى وتركتني أتبرَّدُ الزفـراتِ وهى حِرارُ
وحطمتَ آمالى فهنّ ضعائفٌ وقَصَرتَ من همى فهنّ صِغـارُ
أنا من شِفار القاتليك متى ٱلتقتْ من مقلَـتىَّ مع الكرى الأشفارُ
أو قاتُ معتاضا بجارٍ مثـله جارٌ ولا بالدار بعــدك دارُ
و متى صحبتُ العيشَ بعدك باردا والنـاسُ صاروا بى الى ما صاروا
نبـذوا عهودَك آنفـا وتقسَّموا رُمَمًّا بحبـل الخُلف وهو مُغـارُ
ظنُّوا بفقـــدِك أن يَلُمُّـوا شعثَها يا رُبَّ نقيض جَـرَّه الإمرارُ
و رجَوْا بهلكك أن يخلّد ملكُهم فاذا سلامتُهـــم بذاك بَـوارُ
فعلامَ لم تُشكَمْ (١) وقـد فغرتْ لهم فلجاءُ (٢) يُنكـرنا بها الفــرّارُ
وتفجَّرتْ بالشرّ بعــدك والأذى جنباتُهـا وتداعت الأقطـارُ (٣)
حذِروا السجالَ (٤) يخابطون قَليبَهـا (٥) والحبـلُ واهٍ (٦) والجَبَـا (٧) منهارُ
ودّوا لو آنك حاضرٌ فكفيتَهـا لمـا تـولَّى أمرَها الأغمـارُ
ورعَى النـدامةَ حيث لم يشبع بها غاوٍ رماك وآخرون أشاروا
ولَّى يفِـــرُّ ولم يعفها سُــبّةٌ تَسرى وليس من الحِمامِ فرارُ
سرحانَ ما آستعروا بجمــرةِ بغيهم ولربَّ باغٍ غـــرّه الأنصـارُ
طرحوا الفراتَ الى الفراتِ فمادرى مُلقــوك أيهمـا له التيـارُ (٨)

---

(١) تشكم : توضع فيها الشكيمة وهى حديدة اللجام . (٢) الفلجاء : المتباعدة ما بين الأسنان ويريد بها هنا الوزارة من باب المجاز . (٣) الأقطار جمع قطر وهو الجانب . (٤) السِّجال جمع سَجْل وهو الدّلو . (٥) القليب : البئر (٦) فى الأصل " والحال " . (٧) الجبا : نثيلة البئر وهى التراب الذى حولها تراه من بعيد ، وفى الأصل " الحيا " . (٨) فى الأصل " البتار " .

وتعاظموا أن يَقبُروك ومن رأى ... ليثا يُخَطُّ [له الثرى] (١) بمحفارُ (٢)

"وأبى العلا" ما كنتُ أعلم قبلها ... أنّ البحورَ قبورُهنّ بحارُ

ذلّا لبيض الهند بعدك شدّ ما ... غدرتْ ولا سَلِمَ القنا الخطّارُ

ما كان أنكلهنّ عنك لو أنه ... عند السلاح حفيظةٌ وذِمارُ

قتلوك محصورا غريبا لا ترى ... مولًى يُعِزُّ ولا بجنبك جارُ

من خلفِ ضيِّقةِ السماء بهيمةٍ ... ينزو بقلبك بابُها الصَّرّارُ

حفروا الزبى (٣) لك فارتديت وإنما ... سلطانُ ليث الغابة الإصحارُ (٤)

هلا وفيك الى وثوبٍ نهضةٌ ... ولديك مُتقَفَّدٌ (٥) وعندك زارُ (٦)

وخطاك واسعةُ المَدى تحت الظُّبا ... لا الخيطُ يحبسها ولا المِسمارُ (٧)

أعزِزْ عليّ بأن تصابَ غنيمةً ... فى القِدِّ (٨) يجمعُ ساعديك إسارُ

فى حيث لا يُروَى على عاداته ... بيديك نَصلٌ حائمٌ وغِرارُ (٩)

وبمصرعٍ لك لم تشاجر دونه ... فوق الأكفّ صوارمٌ وشِفارُ

والخيل صائمة على أشطانها ... قَرْحَى (١٠) تَقامَصُ خلفها الأمهارُ

بشياتها لم يُختَضبْ بدمٍ لها ... عُرفٌ ولم يُبلَلْ عليك عِذارُ

أو أن يكون الجوُّ بعدك ساكنا ... واليومُ أبيضُ ما عليه غبارُ

ووراء ثأرك غِلمةٌ لسيوفهم ... فى الرَّوع من مهج العدا ما آختاروا

يتهافتون على المنون كأنّهم ... حِرصًا فَراشٌ والمنيّةُ نارُ

(١) هاتان الكلمتان ليستا فى الأصل . (٢) المحفار : الآلة يحفر بها . (٣) الزبى جمع زبية وهى الحفرة ، وفى الأصل "الربى" . (٤) الإصحار : البروز للصحراء .
(٥) المتقفد : السمة ، وفى الأصل "متقند" . (٦) يريد زأر فسهلت الهمزة .
(٧) يشير بذلك الى القيد كما يدل عليه البيت التالى . (٨) القدّ : سير من جلد يقيّد به الأسير . (٩) الغرار : حدّ الرمح والسهم والسيف . (١٠) فى الأصل "مرحى" .

حلماءُ فى الجُلّى فإن هم أُغضِبوا … طاشوا لخَنَّت[1] فيهم الأوتارُ
لو صحّت تُسمعهم وصوتُك فى الثرى … لخصوا عليك وفى السماء لطاروا
خذلوك مضطرّين فيك وجمجموا … من بعد ما فَصُحت بك الأخبارُ
وتناذروا أن ينـدبوك تقيّةً[2] … فالحزنُ بينهمُ عليك سِرارُ
إن يُمسكوا فيضَ الدموع فربّما … فاضت عيونٌ فى الصدور غِزارُ
أو يجلسوا نظـرا ليوم تشاورٍ … فالريثُ أحزمُ ما أرابَ بِـدارُ
ولربّما نام الطّلوبُ بثأره … لغـدٍ ولكن لا ينـام الثارُ
وقد آشتفى بعد البسوس "مهلهل" … زمنا وما نَسِىَ الدَّمَ "المَـتّارُ"
وعلى "الطّفوف" دمٌ أطيلَ مِطالُه … حتى تقاضَى دَيْنـه "المختارُ"[3]
لا بدّ من يـومٍ مريضٍ جوّه … للخيلِ فيه بالرءوس عِثارُ
متورِّدِ الطرفين يكفُرُ شمسَه … دَجْنٌ له عَـلَقُ الكماةِ قِطارُ
تَصـلاه باسمك آخذين بحقّهم … عُصَبٌ لهم "عبدُ الرحيم" شِعارُ
فهنـاك يعـلم قاتلوك بأنه … ما عُـقَّ مَن أبناؤه أبرارُ
ويرى عدوُّك — والبقاءُ لغيره — … أنّ البقـاءَ وإن أطيـلَ مُعـارُ
وإن آشتفى وحَلا بفيه غدرُه … أنّ آعتقابَ حلاوتيـه مُرارُ
ولقـد يُشـاكُ[4] المجتنِى بمكان ما … عجِلتْ يداه ويُـلدغُ المشتـارُ
ولّى بها شـنعاء تذهبُ نفسُه … فيها ويَبـقَى لومُها والعـارُ

---

(١) لخنت : فصوّتت ، والأوتار جمع وتر وهو شرعة القوس ومعلّقها . (٢) تقيّة : اتقاء وخوفا . (٣) الطفوف : يراد به الطفّ وهو موضع قرب الكوفة قُتل به الإمامُ الحسين رضى الله عنه والمختارُ هو آبن عبيد الثقفىّ وقد قام بأخذ الثأر من قَتَـلة الحسين فدعا الناس الى محمد بن على بن أبى طالب رضى الله عنه المعروف بابن الحنفيّة . (٤) فى الأصل "يشال" .

درستْ بك السُّنن الحميدةُ واغتدى — نقْــدُ المكارم وهو منك ضِمارُ (١)

هل سائلٌ بك بعــدها أو قائلٌ ؟ — هيهات لا خَــبرٌ ولا آستخبارُ !

حتى كأنك لم تقُــدْ ملمــومةً (٢) — يُومَى اليــك أمامَها ويُشارُ

خرساءَ إلا ما تكلَّم صارمٌ — فى قَوْنسٍ (٣) أو طَنَّ عنــه فقَارُ

تهفــو عليك عُقابهــا (٤) ويضمُّها — منشــورةً لفنائك التَّكرارُ

وكأنَّ رأيك لم يلُحْ قبَسًــا اذا — عَمِيتْ عشايا الرأى والأسحارُ

واذا خِلاط الأمرِ سُــدَّ طريقُه — فلديك واضحــةٌ له وقــرارُ

وكأنَّ بابَك لم يكن لعُفــاته — حَرَما يُجــير ولا حمًى يُمتارُ

يأوى اليــه المسنتون (٥) ويلتــقى — بفِنــائه السُّفَّارُ والحُضَّــارُ

وتبيت تَلْغَــطُ من وصائل ناقةٍ — عُشَرَاءَ عنــدك بُرمةٌ (٦) أعشــارُ

تُصفِى كرائمَها الضيوفَ وتكتفى — فيما يليك بمــا آنتــقَ (٧) الجزَّارُ

وكأنّ كفَّك لم تَبِنْــ فى ظهرها — قُبَــلُ الملوكِ وتشــهدُ الآثارُ

ويخفُّ بين بنانهــا إن حُمِّلَتْ — ضــبطُ الحسامِ ويثقلُ الدينــارُ

بالكره منــك وبالمَســاءة روَّحت — لسوى العُقور على البيوت عِشــارُ

وتراجعتْ وخــدودُها ملطومةٌ — بُزْلٌ لقصــدك وُجِّهتْ وبِكارُ

وغفلتَ لم تسأل ــولستَ بغافلٍ ــ (٨) — أنَّى تنكَّــب بابَك الزُّوّارُ

وتسلَّبتْ من فارسٍ أو راكبٍ — تلك السروجُ اليــك والأكوارُ

(١) الضمار : الوعد المسوّف . (٢) الملمومة : الكتيبة . (٣) القونس : مقدّم الرأس أو العظم الناتئ بين الأذنين . (٤) العقاب : الراية وكانت راية النبيّ صلى الله عليه وسلم تسمى "العقاب" . (٥) المسنتون : المجدبون . (٦) البرمة : القِدر . (٧) انتق : استخرج النِّقْىَ وهو مخ العظام . (٧) فى الأصل هكذا

* وعقلت لم تسأل ولست بعاقل *

ومــتى أرمَّ[١] المادحون وأكسدتْ — من بعــد ما نفقتْ بك الأشعــارُ
أو أن أقولَ فلا تصيخ لقــولتى — لو كـنتَ متروكا وما تختــارُ[٢]
وترى الزمانَ يضيمنى[٣] فيفوتنى — من راحتيك حميَّــةٌ وغيــارُ[٤]
قد كنتَ حصنا من وَرايَ وكان لى — بك من أمامى جُنّةٌ وصِــدارُ
أيامَ شــبى تحت ظلّك نضرةٌ[٥] — وصِبًا وليــلِى فى ذَراك نهــارُ
وعلىَّ من نُعمَى يديك طلاوةٌ — أمشى وتتبعنى لهــا الأبصارُ
قد كنتُ أحسبُ أن بأسَك هضبةٌ — لا يســتطيع رُقيَّها المِقــدارُ
وأقولُ[٦] أن لسقف بيتك فى العلا — عَمَــدًا حبالُ الموت عنــه قصارُ
وإخالُ جودَك نَثْلةً دون الردى — حصــداءَ تمنع فَرْجَهــا الأزرارُ[٧]
فاذا الشجاعةُ والسماحــةُ مَتجَرٌ — تزكو بـــه الأعمــالُ والأعمارُ



غــدرا من الأيام تُفتِــقُ[٨] شمسُها — والأرض تورقُ فوقَها الأشجــارُ
ومذلّة فى السُّحبِ وهى صواحب — ليديك تَنزِل بعــدك الأمطارُ
كم قــد تعلّلتِ المنى بك ، تارةً — أمنٌ وطورا خِيفــةٌ وحِذارُ
وتخالفتْ فيك الرُّواةُ فسرّنى — وتلوّنت بحــديثك الأخبــارُ
ولقـــد ظننتُ بهــا وراءَ لثامها — خــيرًا فكشَّفَ قُبحَها[٩] الإســفارُ[١٠]
إن تفتقدْ عينى مِثالَك فى العــلا — فبنوك من عَينِ العــلا آثارُ

(١) أرمّ : سكت . (٢) فى الأصــل " مختار" . (٣) فى الأصــل " يضمّنى " .
(٤) الغيار : الغيرة من الحميّة والأنفة ، وفى الأصل " عثار" . (٥) فى الأصل "نصرة" .
(٦) أقول هنا بمعنى أظنّ . (٧) فى الأصل "الإزار" . (٨) يقال : أفتق قرن الشمس بمعنى أصاب فتقا من السحاب فبدا منه . (٩) فى الأصل "فتحها" . (١٠) فى الأصل "الأشفار" .

سدُّوا مكانَك والشموسُ اذا هوتْ ... ملأت مَطارحَ نورِها الأقمارُ

طِبْ فى الثرى نفسًا فكلٌّ منهُمُ ... ثَمَّ آقتراحُك فيه والإيثارُ

هم، أنفسا تُدوِى[1] عداك وألسنا، ... من جمرتيك سلائطٌ وشرارُ

كانوا السَّراةَ وقد عدِمتَ وبعضُهم ... لأبيه إن طرَقَ الحِمامُ عوارُ

متلاحقين الى العلاء كأنّهم ... مُجْرَوْنَ يجمعُ بينهم مِضمارُ

الوفدُ وفدُك طائفٌ ببيوتهم ... والحامِلُ العبقاتِ والسُّمّارُ

تُتلَى عليهم فيك كلُّ فضيلةٍ ... للبيتِ فيها النشرُ والتَّذكارُ

أيدٍ طُبعنَ على السماح وأوجهٌ ... فى عتقها من دوحتيك نِجارُ

هم ما همُ! ويزينُ مجدَ أبيهمُ ... خالٌ لزَندِ المجدِ منه سِوارُ

ما غِبتَ عنهم وهو شاهدُ أمرِهم ... لك منه فيهم كافلٌ وطَوارُ

فليبقَ وليبقوا له ما طبّق الـ ... آفاقَ طِيبُ ثنائك السيّارُ

واذا العزاءُ أتى فذلّ لهم به ... فيك العزيزُ وأسهلَ المِعسارُ

ولقد أُسلّيهم[2] وفى عِظتى لهم ... جَزَعٌ ورَجْعُ كلامِيَ آستعبارُ

ساهمتُهم عِبءَ المصابِ وكلُّنا ... تحت التجمُّل حاملٌ صبّارُ

لا تبعُدَنّ بِلًى، فقد فات البلى ... بك أن يُظَنَّ تقاربٌ ومَزارُ

وسقاك إن عطِش القليبُ وماؤه ... متبجّسٌ[3] وقَرارُهُ خَرّارُ[4]

---

(١) تدوى: تُمرِض. (٢) فى الأصل "أسليهم". (٣) متبجّس: متفجّر، وفى الأصل "متحس". (٤) خرّار: له خرير وهو صوت الماء، وفى الأصل "جرّار".

متهـــدِّلُ الأطرافِ يَمسَحُ بالثرى ... ممـا ترا كَمَ ذيـلُهُ الجــرَّارُ
صخِبُ الرعودِ تَهيـجُ فى جَنباتِه ... للعـاصفـاتِ جَرَاجِرٌ[1] وخُـوارُ
فجـرى يجلِّلُ بالحيـا حِيطـانَهُ ... حتى الجـداولُ تحتهـا أنهـارُ
يَسقِى بأعذب ماسَقَى حيث آلتقتْ ... فِلقُ الصفيح عليـكَ والأحجـارُ
حتى يُظنَّ ثراكَ نَشـوانا به ... دارت عليـه من السحابِ عُقارُ
ويضوعَ منك بطيبِ مافى ضمنه ... فكأنَّ ضارجَ تُربه عطَّـارُ
ونزلتَ حيث تُحطُّ أملاكُ العـلا ... شـوقا اليـك وتُرفَعُ الأوزارُ

تم الجـــزء الأوّل

ويليه الجزء الثانى ، أوّله قصيدة مطلعها

رَعَتْ بين "حاجرَ" والنعفِ "شهرا" ... جَمِيمًا[2] وعبَّتْ[3] شآبِيبَ غُـزْرَا

---

(١) الجراجر : الأصوات . (٢) الجميم : النبات الكثير . (٣) عبّت : شربت وجرعت ، وفى الأصل " غيّبت " .

إصـــلاح خطأ

وقعت فى هذا الجزء أغلاطٌ قليلة نرجو تصحيحَها فى صُحُفِها وهى :

صحيفة	سطر	خطـأ	صـواب
١	١١	وقَذاءُ	وقَذاةُ
٢٧	١٢	المزاح	المِراح
٢٧	٢٠	(٤) الجُرُبُ جمع أجرب	(٤) الجَرِبُ : الأجربُ
٢٨	٢٢	(٩) الأُهَبُ جمع أُهبة وهى العدّة	(٩) الأُهُبُ جمع إهاب وهو الجلد
٣٠	٦	كاثُرُوا	كاثَرُوا
٤٤	١٥	الزُّنْجِىّ	الزَّنْجِىّ
٤٥	٢١	حجراتهم	حجزاتهم
٤٧	٧	رافدتْ	رادفتْ
٤٧	٩	تُدْمَل	تَدْمَل
٤٧	١٦	شبهُهُ الأيّامَ	شبهةَ الأيّامِ
٤٨	٢	حُسنَا	خِشْنَها
٤٨	١٠	رأَمَتْ أبواءَها	رُئِمتْ أبواؤُها
٤٩	٩	مخداجُهاء	مخداجُها
٥٠	١٧	دُبو بِها	دَبو بِها
٥٠	٢٢	(٩) تزَمّ : تصوّتُ	(٩) تُرِمُّ : تسكُتُ
٨٨	٨	أبى الحسين	أبى الحسن
١٥٥	٢٠	(٣) الحِرَّة : الحجارة السود	(٣) الحَرَّة : الأرض ذات الحجارة السود
١٥٧	٢١	(٦) لأَذَمّتْ : لأعيت	(٦) لأَرَمَّتْ : اسكتتْ
١٧٥	١٧	وُرقاء	وَرقاء